

فصلية تعنى بالتواصل الثقافي الكردي - العربي
تصدر عن دار سردم للطباعة والنشر

السنة السابعة - العدد "28" صيف وخريف 2010

موقع المجلة على الإنترنيت
www.serdam.org

المراسلات
عن طريق مدير التحرير
nawzadaa@yahoo.com
آسيا سيل: ٠٧٧٠١٤٢٠٩٠٩

مطبعة دار سردم للطباعة والنشر

محتويات العدد

دراسات وبحوث

دراسات تأريخية

دراسات أدبية ونقدية

شعر

قصة

محتويات العدد

مسرح

حوار

شخصيات كردية

محطات ثقافية

www.serdam.org



أنثروپولوجيا الكرد

دراسة سوسيولوجية في الشخصية الكردية

د. أحمد الخليل

مدخل: أسس الشخصية

الشخصية- سواء أكانت شخصية فرد أم شخصية شعب- أشبه بجبل الجليد، يظهر ربعه للعيان، ويختفي ثلاثة أرباعه في أعماق المحيط، وقد لخّصنا- في الحلقة الثانية من هذه السلسلة- تعريف (شخصية الشعب) بأنها « السمات العامة التي يُعرف بها شعبٌ ما، من حيث الصفات الجسدية، والمزاج، والذهنية، والثقافة، وأنماط السلوك في المواقف المختلفة ». وثمة أربعة أسس (مقوّمات) لشخصيات الشعوب، هي:

١ – الأساس الأنثروبولوجي Anthropology: ويتمثّل في محورين: الأول هو الخصائص السلالية الدائرة في فلك الإثنولوجيا Ethnology (علم أجناس البشر). والثاني هو المعطيات الدائرة في فلك الإثنوغرافيا Ethnography (علم وصف الشعوب).

٢ – الأساس البيئي (الإيكولوجي Ecology): ويتمثّل في خصائص جغرافيا التكوين التي نشأت الجماعة (قوم/ شعب/ أمة) في أحضانها، منذ بدايات فجر وجودها، وتأثير تلك الجغرافيا في بناء الشخصية على الصعيد البيولوجي والإثنوغرافي والمعرفي والنفساني والاجتماعي.

٣ – الأساس الثقافي: ويتمثّل بالدرجة الأولى في المنظومة المعرفية والنفسانية والأخلاقية المتكاملة، التي واكبت الجماعة (قوم/ شعب/ أمة) في عهود التكوين الأولى، وهي تشمل: الميثولوجيا، والدين، والرؤية الوجودية، ومستويات الوعي، وخصائص المزاج، ومنظومة المُثل العليا، وما يتفرع عن هذه المنظومة من المبادئ والقيم، وما يترتّب عليها من المواقف والسلوكيات.

٤ – الأساس الكفاحي (الصراعي): ويتمثّل في أنواع التحدّيات التي واجهتها الجماعة (قوم/ شعب/ أمة) خلال صيرورتها عبر مراحل التاريخ؛ كالمنغّصات، والعوائق، والصعوبات، والتهديدات، والأخطار، وأشكال القهر، إلخ.

ومن المهم جداً أخذ أمرين في الاعتبار عند التعامل مع هذه الأسس:

- أولهما: ألا نتعامل مع كل أساس بمعزل عن الأسس الأخرى؛ إذ ليس ثمة شخصية تكون نتاج أساس واحد، وإنما يكون في كل تجلٍّ من تجلّياتها نسبة معيّنة من كل أساس من الأسس السابقة الذكر.

- وثانيهما: ألا نتعامل مع كل أساس على أنه في حالة سكون وجمود، وإنما من منظور أنه كان على الدوام في حالة تحوّل، وقد يكون التحوّل تصاعدياً (نحو الأفضل)، أو ارتكاسياً (نحو الأسوأ).

والآن ماذا عن الشخصية الكردية من المنظور الأنثروبولوجي؟

قبل الإجابة عن هذا التساؤل، أرى من الضروري تذكير نفسي بالضوابط التي قررت التزامها في هذه الدراسة، ومنها إفساح المجال للآخرين؛ كي يقولوا كلمتهم في الشأن الكردي عامة، وفي الشخصية الكردية خاصة، شريطة أن تكون أقوالهم علمية وموضوعية. ونحن الآن في أمس الحاجة إلى تلك الأقوال، ولا سيّما أنني لست متخصصاً في الحقل الأنثروبولوجي. فماذا قال الدارسون الآخرون؟

أقوال كتّاب أوربيين

■ قال الرحّال الإنكليزي كلوديوس ريج، في الربع الأول من القرن التاسع عشر، يصف الكرد الگوران (ذكر نيكيتين أنهم سكان شمالي الطريق الذي يربط كرمنشاه ببغداد حتى نهر سَيروان (ديالى) شمالاً، ومن هناك إلى هَوْرامان): « إن الگوران يختلفون عن طبقة المحاربين في سيماء وجوههم وفي لهجتهم، فلوجوههم ملامحُ أكثر نعومة وخطوطٌ أكثر انتظاماً، حتى ليُخيَّل إلى الناظر من جانب وجوههم أنهم من اليونان». (نيكيتين: الكرد، ص ٢٠٤).

■ قال هنري فيلد Henry Field (١٨١٩ - ١٨٨٣) في دراسة أجراها على (٣٢٤) كردياً: الكردي بشكل عام ذو طول متوسط، وجِذْعه (من الكتفين إلى الحوض) من النوع الطويل، وسيقانه قصيرة إلى حدّ ما، وجبينه عريض، ورأسه عريض، ونسبة حوالي (٤٠ ٪) من الكرد الوجه عندهم يتراوح ما بين متوسط الطول والطويل، وثمة نسبة مماثلة ذات وجه عريض ومتوسط العرض، وأنفه محدّب غالباً، وشعره كثيف غالباً. (جمال رشيد: ظهور الكورد في التاريخ، ٢٤٣/١، ٢٤٦).

■ أورد الأنثروبولوجي الفرنسي إرنست شانتر Ernest Chantre ، في كتابه (الكرد) المنشور عام (١٨٧٩)، نتائج دراسة أجريت على (٣٣٢) رجلاً كردياً، و(٦٣) امرأة كردية، فذكر أن المظهر العام للكردي يوحي بالقسوة (الهمجية)؛ وطابع شخصيتهم قاس (صلب)، وعيونهم صغيرة نارية البريق، وغائرة في المحاجر، والرجال بشكل عام سمر الألوان، وطوال القامة، ونحاف، وذوو قوة غير معهودة، إنهم يمشون بخطوات ثابتة، ويرفعون رؤوسهم عالياً بفخار.

(Susan Meiselas: Kurditan In the Shadow of History, P 8).

وذكر إرنست شانتر أيضاً أن نسبة (٦٦ ٪) من عيون تلك العيّنة كانت سوداء، وكان شعر (٢٠٤) أشخاص بني اللون، وشعر (١١٨) شخصاً بين البني والأسود، وشعر (١٠) أشخاص أشقر اللون، ونسبة (٣٧ ٪) من أنوف الرجال مستقيم، ونسبة (٥٠ ٪) منها محدّب، ونسبة (١٨ ٪) منها مقعّر، ونسبة (٦٦ ٪) من أنوف النساء مستقيم. أما الوجه فضيّق، والذقن قوي، والصدر عال.

(Susan Meiselas: Kurditan In the Shadow of History, P ٨).

■ قال الإنكليزي سُون في أوائل القرن العشرين، وكان قد عاش في جنوبي كردستان فترة ليست قليلة: « إذا نظرنا إلى الكردي في تكوينه الجسدي فلا شك في أننا نجد أنفسنا أمام نموذج متكامل. إن الكرد الشماليين رجال نحاف طوال القامة، وقلما تجد البدين المفرط البدانة بين الكرد، أنوفهم طويلة، إلا أنها معقوفة قليلاً في الغالب، أفواههم صغيرة، ووجوههم

بيضوية الشكل ومستطيلة، ... ويغلب فيهم اللون الأشقر، وإذا وضعنا طفلاً كردياً من هذا النوع بين مجموعة من الأطفال الإنكليز، لم يمكننا التمييز بينه وبينهم؛ لأن له بشرة بيضاء مثلهم». (نيكيتين: الكرد، ص ٦٥).

■ قال سون أيضاً: «أما في الجنوب فتكون الصورة أكثر توسعاً، والمشية أكثر ثقلاً، وبين (٤٠) رجلاً من العشائر الجنوبية- اختيروا عشوائياً- كان تسعة منهم أقل من ستة أقدام طولاً، رغم أن معدل الطول كان بين بعض العشائر خمسة أقدام وستة إنشات. خطواتهم واسعة ولكنها بطيئة، وتحمّلهم المشاقّ في العمل كبير، والجبليون منهم ذوو قَوام مستقيم». (نيكيتين: الكرد، ص ٦٥).

■ قال سون أيضاً: «لقد رأيت بينهم [= الكرد] العديد من الرجال الذين يحملون وجوهاً غامضة، الشعر رائق ومسترسَل، والشارب طويل سابل، والبَشَرة صافية. كل ذلك يقدم حجة مقنعة- إذا أمكن اعتبار الوجه معياراً- على أن الأنجلو- سكسون والأكراد يرجعون إلى أصل واحد». (نيكيتين: الكرد، ص ٦٥).

■ قالت الباحثة الإنكليزية ليدي درور Lady Drower، في النصف الأول من القرن العشرين، متحدثة عن مختار بَعْشيقا أو باعَذرى، في المناطق الأيزيدية: « وكان وجهه- مثل وجوه الكثيرين الذين رأيناهم في القرية- كبيراً إلى حدّ ما، من النوع السكندينافي تقريباً... كان من بين أطفال القرية البعض شقرٌ وذوو عيون زرقاء مثل الساكسونيين». (ليدي درور: طاووس ملك اليزيدية، ص ٤١).

■ قال الكاتب الأرمني أبو ڤيان يصف الشخصية الكردية: « من الممكن معرفة الكردي من النظرة الأولى برجولته وقيافته المهيبة المعبّرة، التي تشير في الوقت نفسه إلى الهزء من الخوف، بالإضافة إلى أن وجه الكردي يتّصف بعيون كبيرة برّاقة (نارية)، وحواجب كثيفة، وجبين عال، وأنف طويل معقوف، وخطوات متينة، أو بعبارة أخرى: صفات الأبطال القدماء «. (مينورسكي: الأكراد، ص ٣٥ – ٣٦).

■ قال الباحث الروسي ڤلاديمير مينورسكي Vladimir Minorsky: بصورة عامة الشخصية الكردية مختلفة إلى درجة أنه يصعب الاعتماد على الصفات الأنثروبولوجية، ومن الممكن العثور عند الكرد على الوجه المدوّر الأرمني، والسامي العربي، والنسطوري المسيحي على الأكثر. (مينورسكي: الأكراد، ص ٣٥).

■ قال الباحث الروسي باسيل نِيكيتين Basil Nikitin: « يُجري بعض الباحثين تمييزاً بين الكرد الذين يسكنون شرقي كردستان، والذين يقطنون غربيها. إن الكرد الشرقيين الذين صُوّروا من قبل ستولز يتميّزون بسُمرة بَشَرتهم، وشكلُ جمجمتهم من نوع brachycephalic (الرؤوس العريضة)، ويشبهون في ذلك الفُرس الذين يجاورونهم، وهذا بخلاف الكرد الغربيين الذين درسهم بعناية ڤون لوشان Von Luschan ، من وجهة النظر الأنثروبولوجية، في مناطق كوماژين (قرب قَرَه قُوچ) في دَمْرُود داغ وفي زِنْجيرلي، وقد تبّين أن بينهم نسبة كبيرة شقر اللون والشعر، وشكلُ جمجمتهم من نوع dolichocephalic (الرؤوس الطويلة)، وتوصل لوشان إلى أن الكرد في الأصل شعب أشقر اللون، أزرق العيون، ونوعُ جمجمتهم dolichocephalic، ويُفسِّر كونَ بعضهم سمرُ البَشرة، مع أن نوع جمجمتهم من صنف dolichocephalic، بتزاوجهم مع الترك والأرمن والفرس. (نيكيتين: الكرد، ص ٦٣ – ٦٤).

■ قال دانا آدمز شميدت Dana Adams Schmidt، خلال جولته في منطقة بارزان عام (١٩٦٢): «وفي الثامنة صباحاً

بلغنا قرية (بابان)، واعترتني الدهشة حالاً لمّا رأيت الأطفال الشقر، والرجالَ ذوي العيون الزرق في الطرق، هؤلاء لا بد أن يكونوا نموذجاً بارزانياً متميّزاً، نحافٌ وذوو وسامة؛ لا بد أنهم امتزجوا وتزوّجوا كثيراً حتى كان منهم هذا الجنس الممتاز». (دانا آدمز شميدت: رحلة إلى رجال شجعان، ص ٢٦٤).

■ قال جوناثان راندل Jonathan Randl: لا يمكن تمييز الكردي الأسمر والقصير القامة عن أبناء أوربا الجنوبية، أو عن العرب أو الفرس، لكن توجد أعداد كبيرة من الكرد الشقر والطويلي القامة، ومن ذوي العيون الزرق، ويعيشون في شريط ضيّق يمتد من بحيرة أورميه في غرب إيران، ويمر عبر معظم مناطق شمال العراق، وصولاً إلى الحدود السورية، وقبل نصف قرن أكد ويليام ويستيرمان، أستاذ التاريخ في جامعة كولومبيا، «أن بإمكان الأكراد ادّعاء أنهم حافظوا على نقاء عرقهم، وحافظوا على السمات الرئيسية لثقافتهم لمدة زمنية، أطول مما فعله أيّ شعب يعيش في أوربا اليوم». (جوناثان راندل: أمة في شقاق، ص ٣٤).

■ قال جوناثان راندل أيضاً خلال هجرة الكرد الضخمة عام (١٩٩١): «لخّص مراسل شبكة سي. بي. إس الأمريكية ألان بيتزي أسباب قيامه بتغطية أخبار الأكراد في الجبال على الهواء مباشرة، وعلى مدى (٢١) يوماً، قائلاً: الأطفال جميلون، والرجال شرسون وذوو إباء، والنساء جميلات وغير محجّبات، وقد دهش العالم الخارجي عندما تبيّن له أن بعض الأكراد أشقر وذو عيون زرقاء". (جوناثان راندل: أمة في شقاق، ص ٨٥).

أقوال كتّاب عرب

الباحث السوري منذر الموصلي أبرز من كتب في الشأن الكردي على نحو متكامل، إذ جمع في كتابه (عرب وأكراد) معظم ما يتعلق بالكرد من حيث التاريخ، والجغرافيا، والشخصية، والمجتمع، والعقيدة، والأدب، وها هو ذا يقول في وصف الكرد: "الكردي بهي الطلعة، ممشوق القَوام، صحيح الجسم، تحدّث كلوديوس ريج عن الأكراد، فقال: إن الأكراد بوجه عام أقوياء أصحّاء، لم أشاهد مطلقاً أناساً ذوي أجسام قوية صحيحة من الجنسين، النساء والرجال، كما شاهدت في كردستان. وتحدّث عنهم البريطاني مستر هبارد عضو لجنة تخطيط الحدود الروسية- التركية عام (١٩١٤): ولما دنونا منا شاهدت فيهم سِحَناً وقامات تدل على نقاوة دم أصحابها وحُسن بنيتهم". (منذر الموصلي: عرب وأكراد، ص ١٣٣).

وقال منذر الموصلي أيضاً: "قسم من الأكراد يميل إلى الامتلاء، لكنهم موصوفون إجمالاً بالجسم المعتدل والبَشَرة البيضاء والحنطية، تبعاً لمناطق تواجدهم. الشعر خرنوبي اللون على الغالب، لكن يوجد من هو أشقر الشعر قليلاً، العيون عسلية أو زرقاء، أكراد الشمال عيونهم زرقاء. الكردي قاسي القَسَمات، ويطلق شاربه فيجعله كثيفاً، لأن العناية به دلالة الرجولة والفروسية". (منذر الموصلي: عرب وأكراد، ١٣٣).

وأضاف منذر الموصلي قائلاً: " الأوصاف الإثنوغرافية وصفاتهم الطبيعية الأنثروبولوجية تبعدهم عن أن يكونوا ساميين — حسب التعريف الكلاسيكي الدارج، بل تجعلهم من انحدارات آرية ... ومن المهم أن نذكر أن الملامح العامة للأكراد ليست واحدة بالدقة، بل إن هناك تمايزاً نشأ عن الاختلاط والامتزاج بسكان منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، وفي هذا يقول العالم الروسي كونيك: إن أوصاف الكرد الشماليين في تركيا، وفي شمال غربي إيران، تكشف عن مميّزات آرية واضحة. أما أكراد كردستان الجنوبي فيمتازون

ببشرة داكنة، وشعر داكن، وبأغلبية ساحقة من العيون البنية، وبقامة متوسطة الطول، ورأس أقرب إلى الاستدارة ". (منذر الموصلي: عرب وأكراد، ص ١٣٤).

أقوال كتّاب كرد

ونتناول أخيراً بعض ما ذكره الباحث الكردي الدكتور مِهْرداد إيزادي Mehrdad Izady بشأن أنثروبولوجيا الكرد، وهو متخصص في حقل الدراسات الكردية، ومحاضر في قسم حضارات ولغات الشرق الأدنى بجامعة هارفارد Harvard، وكتاباته علمية رصينة جادة، وقد جاء في كتابه (الكرد: دليل موجز The Kurds: A Concise Handbook) ما يلي:

من حيث الخصائص الطبيعية physical characteristics وحدها لا يمكن تمييز الكرد من جيرانهم، ولا يوجد ثمة تجانس في الأشكال بين الكرد، والاختلافاتُ الموجودة بينهم في هذا الميدان موجودةٌ بين الإثنيات المجاورة لهم أيضاً، وبالرغم من أنهم يشبهون شعوب جنوبي أوربا، وشعوب شرقي المتوسط، في اللون وخصائص علم الأعضاء physiology، إلا أن في شخصيتهم خصيصتين متلازمتين ومستمرتين، هما: سمرة العنصر القوقازي الأصلي. وشقرة العنصر الألبي، وأحياناً العنصر النوردي (الشمالي). (P 73. The Kurds: Mehrdad Izady).

إن هذا النمط الأخير (الألبي/ النوردي) يُشاهد كثيراً في مناطق زاخو وأورميه وشُنو Shunu، وفي مناطق كَرْمَنْشاه وهَمَدان، كما أنه يُشاهَد في أقصى شمال غربي كردستان في جبال البحر الأسود، وتقلّ مشاهدته كثيراً في في شرق وغرب كردستان، ويمتزج النمطان (الأسمر والأشقر) في وسط وغرب كردستان. إن اللون الشقر شكّل ثلث عيّنة مؤلفة من (598) كردياً، كانوا موضوع دراسة أنثروبولوجية، أجراها هنري فيلد Henry Field في العراق عام (1952)، وكثافة هذا النمط ظاهرة في زاخو، وتبدأ بالتناقص كلما اتجهنا جنوباً نحو كركوك وسليمانية. (P 73. The Kurds: Mehrdad Izady).

وأضاف مهرداد قائلاً: يتراوح طول سكان المدن والقرى، بصورة عامة، بين (5.3 – 5.7) أقدام، وهم أقصر من سكان الجبال الرحّل (البدو) الذين يتراوح طولهم بين (5.7 – 6) أقدام- القدم = 30.5 سم- وإن معظم هذه الفروق في الطول يمكن أن يُعزى إلى الفروق بين مناطق هاتين المجموعتين من حيث توافر الغذاء، لكن من الضروري أن نأخذ الفروق الخَلْقية (الجينية) عند المجموعتين في الاعتبار أيضاً. (P 73. The Kurds: Mehrdad Izady).

وقال مهرداد أيضاً: لقد لاحظ معظم الرحّالة الأوربيين، خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، في تقاريرهم أن الكرد من الفلاحين وسكان المدن الذين يسمّون (گوران) Goran، أكثر سمرة من ذوي اللون الأفتح، والأكثر طولاً، الذين يسمّون (كورمانج) Kurmanj. ويبدو أن الطابع الآري، لغوياً وثقافياً وسلالياً، بدأ يهيمن على المجموعات القوقازية الأصلية منذ الألف الثاني قبل الميلاد، مع استمرار هجرة المجموعات الهندو- أوربية إلى غربي آسيا، واستقرارها هناك؛ مثل الميتانّيين Mitannis، والحثّيين Hittites، والميديين Medes، والساغارتيين Sagarthians، والسكيث Scythians، والفرس Persians، واللان Alans، إن بعض هذه الهجرات كانت بأعداد ضخمة، إلى درجة أنها أحدثت تحوّلاً جذرياً في الأساس الثقافي، وليس في الأساس العرقي. (P 73. The Kurds:Mehrdad Izady).

ويضيف مهرداد: من هنا يمكن القول بأنه لا يوجد تجانس عرقي كامل في المجتمع الكردي، ويتضح ذلك من النظرة الأولى إلى الفروق بين الكرد في مختلف مواطنهم. إن الأمر المؤكد بالنسبة إلى التكوين الكردي الأصلي هو التنوع في الأصول، ويمكن أن يُعزى ذلك مباشرة إلى الهجرات والغزوات التي تعرضت لها كردستان خلال آلاف السنين، ومثال على ذلك أن رشّات (رشقات) peppering a من الصفات المغولية موجودة في أجزاء كردستان التي حلّ فيها بعض الأتراك منذ القرن الثاني عشر الميلادي، إلا أن الإثنية الكردية تشرّبت أولئك الوافدين وهضمتهم. (The, P .74 Kurds: Mehrdad Izady).

وذكر مهرداد أن فصيلة الدم في كردستان بشكل عام هي (B)، ويبدو أن هذه الفصيلة تمنح مناعة طبيعية لمقاومة الكوليرا، الذي ما زال يهاجم كردستان على فترات. أما فصيلة الدم (A) فتقاوم وباء الطاعون الذي ضرب أوربا بقوة، وكان أقل تأثيراً على الكرد في الماضي. وإن ندرة فصيلة الدم (O) في كردستان، نسبياً- وهي فصيلة مقاومة لمرض الجُدَري الشائع في الشرق الأوسط بشكل عام- تشير إلى أن هذا المرض لم يتغلغل في جبال كردستان. إن هذه المعطيات ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار في أية دراسة تاريخية تتناول الديموغرافيا الكردية، وخاصة عند تحديد أعداد السكان وعلاقة ذلك بجوائح الأوبئة الفتّاكة. (The 74 P , Izady Mehrdad :Kurds).

نتائج

إن المعلومات السابقة توصلنا إلى النتائج الآتية:

أولاً: ليس ثمة تجانس عرقي كامل (١٠٠ ٪) في المجتمع الكردي، ومع ذلك فهم يشكّلون إثنية لها طابعها الخاص، ويؤكد آرييننس كبرس Ariens Kappers ذلك قائلاً: " الكرد، بالرغم من اختلافاتهم الأنثروبولوجية، يشكّلون في الحقيقة عنصراً متميّزاً «. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٢٤٦/١).

ثانياً: الطابع الأنثروبولوجي الكردي العام مزيج من الصفات الشرق أوسطية والأوربية، وإن النمط الكردي الذي تكثر فيه القامة الطويلة، والبَشرة الفاتحة والشقراء، والعيون الزرق، يوجد- على الغالب- في مناطق شمالي كردستان. أما النمط الذي تكثر فيه القامة المتوسطة، والبَشرة السمراء، والعيون السود، فيوجد – على الغالب- في جنوبي كردستان. وثمة مزيج من النمطين في المناطق الوسطى من بلاد الكرد.

ثالثاً: ثمة تشابه إثنوغرافي بين الكرد والشعوب العريقة التي تجاورهم (العرب والفرس والأرمن)، إضافة إلى وجود طابع مغولي (تركي) بين الكرد بدرجة محدودة في بعض الأجزاء، نتيجة استيطان قبائل تركمانية قليلة في بلاد الكرد منذ القرن الثاني عشر الميلادي. ، ويكاد هذا الطابع المغولي يضيع في خضمّ الطابع الكردي العام.

رابعاً: لا يمكن اتخاذ المعطيات الأنثروبولوجية، مدخلاً علمياً صائباً إلى معرفة الشخصية الكردية؛ على الصعيد الروحي والذهني والجمالي والاجتماعي، وبعبارة أخرى: لا تعتبر الخصائص الأنثروبولوجية مفتاحاً للشخصية الكردية، ولا يصحّ، من المنظور العلمي، أن نقول مثلاً: الكرد أذكياء أو غير أذكياء لأن أنوف كثيرين منهم محدّبة، والكرد ذوو مزاج حادّ لأن شوارب كثيرين منهم كثة وعريضة، ولا أن نقول إن المرأة الكردية ذات شخصية قوية، لأن اللون الغالب عليها هو الحنطي ، إن الدراسات العلمية المعاصرة ترفض اتخاذ خصائص العرق (العنصر) أساساً رئيساً لمعرفة الشخصية، وتركّز في الغالب على البيئة والثقافة.

توضيحات

وفي الختام نسوق التوضيحات الآتية:

أولاً: إن ما ذكره الدارسون بصدد الكرد على الصعيد الأنثروبولوجي يعاني من ثغرات علمية عديدة: منها أنها في أغلبها انطباعات وملاحظات ووجهات نظر شخصية، تفتقر إلى المعيارية في دراسة الجينات وقياس أحجام الجمجمة والأجزاء الأخرى من الجسم. ومنها أيضاً أن الدراسات العلمية القليلة لم تشمل عيّنات من جميع أجزاء بلاد الكرد، وإنما اقتصرت كل مرة على عدد قليل من الكرد، وفي أجزاء محدودة من بلادهم. وبتعبير آخر: لا توجد إلى الآن- في حدود ما نعلم- خريطة جينية كردية شاملة ومتكاملة، ولا قاعدة بيانات إثنوغرافية كردية تفصيلية ودقيقة، يُعتمَد عليها في تحليل الشخصية الكردية من المنظور الأنثروبولوجي.

ثانياً: إن عدم وجود تجانس عرقي كامل (١٠٠ ٪) في المجتمع الكردي أمر طبيعي، ولا يعني البتّة أنه لا وجود لقوم (شعب/أمة) لهم طابعه الخاص اسمهم (الكرد)، بل لعل المجتمع الكردي، وخاصة في كردستان المركزية، أكثر تجانساً- على الصعيد الأنثروبولوجي- من مجتمعات كثيرة في الشرق والغرب؛ فالشعوب والأمم حالة تاريخية وثقافية ومجتمعية وشعورية، أكثر من كونها حالة عرقية بالمعنى الجيني الصرف.

ثالثاً: إن تلك الدراسات لم تجانب الواقع على الغالب، إذ يمكن للمرء أن يميّز، بالعين المجردة، اختلافاً في الأشكال بين الكرد، فثمة حقاً النمط الأسمر والحنطي بنسبة أكثر، والنمط الأشقر بنسبة أقل. وثمة حقاً تبايناً في الطول بين المتوسط والطويل، وغالبية الكرد من متوسطي الطول. وثمة حقاً تبايناً في شكل الأنف، بين المحدّب بنسبة أكثر، فالمستقيم بنسبة أقل، فالمقعّر بنسبة محدودة. وثمة حقاً تبايناً في شكل الرأس، بين الأقرب إلى الطول، والعريض المستدير. وثمة حقاً طولاً في الجذع، وكثافة في الشعر، عند نسبة كبيرة من الكرد.

رابعاً: إن تلك الدراسات لا تتعارض مع حقائق التاريخ، وهي تتفق تماماً مع المعلومات المتعلقة بـ (التكوين الكردي) عبر العصور القديمة، وبالعودة إلى تلك الحقائق والمعلومات يتضح أن النمط المتصف بالرأس العريض المستدير، والقامة المتوسطة، واللون الأسمر والحنطي، هو نمط أسلاف الكرد الزاغروسيين الأوائل (يسمّون خطأ: قوقازيين)، وأبرز دليل تاريخي موثّق على ذلك أن السومريين كانوا ذوي رؤوس عريضة مستديرة، وكانوا ذوي أنوف محدّبة، وهذا واضح في تمثال الملك السومري الشهير جُوديا. (انظر: سامي سعيد الأحمد: السومريون وتراثهم الحضاري، ص ٤٢. محمد بيومي مهران: تاريخ العراق القديم، ص ١٦٤).

وسبق القول بأن السومريين كانوا سكّان جبال زاغروس الأصليين، وأنهم خرّيجو حضارة حلَف في الفترة بين (٤٤٠٠ - ٤٣٠٠ ق. م)، وانحدروا إلى جنوبي ميزوبوتاميا من المناطق الجبلية التي عُرفت بعدئذ باسم (إقليم كردستان – العراق)، وهذا دليل آخر- إلى جانب الدليل اللغوي- يرجّح أن السومريين كانوا فرعاً من أسلاف الكرد الزاغروسيين الأوائل، ومرة أخرى نهيب بالمتخصصين في الأركيولوجيا إلى أن يعيروا هذا الموضوع كثيراً من الاهتمام، وأعتقد أنهم سيجدون المخرج من الحَيرة في تحديد أصول السومريين ولغتهم.

خامساً: أكّدت الدراسات المتعلقة بالأنثروبولوجيا الكردية غلبة نمطين سلاليين على التكوين الكردي: النمط الأسمر، المتوسط الطول، المستدير الرأس، العريض الوجه. والنمط الأشقر، الأقرب

إلى الطـول، ذو الـرأس الأقرب إلى الطـول، البيضوي الوجـه. ونرى أن هذه الدراسـات تؤكـد حقيقة أن كـرد العصر الحديث هم حفدة خُلَّص وأنقياء لفرعي أسـلافهم القدماء: الفرع الزاغروسي الأصلي (سومري، لوللي، گوتى، سوباري)، والفرع الآري (الهندو-أوربي) الذي اسـتقر في جبال زاغـروس وعلى حوافّهـا منـذ الألـف الثاني قبل الميلاد (كاشـّـي، ميتانّي، مانني، خالدي، ميدي)، واندمج مع الفرع الزاغروسـي، وأعطـى التكويـن الكردي شكله التاريخي الأخير.

هذا عن الأساس الأنثروبولوجي في الشخصية الكردية.

ومـاذا عـن الأسـاس البيئـي (الإيكولوجي)؟

ذلـك هـو موضـوع الحلقـة القادمة.

الجبل: مفتاح الشخصية الكردية (١) البيئة والإنسان

ابتكـر العالم الألماني إرنسـت هيـكل Ernst Haeckel مصطلح (إيكولوجيا) Ecology عـام (١٨٦٩)، وقصـد به دراسـة العلاقة بـين الكائنـات العضوية وبيئتهـا الشـاملة. وفي إطـار هذا التعريـف لم يعد مـن المقبول أن نتصـوّر (البيئة) على أنها مجرّد سـطح جغـرافي Geography، نتّخـذ فيـه بيوتـاً وملاعـب، ومراعي ومزارع، ولا مجرد امتداد جيولوجـي Geology، يتكوّن من رفوف (طبقات) متراكبة، هذه فيها مياه، وتلك فيها ذهب، وثالثة فيها حديد، ورابعة فيها بترول، ولا مجرد مُناخ (هواء، حرارة، برودة، رطوبـة، جفاف إلـخ). وإنما صار مصطلـح (البيئة) يشـمل جميع هذه العناصر متكاملةً ومتفاعلةً.

وصحيح أننا- البشـر- نختال بأننـا حَمَلَـة هُوِيّـات جينية متميّزة، بهـا نختلف عن جيراننا من الكائنات الأخرى، لكن لا ننس أن تلك الهُويّات تشـكّلت أصلاً في أحضـان مملكة (البيئة)، ولا ننس أيضاً أن اسـتمرارنا في الحياة يعني أننا نتفاعل مـع البيئة على نحو صحيـح، نتكيّـف معهـا، وأنه لا اسـتمرارية لوجودنا خارج قدرة جيناتنا علـى التكيّف مع البيئة، وعلينـا أن نأخـذ في الحسـبان أن البيئة تسهم في إنتاجنا (تكويننا)؛ إنها تسهم في صياغتنا شكلاً (طول، عرض، لون)، وفي صياغتنا إحساساً ومزاجـاً وثقافـة، إننـا جزء من البيئة، فيها نبـدأ وجودنا، وفيها ننتهـي، ولا يمكننا أن نهرب منها، أو نتجاهلها، أو نتعـالى عليها، إنها قَدَرنا.

ولعل الشك يداخلك، إذاً دعني أسالك: هل أنت ذو بَشَرة سوداء؟ حسـناً، أنت كنت في الأصل، ومنذ لا أقـلّ مـن مليوني عـام، ذا لون بنّي، لكـن البيئة التي خرج فيها سلفك الأول إلى الحياة، كانت غنية بالأشـعة فوق البنفسجية، وكانت تلك الأشعة تهدده بسرطان الجلد، فأنتجت بعض جيناته مادة اسمها (ميلانين)، ووظيفتها منحُ الجلد لوناً مناسـباً، فمنحت جلدَ سلفك الأول لوناً أسود، امتصّ الأشعة فوق البنفسجية، ومنعها من التغلغل في كيانه، وأتاح له فرصة الاسـتمرار في الحيـاة، فاشـكر لونك الأسـود إذاً، ودعـك من الأحـكام الجمالية العابرة، إن لونك الأسود هو الأجمل وجودياً، إنه حمـاك من انقراض مؤكَّد. (دونالد جوهانسون وبليك إدغار: من مرحلة لُوسي إلى مرحلة اللغة، ص ٠٦ – ١٠٧).

وهل أنت ذو بَشَرة بيضاء؟ يا صاحبي، أنت أيضاً كنت في الأصل، ومنـذ لا أقلّ مـن مليوني عام، ذا لون بنّي، لكـن البيئة التي خرج فيها سـلفك الأول إلى الحياة كانت فقيرة بأشـعة الشمس، وكان نقص تلـك الأشـعة يهـدده بالأمـراض الوبائية، فأصـدرت بعض جيناته الأمر إلى مادة (ميلانين)، فمنحت جلده لوناً فاتحاً جداً، أتاح لأشـعة الشـمس أن تخترق جلده، وتقدّم لجسده ما يلزم لاسـتمرار الحياة، فاشكر لونك الأبيض إذاً، ليس من

منظور جمالــي، وإنما من منظور وجودي؛ إنه حمــاك من انقراض مؤكَّد.

إن لونــك نتــاج تفاعلــك مع البيئة، وكذلك أنفك وعيناك، هل لك أنف طويل ضيّق المنخرين؟ يا صاحبي، أنت لم تكن هكذا في الأصل، لكن البيئة التي وُجد فيها سلفك الأول كانــت باردة جــداً، ودخول الهواء البارد إلى رئتيه مباشرة كان مضرّاً به، فأنتجت بعض جيناته- بالتفاهم مع البيئة- ممرّاً طويلاً بعــض الشــيء نسـمّيه (الأنف)، وضيّقت مدخليه اللذين يسمّيان (المنخرين)، كي يدخل الهواء قليلاً قليــلاً، ويمـرّ بعدئذ بجهاز تدفئة (صوفــاج) طبيعي، فيدفــأ قليلاً، ثم يحلّ ضيفاً عزيزاً على رئتيك، ويمدّهما بالأوكسجين اللازم.

وهل أنت ذو أنف أفطس (قصير واســع المنخرين)؟ يا صاحبي، أنت لم تكن هكذا في الأصل، لكن البيئة التي وُجد فيها سلفك الأول كانت حارة، ومعلوم أنــه بقدر ما يكون الهــواء حــاراً يتمــدّد، وتقلّ فيه نســبة الأوكســجين، وكانــت رئتا ســلفك بحاجة إلى كمية مناســبة مــن الأوكســجين مــع كل عملية شــهيق، وكانتا من ثَمّ بحاجة إلى اســتضافة كمية كافيــة من ذلك الهــواء المتمــدّد، فأنتجــت بعض جيناتــه- بالتفاهم مــع البيئة- ممــرّاً قصيراً (الأنف)، ووسّــعت مدخلــي ذلك الممر (المنخران)، كي يدخل الهواء بدفعات كافية، ويحلّ بسرعة ضيفاً عزيزاً على رئتيك، ويمدّهما بالأكسجين اللازم.

وفي إطار سلطة (البيئة) لك أن تفســّر سَــعة عينيك وضِيقهما، ولا شــأن لمعاييرنــا الجمالية بهذا الأمــر، إن ظروف الغابــة الكثيفة أنتجــت لســلفك الأول عينـــين واسعتين، تقول: كيف؟! إن الغابة- يا صاحبي- تحجب كثيراً من أشعة الشمس، فتوسّــعت مساحة عيني سلفك، لتســتقبل أكبر قدر ممكن من الأشــعة المنعكســة من الأشياء، ولتمارس الرؤية على نحو أفضل. كما أن انعكاس الضــوء على الثلج الكثيــف معظــم أيام الســنة، كان مضرّاً بسلفك الأول، فعمدت بعض جيناتــه- بالتفاهــم مــع البيئة طبعــاً- إلى جعــل العــين أضيق، لتســتقبل أقلّ قدر ممكن من ذلك البياض الناصــع المزعج، هل تودّ التأكد؟ انظــر إذاً إلى ضوء مُبهِر، وراقــب زاوية عينيــك من حيث الاتساع والضيق.

وهل أطرافك الســفلية طويلة أم قصــيرة؟ وهــل جِذعك طويل أم قصــير؟ وهل ذقنــك قصيرة أم ناميــة؟ وهل أنت كبــير الهامة أم صغيرها؟ وهل أنت واسع المنكبين أم ضيّقهما؟ وهل أنت طويل القامة أم قصيرها؟ وما نسبة التناسق بين أعضاء جسدك؟ وما طبيعة مزاجك النفسي؟ وما خصائصك الذهنية؟ ومــا البنى الميثولوجية الدفينة في طيّات ثقافتك؟ كي تعرف إجابات مفيدة عن هذه الأســئلة وغيرها، توجّــه مباشــرة إلى (البيئة) من المنظور الإيكولوجي الشامل، حاول أن تفهمهــا بعمــق، ولســت أزعم أنك ســتجد، على الــدوام، إجابات دقيقة عما تسأل عنه، ولكن أضمن أنك ســتمتلك كثيراً مــن المفاتيح المعرفية، وســتفتح بهــا كثيراً من الأبواب المُوصَدة.

الجبل في ثقافات الشعوب

ودعونــا نركّــز الحديث على عنصــر بيئــي مهــمّ، ألا وهــو (الجبــل)، فالحقيقــة أن له مكانة متميّزة في ثقافات الشــعوب شرقاً وغربــاً، حتى إنه تحــوّل إلى رمز له دلالاته المتعــددة في كل ثقافة، وتتمحــور معظــم تلــك الدلالات حول (التسامي/ الشموخ/ الجلال/ الصلابــة/ الثبات/ التأمــل)، وما يتفــرّع علــى هذه الــدلالات من معان فرعية كثيرة.

وفي إطار هذه الدلالات، أو في إطار بعضها على الأقل، يمكننا أن نفهم بناء زِقورة Ziquratu السومريين (معبد متعدد الطبقات) وبرج بابل في ســهول ميزوبوتاميا، وأهرامات

المصريين في سهول وادي النيل، وأهرامات الهنود الحمر في سهول أمريكا، وأسقف المعابد البوذية المتصاعدة على نحو متدرّج نحو السماء، وقِباب الكنائس المسيحية، والمنارات المنتصبة بجانبها، وانتقلت تلك الرمزية، في النصف الثاني من القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، إلى العمارة الإسلامية، فظهرت القباب والمنارات في هندسة المساجد.

كما أن حضور (الجبل) في التراث الميثولوجي والديني مثير للانتباه؛ بلى، أليس من المثير أن تحطّ سفينة زيوسودرا Ziusudra (نوح السومري)، وأوتنابشتم Utnabeshtem (نوح البابلي)، على (جبل نِيسير)؟ وأن تحطّ سفينة نوح العبراني على (جبل آرارات)؟ وتحطّ سفينة نوح الإسلامي على (جبل جُودي)؟ أليس مثيراً أن من ألقاب (آشور) الإله القومي للآشوريين لقب (الجبل الكبير)؟ أليس مثيراً أن مَجْمَع آلهة اليونان كان يُعقَد على قمة جبل الأولمب الشاهق، بقيادة الإله الأكبر زيوس؟ أليس مثيراً أن الإله الإغريقي الأكبر زِيوس غضب على الإله الأصغر بروميثيوس؛ لأنه أهدى النار للإنسان خلسة، فعاقبه بأن أمر بربطه بالسلاسل إلى صخرة في قمة (جبل القوقاز)؟ (جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص ٢٤، ٦٦. نوري إسماعيل: الديانة الزردشتية، ص ١٢. ب.كوملان: الأساطير الإغريقية والرومانية، ص ٢٣، ٨٨).

أليس من المثير أن الله اختار (جبل الطُّور) في صحراء سِيناء ليكلّم النبي العبراني موسى عليه السلام؟ أليس مثيراً أن النبي العبراني الآخر عيسى-عليه السلام- كان يلتقي بحوارييه- غالباً- على (جبل الزيتون) في القدس؟ أليس مثيراً أن النبي الميدي زَرْدَشْت- عليه السلام- اتخذ غاراً في جبل أوشيدارنه Oshidarena مكاناً للتعبّد عشر سنوات، وهناك، لمّا بلغ الأربعين، نزل عليه الملاك فاهومانو بالوحي من آهورامازدا؟ أليس مثيراً أن النبي العربي محمداً- عليه السلام- اتخذ غار حِراء، في أحد جبال مكّة، مكاناً للتعبّد، وهناك، لمّا بلغ الأربعين، نزل عليه الملاك جبريل بالوحي من الله؟

الجبل والتكوين الكردي

والآن ماذا عن الأساس البيئي (الإيكولوجي) في الشخصية الكردية؟

إن الجبل هو العامل البيئي الأكثر تأثيراً في الشخصية الكردية، ويمكننا القول: إن الكردي والجبل رفيقان متلازمان، كانا كذلك في العصور الحجرية، وظلاّ كذلك في العصور التالية، وما زالا كذلك إلى الآن، ويكفي أن تمرّر أمام عينيك مواطن الكرد في عصرنا هذا، لتجد أنهم يقيمون- في الغالب- حيث تكون الجبال، أو تكون سفوح الجبال، أو تكون السهول القريبة من الجبال، وقلّما تجد جماعة من الكرد منعزلة في منطقة سهلية أو صحراوية بعيداً عن الجبال، وإن وجود حالات كهذه يعود إلى أسباب قاهرة، كفرار الكرد من القهر والإبادة، أو كقيام بعض الدول بترحيلهم قسرياً، وإسكانهم في مواطن أخرى؛ إما عقاباً لهم على ثوراتهم، وإما لوضعهم في مواجهة قبائل وشعوب كانت تسبّب وجع الرأس لتلك الدول.

ولتوضيح طبيعة العلاقة بين الكرد والجبال، دعونا نسافر إلى عصور تكوين السلالات البشرية الأولى، فقد مرّ أن الكرد شعب (قوم/ أمة) قائم بذاته، عُرف منذ لا أقل من (٢٥) خمسة وعشرين قرناً بهذا الاسم (كرد) على نحو صريح، ومرّ أنه، ومنذ العصر الحجري القديم (الپاليوليثي) Paleolithic، كان أسلاف الكرد يقيمون في جبال زاغروس وعلى حوافّها، وأن الفروع الكبرى من أجداد الكرد (سومري، لوللو،

سوبارتي، گوتي) تعود إلى أولئك الأسلاف الزاغروسيين.

ومرّ أيضاً أن ثمة فروعاً آرية (هندو أوربية) ضخمة هاجرت- على فترات- إلى مواطن أولئك الأسلاف الزاغروسيين، منذ أوائل الألف الثاني قبل الميلاد، واندمجت معهم بالتدريج، وتسلّمت دفّة القيادة في التكوين الجديد، ولا سيّما على الصعيد السياسي والثقافي، وأبرز تلك الفروع (كاشّي، ميتانّي، مانني، خالْدي، ميدي)، وجدير بالذكر أن هذه الفروع الآرية انجذبت إلى جبال زاغروس ثم إلى جبال طوروس؛ لأنها كانت في الأصل قادمة من جغرافيا جبلية الطابع في الغالب، قال بونغارد ليفين:

" يجري رسم إيكولوجيا موطن الأجداد الهندو أوربي بموجب المفردات الهندو أوربية السلفية؛ التي رمّمها اللغويون، والخاصة بالتضاريس والمناخ وعالم النبات والحيوان. وتصف معطيات علم اللغة الخاصة بالبيئة الإيكولوجية لموطن الأجداد الهندو أوربي هذا الموطن بأنه بلد ذو تضاريس جبلية، وشبكة متشعّبة من الأنهار، وطقس معتدل، وتشابك نباتي مدهش». (بونغارد – ليفين: الجديد حول الشرق القديم، ص ٢٧٣).

وقال بونغارد ليفين أيضاً: « إن التضاريس الجبلية لموطن الأجداد الهندوأوربي أمر أكّده عدة باحثين، وبعد ظهور دراسات غامكريليدزه وإيفانوف لم يعد يثير الشك، فإن القائمة التي وضعاها للمفردات الهندو أوربية السلفية، تقنعنا بأن الهندو أوربيين كانوا يقيمون في مناطق جبلية أو سفحية». (بونغارد – ليفين: الجديد حول الشرق القديم، ص ٢٧٣).

إن هذه الأدلة- وغيرها كثير- تؤكد أن الجبال جزء أصيل ومهم من بيئة التكوين الكردية، سواء أكانت في عهد الأسلاف الزاغروسيين أم في عهد الأسلاف الآريين، أم في العهد الذي توحّد فيه الأسلاف الزاغروسيون والآريون، وأنتجوا- منذ حوالي ثلاثين قرناً- الشعب الكردي بهويته المعروفة عبر العصور، وظلّت الجبال تواكب مسيرة الكردي الطويلة إلى يومنا هذا، وعلى جميع الأصعدة؛ ميثولوجياً، ودينياً، وذهنياً، واقتصادياً، وسياسياً، واجتماعياً، ونفسياً، وجمالياً، إلى درجة أنه يمكننا القول: إن الجبل مفتاح الشخصية الكردية، وكي نفهم الكردي ظاهراً وباطناً ينبغي أن نفهم (الجبل).

ويتراءى لي- من خلال تأملاتي في الشخصية الكردية- أنه حيثما يكون الكردي يكون الجبل معه، إنه موجود في شكله ومزاجه، وفي عقيدته وتفكيره، وفي أزيائه وأغانيه وموسيقاه، وفي نظامه الاجتماعي، وفي ثوراته وانكساراته. وهذه ليست عبارات شاعرية نُرخي لها العِنان، فتنطلق كيفما تشاء، وإنما ثمّة أدلة على كل كلمة نقولها، وسيظهر كل دليل في سياقه الملائم وفي وقته المناسب.

الجبل والميثولوجيا الكردية

ولنبدأ بالميثولوجيا الكردية، فإن في كتاب الزردشتية المقدّس (أفستا) أدلة كثيرة على العلاقة الوثيقة بين (الجبل) وجغرافيا التكوين الآري بشكل عام، وجغرافيا التكوين الكردي بصورة خاصة، وسواء أكانت حياة النبي زَرْدَشْت (زاراتوشترا)- عليه السلام- بين عامي (٦٦٠ - ٥٧٣ ق.م)، أو (٦٣٠ – ٥٥٣ ق.م)، أو (٦٢٨ – ٥٥١ ق.م)، أو (٦١٨ – ٥٤١ ق.م). (صموئيل نوح كريمر: أساطير العالم القديم، ص ٢٩٤. جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص ١٣٣)، فالمؤكد أنه ميدي، وأنه أعلن دعوته الدينية في ميديا قرب بحيرة (أُورْمِيَه)، والمؤكد أيضاً أن الزردشتية تشتمل على كثير من البنى والمبادئ والمفاهيم والقيم والرموز الميثولوجية الآرية

القديمة جداً، قبل أن يغادر الآريون موطنهم الأصلي آريانا- ڤيدجا (آريانام- ڤايدجا).

وفيما يلي بعض الأدلة ذات الصلة بالميثولوجيا الكردية:

● دعاء زردشتي يتلى عند تقديم القرابين: «ذُعلنها، ونقدّمها بخاصة لجبل أوشي- دارينا الذي خلقه مازدا، الساطع والمتألق بالقداسة، لكل الجبال المشعّة قداسة، المنيرة، التي خلقها مازدا». (أڤستا، ياسنا، هايتي ٤، آية ١٩، ص ٦١).

● دعاء زردشتي آخر: " فلنُصلّ بسعادة لنجمة تيشتريا [=عَشْتار] المشعّة، الطائرة بسرعة فوق بحر ڤارُوكاش، مثل السهم السماوي الذي أطلقه أَرْخِريش من قوسه، من جبال الآريين». (أڤستا، ياشت ٨، آية ٦، ص ٤٤٢- ٤٤٣).

● جاء في وصف بلاد آريانا- فيدجا: " حيث القادةُ الشجعان ينظّمون جيوشهم المتعددة، في أرتال عسكرية، حيث الجبالُ العالية، الوافرة بالمراعي والمياه». (أڤستا، ياشت ١٠، آية ١٣، ١٤، ص ٤٧١).

● إن طقس شراب (هاوْما) من الطقوس المقدسة جداً في الديانة الزردشتية، وهو شراب يُتّخَذ من نبات (هاوْما) الجبلي، ذي اللون الاصفر الذهبي، وجاء في كثير من الابتهالات الزردشتية ذكر (هاوْما) مع (الجبل): " أمجّد الغيمة التي تسقيك، وأمجّد الأمطار التي تجعلك تنمو على قمم الجبال، وأمجّد الجبال الشامخة حيث تنتشر أغصانك». (أڤستا، ياسنا، هايتي ١٠، آية ٤، ص ٧٩). « هناك، يا هاوْما، على السلاسل الجبلية تنمو بأنواع عديدة، الآن تنمو ببياض حليبي، الآن تنمو بلون ذهبي، وبعد ذلك شرابك الشافي يتدفق من أجل إلهام المؤمن التقي». (أڤستا، ياسنا، هايتي ١٠، آية ١٢، ص ٨٠).

● كان (ميثرا) معبود الشعوب الهندوإيرانية منذ الألف الثاني قبل الميلاد، وكان إلهاً للعقود، يراقب عن كثب تنفيذ العقود والمعاهدات المبرمة بين القبائل الآرية حول المراعي والمياه، وفي وقت متأخر قُدِّس باعتباره إلهاً للحرب، وبوصفه إلهاً للشمس، ومرافقاً لها في رحلتها السماوية، ولكلمة (ميهر/ ميرا) صلة باسم ميثرا " الذي شيّد آهورامازدا مسكنه فوق قمة جبل هارا، مسكنٌ عال وساطع، حيث لا يوجد فيه الظلام والليل، لا البرد ولا الصقيع، لا الأمراض ولا الموت، ولا نجاسة الأبالسة». (أڤستا، ياشت ١٠، آية ٥٠، ٥١، ص ٤٨٤).

● لم تكن الزردشتية تسمح بإقامة الهياكل أو الأصنام، بل كان الزردشتيون يقيمون المذابح المقدسة على قمم الجبال، وأحياناً في القصور، ويوقدون فيها النار تكريماً لآهورامازدا، كما أنهم كانوا يشيّدون أبراجاً منعزلة عالية الجدران فوق قمم الجبال، تُحمَل إليها جثث الراحلين إلى الأبدية، وتسمى تلك الأبراج (دَكْما) Dekhme . (ول ديورانت: قصة الحضارة، مجلد١، ٤٣٣/٢. نوري إسماعيل: الديانة الزردشتية، ص ٥٩).

● كلما وقعت عيناي على مشهد قباب معابد الكرد الأيزيديين، وهي تشمخ بشكلها المخروطي المحزَّز الصاعد، وبلونها الأبيض الناصع، وتكلّل هامات المعابد في لالَش وغيرها، استحضرتْ مخيّلتي صورة (الجبل) المهيب، بتصاعده نحو السماء، وبشكله المخروطي، وبقمته وهي ترفل في حلّة ثلجية ناصعة، وأقول لنفسي: ها هو ذا (الجبل) قد تحوّل إلى رمز ميثولوجي، ربما منذ ما قبل الميلاد بأكثر من ألفي عام، وظلّ يتسلسل في الثقافة الكردية جيلاً بعد جيل، إلى أن تجلّى في هذه القباب الأيزيدية.

الجبل وأسلاف الكرد

الجبل في الهوية السومرية:

سبق أن رجّحنا أن السومريين من أسلاف الكرد الأقدمين، وأنهم انحدروا من منطقة حضارة حَلَف الجبلية في كردستان المركزية، واستقروا في سهول جنوبي ميزوبوتاميا، حينما انحسرت عنها مياه الخليج، وصارت صالحة للسكنى والزراعة، والحقيقة أن السومريين لم ينسلخوا من (الجبل)، وإنما انحدر معهم وفيهم، وتجلّى في مختلف مجالات حياتهم، تارة على نحو صريح، وأخرى على شكل رموز؛ وفيما يلي بعض الأدلة.

- أطلق السومريون على موطنهم الجديد في جنوبي ميزوبوتاميا اسم Kur - ra، أي (البلاد العليا)؛ هذا رغم أن المنطقة كانت سهلية، فالمسألة سيكولوجية، والجبل ساكن فيهم، ومستقر في لاشعورهم، ويريدون الاحتفاظ بذكرى موطنهم القديم العزيز على قلوبهم، ويبدو أنهم لم يقطعوا علاقاتهم بأبناء مواطنهم القديمة في الجبال، فكانوا يستقدمونهم لاستخدامهم في مختلف الأعمال، ويطلقون عليهم اسم Lu – Kur-ra؛ أي (أهل الجبال/ أبناء الجبال). كما أنهم كانوا يكثرون من استخدام الحجر في النحت وبناء البيوت، تعبيراً عن استمرار الارتباط بصخور موطنهم الجبلي القديم. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٧٥/١. محمد بيّومي مهران: تاريخ العراق القديم، ص ٩).

- قال الدكتور سامي سعيد الأسعد بشأن السومريين: " ونراهم في كل الأحوال يعبّرون عن جبل وعن بلد بنفس العلامة (كُور)، وربما كان الاثنان في نفس المعنى عندهم، ويدل على كون بلدهم الأصلي جبلياً، ثم ولعهم ببناء الزِّقورات بمعابدهم، ووجود أشجار وحيوانات جبلية في أختامهم الأسطوانية؛ أمثال الأَرْز، والسَّرْو، والوَعْل الجبلي ذي القرون، والماعز الجبلي الطويل القرون». (سامي سعيد الأحمد: السومريون وتراثهم الحضاري، ص ٤٢. وانظر فاضل عبد الواحد علي: من سومر إلى التوراة، ص ٢٢).

- يتجلّى (الجبل) في الميثولوجيا السومرية أيضاً، فالإله (إنليل Enlil ، أو (إلّيل Ellil، هو أكبر آلهة السومريين، والمعنى الأصلي لاسمه المركّب (إن - ليل En-lil هو (سيد الريح)، والريح تهبّ في اعتقادهم من الجبل، ولهذا لقّب إنليل في السومرية بـ (الجبل الكبير Kur – gal). (سبتينو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ص ٢٥٣، هامش ٢١).

- جاء في قصيدة سومرية:

" يا سومر، يا أيها البلد العظيم بين بلدان العالم...

سيّدُك سيّدٌ مبجَّل، وملكُك يجلس مع الإله (آن) على المنصّة السماوية.

إنّ ملكك هو الجبل العظيم، هو الأب إنليل والأنونّاكي الآلهة العظام».

(صمويل كريمر: من ألواح سومر، ص ١٧٩ – ١٨٠).

- جاء في قصيدة أخرى خاصة بمدينة أور السومرية:

« أيتها المدينة الموفورة الزاد، ...

أنتِ منصّة خير البلاد، أنتِ خضراء كالجبل.

أنتِ غابة (خاشور) ذات الظلال الوارفة، ...

لقد أعلن (الجبل العظيم) إنليل اسمَك المتسامي في السماء والأرض».

(صمويل كريمر: من ألواح سومر، ص ١٨٠ – ١٨٢).

- جاء في لوح سومري: «ثم بعد آلة البناء، وتشييد المساكن، ملأ إنكي [= أنگى/أنجي: إله الأرض] السهول بالنبات والأعشاب والحياة الحيوانية، وعيّن على شؤونها الإله سُومُجان Sumugan الموصوف بملك الجبل». (صمويل كريمر: من ألواح سومر، ص ١٨٢).

الجبل في الهوية الحورية:

الحوريـون من أسـلاف الكرد القدماء أيضاً، وذكر جرنوت فلهلم أنهم انطلقـوا، حوالي نهاية الألف الثالث قبـل الميلاد، مـن المناطق الجبلية الواقعة في شـمال شـرقي بلاد الرافدين (شـمالي كردستان المركزيـة). وما يهمّنا الآن أنهم لما انتشـروا في شمالي سوريا، ووصلوا إلى سـوريا الداخليـة والجنوبية، كانوا يستقرون في المناطق الجبلية، أو المتاخمة للجبال، إنهم اسـتقروا في حـوض نهر العاصي، وخاصة في ألالاخ، ووصلوا إلى سوريا الساحلية (فينيقيـا) وخاصـة أُوغاريـت، وتوغّلوا جنوباً، فاستقروا في مدينة يَبُوس (أورشـليم/القدس)، وهي تقـع في منطقة جبليـة، وتوغّلوا جنوباً أكثر، فاسـتقروا في منطقة جبل سَعِير، بوادي عَرَبة (جنوبي الأُردن حاليـاً) . (جرنـوت فلهلم: الحوريـون تاريخهـم وحضارتهم، ص ٢٤، ١٠٧. جين بوترو وآخرون: الشـرق الأدنى الحضارات المبكّرة، ص ٢٠٠. بونغارد – ليفين: الجديد حول الشرق القديم، ص ١٦٢. العهد القديم، سِـفْر التّكوين، الأصحاح ٣٦، الآيتان ٢٠، ٢١).

الجبل في الهوية الكاشّية:

مرّ سـابقاً أن الكاشّيين أيضاً فـرع كبير آخر من أسـلاف الكرد الأقدمـين، وأنهم كانوا من سـكان جبال لُورسـتان (في جنوب غربي إيران حالياً)، وقد سـيطروا على بـلاد بابل، واتخـذوا مدينة بابل (تقع على الفـرات ٩٠ كم جنوبي بغداد) عاصمة لهم، ثم اتخذ الملك كوريجالـزو (كوريگالـزو) الثاني (١٣٤٥ – ١٣٢٤ ق.م) عاصمة جديدة للكاشّيين اسمها (دور كوريجالزو)، على مسافة (٣٢) كم غربي بغداد.

ومع أن الكاشّـيين استقروا في المناطق السهلية، فقد ظل (الجبل) يلازمهـم، ويتجلّـى في رموزهـم الميثولوجية، إذ يظهر الإله والإلهة في المعمار الكاشّـي، وقد أمسك كلٌّ منهمـا بيده، وأمام صـدره، بإناء، يتدفّـق منه المـاء، ويسـيل على هيئـة جـداول جاريـة، ويظهر المعبود في تلك الرسوم على أنه (إله الجبـل)، وقد مُثِّـل وهو يرتدي ثوباً مزيّناً على هيئة حَراشِف، وكانـت الحراشـف رمـز (الجبل) عند أسلاف الكرد القدماء. (انظر محمـد بَيُّومي مَهـران: تاريخ العراق القديم، ص ٣٠١).

وفي عهد الملك الكاشّي كرندش- وقد اشـتهر بكثرة مبانيه في المدن البابليـة- كانت تماثيـل الأرباب والربّات تبرز من جسـم البناء، « مع تشكيل رأس كل معبود وجذعه الأعلى تشـكيلاً كامـلاً، والاكتفاء بتشـكيل الخطـوط العامة لبقية جسـمه على هيئة الثوب الطويل المحبوك، وتشكيل لبنات هذا الثوب بما يرمـز إلى مدرّجـات الجبال بالنسـبة للأرباب، وتموّجات الماء بالنسبة للربّات». (محمد بَيُّومي مَهران: تاريخ العراق القديم، ص ٣٠٥).

الجبل في الهوية الميدية:

ولننتقـل إلى الميديـين، الفرع الكبـير الأخـير من أسـلاف الكرد الأقدمين، ترُى مـاذا عنهم وعن (الجبـل)؟ الحقيقـة أنهـم كانوا جبليين خُلّصاً، ولن نقف الآن عند تجلّيات (الجبل) في عشقهم للحرية، وفي شـدّة بأسـهم، وفي صلابتهم وعنادهـم، وفي نزوعهم إلى الثورة على القهر والعسف، وفي شجاعتهم وروحهـم القتاليـة، وفي ذهنيتهم السياسية اللامركزية، وفي نظامهم الاجتماعي القَبَلي، وفي أزيائهم؛ إذ المأمول أن يأتي الحديث عن جميع ذلك في سياقه المناسب، ونكتفي الآن بظاهرة مصاحبة (الجبل) للميدي حيثما حلّ وارتحل، ولنأخذ قصة (الحدائق المعلّقة) مثالاً على ذلك.

فقد مر- في الاستعراض الموجز لتاريخ الميديـين- أنهم لم يرفعوا رايـة الاستسـلام لملـوك آشـور، وظلوا يفجّـرون ثورة تلو أخرى، وأدرك الملـك الميـدي كَيْخُسْـرو kai-Khosru أو كَـيْ أخسـار Cyaxares (٦٣٣ – ٥٨٤ ق.م)، أن من الحكمة تشكيل جبهة إقليمية

موحـَّدة، تضم الشعوب الواقعة في قبضة السلطة الآشورية، والشروع مـن ثـمّ في العمل للقضاء على إمبراطورية آشـور، فضمّ الفرسَ إلى دولـة ميديا، باعتبـار القرابة الإثنيـة والثقافية بين الشـعبين الميدي والفارسي.

وتوجّـه كَيْخسـرو بعدئـذ إلى البابليـين، فعقـد تحالفـاً مع الملـك البابلـي نَبُوپولاصّـر Nabopolassar (٦٢٧ - ٦٠٥ ق.م)، وكان واليـاً علـى بابـل مـن قبـل الملك الآشـوري آشـور بانيپـال Ashurbanipal ، ولتوثيـق الصداقـة بـين الملكين وافق كَيخسـرو على تزويج ابنته أُوميـد (آميتيـدا Amutida/ أميتـس) مـن نَبُوخَذْنَصَّـر Nabuchadnazzar بـن نبوپولاصّـر (ديورانـت: قصـة الحضـارة، ٤٠٠/٢. دياكونـوف: ميديا، ص ٢٨٣. طه باقر وآخران: تاريـخ إيران القديم، ص ٤٠ - ٤١). وقـد وصـف وِل دُيورانت Will Durantحدائـق بابـل المعلَّقـة الذائعـة الصيـت، وكان اليونـان يعدّونهـا إحـدى عجائـب العالم السبع، وذكر أنها كانت مقامة على أسـاطين مسـتديرة متتالية، كل طبقة منها فوق طبقة، وقال:

" ولـم تكـن هذه الأمـيرة قد اعتادت على شـمس بابـل الحارة وثراها، فعاودها الحنين إلى خضرة بلادهـا الجبلية، ودفعت الشـهامة والمـروءة نبوخدنصـّر، فأنشـأ لها هـذه الحدائـق العجيبـة، وغطّى سـطحها الأعلى بطبقة من الغرين الخصيب، يبلغ سمكها جملة أقدام، لا تتسع للأزهار والنباتات المختلفة، ولا تسـمح بتغذيتها فحسـب، بل تتسـع أيضاً لأكبر الأشجار وأطولها جذوراً، وتكفي تربتهـا لغذائها». (ديورانت: قصـة الحضارة، مجلد ١، ١٩٩/٢).

وأضاف ديورانت قائلاً: «وكانت المياه تُرفَع من نهر الفرات إلى أعلى طبقـة في الحديقة، بـآلات مائية مخبـّأة في الأسـاطين، تتناوب على إدارتهـا طوائف من الرقيق، وفوق هذا السطح الأعلى، الذي يرتفع عن الأرض خمسـة وسبعين قدماً، كان نساء القصر يمشين غير محجّبات آمنات من أعين السوقة، تحيط بهن النباتات الغريبة والأزهار العطرة». (ديورانت: قصة الحضارة، مجلد ١، ج ٢، ص ١٩٩).

إن أوميـد هـي ابنـة مدينة أگبتانـا (هيگمه تانا/ جَمَه زان/ هَمَـذان) عاصمة ميديـا الملكية، المدينـة الواقعـة في واد جميـل المنظـر، أخصبته المياه الذائبة من الثلوج على قمـم الجبال، وبتعبير آخر: إن أوميـد ابنة جبال ميديا الشامخة، ابنة الصخر والنهر، ابنة الشـجر والزهر، رحلت إلى سـهول ميزوبوتاميا الحارة، فرحلت معها، وعبرها، جبـالُ ميديـا بصخرها ونهرهـا وشـجرها وزهرها، ولعل مـا لم يقلـه المؤرخـون أن أوميد اسـتقدمت أشـجار وأزهار وربما أطيـار جبـال بلادهـا، لتُكحّل بها عينيها صباح مسـاء، بلى، من أين لبابـل أن تحمـل أوميد على الانسـلاخ من هويتهـا الجبلية؟! وكيف لأوميد أن تنعم بالحياة؛ ما لم تسـتحضر (الجبـل) في حياتها ولو بشكل رمزي؟!

الجبل: مفتاح الشخصية الكردية (٢- بانوراما الجبل)

توضيحات

ذات مـرة قـال الفيلسـوف الفرنسـي نيكـولاس مالبرانـش Nicolas Malebranch (١٦٣٨-١٧١٥): " الهـواء الـذي نستنشـقه يسبـّب تغييراً في عقولنا « (لوسيان فيڤر: الأرض والتطور البشري، ص ٣٧)، ولعل هذا القول كان مستغرَباً في مجتمعاتنـا قبـل قـرن مـن الزمـان، أيام كان أجدادنا وجداتنا يفسـّرون هدير الرعد بأن الإمام علي بن أبي طالب يضرب السُّحب بسـوطه، فتزمجر متألمة، وتبكي بدموع غزيـرة تسـمّى (المطر)، وأيام كانوا يفسـّرون خسوف القمر بوجود حـوت هائل يحاول ابتلاع

القمر، فكانوا يقرعون على الأواني والطبول، ويطلقون الرصاص، لإخافة الحوت، وإنقاذ القمر المكروب.

أما الآن، وبعد التنوّع الشديد في مجالات العلوم، وتحليل الكائن الحي- من قِبل المختصين- إلى عناصره الكيميائية والفيزيائية والكهرطيسية الأولية، بات من المفيد أن نمنح قول مالبرانش وغيره قسطاً أكبر من اهتمامنا، ونأخذه بالحسبان في تفسير مسيرة حياة الكائنات على كرتنا الأرضية، وخاصة أن ثمة فريقاً من العلماء يؤكّدون أننا- نحن البشر- بدايةً ونهايةً كائنات بيولوجية، ليس على الصعيد الجسدي فقط، وإنما على الصعيد العقلي والشعوري أيضاً، وأن العلاقة بين « الجينات والبيئة يجب أن تؤخذ في الحسبان لدى أية محاولة لتفسير طبيعة التطور أو الخَلق »؛ حسبما يقول المؤرخ الإنكليزي أرنولد توينبي Arnold Toynbee (1889 – 1975 م). (أرنولد توينبي، ودايساكو إكيدا: التحديات الكبرى، ص ٢٤. وانظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، ص ٥٩، ٨٥).

وفي إطار هذه الرؤية العلمية الإيكولوجية، أتناول بانوراما الجبل، وسأكون مضطراً إلى الاستعانة أحياناً بملاحظاتي وآرائي الشخصية، وقد أكون مصيباً وقد أكون مخطئاً، فقد فتحت عيني على الحياة في قرية كُرْزَيْل Korzail، وذكرها ياقوت الحَمَوي بصيغة (قُرْزاحِل) (ياقوت الحموي: مُعْجَم البلدان، ٣٦٧/٤)، وتسمّى الآن قُرْزَيْحِل، وهي من قرى منطقة كُرْد داغ (عِفْرين) Afrin، في الزاوية الشمالية الغربية من سوريا، وعِفْرين اسم للنهر الذي يخترق المنطقة من الشمال إلى الجنوب، وجاءت هذه الصيغة عند كل من ياقوت الحَمَوي والقَلْقَشَنْدي (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١٤٩/٤. القلقشندي: صبح الأعشى، ٨٤/٤). وكلمة آفرين Afrin تعني (بَرَكَة) في (زند أفستا)، وهو تفسير الكتاب الزردشتي المقدس (أفستا). (أفستا، ص ٨٠٨).

وتضم منطقة كرد داغ ستة نواح (مركز ناحية)، إضافة إلى مركز البلدة، وتتألف من حوالي (٣٦٠) قرية كبيرة وصغيرة، والطابع الجبلي هو الغالب على المنطقة، إنها في جملتها سلاسل جبلية، تقع بينها أحياناً سهول ضيّقة أو متوسطة السعة، ولعل أوسعها سهل جُومَه Gume الانهدامي الواقع بين سلسلة جبل لَيْلون Leylun شرقاً، وسلسلة جبل هَشْتِيا Heshtiya غرباً، وقد ورد اسم جُومَه ولَيْلُون في كتابات البَلاذُري وياقوت الحموي وأبو الفِداء (البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٤. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٢٦٧. وانظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢١٩/٢، ٢٢/٣، ٣٤/٥)، وتقع قريتي كُرْزَيْل Korzail على السفح الغربي لجبل ليلون، ولذا فحديثي عن (الجبل) لا يصدر عن تخيّلات وظنون، وإنما عن خبرة حياتية بدأت منذ أن حللت ضيفاً على هذا العالم.

ومنذ حوالي ثلاثين سنة التقيت بامرأة عجوز كردية من شرقي تركيا، كانت متزوّجة من رجل في منطقتنا، فقالت لي- وكنا نتحدث بشأن جبال عفرين-: " يا بنيّ، جبالكم هذه مثل مصاطب البيوت إذا قيست بجبالنا هناك ". (تقصد جبال شمالي كردستان). ولعلي وضعت ما قالته العجوز حينذاك في خانة المبالغة، لكن اتضح لي بعدئذ أنها كانت دقيقة جداً فيما قالته.

إن ارتفاع أعلى قمة في جبال عفرين يبلغ (3606) قدماً، في حين تبلغ الجبال في بلاد الكرد الأخرى ارتفاعات عالية جداً. إن ارتفاع جبل سنجار Sangar يبلغ (4985 قدماً)، وجبل جُودي Gudi (6436) قدماً، وجبل نمرود Nimrod (9567)

قدماً، وجبل بيستون Bistun (11014) قدماً، وجبل شَيوه Shaiwe (11122) قدماً، وجبل ألوند Alwend (11745) قدماً، وجبل Halgurd هلگورد (١٢٢٤٩) قدماً، وجبل رَشْكوه Rashkoh (12336) قدماً، وجبل أرارات الصغير Little Ararat (12870) قدماً، وجبل سُبْحان Subhan (13314) قدماً، وجبل أرارات الكبير Great Ararat (16946) قدماً. [القدم = 30 سم] (Mehdad Izady: The Kurd, P15).

ثم إن تأثير البيئة الجبلية في البشر، بيولوجياً وسيكولوجياً ومعرفياً، لا يعود إلى قرن أو بضعة قرون، وإنما يعود إلى فترة العصر الحجري القديم؛ أي إلى (٤٠) ألف سنة تقريباً (دونالد جوهانسون وبليك إدغار: من مرحلة لوسي إلى مرحلة اللغة، ص ١٨٢)، وربما يمتد إلى ما قبل ذلك بمئات الآلاف من السنين؛ كما أن من المهم الأخذ في الحسبان: « أننا لسنا النتاج النهائي والأخير لثلاثة بلايين سنة من التطوّر على سطح الكرة الأرضية، فنوعنا، مثل كل الأنواع الأخرى، إنجاز تطوّري جارٍ ومستمر». (دونالد جوهانسون وبليك إدغار: من مرحلة لوسي إلى مرحلة اللغة، ص ٢٠٣).

والآن ماذا عن بانوراما الجبل؟

جدلية الامتلاء والفراغ

إن أول ما يلفت الانتباه في البيئة الجبلية أنها جغرافيا يغلب عليها التحدّب (التكوّر)، وتفرض على البصر أن ينشط عمودياً أكثر مما ينشط أفقياً، إنها تفرض على البصر أن يصعد نحو القمم، وينحدر نحو الوديان، ويدور مع المنعطفات، ويتكوّر مع الصخور، ويعلو ويهبط مع الجروف. وبتعبير آخر: إن الجبل يفرض على البصر أن يتحرك- في الغالب- دائرياً (تكوّرياً)، سواء أكانت الحركة تصاعدية (النظر إلى القمة)، أم تنازلية (النظر إلى الوادي).

وهذا يعني أن جغرافيا الجبل تجعل الإنسان كل مرة- وبصورة شبه دائمة- على تماسّ مباشر مع مَقطع مكاني مكوَّر الطابع، تغلب عليه الخطوط المحدَّبة/المقعَّرة، وتقلّ فيه الخطوط المستقيمة الممتدة، وهي مع قلتها قصيرة غالباً. ويعني أيضاً أن جغرافيا الجبل مكان مؤلف من ثلاثة أبعاد (طول، عرض، ارتفاع)، في حين يكون الإنسان في السهل، معظم الأحيان، على تماسّ مباشر مع مقطع مكاني منبسط الطابع، خطوطه مستقيمة ومديدة غالباً، وهو مؤلف من بعدين فقط (طول، عرض).

وثمة ملاحظة شخصية لعلها تكون مفيدة في هذا المجال، فقد مرّ أنني أنتمي إلى قرية كُرْزَيْل Korzail، في منطقة كُرْد داغ (عِفْرين) Afrin، وكانت لنا أراض في قرية تسمّى (شُدُود)، على التخوم الغربية لمنطقة (الباب) في محافظة حلب، وتفصل منطقة (عَزاز) بين منطقتي عفرين والباب، وقد اصطحبني والدي- رحمه الله- معه ذات مرة وأنا صبي إلى شدود صيفاً، وكنا بحاجة إلى نهار كامل لنصل إليها سيراً على الأقدام أو مستعينين بداية، وأذكر أنني كنت أشعر حينذاك بحالة غريبة في سهول عزاز، ما كنت أشعر بها وأنا في منطقة عفرين، وكان ذلك الشعور يتفاقم في طريق العودة، وبطبيعة الحال ما كنت قادراً حينذاك على فهم ذلك الشعور، ناهيك عن تفسيره.

وبعد رحيل الوالد إلى العالم الآخر، وقعت مهمة متابعة موضوع أملاكنا في شدود على عاتقي، وكنت أتنقل بين القريتين على درّاجة نارية، ولمست أن ذلك الشعور القديم كان يخامرني مرة أخرى كلما كنت أجتاز سهول عزاز، ولاحظت مرة أخرى أن نسبة إحساسي به كانت ترتفع في رحلة العودة، وبما أنني كنت قد امتلكت قدراً لا بأس به من المعرفة والوعي،

وأصبحت أقدر على مراقبة الذات وتفسير الظواهر النفسية، وضعت يدي على المشكلة؛ إنها كانت مشكلة الشعور بالفراغ.

أجل، كنت معتاداً في بيئتي الجبلية على أن أتعامل وأتفاعل مع كتل جبلية تشكّل عالمي، فقريتنا تقع على سفح جبل ليلون، وعلى بُعد حوالي خمسمئة متر غرباً ينتصب أمامها جبلان متجاوران صغيران، وعلى بُعد حوالي خمسة كيلومترات غرباً أيضاً تنتصب أمامي سلسلة جبال هَشْتِيا، وتطل من خلفها في الأفق الغربي قمم جبال أمانوس Amanus الشامخة المكللة بالثلوج طوال العام، وكذلك الأمر إذا اتجهتُ شمالاً وجنوباً، في جميع الاتجاهات لا أجد جغرافيا تخلو من جبال أو هضاب، ولا أواجه فراغاً يزيد على خمسة كيلومترات في أبعد تقدير.

أما في رحلتي إلى شدود فكنت أجد نفسي دُفعة واحدة وسط فراغ هائل الأبعاد، سهول منبسطة في كل الاتجاهات، لا مكان فيها لأية جبال، وإنما ثمة فقط تلال ترابية قديمة قليلة. وبعبارة أخرى: كنت أفتقد في سهول عزاز البعد الثالث من أبعاد المكان الذي اعتدت أن أراه صباح مساء طوال اليوم، وائتلفت معه، وساهم رويداً رويداً في تكوين شخصيتي منذ الصغر؛ ألا وهو بُعد (الارتفاع) في صيغته المحدَّبة المكوَّرة.

وأما سبب تفاقم الشعور بالفراغ في رحلة العودة فيرجع إلى أن نقطة انطلاقي في شدود كنت تبدأ من منطقة هضبية مرتفعة نسبياً، وبمجرد إشرافي على سهول عزاز كنت أشعر وكأنني أواجه حفرة منبسطة هائلة المساحة، وما كان يريحني سوى استقرار بصري بين حين وآخر على قمم جبال أمانوس في الأفق الغربي البعيد. وأذكر أني لمست الشعور بالفراغ بعد ربع قرن، حينما كنت أخترق بالسيارة صحارى شبه الجزيرة العربية؛ في طريقي بين سوريا ودولة الإمارات العربية المتحدة، وكنت أشعر بارتياح عندما كنت أبصر بعض الجبال القليلة وسط تلك البراري الشاسعة.

البصر والبصيرة

إن جدلية الامتلاء والفراغ في المشهد الجبلي توصلنا إلى أربع نتائج:

١ - إن نسبة مساحة (الفراغ) تتقلص في قطّاع الرؤية، وتتسع نسبة مساحة (الامتلاء)، في حين تكون نسبة مساحة (الفراغ) في المشهد السهلي والصحراوي هي المهيمنة، وتتقلّص نسبة مساحة (الامتلاء)، وهذا يعني أنك في البيئة الجبلية تتعامل مع ما حولك بمدى بصري أقصر، لكنك ترى موجودات أكثر.

٢ - إن ابن البيئة الجبلية يعتاد الإشراف من فوق القمم على المناطق المحيطة، فيصبح أكثر رغبة في التواصل مع الأفق الواسع (لوسيان فيفر: الأرض والتطور البشري، ص ٢٥٧). كما أن تعامل البصر مع موجودات أكثر كل مرة يتطلّب قدراً أكبر من دقة الملاحظة، والتركيز على التفاصيل، وعلى تفاصيل التفاصيل، سواء أكان ذلك لمعرفة الموجودات (ما هي؟)، أم لتحديد وضعياتها وعلاقاتها (كيف هي؟)، أم لتفسيرها غائيّاً (لِمَ هي؟)، أم لتحديد قيمتها (ما فائدتها؟).

٣ - إن البيئة الجبلية تساهم في تكوين ذهنية شديدة الارتباط بالواقع، وذات قدرات تحليلية متقدمة، وهي مؤهلة في الوقت نفسه لأن تكون ذهنية فلسفية، تطل على الأمور والقضايا من علٍ، وتستخلص المبادئ العامة والقوانين الكلية من المعطيات المتجاورة أو المتواكبة، وأحسب أن تحليل العلاقة بين البيئة الجبلية في اليونان وتقدم الفكر الفلسفي هناك قديماً كفيل بتأكيد هذه الخصيصة في الشخصية الجبلية.

٤ - إن انشغال الجبلي بالتفاصيل قد يتحوّل، في بعض

الحالات، إلى شكل من أشكال قصر البصيرة وضيق الأفق، والتركيز على (الجزء) وإهمال (الكل)، والدوران في فلك (الفروع) والسهو عن (الأصول)، والتعلق بما هو محدود ومؤقت على حساب ما هو عام ودائم، ولا ريب في أن فرداً بذهنية كهذه يصبح بلاء على مجتمعه، وأن مجتمعاً بذهنية كهذه يضيع الطريق إلى الصواب، بل قد يدمّر نفسه.

الجبل والمفارَقات

وفي البيئة الجبلية تتعايش جملة من المفارقات، ويمكن إدراجها في خانة (التكامل) أكثر من إدراجها في خانة (التناقض).

أُولاها المفارَقة بين القمة والوادي: فالقمة تمثّل (الارتفاع)، والوادي يمثّل (الانخفاض)، وإذا كانت القمم تساهم في تكوين الشعور بالتميّز والتفوق، وما يواكبهما من سمات الاعتداد بالذات والشموخ والترفّع والكبرياء، فإن المنخفضات وقيعان الوديان تساهم في تكوين الشعور بالتواضع، وقد تصبح عاملاً مساعداً لعوامل أخرى، تتضافر لتكوين الشعور بالنقص والضآلة والضعة، وبتعبير آخر: إذا كانت القمم عاملاً مساعداً لإنتاج (السيد النبيل)، فإن القيعان عامل مساعد لإنتاج (العبد الذليل).

والثانية المفارَقة بين الصلابة واللطافة: وتتمثّل الصلابة، وما يواكبها من القوة والقسوة والتجهّم والفظاظة الصامتة، في جرم الجبل الضخم الهائل الرابض على الأرض بوقار، الصاعد في السماء بشموخ، إنه يعترضك بثبات، ويسدّ أمامك الأفق بعناد، كما أن الصلابة تتمثّل في عدد هائل من الصخور المتراكمة المتجاورة والمتفاوتة الأحجام، يتجلبب بها ذلك الجرم العملاق الهائل ليل نهار.

وتتمثل اللطافة، وما يواكبها من اللين والرقة والطراوة والبشاشة والوداعة، في الأشجار والأعشاب والأزاهير، وهي لا تؤكد حضورها في المساحات التي تنحسر فيها الصخور والحجارة فقط، وإنما تجدها أحياناً نابتة بإصرار من قلب الصخور، جميلةَ الطلّة، ممشوقة القامة، مرفوعة الهامة، ناضرة الوجه، باسمة المُحَيّا، زاهية اللون. وإذا ضممتَ إلى هذه اللوحة اللطيفة جريان الينابيع على سفوح الجبال وعند أقدامها، وتدفّق الأنهار في الوديان، تشعر أن الجبل ليس عالم التناقضات، وإنما هو عالم التضايف والتكامل، عالم يندمج فيه الجمال بالجلال.

والثالثة المفارَقة في درجات الحرارة: ففي البيئة الجبلية تنخفض درجات الحرارة شتاء انخفاضاً شديداً، وتنهمر الأمطار الغزيرة، وتهبّ العواصف الثلجية. وما إن يحلّ الربيع حتى يلطف الجو، وتهب النسائم رقيقةً منعشة، وتبدأ دورة جديدة من التقمص والحلول كما يقول فلاسفة التصوّف، وتتحوّل قطرات المطر وذرّات الثلج إلى أعشاب ناضرة زاهية، وإلى أزاهير متنوّعة خلّابة الألوان، وأشجار وارفة الظلال، وينابيع رقراقة المياه. ومع حلول الصيف، تبدأ درجات الحرارة في الوديان والمنخفضات بالارتفاع، ويَيْبَس كثير من الأعشاب، في حين تحتفظ المرتفعات العالية- تسمّى زُوزان Zozan- بقدر من لطافة الجو ووفرة الأعشاب.

وجدير بالانتباه أن التحوّلات في البيئة الجبلية تحوّلات متدرّجة يعرفها ابن البيئة الجبلية، ويحتاط لها، ويمتلك الوقت للتكيّف معها، وهي ليست تقلّبات مفاجئة، تنقضّ على المرء وتباغته وتصدمه، كما هو الأمر في البيئة الصحراوية وربما في البحرية أيضاً. وبتعبير آخر: إن التحوّلات في البيئة الجبلية تتمّ وفق قواعد شبه ثابتة، ويمكن توقّعها بناء على فهم قدر بسيط من قوانين الطبيعة، والاستعداد لها بما يلزم.

تجاور الأضداد

ويمكننا أن نخرج مما سبق بما

يلي:

١ - البيئة الجبلية بيئة مستعصية متوحّشة، وعلى الإنسان الجبلي أن يمتلك القدرة على استئناسها والتفاهم معها، إنها لا تمنحك نفسها هكذا بسهولة ودون عناء، فلكي تمشي في الجبل صاعداً أو منحدراً أنت مضطر لأن تبذل عناء مضاعفاً عمّا تبذله وأنت تمشي في السهول، وكذلك الأمر سواء أكنت تبحث عن ثمرة، أم تفتش عن عشبة، أم تنقّب عن جذور، أم تغرز وتداً، أم تغرس فَسيلة، أم ترعى غنماً، أم تصطاد وَعْلاً، أم تواجه وحشاً.

٢ - أن تعيش في بيئة مستعصية ومتوحشة يعني أنك تتعامل مع بيئة تتحدّاك، وكي تحتفظ بالبقاء فيها عليك أن تقبل التحدي، وأن تكون في مستوى التحدي جسدياً وذهنياً ونفسياً، وإلا فإن مكانك المناسب هو الانحدار إلى السهول. وكي تكون في مستوى التحدي ينبغي أن تتّصف بقدر كاف من الصلابة والقوة والقسوة، وبقدر مماثل من الصبر والجَلَد والعناد، وكي نعي دلالات الاستعصاء والتوحش والتحدي في البيئة الجبلية دعونا نستحضر الفارق بين رجلين يرغبان في اتخاذ بيت؛ الأول يقطّع حجارة من صخور الجبل، وآخر يصنع طوباً من تربة السهل.

٣ - إن تجاور الصلابة واللطافة في البيئة الجبلية عامل مساعد لتكوين شخصية تتجاور فيها القوة والضعف، والقسوة والدماثة، والهدوء والعنف، والوقار والثوران، والجدّ والمرح، والعبوس والبشاشة؛ شخصية تمتاز بروح قتالية عالية، وتقبل التحدي بثقة، شخصية صلبة راسخة ممتنعة على الانمساخ والاختراق، تقابلها وتزاحمها شخصية رَخوة، شخصية ضعيفة الثقة بذاتها، تتجنّب التحدّي، ويجعلها الشعور بالنقص عرضة للانمساخ في الهُوِيّة، وللاختراقات في القيم والمواقف.

جغرافيا الاكتفاء

وثمة خصائص أخرى للبيئة الجبلية:

أولاها أن الجبل جغرافيا الوضوح والغموض؛ إنه بجرمه الهائل، وعلوّه الشاهق، لا يخفى على الناظر، بل يراه المرء من بعيد، ويمكن له أن يقدّر مدى ضخامته وارتفاعه، لكن ما إن يتوغّل فيه حتى يجد نفسه كائناً ضئيلاً بين أحضان كائن عملاق، وأنه يخوض رويداً رويداً في أرض الغموض، بلى، إن المرء- وهو يتنقّل في الجبل- لا يعرف ماذا ينتظره وراء تلك القمة، أو داخل ذلك الجُحر، أو في أعماق ذلك الكهف. والمرء- سواء أكان صياداً أو راعياً أو مزارعاً، أو مجرد مسافر- يستطيع السيطرة ببصره على مساحة شاسعة من جغرافيا السهل، ويكون أقدر على مراقبة ما حوله ومعرفة ما يحيط به، أما في الجبل فالوضع يختلف، إن جغرافيا الجبل تفرض عليه شكلاً من أشكال العَماء، وتقول له ضمناً: ثمة أشياء كثيرة لا تعرفها؛ وكي يتحرر من بعض ذلك العماء، ويفك طلاسم الغموض المحيط به، ليس له إلا أن يكون على الدوام في مكان مرتفع، وفي موقع يحقق له السيطرة.

والثانية أن الجبل جغرافيا المفاجأة، فإنك وأنت في الجبل لا تعرف مسبقاً ماذا يمكن أن تلتقي من كائنات، فقد تفاجأ- وأنت تمشي- بطائر يندفع بالقرب من قدميك، ويباغتك برفيف جناحيه محلّقاً في الجو، إنه كان بدوره مذعوراً، لأنك فاجأته أيضاً. وقد تكون- وأنت في الجبل- على مقربة من بعض الذئاب أو الدببة وأنت لا تدري. وقد تُفاجأ بزاحف يسرع منحدراً من على صخرة، ليختبئ بين ركام من الحجارة، وقد تجد فجأة حيّة تبتعد بسرعة من طريقك، وقد تعضّك في قدمك إذا وطئتها، وقد تفاجأ بأخرى تحلّ ضيفاً عليك حتى وأنت في خيمتك أو على مصطبة دارك.

والثالثة أن الجبل جغرافيا العزلة: فالصخور والجروف والوديان والأنهار كلها فواصل طبيعية، تحول دون تحقيق التواصل السهل والسريع مع الآخرين، إن الراعي الذي يرعى قطعانه في واد أو على سفح جبل، لا يرى الراعي الآخر في الوادي المجاور، وإن سكان قرية واقعة على سفح جبل قادرون على رؤية القرى الواقعة على السفوح المقابلة، أو على السهول المحاذية، لكنهم غير قادرين على رؤية القرى الواقعة خلف الجبل. وفي الشتاء، وحينما تهطل الثلوج بكثافة، تصبح العزلة مركّبة، إذ تنقطع الطرق، ويضطر الناس إلى التزام قراهم وبيوتهم أوقاتاً طويلة. يقول لوسيان فيڤر: « وساكن الجبل، في قاع الوادي الجبلي – من جزيرته الجبلية- رجل منعزل، مخلوق سجن في نطاق ضيق، يفرضه عليه الحاجز الجبلي الذي يفصله عن بقية أنحاء الإقليم ». (لوسيان فيڤر: الأرض والتطور البشري، ص ٢٩٥ – ٢٩٦).

والرابعة أن الجبل حصن منيع: إنه لا يخذل من يستجير به ويتحصّن فيه، شريطة أن يكون خبيراً بمداخله ومخارجه، قادراً على التكيّف معه مطعماً ومشرباً ومناخاً، إن الجبل، بعلوّه الشاهق، وبوعورة تضاريسه، وشبكة تعرّجاته المعقَّدة، وبكهوفه العميقة، وجروفه الشديدة الانحدار، وممراته الضيقة، وبما يكتسي به من غابات، يحقق الأمان من العدوّ، ويمنح الفرصة للإنسان كي يصون إرادته من الاستلاب، وقرارَه من الارتهان، وكرامتَه من الابتذال، وهويتَه من الانمساخ، وذاتَه من الانمحاق، وإن البيئة الجبلية تنمّي في الشخصية شعور الأنفة والكبرياء والاعتزاز بالنفس، والاعتداد بالذات، ويصبح من الصعب تطويعه وإخضاعه للقوانين والضوابط التي يتطلّبها قيام الدول.

والخامسة أن الجبل خزّان أقوات: إنه سوبر ماركت هائل، يمدّ المعدة بمتطلّباتها، ويحقق الاكتفاء الذاتي لساكنيه، وإن كان اكتفاءً في الحدود الدنيا، وبما يحفظ الحياة فقط، إن جولة يومية في الجبل كافية لأن تضع على مائدتك لحم تيس جبلي، أو لحم غزال، أو لحم أرنب، أو لحم طائر، أو غير ذلك مما يُصطاد، أما عن أنواع الثمار والجذور والأعشاب، فحدّث ولا حرج. وعدا هذا يكفي أن تعزل الحجارة عن مساحات صغيرة هنا وهناك، وتلقي فيها بعض البذور، لتمنحك ما تحتاجه من أغذية ضرورية، ويكفي أن تقتني بضع رؤوس من الشياه أو الماعز، لتنعم بحليبها ولبنها وسمنها وجبنها ولحومها، ولتخزّن منها ما تحتاج للشتاء، ولتصنع من أصوافها ألبسة وبُسُطاً وخيماً، وغير ذلك من ضرورات العيش.

الجبلي دولة عظمى

ويمكننا أن نخلص من استعراض الخصائص السابقة إلى ما يلي:

١ – إن حالة العَماء والغموض نمّت في الشخصية الجبلية الشعورَ بالريبة والتوجّس، والحيطة والحذر من جانب، إضافة إلى أنها نمّت فيها الحاجة إلى التنبّه واليقظة، والحاجة إلى الاستكشاف المستمر، ومعرفة المزيد مما هو غير معروف، للتغلب على حالات الغموض والعماء.

٢ - في كنف هذه الحالة الشديدة التشابك تكوّنت في الشخصية خاصية امتلاك إرادة الإقدام والاقتحام، والنزوع إلى البسالة والشجاعة، وأحسب أن الفيلسوف اليونان هيپوقراگ Hippocrates ، وهو معاصر لسقراط Socrates، كان يشير إلى هذه الخاصية بقوله: إن سكان الأقاليم الجبلية المعرّضة للأمطار والرياح العاتية طوال القامة، وفيهم دماثة، ولكنهم في الوقت نفسه شجعان. (لوسيان فيڤر: الأرض والتطور البشري، ص ٣٤).

٣ - إن خصائص العزلة والمناعة والاكتفاء، في البيئة الجبلية، عوامل مساعدة لتكوين شخصية تنزع إلى التمرد والثورة أكثر من نزوعها إلى الخضوع والخنوع، شخصية لا تتقبّل المساس بها لا من قريب ولا من بعيد، شخصية قادرة على أن تدير ظهرها بحزم وحسم لما لا ترتاح إليه، على مبدأ « لكم دينكم ولي ديني»، وسرعان ما تهتاج وتثور عندما لا تُحترَك في حالها، وعندما تصبح حريتها وقرارها وكرامتها عُرضة للعبث والانتهاك، وقد تصل حالات الهياج والثوران إلى مرحلة التدمير؛ تدمير الآخر أو تدمير الذات.

ولذلك كان أهل الجبال- طوال التاريخ- هم الذين ينغّصون على الغزاة والفاتحين تنفيذ خططهم ومآربهم، وكانوا بمثابة شوكة في حلوق أصحاب المشاريع الإمبراطورية، وكان هؤلاء مضطرين إلى بذل جهود مضاعَفة ومضنية، لفرض سيطرتهم على سكان الجبال، وحسبُنا دليلاً على ذلك ما جاء في مدوَّنات ملوك أكّاد وآشور، وهم يصفون حروبهم ضد أسلاف الكرد في جبال زاغروس، وما ذكره القائد اليوناني إكسنوفون Xenophon، واصفاً عودة المرتزقة اليونان العشرة آلاف، وما لقوه من مقاومة شرسة في جبال الكَرْدُوخيين سنة (٤٠١ ق.م). وكذلك وصيةُ خان المغول الأكبر مَنْكُوقاآن للقائد هُولاكو، بأهمية إخضاع الكرد في جبال لُورِستان وغيرها، قبل اقتحام بغداد عاصمة الخلافة العباسية سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م). (توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، ص ١٣٤. محمد بَيّومي مَهران: تاريخ العراق القديم، ص ٣٤٥، ٣٤٨. جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٩٧/١. الهمذاني: جامع التواريخ، ٢٥٠/١ — ٢٥٨).

٤ - ثمة ظاهرة أخرى في الشخصية الجبلية، أحسب أن لخصائص العزلة والمناعة والاكتفاء دوراً بارزاً في نشوئها؛ ألا وهي صعوبة تقبّل الجبلي للتكوينات السياسية والإدارية المركزية الطابع. إن الجبلي، في معقله الحصين المنعزل الذي يوفّر له الاكتفاء الذاتي في الحدود الدنيا، يرى نفسه قادراً على تدبّر شؤونه الحياتية بنفسه، والاستغناء عن أية منافع تجلب معها التبعية والعبودية، بل أكثر من هذا، إنه يعدّ نفسه دولة عظمى، فهل تقبل دولة عظمى أن تفكّك نفسها لصالح دولة أخرى؟! وهذا يذكّرني بشاعر صيني قال قبل الميلاد بقرون:

«أستيقظ حينما تشرق الشمس، وأنام حينما تغيب.
أزرع حقلي لآكل، وأحفر بئري لأشرب.
ففيمَ يهمّني سلطان الإمبراطور»؟!

وأستشهد في هذا الصدد بسكّان اليونان القدماء، إن جميع الدول التي قامت فيها، قبل القرن الرابع قبل الميلاد، كانت دول- مدن، كدولة أثينا، ودولة إسبارطا، ولم تنشأ فيها دولة مركزية إلا بعد أن غزاها فيليب Philippos المَكَدُوني، واستكمل ابنه الإسكندر مشروعه التوسعي.

بل لماذا أذهب بعيداً، ولا أستشهد بالسومريين؟ إنهم أبناء جبال زاغروس الذين انحدروا إلى سهول جنوبي ميزوبوتاميا، وطوال ألف عام تقريباً لم تقم في بلاد سومر أية دولة مركزية، وإنما كانت فيها دول- مدن متناحرة، منها دولة أُور UR ، ودولة لگش Lagash، ودولة سيپار Sippar. وأول دولة مركزية قامت في بلاد سومر إنما نشأت علي يدي سَرْجُون Sergon الأكّادي، سنة (٢٣٥٠ ق.م)، وما كان سرجون وقومه الأكّاديون أبناء البيئة الجبلية، وإنما كانوا أبناء البيئة الصحراوية السهلية. (انظر صمويل كريمر: من ألواح سومر، ص ٧٩. سبتينو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ص ٦٧).

٥ - نظراً لافتقار الجبلي إلى دولة مركزية قوية، تمتلك القوة الكافية لردع الطامعين، ورد هجمات الغزاة، كان موطن الجبلي عُرضة للغزو والانتهاك، وكان الجبلي يدفع الثمن غالياً، إما بأن يكون مستنفراً على الدوام لا يهنأ بالأمن، وإما بأن يقع بين حين وآخر في قبضة الغزاة، وأعتقد أنه لو توحّدت دول- المدن السومرية تحت لواء دولة مركزية واحدة، لما استطاع سرجون الأكّادي قهرها واحتلالها. وكذلك الأمر بالنسبة إلى دول- المدن اليونانية في القرن الرابع قبل الميلاد. ولو كانت الدويلات الكردية والإمارات الكردية (الحَسْنويهية، والشّدادية، والرّوادية، والمروانية)، في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، متوحّدة في إطار دولة مركزية واحدة، لما استطاع الغزاة السلاجقة إسقاطها واحدة تلو الأخرى.

٦ – إن عزلة الجبلي، ونزوعه إلى التفرد، ونفوره من الخضوع للأنظمة المركزية، وقناعته بالحد الأدنى من ضرورات الحياة، للاحتفاظ بدولته العظمى المتمثلة فيه هو أو في قبيلته على أبعد تقدير؛ إن هذه المعطيات كانت من أكثر العوامل التي أبعدت الجبلي عن الانخراط في حركة الحضارة، وأبقته منعزلاً ومعزولاً إلى حد كبير، واقعاً تحت رحمة محتكري أدوات التمدن وآلياته، وأخصّ هنا بالقول أبناء الجبال القارية البعيدة عن البحار، كجبال كردستان، وجبال أفغانستان، أما أبناء البيئة الجبلية المتاخمة للبحار المفتوحة، كبلاد اليونان، فكانت البحار هي الجسر الذي تواصل الجبليون عبره مع مراكز الحضارة، وصاروا مساهمين في إنتاجها.

٧ – إن إخلاد الجبلي إلى عزلته القَصيّة، ونفوره من حَمَلَة الحضارة الذين يأتون معهم في العادة بكثير من القيود، ويفرضون التنازل عن قدر غير قليل من الحرية، واعتداده الراسخ بأن رؤيته الحياتية هي الفضلى؛ كل ما سبق شكّل وساهم في أن تكون الشخصية الجبلية شديدة التمسك بالتقاليد، وأن يكون الجبلي صاحب ذهنية محافظة على صعيد القيم والسلوكيات والأزياء، بل لستُ مراراً امتعاض الجبلي من مفاهيم التمدّن والتحضر، وطريقة حياة المتمدّنين، ويصل به الأمر أحياناً إلى درجة الاحتقار الصريح، وثمة أوجه شبه عديدة في هذا الجانب بين الشخصية الجبلية والشخصية البدوية.

ودعونا نستعرض أخيراً بعض آراء لوسيان فيفر بشأن الشخصية الجبلية، إنه يقول: «الجبلي ذلك المخلوق المجرد المثالي العالمي، الإنسان المحدود الأفق بالضرورة، لوجود عائق جبلي يفصل بينه وبين جيرانه، العبد الخاضع منذ ولادته للتقاليد، المحافظ الذي يرتبط بالماضي بأواصر قوية، حامي حمى التراث المادي والثقافي الذي تركه الأقدمون؛ إذ إنه لا يوجد جديد يثير فيه أي رغبة في التغيير، أدوات قديمة، ملابس تقليدية، لغات قديمة، مذاهب دينية قديمة». (لوسيان فيفر: الأرض والتطور البشري، ص ٢٥٦).

ويضيف لوسيان فيفر قائلاً: «فالجبلي- من الناحية النظرية التجريدية- نشيط شريف، يحيا حياة صحية داخل نطاق الأسرة الأبوية، ويرتبط بها ارتباطاً قوياً، دؤوب على العمل لا يملّ، خشن يتحمّل المشاقّ، لا يعرف الترف، ولا تهمّه الراحة، ينقطع إلى عمله في غير كَلال، منافس خطير لأهل السهول. ومن ناحية أخرى فلا هو عالم ولا هو فنّان، فالبيئة أقسى من أن تنجب مثل هذه العبقريات، ولكننا نلاحظ أن سكان الابنين من نفس العنصر الذي يتكون منه التوسكانيون، ومع ذلك فهناك عبقرية في الابنين وخشونة في التوسكانيين». (لوسيان فيفر: الأرض والتطور البشري، ص ٢٥٦).

المراجع

١. باسيلي نيكيتين: الكرد، ترجمة الدكتور نوري طالباني، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠١.

٢. الدكتور جمال أحمد رشيد: ظهور الكورد في التاريخ، دار آراس للطباعة والنشر، أربيل، كوردستان العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣.

٣. جوناثان راندل: أمة في شقاق (دروب كردستان كما سلكتها)، ترجمة فادي حمّود، دار النهار، بيروت، ١٩٩٧.

٤. دانا آدمز شميدت: رحلة إلى رجال شجعان في كردستان، تعريب جرجيس فتح الله المحامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٠.

٥. الدكتور سامي سعيد الأحمد: السومريون وتراثهم الحضاري، منشورات الجمعية التاريخية العراقية، بغداد، ١٩٧٥.

٦. ليدي درور: طاووس ملك اليزيدية، ترجمة رزق الله بطرس، دار الورّاق للنشر المحدودة، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

٧. الدكتور محمد بَيُّومي مَهران: تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠.

٨. مُنذر الموصلي: عرب وأكراد، مطبعة دار العلم، دمشق، الطبعة الثانية،١٩٩١.

٩. مينورسكي: الأكراد، ترجمة معروف خزنه دار، بغداد، ١٩٦٨.

10 -Susan Meiselas: Kurdistan In the Shadow of History, Random House, New York,1997.

11 -Mehdad R. Izady: The Kurds; aconcise handbook, Crane Russak, Washington, Philadelphia, London, 1992.

١٠. أفستا، إعداد الدكتور خليل عبد الرحمن، مطبعة دار الحياة، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

١١. ب. كوملان: الأساطير الإغريقية والرومانية، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.

١٢. بُونْغارد – ليفين (إشراف): الجديد حول الشرق القديم، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٨.

١٣. جرنوت فلهلم: الحوريون تاريخهم وحضارتهم، ترجمة فاروق إسماعيل، دار جَدَل، حلب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.

١٤. جين بوترو وآخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان، جامعة الموصل، ١٩٨٦.

١٥. دونالد جوهانسون، بليك إدغار: من مرحلة لوسي إلى مرحلة اللغة، ترجمة إياد ملحم، المجمّع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٥.

١٦. دياكونوف: ميديا، ترجمة وهبية شوكت محمد، رام للطباعة والتوزيع، دمشق.

١٧. سبتينو موسكاتي:الحضارات السامية القديمة، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، ١٩٨٦.

١٨. صمويل كريمر: من ألواح سومر، ترجمة الأستاذ طه باقر، مكتبة المثنّى، بغداد، ومؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٠.

١٩. الأستاذ طه باقر، الدكتور فوزي رشيد، الأستاذ رضا جواد هاشم: تاريخ إيران القديم، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٩.

٢٠. الدكتور محمد بَيُّومي مهران: تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠.

٢١. نوري إسماعيل: الديانة الزردشتية، منشورات دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ١٩٩٩.

٢٢. ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بَدْران، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٨، المجلد الأول.

٢٣. أرنولد توينبي، ودايساكو

إكيدا: التحديات الكبرى، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٩.

٢٤. أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشية)، إعداد الدكتور خليل عبد الرحمن، مطبعة دار الحياة، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

٢٥. البَلاذُري: فتوح البلدان، راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.

٢٦. الدكتور توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥.

٢٧. جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٩٩٦.

٢٨. دونالد جوهانسون وبليك إدغار: من مرحلة لوسي إلى مرحلة اللغة، ترجمة إياد ملحم، المجمّع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٥.

٢٩. سبتينو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، ١٩٨٦.

٣٠. صمويل كريمر: من ألواح سومر، ترجمة الأستاذ طه باقر، مكتبة المُثَنّى، بغداد، ومؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٠.

٣١. أبو الفداء: تقويم البلدان، تحقيق رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠.

٣٢. القَلْقَشَنْدي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

٣٣. لوسيان فيفر: الأرض والتطور البشري، ترجمة الدكتور محمد السيّد غَلّاب، دار المطبوعات الجديدة، القاهرة، ١٩٧٣.

٣٤. الدكتور محمد بَيُّومي مَهْران: تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠.

٣٥. الهَمَذاني (رشيد الدين): جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق نشأت، محمد موسى هنداوي، فؤاد عبد المعطي الصيّاد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٣٦. ياقوت الحَمَوي: معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠.

37. Mehdad Izady: The Kurds; aconcise handbook, Crane Russak, Washington, Philadelphia, London, 1992.

الموقع الجغرافي لاقليم كردستان العراق واثره في تكوينه القومي (الاثني)

فيروز حسن حمه عزيز - شيروان عمر رشيد

جامعة السليمانية - كلية العلوم الانسانية

تمهيد:

التكوين القومي لأي اقليم جغرافي او لأية وحدة سياسية كغيره من المكونات الجغرافية البشرية لذلك الأقليم او الوحدة السياسية، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمقومات جغرافيتهما الطبيعية.

فالموقع الجغرافي لأي اقليم كغيره من مكونات جغرافيته الطبيعية كالطوبوغرافيا والمناخ يؤثر تأثيراً واضحاً وعميقاً على شخصية الاقليم القومية و تركيبته الاثنية.

ويأتي عامل الموقع الجغرافي في مقدمة عوامل الجغرافية الطبيعية المؤثرة على جوانب هامة من جغرافية الاقليم البشرية، فالمواقع الجغرافية المركزية التي تتوسط بيئات جغرافية متباينة هي في معظم الحالات مواقع تجتذب اليها السكان من اصول واعراق متباينة، الأمر الذي يحول مثل هذه المواقع المركزية الى بيئات جغرافية يسودها غالباً نوع من التعقيد والتنوع الاثني، واقليم كردستان العراق يشكل مثالاً واضحاً لمثل هذه المواقع المركزية التي تتوسط بيئات جغرافية متباينة تسودها قوميات واعراق ذات جذور مختلفة.

ويحاول هذا البحث ابراز الأثر الذي تركه الموقع الجغرافي لاقليم كردستان العراق على تركيبته القومية.

والواقع ان اي بحث جغرافي رصين لايمكنه ان يغفل اهمية العوامل الجغرافية الأخرى كالطوبوغرافيا والمناخ والموارد الطبيعية التي ساهمت بدورها في خلق الشخصية القومية لهذا الاقليم خلال المراحل التأريخية المختلفة.

فالمعروف تأريخياً انه منذ النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد كانت المناطق المجاورة لما اصبح يعرف ببلاد الكرد -كردستان- في المراحل التالية، مسرحاً لنشاطات المجموعات البشرية المعروفة بمجموعة الشعوب الآرية، والتي اصبحت تعرف منذ اواخر القرن التاسع عشر بالشعوب الهندو - اوربية Indo - European[1]، والتي كانت سبباً في تطبيع مناطق شاسعة من الأراضي التي تقع بين هضبة ارمينيا وجبال قفقاسيا من الشمال وهضبتي ايران والاناضول من الشرق والغرب وميسوبوتاميا من الجنوب بطابع الشعوب الآرية، وذلك منذ الألف الثالث قبل الميلاد وحتى الآن. (راجع الخارطة رقم ١ بشأن المواطن الافتراضية الأولى للشعوب الآرية). وبغية التعرف

على مدى الأثر الذي تركه عامل المناخ والموارد الطبيعية لهذا الاقليم على تركيبة الاقليم الاثنية، يكفي ان نشير الى نتائج الأبحاث والتحليلات المتباينة التي تناولت الظروف والملابسات التي تتعلق ببدايات هجرة الشعوب الآرية واتجاهاتها[٢].

فمن خلال البحوث التي اجراها المؤرخون حول الأساطير والملاحم الهندية، توصل هؤلاء المؤرخين الى ان المجموعات الهندو اوروبية خلال المراحل الأولى من هجرتها كانت حريصة على ان تستقر في المناطق التي تتمتع بمناخ معتدل ومراعي وغابات وفيرة [٣].

ومما لاشك فيه ان اقليم كردستان كان من بين المناطق التي توفرت فيه مثل هذه الظروف المناخية والطوبوغرافية والتي جعلت منه منطقة مناسبة لاستقرار تلك الشعوب، وبذلك تحولت جبال كردستان ووديانها وسهولها ومراتعها الى هدف تتجه اليه الشعوب الهندو اوروبية منذ اوائل العصور التأريخية وتفضلها على غيرها من البيئات الحارة والجافة في بادية الشام او في ارض الجزيرة او صحارى وسط وجنوبي هضبة ايران.

وفي كل الحالات يبقى عامل الموقع الجغرافي العامل الأول المؤثر في عملية خلق الشخصية القومية المتميزة لاقليم كردستان العراق. الأمر الذي جعلت من هذه الدراسة تركز كثيراً على اثر هذا العامل.

الموقع الجغرافي لاقليم كردستان العراق:

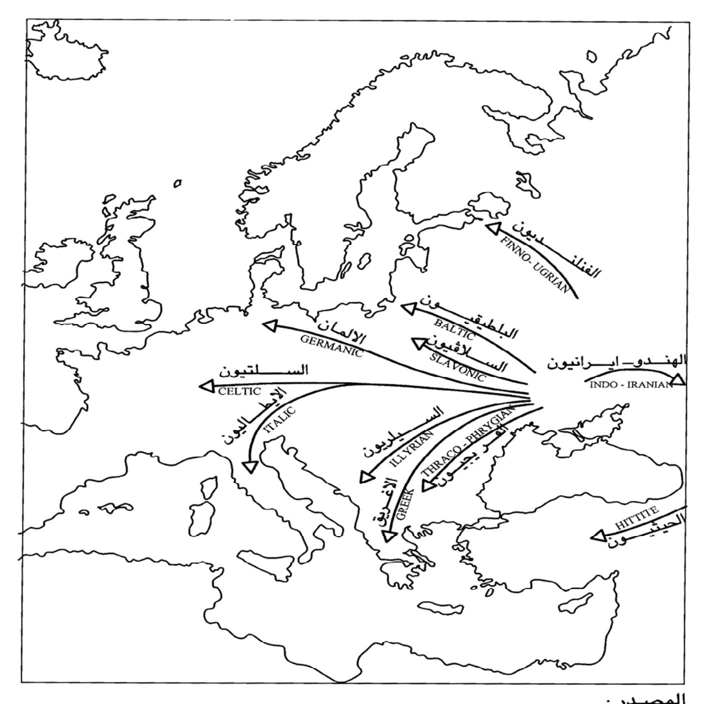
ان اقليم كردستان العراق من حيث المبدأ يشكل جزءاً لا يتجزء من كردستان الكبرى التي تحتل أجزاءاً واسعة من جنوب شرق هضبة الاناضول وأجزاء من شمال غرب هضبة ايران مع كامل المنطقة الشمالية من العراق، اضافةً الى أجزاءٍ محدودة من شمال شرق سورية.

فأقليم كردستان العراق يقع جغرافياً الى الغرب من المحافظات الشمالية الغربية من ايران والتي تسكنها أغلبية كوردية واضحة من جهةٍ، والى الجنوب من المحافظات الجنوبية الشرقية لتركيا والتي تسكنها أغلبية كردية من جهةٍ اخرى.

كما أن هذا الاقليم يتاخم في معظم أجزائهِ من الغرب مناطق من الزاوية الشمالية الشرقية من سورية والتي تسكنها أكثرية كردية.

الخارطة رقم-1 -

وطن الاصلي الافتراضي للشعوب الهندو - اوربية وفقاً لنظرية urgan



المصدر:

1- http:// www.geocities.com /indo-european geography

الموقع الفلكي لاقليم كردستان العراق

أما فيما يتعلق بالموقع الفلكي لأقليم كردستان العراق فانه يحتمل الكثير من الاختلاف بين الباحثين في حدوده الجنوبية، وذلك لعدم وجود حدودٍ دولية معترفٍ بها في نهايتها الجنوبية. وعلى الرغم من اختلاف الباحثين على تفاصيل وجزئيات هذه الحدود الجنوبية، فان هناك شبه اجماع بين الباحثين على اعتبار مرتفعات حمرين كجزءٍ اساسي من حدود اقليم كردستان الجنوبية الى الشرق من نهر دجلة وحتى الحدود الدولية المشتركة بين العراق وايران.

بصورة عامة يمكن اعتبار دائرتي عرض (34° -37°) شمالاً وخطي طول (41° -46°) شرقاً على انها، مع وجود هامش محدود من الاختلاف، تمثل اقصى امتدادات حدود الاقليم، وفقاً لمعظم الآراء والاجتهادات(٤). (انظرخارطة رقم ٢).

اهمية الموقع الجغرافي لاقليم كردستان:

يحتل اقليم كردستان العراق موقعاً ستراتيجياً ومركزياً من الدول والمراكز الحضارية الرئيسية التي ظهرت شرقي البحر المتوسط منذ الألف الثالث قبل الميلاد وحتى الآن، وقد ترك هذا الموقع الجغرافي آثاراً واضحة على التركيب الأثني لهذا الاقليم.

فهذا الاقليم يربط هضبتي ايران والأناضول واقليم بلاد الشام بسهول ميسوبوتاميا، وهي جميعاً بيئات كانت تشكل مراكز حضارية عريقة. فاقليم كردستان يرتبط في زاويته الشمالية الشرقية باقليم آذربيجان الغربية، والذي يشكل امتداداً لهضبة ايران، والذي يعد موطناً للميديين وموطناً لزرادشت، وفي وديانه الخصبة استوطنت العديد من الأقوام التأريخية في ايران وعلى رأسها الميديون والفرس والكرد وغيرهم(٥).

ويرتبط هذا الاقليم في حدوده الشمالية بالمناطق الجنوبية الشرقية لهضبة الأناضول والتي كانت موطناً للحوريين الذين ظهروا منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد كمجموعة بشرية وحضارية متميزة في منطقة واسعة من شرقي الأناضول والتي تمتد من جبال طوروس بالقرب من جرابلس (طرطميش القديمة) الى بحيرة ((وان))، وقد استعمل الحوريون الخط المسماري في كتابة لغتهم، وهي لغة متميزة عن مجموعة اللغات السامية وعن مجموعة اللغات الهندو – اوربية، ولكنها لغة قريبة من الاورارتية اي لغة ارمينيا القديمة. اما في الغربية فان اقليم كردستان يرتبط بالأجزاء الشمالية من

الخارطة رقم 2

الموقع الجغرافي والفلكي لاقليم كوردستان العراق



مصادر الخارطة:
اعدت الخارطة بالاعتماد على: Microsoft ® Encarta ® Reference Library 2005. © 1993-2004 Microsoft Corporation. 1

2 فيروز حسن عزيز. الاهمية الجيوستراتيجية لكوردستان الجنوبية وانعكاساتها على السياسة البريطانية تجاهها: 1914-1924 مركز كوردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية، 2008ص 121.

بـلاد الشـام والتي كانـت مركزاً للميتانيـين، وهم ايضـاً كانوا من الأقـوام الهنـدو – اوربيـة وكان مركز حكمهم يقع في وادي الخابور (خابور الفـرات) ووادي البليخ[٦]، ولكـون هـذه المجموعـات قريبة من اقليم كردسـتان ولأن مناطق سـكانها ترتبط باقليم كردستان من خـلال العديـد من المسـالك والممرات الجبليـة، فانها لابد وان كانت لهاتين المجموعتين اتصالات حضاريـة متنوعة بسـكان اقليم كردسـتان وانهما تركتـا تأثيرات مختلفة على التركيب الأثني لسكان هـذا الاقليم،وذلـك منـذ بدايات العصور التأريخية.

ويقع اقليم كردسـتان العراق بين منطقتي الجبـال والمرتفعات العالية في الشـمال والشـرق وبين سهول الرافدين وامتدادات هضبة بلاد العرب مـن الجنوب و الغرب، الأمر الذي جعله منذ اقدم العصور التأريخية، جسـراً للأقوام الغازية، وملتقى الأقوام والجماعات الوافدة اليها مـن جميع هـذه الاتجاهات للاسـتقرار علـى ارضـه واقامة المسـتوطنات عليها، مسـتفيدين من وفرة مياهه وملاءمة مناخه، وخصوبـة تربته، لذلـك ظهرت الكثـير مـن الطوائـف الدينيـة والشـعوب والقوميـات المختلفة في هذا الاقليم مما تعكس دور موقعه الجغرافي في كثرة اجناسه وعقائده حتـى اعتـبره بعـض الباحثـين (متحفاً اثنوكرافياً)[٧]، وذلك لتعدد قومياته واديانه ومذاهبه.

ان مثل هـذا الموقـع المركزي لاقليـم كردسـتان بـين بيئـات جغرافية متباينة قـد ترك آثاراً واضحـة علـى التكويـن القومي والدينـي والمذهبي لهـذا الاقليم، وجعل منه اقليمـاً متعدد الألوان وكأنه فسيفساء بشري، وذلك على الرغم من سـيادة العنصر الكردي على تركيبته الأثنية.

الخلفية التأريخية لمراحل تطور التركيب القومي لهذا الاقليم:

ان التركيـب القومي لأي اقليم جغرافي لايظهر خلال فترة قصيرة، بل يعود الى اوضاع وظروف تأريخية تمـر بالاقليـم ولقـرون عديدة، فالتركيب القومي لأي اقليم او دولة إنما هـو نتاج سلسـلة معقدة من عمليات الهجـرة والتهجير والطرد والاسـتقرار والاحتـلال والتطهير العرقـي Ethnic Cleansing التي مارسـتها المجموعات البشرية بعضها ضـد البعـض الآخر، منذ عصور ماقبل التأريخ وحتى الآن.

فطبقـاً للعديـد مـن المصادر التأريخية فـان سـيلاً جارفاً من القبائل الهندو – اوروبية (الآرية) بدأت تغـزو معظم اقسـام جبال زاكروس منذ النصـف الثاني من الألف الثالـث ق.م، وكانت من بين تلك المجموعـات المهاجرة والمتجهة نحـو هذه الجبال اعـداداً كبيرة من الميديين والفرس والسـكائيين Scythians والسـاكاريين Sagarthian والذين من اسمهم اشـتق اسـم زاكروس – وبحلول القـرن الثالث قبل الميـلاد كانت جميع اقسـام جبـال زاكروس قد اصبحـت مسـكونةً بالمجموعـات الهنـدو – اوربية (الآريـة) هذه، وبصورة كاملة[٨].

ويعـزو العديـد مـن الباحثـين هـذه الهجرة الواسـعة للشعوب الهندو – اوربية الى كونها مجموعـات رعويـة تعيـش على تربيـة الماشـية بالدرجـة الأولى، وكانت مناطق السـهوب في شـرق اوربا وآسـيا (ومنها طبعاً مناطق جبال زاكـروس وطـوروس) من بين اكثـر المناطـق ملاءمة لتلك المجموعات. ذلك لأن مناطق وسط وغرب اوربا كانت مغطاة بالغابات ممـا تجعلهـا غير مناسـبة لرعي قطعان الماشية. وهناك العديد من الأدلة الأركيولوجيـة والجغرافية واللغوية التي تشير الى وجود حركة بطيئة من هجرة احدى المجموعات الرئيسـية من هذه الشعوب تعرف بجناح المجموعة الأناضولية والتي اسـتمرت في هجرتها خلال الفترة

(٢٥٠٠ – ٥٠٠) قبل الميلاد ومنها بالطبع تلك المجموعات التي استقرت شمالي ميسوبوتاميا (اقليم كردستان العراق حالياُ). وتشير الوثائق المدونة باللغة الحيثية الى ان اللغات السومرية والحورية والاورارتية قد تركت آثاراً عميقة على لغات السكان لمناطق شمال ميسوبوتاميا وشرقي آسيا الصغرى. غير انه لايلاحظ وجود اية آثار لتلك اللغات التي كانت تتكلم بها مجموعة الشعوب المعروفة بالشرق الأوسطية[٩].

ان التركيب اللغوي لسكان اقليم كردستان إن هو الاتحصيل حاصل للتركيب القومي لسكان هذا الاقليم، وذلك يعني بأن تلك الشعوب التي ذكرت اعلاه وغيرها كالطوتيين واللولوبيين والميتانيين وغيرهم وصولاً حتى الميديين[١٠]، والتي تحسب جميعاً ضمن الشعوب الهندو اوربية، كانت في مرحلة من مراحل تطورها السياسي والاجتماعي تستقر في احجزاء من اقليم كردستان و تركت أثاراًعلى لغة سكان الاقليم وعلى تركيبتهم الأثني.

ان ظهور واستقرار الشعوب الهندو – اوربية في منطقة جبال زاكروس بما فيها اقليم كردستان العراق، منذ الألف الثالث قبل الميلاد وحتى الآن، وبقاء المجموعة الكردية ذات الأصول الهندو – اوربية كالمجموعة السكانية الأولى من حيث الحجم، يعود بالدرجة الأولى الى عامل الموقع الجغرافي.

فطبقاً لأحدث النظريات المتعلقة بهجرة الأقوام الهندو – اوربية فان الموطن الأصلي لهذه الأقوام كانت تنحصر في المنطقة الجبلية الواقعة بين المرتفعات التي تقع الى الشمال الشرقي من اقليم كردستان والشمال الغربي من هضبة ايران والأجزاء الجنوبية الغربية من بحر قزوين والى الشرق من هضبة الأناضول.(انظر الخارطة رقم ٣).

فهذه النظرية التي تعرف بنظرية الأناضول Anatolian Theory، ترى بأن البعض من الهندو – اوربيين قد عاشوا في الأناضول ومايجاورها شرقاً قبل ١٠,٠٠٠ سنة[١١]، ومنها انتقلوا غرباً (نحو اليونان) كما اتجه البعض الآخر منهم نحو الشرق والشمال واواسط آسيا والهند وهضبة ايران وشمال ميسوبوتاميا (اقليم كردستان) واواسط اوربا، وذلك بالالتفاف حول السواحل الشرقية لبحر قزوين[١٢]. (انظر الخارطة رقم٣).

واذا صحت هذه النظرية فان هجرة الأقوام الهندو – اوربية الى شمالي ميسوبوتاميا (اقليم كردستان العراق) وعلى شكل موجات مختلفة ومتتالية تبدو امراً مفهوماً منذ اقدم العصور التأريخية وربما منذ عصور ماقبل التأريخ، وذلك لأن اقليم كردستان ومعها ايضاً كردستان الكبرى –واستناداً على هذه النظرية- تقع على مرمى حجر من الموطن الأصلي للشعوب الهندو – اوربية، وهذا مايفسر لنا الأعداد الكبيرة من تلك الأقوام التي استقرت شمالي ميسوبوتاميا كما تشير اليها العديد من الوثائق المسمارية التي تعود الى السومريين والأكديين والبابليين (العموريين) والآشوريين والحيثيين وغيرها. كما يفسر هذا ايضاً ماسبقت الاشارة اليه من ان اقليم كردستان قد اصبح يتمتع بسيادة الأقوام الهندو – اوربية منذ الألف الثالث قبل الميلاد وحتى الآن.

والواقع ان هذه النظرية لهجرة الأقوام الهندو – اوربية (الآرية) تخالف كثيراً النظرية القديمة لهجرة هذه الأقوام والمعروفة بنظرية كوركان Kurgan، والتي تتخذ من شرق اوربا وشمالي البحر الأسود موطناً اصلياً لظهور الشعوب الهندو – اوربية والتي توجهت من ذلك الموطن نحو جميع مناطق وسط وغرب اوربا وآسيا ايضاً[١٣]. (راجع الخارطة رقم ١).

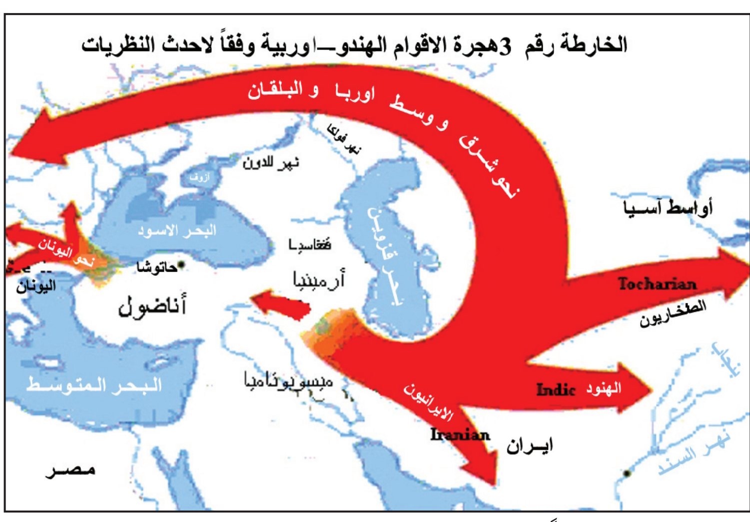
الكرد كغالبية سكان الاقليم وعلاقتهم بالأقوام الهندو اوربية:

هناك شبه إجماع بين الباحثين المهتمين بالدراسات اللغوية والأنثروبولوجية وبين العديد من المؤرخين والمستشرقين المهتمين بالدراسات الكردية على ان الكرد الحاليين يشكلون اثنياً ولغوياً جزءاً من الشعوب الايرانية والتي بدورها تمثل فرعاً رئيسياً من شجرة الشعوب الهندو – اوربية.

اما فيما يتعلق بالعلاقات الأنثروبولوجية والحضارية التي تربط الكرد الحاليين بالأقوام الهندو اوربية التي سادت المنطقة منذ الألف الثالث قبل الميلاد، فيمكن القول بأن هناك اختلافاً بيناً بين الباحثين بشأن اي المجموعات الهندو اوربية هي اكثر قرباً من الكرد.

ولأن هذه الدراسة لايسعها الخوض في مثل هذه الاختلافات والآراء المتباينة حول الأصول والجذور التي تربط الكرد عرقياً بالأقوام الهندو اوربية، بل تكتفي بذكر مايتفق عليه اكثر الباحثين بشأن هذا الموضوع.

وهنا لابد لنا ان نشير الى ان من بين العوامل التي ادت إلى بروز هذا الاختلاف بين الباحثين بشأن العلاقة بين الكرد وبقية الأقوام الهندو – اوربية، هي ان



الخارطة رقم 3هجرة الاقوام الهندو–اوربية وفقاً لاحدث النظريات

هذه الشعوب بدءاً من الكوتيين وحتى الميديين لم تكن لديهم الفباء او خطٍ خاص بهم يدونون به اخبارهم السياسية ونتاجاتهم الأدبية او اوضاعهم الاجتماعية، كما لم يدونوا شيئاً بلغاتهم، الأمر الذي عقد كثيراً من مهمة الباحثين عن جذور اللغة الكردية، وجعل البحث عن مراحل تطور هذه اللغة امراً شائكاً، ويستحيل على الباحث الوصول الى استنتاجات صائبة.

بناءاً على هذه الحقائق تكتفي هذه الدراسة بذكر ماأجمع عليه عدد غير قليل من المستشرقين بصدد العلاقة بين الكرد الحاليين وهم اغلبية سكان اقليم كردستان وبين الميديين الذين يمثلون آخر موجات الأقوام الهندو – اوربية.

فمنذ المؤتمر العشرين للاستشراق الذي عقد في بروكسل عام ١٩٣٨ طرح المستشرق الروسي فلاديمير مينورسكي استنتاجاته بشأن الكرد كمايلي:

((ان الكرد ماهم الا احفاد الميديين الذين هاجروا من المناطق التي تحيط ببحر قزوين جنوباو غرباً (آذربيجان) ودخلوا كردستان الحالية خلال الالف الاول قبل الميلاد, ثم انتشروا في شمال وادى الرافدين بشكل اوسع بعد سقوط دولة آشور عام ٦١٢ق.م)) ويتفق عدد من المستشرقين البارزين مع هذا الرأى الذى طرحه مينورسكي في ذلك المؤتمر. ومن هؤلاء يمكن الاشارة الى آراء كل من ثيودور نولدكه و مارتن هارتمان وفرانتز فايسباخ[١٤].

والخلاصة ان الكرد الذين يشكلون المكون الرئيس والاقدم والابرز من مكونات السكان لاقليم كردستان العراق انما يمثلون احدى المكونات الاصلية لسكان هذا

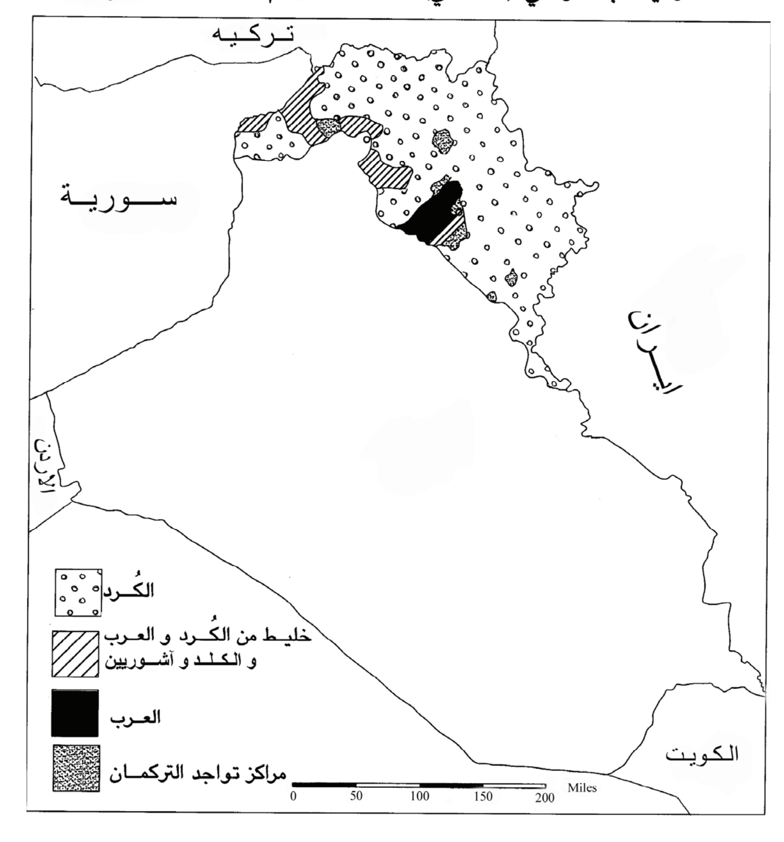
الاقليــم والتى تضــرب بجذورها عميقة داخل هــذا الاقليم, وذلك ما يفســر لنا بقائها في هذا الاقليم و كذلــك في الاقاليــم المجاورة عبر الحدود الدوليــة ,على الرغم مما تعرضت لها من محاولات للتطهير العرقــي والابــادة الجماعية منذ ايام الاشــوريين على الاقل وحتى آواخرالقرن العشرين.

ولإلقــاء نظرة فاحصــة على خارطــة التركيب الاثنــي لاقليم كردســتان كافية للخروج بنتيجة مؤداها: انــه باســتثناء الاطراف الهامشية لجنوب اقليم كردستان والتى تسود فيها المجموعة العربية, فان بقيــة اجزاء الاقليم التي تعد تأريخياً وطنــاً للكرد، هي مناطق يســود فيها الكرد كمــا مر ذكره، وذلــك فيماعــدا بعــض الجيوب الصغيرة او الأســافين الضيقة التي تســكنها المجموعــة التركمانية او الأقليــة الكلدو – آشــورية والتي ستأتي البحث على ذكرها. (راجع الخارطة رقــم ٥ الخاصة بالركيب الأثني لسكان الاقليم).

واذا ماعتبرنا الخارطة المتداولة لاقليــم كردســتان والمعتمدة لدى حكومة كردســتان الاقليمية على انهــا الخارطة المعترف بها رســمياً والتي تسري عليها احكام حكومة كردستان الاقليمية على انها فعلاً الخارطــة التي تمثل هــذا الاقليم المتميــز جغرافيــاً، فــان بامكاننا القول بــان المجموعــة التركمانية هي المجموعــة الأثنية الثانية بعد المجموعة الكردية من حيث العدد.

الخارطة رقم – 4

التركيــب القومــي (الاثــني) لســكان اقليــم كوردســتان العراق



المصادر :

نظت الخارطة باعتماد على:

1 - www.lib.utexas.edu

2 - www.pbs.org

وهذاما سيتضح من خلال معالجة البحــث لهذه المكونات الأنثية وعلى النحو التالي:

١- المجموعة التركمانية:

عــاش الاتــراك منــذ العصور القديمــة فــوق ســهول ســيبيريا الشمالية الواسعة والبوادى القائمة بين بحر الخــزر (قزوين) وجبال آلتــاى, وهم ينتمــون الى جماعة عرقية ولغوية متميزة تعرف لدى

علماء الانثربولوجيا باسم المجموعة الطورانية[١٥]، او المغولية.

ان ظهور هذه المجموعة الاثنية في هذه المنطقة عموماً تعود الى النصف الأول من القرن التاسع الميلادي (٨٣٠ –٨٤٠م) اي الى ايام خلافة المعتصم (٨٣٣ – ٨٤٢م). غير ان الأتراك لم يتمكنوا من بلوغ سلطة قوية فى ولاية الموصل (اقليم كردستان) ايام الخلفاء العباسيين الا بعد جيلين من هذا التاريخ .ففى سنة ١٠٥٦ تمكن الزعيم التركى أرطغرل بك حفيد سلجوق من الاستيلاء على مدينة الموصل[١٦].

واعتمادالمعتصم بالله العباسى على هذا العنصر الجديد قد جاء نتيجة لاحتدام الصراع بين العرب من جهة, وبين الفرس الذين حظوا بدعم الخليفة المأمون بعد وفاة الرشيد من جهة اخرى. وقد حمل ذلك المعتصم على أن يوكل أمر سلامته الشخصية الى فرقة من الموالى بعضها من البربر وغالبيتها من الاتراك الذين جاءوا من بلاد ماوراء النهر, او عن طريق النخاسة او على سبيل الجزية يؤديها الامراء المحليون الى خزانة الدولة الاسلامية.وبمرور الزمان تفاقم خطر هذة المجموعة البشرية الجديدة على مصير الدولة العباسية, وقد حذر ابن سعد المعتصم من خطر هذا العنصر الدخيل عندما ذكره بنبوءةٍ على لسان احد الصحابة مفادها: (ان الاتراك سيردون العرب فى يوم من الايام الى بواديهم)[١٧].

وتشير بعض المصادر التاريخية الى ان اول دخول للاتراك الى العراق يعود الى سنة ٥٤هـ, حيث اختار والى خراسان عبيدالله بن زياد ألفى مقاتل من الاتراك وبعث بهم الى العراق واسكنهم البصرة, كما شاركوا في جيش أبو مسلم الخراسانى اثناء زحفه للسيطرة على العراق عام ١٣٢هـ[١٨]، والقضاء نهائياً على الدولة الاموية.

بينما تشير مصادر تاريخية اخرى الى ان اول ظهور للاتراك فى العراق، تعود الى ايام الوالى الاموى الحجاج بن يوسف الثقفى (٦٩٢م) الذى اسكن الترك فى الجبال التى تسيطر على الاراضى الصحراوية. وقيل أنه اسكنهم فى بدره. واشار الطبري الى ان القائد الاموي عبيدالله بن زياد قد اختار الفين من رماة السهام من الاتراك المهرة بعد انتصاره على الملكة ((قبج خاتون)) اثر معارك طاحنة فى بخارى وبيكند, واسكنهم فى بصرة وثلاثة الاف اخرين اسكنهم فى المدائن[١٩].

اما بالنسبة للتوزيع الجغرافي الحالى للمجموعة التركمانية في اقليم كردستان فانه هو الاخر يختلف بحسب اراء المؤرخين بشأن تاريخ ظهور هذا التوزيع الجغرافى واسبابه.

فقد شخص المؤرخ العراقى المعروف عبدالرزاق الحسني حقيقة كون المناطق التي يسكنها التركمان في العراق، على انها تمثل الأراضي التي تفصل المنطقة الكردية عن المنطقة العربية. فالتركمان ينتشرون على طول خط ممتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي، من تلعفر الى الغرب من الموصل، الى اربيل، وآلتون كوثري، وطوز خورماتو و قزلرباط (السعدية الحالية) ومنها الى مندلي، ويرى الحسني بأن هؤلاء كانوا من جملة القوات التي كانت في جيش السلطان مراد الرابع الذي استرد العراق من ايدي الصفويين سنة ١٦٣٨، وقد مكثوا في هذه البقاع للمحافظة على خط الاتصال بين الولايات التركية الجنوبية وولاياتهم الشمالية[٢٠].

كما ان الباحث الاجتماعي حنابطاطو يرى بأن التركمان قد إستقروا في المنطقة البينية التى تقع على إمتداد طريق البريد القديمة: بغداد -الموصل- استامبول، وهي شريط من المستوطنات التركمانية منها: تلعفر و داقوق و طوزخورماتو و قرةتبة

و ألتون كوبرى و كفرى، التى تقع بين الهلال الجبلى الكردي في الشمال والمنطقة العربية في الجنوب[٢١].

ان هذا الامتداد الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي الذي يتمشى مع الاتجاه العام لامتدادات سلاسل جبال زاكروس في اقليم كردستان والذي يسير مع الاتجاه العام للطريق العام القديم للنقل والاتصال والمعروف بالطريق الامبراطوري والذي كان يربط مابين هضبتي ايران والأناضول ماراً بالأقسام الشمالية لميسوبوتاميا كانت تمثل انسب النقاط لمرور الاتصالات بين الهضبتين عبر اقليم كردستان والتي تسمح بها المنطقة الجبلية وشبه الجبلية الواقعة الى الشمال من هذا الخط والتي تشكل تضاريسها وطبيعتها الجبلية عائقاً في وجه تلك الاتصالات من جهة، ومن جهة اخرى فان الطبيعة الصحراوية للمناطق التي تقع الى الجنوب من هذا الخط هي الأخرى لاتمثل مناطق مناسبة لعبور خط رئيسي للاتصال بين الهضبتين لأنها تصبح طويلة جداً مقارنةً بالخط الذي يسير معه الطريق الامبراطوري ولأنه من جهة اخرى اما ان تقود تلك الاتصالات نحو وادي الفرات وذلك ماكان يجعل منه طريقاً طويلاً جداً، او في احسن الحالات كانت تقود تلك الاتصالات الى الغرب من نهر دجلة وعبر ارض الجزيرة ذات الطبيعة الصحراوية.

عليه فان امتداد مناطق استقرار المجموعة التركية في اقليم كردستان لايمكن تفسيره إلا على ضوء هذه الحقيقة المتمثلة بأن هؤلاء الأتراك انما تم اسكانهم على طول خط الاتصال الرئيسي الذي يربط هضبتي ايران والأناضول وذلك كقوات تعمل على حماية هذا الطريق الهام والخطير وذو الأهمية الاستثنائية.

والواقع ان مسالك ارض آشور وامتدادها في القسم الشمالي من ارض الجزيرة، كانت افضل من مسالك نهر الفرات بالنسبة للتجار الذين يحملون قوافلهم على ظهور الحمير والبغال والخيل او في عربات تجرها هذه الحيوانات اوالثيران، وكان من الممكن حماية هذه المسالك من غارات البدو القادمين من المناطق الجبلية او من بدو الصحراء وذلك باقامة قوات عسكرية دائمة في حصون تقام على طول تلك المسالك وهذا مادفع بالسلاجقة لاقامة مثل هذه القلاع الثابتة على طول تلك الطرق. وكانت قوات تلك الحاميات من الأتراك سواءاً ايام السلاجقة ام العثمانيين[٢٢]. وهذا مما ادى الى استقرار المجموعة الأثنية الجديدة التي تنتمي الى المجموعة المغولية (الطورانية) او التركية في هذا الجزء من الاقليم.

لذلك فان الآراء التي تذهب الى القول بأن هذه المناطق التي يستقر فيها التركمان في الوقت الحاضر انما تمثل موطناً متصلاً للترك في اقليم كردستان اختاروها بملء ارادتهم لكونها مناطق ملائمة من حيث المناخ والتضاريس والموارد المائية، هي في الواقع آراء تخالف الحقائق التأريخية.

ففي الوقت الذي نجد فيه مناطق تركز المجموعة التركمانية في الوقت الحاضر في بعض المدن والقصبات الكردية او في بعض المدن الصغيرة والقصبات الخاصة بهم، والتي تظهر على شكل جيوب او جزر في وسط انتشار كردي مكثف. (راجع الخارطة رقم ٤). فاننا نجد امثلة لادعاءات فارغة لاتمت الى الحقائق الجغرافية والتأريخية ولابواقع التوزيع الجغرافي لهذه المجموعة.

فعلى سبيل المثال للحصر يمكن الاشارة الى الخارطة التي يقدمها الباحث التركماني عزيز قادر الصمانجي، والتي تجعل من مدن كردية اصيلة كزاخو واربيل وكويسنجق وكركوك وجمجمال، وكفري وخانقين ومندلي وبدرة على انها مدن تركمانية[٢٣]. (انظر الخارطة رقم ٥).

وهذا لايعني بأننا نغفل دور العوامل الجغرافية التي دفعت بالأتراك الى البقاء في تلك المناطق

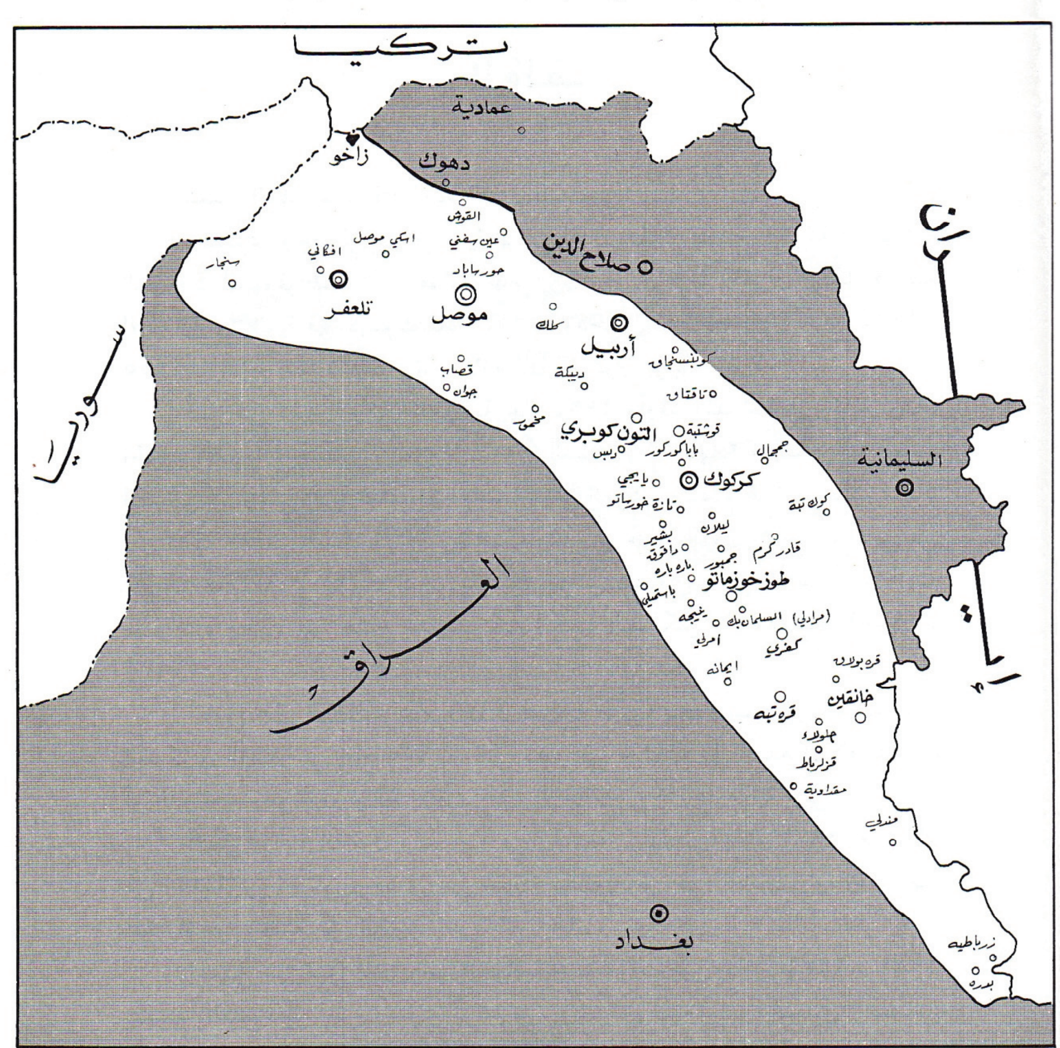
البينية التي تفصل المجموعة العربية عن الكردية بشرياً، وتفصل المنطقة الجبلية وشبه الجبلية عن بقية مناطق السهول وارض الجزيرة طبيعياً.

وعليه يمكن القول بأن التركمان في العراق كانوا كغيرهم من الشعوب والمجموعات التي تهجر مواطنها الأصلية فانها تميل الى الاستقرار في المناطق التي تشبه موطنها من حيث المناخ والطوبوكرافيا وغيرها.

فالمستشرق الروسي بارتولد يرى بأن الترك يميلون الى الابتعاد عن الجبال الوعرة وعن القفار والبراري، ويميلون الى السكن في السهول الخصبة والمناطق المتموجة التي تتوفر فيها مصادر المياه[٢٤].

الخارطة رقم 5

مناطق استقرار التركمان في اقليم كوردستان وفقاً لوجهة نظر تركمانية



المصدر: عزيز قادر الصمانجي، التاريخ السياسي لتركمان العراق، دار الساقي، بدون ذكر لمكان الطبع او تاريخه، ص 2

والخلاصة ان المجموعة التركمانية تشكل ثاني اكبر مجموعة اثنية بعد الكرد والتي تستقر في كردستان منذ مايزيد عن خمسة قرون، وهي تتركز في مدن وقرى وقصبات كردية او خاصة بها والتي تنتشر على طول شريط من الأراضي التي تشكل المناطق البينية التي تفصل المجموعتين العربية والكردية عن بعضهما، وتظهر مناطق سكنى الأتراك على شكل نطاق ضيق من الأراضي يمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وعلى طول خط كان يمثل طريقاً للاتصال بين هضبتي ايران والأناضول في العصور الوسطى والمتأخرة، وهذا الشريط الضيق من الأرض شريط متقطع ومراكز استقرار الاتراك فيها عبارة عن جزر غير متصلة وبعيدة بعضها عن بعض وسط بحرٍ من القرى و القصبات والمدن الكردية، وهي بذلك لايمكن ان تشكل أرضا قوميا لهذه المجموعة غير الكردية.

٢-المجموعة الآشورية (الآثورية):

لم تكن المجموعات الهندو – اوربية (الآرية) والطورانية (المغولية) هي المجموعات الأثنية الوحيدة التي تركت مواطنها الأصلية وتوجهت نحو كردستان واستقرت فيها، بل ان المجموعة المعروفة بالسامية كانت هي الأخرى من بين تلك المجموعات التي هاجرت الى كردستان، وهي مجذوبة بعامل موقعها الجغرافي وملاءمة مقومات جغرافيتها الطبيعية ولاسيما انماطها المناخية وتضاريسها الجبلية وسهولها الخصبة ومياهها الوفيرة، والتي جعلت الاقليم مناسباً للنشاط الزراعي وتربية الماشية ورعى قطعان الأغنام والماعز ومنذ العصور ماقبل التأريخ وحتى الآن.

والمجموعة السامية تتألف من الاقوام التى هاجرت من مهدها الاصلى في شبه جزيرة العرب, نتيجة للجفاف الذي بدآ يحل بهذه الجزيرة وامتداداتها في بلاد الشام منذ انتهاء اًخر عصر جليدى قبل ٢٠٠٠٠سنة[٢٥].

وكان المستشرق الألماني Sholzer اول من استخدم هذا المصطلح عام ١٧٨١ لاطلاقه على المتكلمين بأحدى لغات العائلة السامية كالعربية والعبرانية والاكدية والبابلية والاشورية والكنعانية المتشابهة, ظناً منه بأن المتكلمين بها انما ينحدرون من نسل سام بن نوح[٢٦].

اما وجهة تلك الاقوام فى هجرتهم فكانت نحو المنطقة التى اطلق عليها المستشرقون إِسم الهلال الخصيب Fertile Crescent والتى منها مناطق واسعة من الحوض الاوسط لنهر الفرات وشمالي بلاد الشام[٢٧].

والتي هي مناطق متاخمة لاقليم كردستان, بل ولا نغالي اذا قلنا بان جزءاً اساسيا من اقليم كردستان يشكل قسماً هاما من ذلك الهلال. وقد استقر البعض من شعوب هذه المجموعة في اجزاء واسعة من المنطقة التي تعرف اليوم باقليم كردستان, كالاشوريين منذ النصف الثاني من الالف الثانى قبل الميلاد, وكذلك العرب ولاسيما بعد ظهور الاسلام وانتشاره.

ان المجموعة الاشورية هى المجموعة الرئيسية ذات الاصول السامية والتى تتركز مع اشباهها من الكلدانيين في بعض المدن الرئيسية من اقليم كردستان ولاسيما في دهوك واربيل وكركوك والموصل[٢٨]، وذلك اضافة الى تواجدها في بعض المدن الصغيرة. في الجزء الغربي من اقليم كردستان ولاسيما تلك التى تقع الى الغرب من نهر الزاب الصغير. والمجموعة الاشورية تشترك مع الكلدان بالاضافة الى اصولها السامية في كونها تدين بالمسيحية. وقد تعرضت نسبتهم المئوية الى المجموع الكلي لسكان اقليم كردستان الى تآكل وتراجع رهيب وذلك منذ ان تسلم البعث

مقاليد الحكم في العراق في يوليو - تموز- ١٩٦٨ وماأعقب ذلك من ممارسات عنصرية ترمي الى تغليب العنصر العربى في كردستان وتحجيم المجموعات الاخرى غير العربية بما فيها هذه المجموعة بل والعمل على محوها في النهاية.

وبعد سقوط النظام في ابريل- نيسان ٢٠٠٣ تكالبت جميع عناصر قوى الشروالتطرف الدينى بما فيها ازلام النظام السابق, تكالبت على ابادة هذه الاقليات القومية غير العربية وغير المسلمة. مما نجم عنه هجرة المزيد من هذه الاقلية القومية والدينية, مما ادى الى انكماش وتقلص غير مسبوق لحجمها العددى في كردستان.

الخلفية التأريخية للمجموعة الاشورية:

ينتمي الآشوريون في اصلهم العرقي الى المجموعة السامية، وقد اقاموا لهم دويلة صغيرة في الحوض الأوسط لنهر دجلة تمتد شرقاً فيمابين مصب الزاب الصغير وبين منطقة الموصل الى منطقة السفوح الجبلية في شرق سهل اربيل، وذلك في المراحل الأولى من تأريخهم السياسي، ومما يمكن ملاحظته هو ان الآشوريين كانوا يختارون عواصمهم في الواقع التي تتحكم في طرق المواصلات، وانه كان يوجد لديهم ميل عام في الانتقال بها نحو الشمال. والموقع الجغرافي لأرض آشور هو من اهم ماتنبغي ملاحظته لتفهم الدور الخطير الذي لعبه الآشوريون على مسرح التأريخ في الشرق الأوسط. فانها تقع من جهةٍ بين الجبل وبين السهل، اي بين مناطق السهول والأخشاب والمعادن وبين مناطق الانتاج الزراعي. وهذا جعلها سوقاً طبيعياً لتبادل المنتجات بين الاقليمين اللذين يتميز كل منهما عن الآخر بثرواته، كما جعلها بؤرة تلتقي فيها عناصر حضارة كل منهما. وارض آشور تقع من جهة اخرى بين بعض اجزاء اليابس في الشرق الأوسط وبين ذراع من الماء هو نهر دجلة ممتد فيه. كما تتجه اليها انهار اخرى من جانب كردستان ومن جانب ارض الجزيرة. وفضلاً عن ذلك فان هذه الأرض تشكل مصداً تحول دون سير الاتصالات بين سهل العراق وهضبة ايران من جهة وبين عالم القسم الشمالي الشرقي لحوض البحر المتوسط من جهة اخرى[٢٩].

والواقع ان اقليم كردستان بما يتمتع به من مزايا جغرافية ولاسيما مايتعلق بخصائص المناخ والطوثوطرافيا ومواردها المائية كل ذلك قد جعل من هذه المنطقة التي كانت حتى قبل قيام الأمبراطورية الآشورية، منطقة على جانب كبير من الجاذبية، فلعبت دوراً مهماً في تأريخ وادي الرافدين، وقد بقيت المنطقة الشمالية (الجبلية) من هذا الاقليم على الدوام حدوداً متنازعاً عليها بين حكام وادي الرافدين وسكان الجبال الذين كانوا يتطلعون الى السيطرة على المناطق السهلية ذات الثروات الزراعية المزدهرة[٣٠].

وهذا مايفسر لنا السبب الذي كان يدفع بالمجموعات البشرية الى الهجرة الى هذه المنطقة والاقامة فيها منذ عصور ماقبل التأريخ، والى هذا العامل يعزى ذلك التنوع القومي والتعقيد الديني الذي يتميز به هذا الاقليم[٣١].

لعلنا لانغالى اذا قلنا بأن ظهور الدولة الآشورية كاحدى اقوى الامبراطوريات في هذا الجزء من الشرق الأوسط القديم فيمابين ٩١١ – ٦١٢ ق.م، كان في مقدمة الأسباب التي ساهمت الى حدٍ بعيد في تعقيد التكوين الأثني لهذا الاقليم منذ العصور التأريخية.

ان استقرار الآشوريين في هذه المنطقة (اي في الجزء الأوسط من حوض نهر دجلة) لمدة طويلة تقارب الفي سنة، بدءاً من اواخر الألف الثالث قبل الميلاد وحتى سقوطهم على يد تحالف ميدي – كلداني عام ٦١٢ قبل الميلاد[٣٢]،

قد ساهم الى حدٍ كبير في توسيع عمليات خلط شعوب المنطقة وتعميق ابعادها.

وقد نجم ذلك عن سياسة التهجير القسري التي بدأ بممارستها بعض الملوك الآشوريين ضد سكان الأقاليم التي كانت تثور على سلطة الآشوريين بين فترةٍ واخرى، وكانت سياسة التهجير هذه خطة عجيبة عملت على خلط شعوب الشرق الأدنى واحلت البؤس والشقاء في ربوعها، وكثيراً ماصورت تلك المشاهد المؤلمة في المنحوتات الآشورية، فكانت تلك الجموع المهجرة البائسة تعاني اقسى انواع الشقاء والعذاب وهي تساق مسافاتٍ طويلة مع شيوخها واطفالها ومرضاها[٣٣].

وقد كان سكان ((زاموا)) وهي احدى المقاطعات القريبة من حدود الامبراطورية الآشورية والتي كانت تضم اجزاءً واسعة من محافظة السليمانية الحالية من بين المجموعات البشرية التي تعرضت لعمليات التهجير القسرية على يد الآشوريين، فقد اشارت السجلات التي تعود الى شلمنصر الثالث واخرى الى آشور ناصربال وسرجون الثاني الى حملاتهم على جبل ((كولار)) وهو جبل تاسلوجة الحالي والذي يقع فيه ممر بابيت –ممر تاسلوجة- الى استيلائهم على مدينة بيروتو، وقد تضمنت مسلة شلمنصر الثالث (٨٥٨ – ٨٢٤ ق.م) مشاهد وصور لعمليات التهجير الاجباري لسكان المدن التي استولى عليها هذا الملك في بلاد زاموا ولاسيما في مدن ((بيروتو))، و ((بوناسي)) و ((ايدي))[٣٤].

وقد ذكر تجلا ببليزار الثالث انه اخذ من الميديين ٦٥,٠٠٠ اسيراً وذلك من مناطق سكانهم في بلاد الماد، غربي هضبة ايران واسكنهم في منطقة ديالى على طول حدود بلاد آشور، واسكن محلهم جماعات من الآراميين. وجاءت في الأخبار التي تعود الى الملك الآشوري سرجون الثاني، ان هذا الملك قد شن حملة ضد الأرمن، وانه قام بنفي احد حلفاء الملك الأرمني (روساس) يدعى دياآكو وهو من قادة الميديين الى مدينة حماة في سوريا[٣٥].

كما ان الملك الآشوري سرجون الثاني تمكن عام ٧١٠ ق.م من القضاء على دولة اسرائيل، وقام بنقل الكثير من سكانها اسرى، واسكنهم في بلاد ماذي (ميديا)[٣٦].

وربما كان يهود كردستان من ضمن هؤلاء اليهود الذين قام سرجون الآشوري بتهجيريهم الى هذه المناطق. وادخال اليهود الى كردستان منذ القرن الثامن قبل الميلاد، كان يشكل ادخال عنصر جديد يختلف اثنياً وحضارياً ودينياً عن سكان الاقليم ذات الأصول الهندو – اوربية، وستعود الدراسة الى هذه المجموعة لاحقاً.

وتمثل الأمثلة السابقة ظاهرة سكانية اصبحت سائدة لعدة قرون من حكم الآشوريين وساعدت على جلب العديد من المجموعات البشرية الى اقليم كردستان، من المناطق المحيطة بالاقليم او القريبة منه ولاسيما من هضبتي ايران والأناضول او من بلاد الشام وشرقي البحر المتوسط وشبه جزيرة العرب.

وحتى في مثل هذه الحالات فان اثر عامل الموقع الجغرافي كان واضحاً في سياسة خلط الأقوام والشعوب التي مارسها الآشوريون. ذلك لأنه ماكان بامكان الآشوريين اقتلاع اعداد كبيرة من سكان المدن الثائرة ضدهم سواءاً في بلاد الماد او في مملكة اسرائيل او مملكة يهودا او في غيرها من الدويلات الآرامية والعمورية المنتشرة في بلاد الشام، ونقلها الى ارض آشور التي كانت تحتل قلب اقليم كردستان وترغمها على السكن في هذا الجزء من الاقليم او ذاك، مالم تكن المواطن الأصلية لتلك الجماعات المهجرة قريبة بعض الشيء من اقليم كردستان.

ان الآثار التي نجمت عن سياسة التهجير القسري الذي مارسها الآشوريون لم تكن آثاراً طارئة او عابرة، بل ظلت آثاراً دائمية ضرب بجذورها داخل ارض كردستان ولاتزال معالمها باديةً على التركيبة الأثنية بل وحتى الدينية لسكان اقليم كردستان.

ذلك لأن نواة الدولة الآشورية وعواصمها الرئيسية نينوى وآشور ودور شروكين، وكالح، وكانت تقع بالقرب من الحوض الأوسط لنهر دجلة وفيمابين مصب الزاب الصغير وبين منطقة الموصل مع السفوح الجبلية في شرق سهل اربيل[٣٧]. وتشكل جميعها الآن مناطق تحتل وسط اقليم كردستان. فكان طبيعياً ان ينعكس اي تغيير بشري يحدثه الآشوريون في التكوين البشري لسكان المناطق الخاضعة لهم، ان ينعكس بوضوح على التكوين البشري لسكان اقليم كردستان ولاسيما النصف الغربي من هذا الاقليم والذي كان يخضع لقبضة الآشوريين القوية. فالتنوع الأثني بدأ به الآشوريون ثم استمر لأسباب مختلفة وفي ظروف متباينة وحتى الان. وسيتضح ابعاد ومستويات ذلك التنوع من خلال تناولنا للمجموعات الأخرى والتي تمثل جزءاً من مكونات الأقاليم القومية.

٣-المجموعة العربية:

وهذه تمثل احدى المجموعات الأثنية المنسوبة الى المجموعة السامية والتي كانت تسكن اجزاءاً من شبه جزيرة العرب منذ النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد.

ففي احدى الحملات التأديبية التي قام بها آشور بانيبال (٦٦٨ – ٦٢٧) قبل الميلاد، على قبائل البدو في البادية الغربية والذين كانوا من العرب، نجح آشور بانيبال في دحر ((ابي عاصي)) رئيس القبيلة المعروفة باسم ((بني قيدار)) والتي كانت احدى القبائل العربية التي ساندت ((شمش – شم – اوكين)) اخي آشور بانيبال الثائر ضده وذلك عام ٦٤٦ ق.م.

وجاءت في هذه الأخبار ان الآشوريين قد غنموا في هذه الحملة اعداداً كبيراً من الجمال والتي نقلت الى بلاد آشور، وصار الجمل يباع بأقل من شيقل واحد من الفضة، وحصل حتى العمال والصناع والعبيد على هدايا من الجمال[٣٨].

اغلب الظن ان الاستيلاء على هذه الغنائم من القبائل العربية –والتي ربما تكون هذه اول اشارة ترد في وثيقة مسمارية الى العرب- وبهذه الأعداد الكبيرة، فانها لابد ان تكون مصحوبة بأعداد كبيرة من الأسرى ايضاً، واذا صحت هذه الفريضة فان تلك الحملة التي شنها آشور بانيبال على القبائل العربية، كانت اول عملية ادت الى ادخال عناصر من المجموعة العربية الى اقليم كردستان.

ويبدو ان اول نزوح للقبائل العربية الى العراق يعود الى اوائل التأريخ الميلادي، واقدم هذه القبائل هي قضاعة، تنوح، ربيعة، بكر وتغلب، وكانت تلك القبائل تسكن خلف الفرات اولاً، ولكنها واصلت تقدمها شرقاً باتجاه نهر دجلة في المراحل التالية[٣٩].

اما سيل هجرة القبائل العربية باتجاه ارض الجزيرة والأطراف الجنوبية للمناطق شبه الجبلية من اقليم كردستان فلم تبدأ الا بعد الفتوحات الاسلامية اي منذ القرن السابع الميلادي (الأول الهجري)[٤٠].

فزحف القبائل العربية عند الفتوحات الاسلامية قد ادى الى استقرار العرب في سنجار حسب رواية البلاذري. كما استقرت قبائل عربية اخرى كأياد وتغلب وغيرها في مدينة الموصل، في عهد الراشدين فقد استمرت عملية الهجرة والاستقرار في العصرين الأموي والعباسي، وقد نجم عن ذلك تعريب بعض المدن في هذا الاقليم كمدينة اربيل، فقد ذكر ياقوت الحموي ان اكثر اهالي اربيل

قد استعربوا، في اشارة الى غلبة الطابع العربي على تلك المدينة[٤١]، وذلك في القرنين الخامس والسادس للهجرة.

والذي يهمنا من هذه الفتوحات هي وصول القبائل العربية الى مدينة الموصل عام ١٩٢٤ واطرافها والتي لاتزال تظهر على شكل جيب سكاني تمتد شمالاً داخل المناطق التي تغلب عليها المجموعة الكردية الى الشرق من تلعفر والى الغرب من مجرى نهر دجلة حتى التقائه برافده الزاب الكبير. (راجع الخارطة رقم ٤).

والذي يلاحظ في انتشار المجموعة العربية في الهوامش الجنوبية لاقليم كردستان، ان تلك المجموعة وحتى بعد قيام دولة العراق الحديثة بفترة مناسبة بقيت مستقرة على الضفاف الغربية لنهر دجلة، وذلك على طول المنطقة الممتدة في مدينة الموصل وحتى نقطة التقاء نهر دجلة برافده الزاب الصغير الى الشمال من بيجي.

وقد دفع هذا الواقع باللجنة التي شكلتها عصبة الأمم لدراسة مشكلة الموصل لكي تصل الى استنتاج مفاده: بأن نهر دجلة وحتى التقائه بالزاب الصغير وثم طريق كركوك – كفري المتجه جنوباً هو الخط الذي يفصل المجموعة الكردية عن العربية، كما لاحظت اللجنة بأن الحلقة الوحيدة التي تربط مدينة الموصل مع الأراضي العربية التي يسكنها اناس مستقرون هي عن طريق الأراضي التي تسكنها اكثرية كردية، بواسطة طريق يكثر فيه مدن تركية – كردية[٤٢].

ان ماحدث من انتشار للمجموعة العربية داخل اراضي اقليم كردستان ومنذ الثلاثينات فصاعداً وحتى سقوط النظام في نيسان ٢٠٠٣، يمكن ان يندرج ضمن سياسة عنصرية تقوم على تهجير السكان الكرد الأصليين الساكنين حول حقول النفط في كركوك والموصل، والعمل على اسكان العرب مكان السكان الكرد المهجرين وفي النهاية تعريب اقليم كردستان تدريجياً.

ولذلك يمكن القول بأن القضية الكردية في العراق لم تعد قضية عنف او صراع داخلي، بل وتحولت الى تصفية شعب بأكمله، وذلك كترجمة حقيقية للأفكار العنصرية التي بدأت تجهر بها القوى العربية العنصرية منذ ايام عبدالكريم قاسم، والتي عبرت عنها احدى الصحف الصفراء المعروفة بصحيفة الثورة والتي نادت ((بوجوب صهر الكرد واذابتهم في بوتقة الأمة العربية والى استعمال القوة عند اللزوم لتنفيذ هذه السياسة))[٤٣].

جغرافياً يمكن القول بأن بقاء انتشار المجموعة العربية منذ الفتوحات الاسلامية وحتى الربع الأول من القرن الماضي كان محصوراً بالمناطق الواقعة الى الغرب من نهر دجلة في معظمها، لايعود فقط الى عامل الموقع الجغرافي ذلك لأن عزوف المجموعة العربية عن عبور نهر دجلة الى ضفافه الشرقية والانتشار داخل اراضي كردستان قد يعزى الى مجموعة من العوامل منها مايمكن ان تكون اسباباً طوبوغرافية اي احجام القبائل العربية عن الاقامة في مناطق جبلية وقد يقف عامل المناخ خلف ذلك الانتشار او قد يعود ذلك الى ان الكرد كانوا قد سبقوا العرب الى الاقامة والاستقرار في اقليم كردستان بقرون عديدة، لذلك لم يكن في مقدور القبائل العربية الوافدة ازاحة الكرد في مواطنهم ومراتعهم ومزارعهم، فاصبح مجرى نهر دجلة حداً فاصلاً بين المجموعتين في الجزء الأوسط من حوضه، مثلما اصبحت مرتفعات حمرين حداً طبيعياً يمثل اقصى امتداد للكرد جنوباً، كما تمثل هذه المرتفعات النهايات الشمالية للزحف العربي باتجاه اقليم كردستان والمنطقة المتموجة. ومما عقد من التركيب الأثني للاقليم هو ان نقاط التماس هذه تفصل

بين المجموعة الكردية ذات الجذور العميقة التي تمتد الى الألف الثالث قبل الميلاد، والمجموعة العربية التي اجتاحت تلك المناطق اثناء وبعد الفتوحات الأسلامية، قد تم تحصينها وضخها بمجموعة اثنية ثالثة هي المجموعة التركمانية ذات الأصول المغولية او (الطورانية) وذلك على يد الأتراك السلاجقة والعثمانيين وذلك منذ القرن الثاني عشر الميلادي، كما مر ذكره.

٤-الأقليات القومية الأخرى غير مسلمة (اليهود و الأرمن):

وهذه تشمل على عدد من المجموعات الأثنية المتباينة والتي تدين بالمسيحية، والبعض من هذه المجموعات ترجع الى اصول سامية كالآشوريين (الآثوريين) والكلدان، ومنها ماترجع الى اصول هندو – اوربية كالأرمن والذين كانوا يتواجدون في اقليم كردستان وان بأعداد قليلة في بعض المراحل التأريخية.

اما اليهود الذين يمثلون مجموعة دينية متميزة عن النصارى والمسلمين فانهم يمكن اعتبارهم على انهم يمثلون مجموعة اثنية خاصة ذات اصولٍ سامية.

كان سرجون الثاني (الآشوري) هو اول من ارغم اليهود على ترك موطنها الأصلي في اورشليم، واجبرهم على السكن في بلاد الماد (كردستان) في اواخر القرن الثامن قبل الميلاد (٧١٠) ق.م كما مر ذكره. وبعد هذا التأريخ بقرنٍ ونصف تقريباً اي في عام ٥٨٥ ق.م تمكن نبوخذنصر الكلداني باحتلال اورشليم ونقل ٤٠,٠٠٠ يهودي كاسرى الى بابل[٤٤]. وليس هناك مايشير الى ان اي من هؤلاء اليهود قد انتقل الى كردستان.

ويشير عدد من الكتاب اليهود الى ان اقليم كردستان كانت توفر الملجأ لبقايا اليهود في الأوقات الصعبة، وتؤكد هذه المصادر على ان اليهود قد انجذبوا الى مستوطنات معينة في كردستان، بسبب اهميتها كمراكز تجارية، ومن المحتمل جداً ان تكون العوامل السياسية قد لعبت دوراً رئيسياً في انتشار اليهود في كردستان[٤٥]. وانجذاب اليهود الى كردستان لممارسة النشاط التجاري يمكن ان يعزى الى عامل الموقع الجغرافي المتميز لكردستان[٤٦]. كما يمكن ان يعزى الى توفير الملاذ الآمن لليهود في كردستان في الأوقات الصعبة الى عامل الطوبوغرافيا.

وباختصار شديد يمكن القول بأنه منذ الألف الثاني قبل الميلاد توجهت هجرات سامية مستمرة تدخل العراق بمافيها كردستان، من الغرب والشمال الغربي وتتوطن في منطقة الجزيرة وعلى ضفاف نهر الفرات كالهجرات الآشورية والأكدية والآرامية والكلدانية[٤٧]، ومنها الى بعض المناطق المحيطة بالحوض الأوسط لنهر دجلة ولاسيما تلك المناطق التي تقع بين الزاب الأعلى والضفة الشرقية من نهر دجلة، وذلك بسبب من موقع كردستان المركزي من عدد من البيئات الجغرافية المتباينة تسكنها شعوب تنتمي الى اعراق اثنية مختلفة.

والى عهد قريب كانت هذه الأقليات الأثنية تستقر في معظمها في محافظة نينوى (التي تشمل محافظة دهوك ايضاً). ويتوزع الكلدان بصورة خاصة في القرى الواقعة على ضفة دجلة اليسرى (الضفة الشرقية) وهي القوش، وتل اسقف، وبرطلا وتلكيف، كما تنتشر مجموعات منهم ايضاً في اقضية العمادية وعقرة وزاخو[٤٨].

اما فيما يتعلق بالتوزيع الجغرافي لليهود في كردستان واللذين دأب الكثير من الكتاب والرحالة على اعتبارهم مجموعة اثنية ايضاً (العبرانيون) وليسوا فقط نحلة دينية، فان هذا التوزيع يختلف بعض الشيء عن توزيع المجموعات الأثنية المسيحية، فاليهود كانوا اوسع انتشاراً من الكلدان والآثوريين (الآشوريين)

الذين كانوا يتركزون عادةً في مدن كردستان الرئيسة، كأربيل وكركوك والموصل والسليمانية. هذا مانستشفه من كتابات الرحالة من امثال ريض وتاظرينية وغيرهم، او من تقارير وكتابات الضباط السياسيين البريطانيين مثل الميجرسون وادموندز ولونطريك ونويل وغيرهم.

فطبقاً لدراسة ديموغرافية اجراها ابراهم بن يعكوف وهو باحث يهودي وذلك قبل قيام اسرائيل عام ١٩٤٨، فان اليهود في اقليم كردستان العراق كانوا قبل انتقالهم الى اسرائيل يستقرون في ١٤٦ تجمعاً سكنياً من اصل ١٨٧ تجمع يهودي في كردستان الكبرى، منها ١٩ تجمعاً في كردستان ايران، و ١١ تجمعاً في تركيا و ١١ تجمعاً في سوريا. اما عددهم عام ١٩٤٧ حسب المحافظات فكان على النحو التالي: في لواء اربيل ٣١٠٩، وفي لواء كركوك ٤٠٤٢ وفي لواء الموصل ١٠٣٤٥ وفي السليمانية ٢٢٧١ وفي ديالى ٢٨٥١، اي ان العدد الاجمالي لليهود في اقليم كردستان عام ١٩٤٧ كان ٢٢٦١٨ نسمة[٤٩]. وبعد ذلك التأريخ بدأت الهجرة الى اسرائيل، وفي نهاية الخمسينات لم تبق من هذه المجموعة في كردستان غير اعداد قليلة جداً.

والواقع ليس اليهود وحدهم من الأقليات الأثنية او الدينية ممن تعرضت اعدادهم الى التآكل والتدهور ومن ثم التلاشي والاضمحلال بل ان المجموعتين الكلدانية والآثورية هي الأخرى قد عانتا من انخفاض رهيب من حجمهم العددي. فقد انخفضت نسبتهما المئوية الى الحجم الكلي لسكان اقليم كردستان من ٣,١٪ حسب احصاء عام ١٩٥٧ الى ٠,٩٪ حسب احصاء عام ١٩٧٧أي قبل ٣٢ سنة من الآن[٥٠].

ولعل الأرقام التي تمثل انخفاض حجم هاتين المجموعتين خلال الفترة المتدة من ١٩٥٧ الى ١٩٧٧ لمحافظة الموصل هي الأبلغ تعبيراً عما اصاب هاتين المجموعتين من تدهور خطير لحجمها. فقد هبطت نسبتهم من ٨,٤٪ في محافظة الموصل عام ١٩٥٧ الى ٠,٧٪ عام ١٩٧٧ [٥١]. وهذه نسبة هبوط كبيرة تزيد عن ٨٠٠٪.

ان تعرض حجم هذه المجموعات الأثنية غير المسلمة وغير العربية الى تدهور مطرد ولاسيما منذ الستينات من القرن الماضي، كان جزءاً من سياسة عنصرية مارستها الحكومات المركزية المتعاقبة في بغداد ضد جميع المجموعات غير العربية. وقد بلغت هذه السياسة اوجهاً في اعقاب حرب الخليج الثانية (غزو الكويت).

ان سقوط النظام في نيسان ٢٠٠٣ لم ينجم عنه زوال الخطر على بقاء هذه الأقليات الأثنية، بل على العكس من ذلك فان الخطر على الأقليات الأثنية غير المسلمة اصبح داهماً، بل وتحول الى سيف مسلط يهدد رقاب الزعماء الروحيين لهذه الطوائف الدينية ورجالاتهم الاجتماعية، مثلما يهدد اماكن عبادتهم وكنائسهم. وقد جاء الخطر هذه المرة من جماعات ارهابية تكفيرية متطرفة، تكفر ليس النصارى واليهود، وليست الأكثرية الشيعية المسلمة، بل تكفر حتى اولئك السنة الذين يخالفونهم آرائهم واحكامهم الغريبة، ويهدرون دماءهم. فمن الطبيعي والحالة هذه ان تلوذ البقية الباقية من هذه الأقليات الاثنية غير المسلمة بالفرار الى الخارج ولاسيما ذلك الجزء منهم الذين يسكنون مدينة الموصل وبعض المدن القريبة منها. والملفت للنظر هنا هو ان اعداداً كبيرة من المسيحيين الذين يسكنون مدينة بغداد وغيرها من مدن وسط العراق او جنوبه، قد توجهوا الى اقليم كردستان ولاسيما الى اربيل العاصمة الاقليمية والى المدن الأخرى في الاقليم والتي تسكنها مسيحيون من بني جلدتهم. ولايستبعد ان تكون هذه الاقامة في

مدن الاقليم اقامة مؤقتة يحاول هؤلاء خلالها الحصول على ملاذٍ اكثر اماناً في اوربا، او الولايات المتحدة الأمريكية، والتي توفر الملاذ واالجوء السياسي لطالبي اللجوء الذين تتعرض حياتهم للخطر في اوطانهم بسبب معتقداتهم الدينية. لذلك من المتوقع ان ينكمش عدد هذه الأقليات الأثنية غير المسلمة في اقليم كردستان بشكل مطرد، ويخشى ان يؤول مصيرهم الى ما آل اليه مصير اليهود والعديد من الأقليات الدينية الأخرى في العراق الذي صبغ تأريخه باللون الأحمر على الأقل منذ الفتح الاسلامي وحتى الآن.

٥-الأرمن:

يشكل الأرمن واحداً من المكونات الدينية والأثنية لاقليم كردستان وذلك بعد ان وفدوا الى العراق في اعقاب الحرب العالمية الأولى، وكجزءٍ من المساومات التي اجرتها بريطانيا العظمى مع الأطراف الأخرى للصراع كدولة تركيا الحديثة والعراق والأرمن والكرد. يبدو ان محاولة بريطانيا لاسكان عدد غير قليل من الأرمن في اقليم كردستان وبدافع الحرص على حمايتهم من بطش الأتراك، كانت جزءاً من مساعي بريطانيا لازالة مشاعر الاحباط التي انتابت قطاعات واسعة من الأرمن الذين علقوا آمالاً كبيراً على وعود بريطانيا باقامة دولة ارمنية في شرقي الأناضول تتضمن عدداً من الولايات الكردية اضافة الى الولايات التي تسكنها اغلبية ارمنية وذلك وفقاً لبنود سيفر.

فقد نصت البنود ٨٨ – ٩٠ من القسم السادس من معاهدة سيفر على اقامة دولة ارمنية، شرقي الأناضول وتتضمن ولايات ارضروم ووان وتبليس وجميعها ولايات ذات اغلبية كردية[٥٢].

ويعد الأرمن من الشعوب الهندو – اوربية العريقة، والذين تقترب مواطنهم الأصلية وتتداخل مع مواطن الكرد الى الشرق من الأناضول وفي ارمينيا وشمال غرب ايران[٥٣].

وعلى العكس من الكلدان والآثوريين واليهود الذين انتشروا في العديد من المدن الصغيرة والقصبات والقرى في اقليم كردستان، فان الأرمن في معظمهم قد سكنوا في مدينة الموصل او بغداد.

وقد استثنى الاستاذ شاكر خصباك الأرمن عن ان يكونوا جزءاً من التركيبة الأثنية لاقليم كردستان، نظراً لعدم انتشارهم في قرى الاقليم وتواجدهم في الموصل حصراً، او في بغداد[٥٤].

والواقع ان وجود المجموعة الأرمنية بهذا الشكل الباهت، سيان مع عدم وجوده، بالنسبة للتركيب القومي لاقليم كردستان في الوقت الحاضر.

والخلاصة يمكن القول بأن الموقع الجغرافي لاقليم كردستان كان مؤثراً والى حدٍ كبير في خلق التركيبة الأثنية لسكان الاقليم، فوقوع كردستان وسط عدد من البيئات الجغرافية المتباينة والتي كانت موطناً لعدد من المجموعات الأثنية المتباينة، كان سبباً في تسهيل عملية هجرة تلك الأقوام والشعوب الى كردستان والاستقرار فيها. ويمكن للباحث ان يقتفي في ارض كردستان آثار المجموعات البشرية الرئيسة التي ظهرت وانتشرت في قارتي آسيا واوربا منذ الألف الثاني قبل الميلاد وحتى الآن، وهي المجموعة الهندو – اوربية والمغولية (الطورانية) والسامية. ولانغالي اذا قلنا بأن الموقع المركزي لكردستان من منطقة شرقي البحر المتوسط وجنوبي البحر الأسود، وقريباً من هضبة الأناضول وايران وارمينيا، قد اضفى على الاقليم قوة جذبٍ مناسبة، فانجذبت نحوه معظم المجموعات البشرية باستثناء المجموعة الزنجية. ومع هذا التنوع الأثني وفد الى كردستان تنوع ديني ومذهبي اكثر تعقيداً من تنوع الاقليم القومي. وفي النتيجة

تحـول الاقليم بشـرياً الى متحفٍ حي لحفظ ((الملل والنحل)).

ولم يكن دور مناخ كردسـتان وطوبوغرافيتها وثرواتها الطبيعية ومواردهـا المائيـة بأقـل من دور عامـل الموقـع الجغـرافي في خلق الشخصية الأثنية لاقليم كردستان وفي ديمومة هذه الشـخصية بهذا الشكل حتى الآن.

الهوامش:

1-Mehrdad R.Izady, The Kurds – Aconcise Handbook Taylor and Fyancis Ltd, London, WCIN 2ET, 1992, P.28.

2- www.geocities.com/indo european geography/P.6.

3- http//indoeuro.bizland.com/archive article 15.htm.

٤-للمزيد من المعلومات بهذا الصدد يمكن الرجوع الى:

-خليل اسـماعيل محمـد، دياريكردنى سنورى هەريمى كوردسـتانى عيراق، جوگرافيـاى هەريمـى كوردسـتانى عيراق، هەولير، ١٩٩٨، ل١٩.

-جزا توفيـق طالـب، بايەخـى جيوبوليتيكـى دانيشـتوانى هەريمى كوردسـتانى عيـراق، چاپـى دووەم، سليمانى، ٢٠٠٠، ل٢٣ – ٢٤.

-فيروز حسن عزيز، المصدر السابق، ص٤٤.

٥- سـامي سـعيد الأحمد ورضـا جواد الهاشـمي، تأريخ الشـرق الأدنى القديم، ايران والأناضول، العـاق، وزارة التعليم العالي والبحـث العلمي، بدون ذكر لمكان الطبع او تأريخه، ص١٢.

٦-طه باقر، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمـة، الوجيـز في حضـارة وادي الرافدين، الجـزء الأول، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨٦، ص٨٠–٨١.

٧-خليـل اسـماعيل محمـد، القضيـة الكرديـة في العـراق وجـود ام حدود، جامعـة الصـلاح الدين، اربيـل، ٢٠٠٦، ص٥٥– ٥٦.

8-http://www.xs4.ht/~tank/kurdish/htdoes/his/orig.html.

9-www.indoeuro.bizland.com/archive/article 15 htm.

١٠-جمال رشـيد احمـد، ظهور الكرد في التأريـخ، الجزء الأول، الطبعـة الثانية، اربيل، ٢٠٠٥، ص٦٩٢ – ٦٩٣.

11-www.nvcc.edvc.

12-www. indoeuro.bizland.com/-op. cit.

13-www.nvcc.edvc.op. cit.

١٤-جمال رشـيد احمد، ظهـور الكرد في التأريخ، ج١، ط٢، المصدر السابق، ص٣٩٥ – ٣٩٦.

١٥-كارل بروكلمـان، تأريـخ الشـعوب الاسـلامية، تعريب نبيـه امين فارس، ومنـير البعلبكـي، دار العلـم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٦٨، ص٢٦٢.

١٦-تقريـر البعثة الخاصة التي شـكلها مجلـس عصبة الأمم لدراسـة مسـألة مصير ولاية الموصل عام ١٩٢٤. بدون ذكر للمترجم او تأريخ الطبع او مكان الطبع، ص٧٠.

١٧-كارل بروكلمـان، المصـدر السـابق، ص٢٠٨ – ٢٠٩.

١٨-خليـل اسـماعيل محمـد، اقليـم كردسـتان العراق – دراسات في التكوين القومـي للسـكان، مطبعـة اوفسـيت كريستال، اربيل ١٩٩٨، ص٧٢.

١٩-عزيـز قـادر الصمانجـي، التأريـخ السياسـي لتركمان العراق، دار السـاقي بـدون ذكـر لـمكان الطبـع او تأريخه، ص٤٠.

٢٠-عبدالـرزاق الحسـني، العراق قديماً وحديثاً، مطبعة العرفان، لبنان، صيدا، ١٩٥٦، ص٩٠.

٢١-حنابطاطـو، الطبقـات الاجتماعية القديمـة والحـركات الثوريـة في العهد العثمانى حتى قيـام الجمهورية، الكتاب الأول،ترجمـة عفيف الرزاز، دار المتنبي للنشرو التوزيع، بلا تاريخ، ص ٥٧-٥٩.

٢٢-ابراهيـم شـريف، الموقـع الجغرافي للعـراق واثـره في تأريخه حتـى الفتح الاسـلامي، اطروحة دكتـوراه، الطبعة الأولى، الجـزء الثانـي، مطبعة شـفيق، بغداد، ص١٣٧-١٣٨.

٢٣-عزيز قادر الصحانجي،المصدر السابق، ص .

٢٤-عزيـز قـادر الصامنجـي، المصـدر السابق، ص٥٧.

٢٥-احمد سوسة، المصدر السابق، ص٤.

٢٦-طه باقر، المصدر السابق، الجزء الأول، ص٦٧.

٢٧-احمـد سوسـة، العـرب واليهود في التأريـخ، دار الحرية للطباعـة، بغداد، ١٩٧٢، ص٤ – ١٠.

٢٨-كۆمەڵيـك مامۆسـتاى زانكـۆ، جيۆگرافيـاى هەريمـى كوردسـتانى عيـراق، چاپى يەكـەم، ١٩٩٨، هەولير، ل١٨٨.

٢٩-ابراهيـم شـريف، المصدر السـابق، ص١٣٥-١٣٦.

٣٠-جـورج رو، العـراق القديم، ترجمة حسن علوان، بغداد، ١٩٨٤، ص٣٢.

٣١-كامـەران محمـد جـلال، نـوزى لە هـەزارەى دوهەمـى پيـش زاييـندا، ماسـتەرنامەى بلاونەكـراوە، كۆليجى زانسـتە مرۆڤايەتيـەكان، زانكـۆى سليمانى، ٢٠٠٤، ل٢٣.

٣٢-طه باقر، المصدر السابق، ص٥٠٤.

٣٣-المصدر نفسه، ص٥١١.

٣٤-جمال رشـيد احمد، المصدر السابق، ص٨٤٢ – ٨٤٩.

٣٥-طـه باقر، المصـدر السـابق، الجزء الثاني، ص٣٩٩.

٣٦-طه باقر، المصدر السابق، الجزء الأول، ص٥١٥.

٣٧-ابراهيم شريف، المصدر السابق، ص١٣٤.

٣٨-طه باقر، المصدر السابق، الجزء الأول، ص٥٢٧.

٣٩-خليـل اسـماعيل محمد، مؤشـرات سياسـة التعريـب والتهجـير في اقليـم كردستان العراق، اربيل، ٢٠٠١، ص٥.

٤٠-خليـل اسـماعيل محمـد، اقليـم كردسـتان العراق، مطبعـة زانكو، ط٣، ١٩٩٩، ص٨٢.

٤١-خليـل اسـماعيل محمـد، اقليـم كردستان العراق، المصدر السابق، ص٨٣.

٤٢-فاضل، حسـين، مشكلة الموصل، ط٣، مطبعة اشبيلية، بغداد، ١٩٧٧، ص١٠٢.

٤٣-خليـل اسـماعيل محمد، مؤشـرات سياسـة التعريـب والتهجـير في اقليـم كردستان العراق، المصدر السابق، ص٤٧.

٤٤-طه باقر، المصدر السابق، الجزء الأول، ص٥١٥، ٥٥٠.

٤٥-اريك بـراور ورافائيـل ثاتاى، يهود كردسـتان، ترجمة شـاخوان كركوكى وعبدالـرزاق بوتانى، دار ئاراس، اربيل، ٢٠٠٢، ص٥٦.

٤٦-اذا كان تواجـد الأقليـات المسـيحية في كردسـتان قد بدأ يفقـد بريقه منذ الخمسينات من القرن الماضي فان التواجد اليهودي في كردستان قد انتهى الى لاشيء بحلول ذلك التأريخ لأسباب معروفة.

٤٧-شـاكر خصبـاك، المصـدر السـابق، ص٢٢٢.

٤٨-شاكر خصباك، المصدر السابق، ص٢١٩.

٤٩-اريك بـراور ورافائيل ثاتاى، المصدر السابق، ص١٠ – ١١.

٥٠-كۆمەڵێـك مامۆسـتاى زانكـۆ، سەرچاوەى پێشوو، ل١٨٥.

٥١-خليـل اسـماعيل محمـد، اقليـم كردستان العراق، المصدر السابق، ص٧٥ز

٥٢-فؤاد حمه خورشيد، القضية الكردية في المؤتمرات الدولية، مؤسسة موكريانى للطباعة والنشـر، الطبعة الأولى، اربيل، ٢٠٠١، ص٥٩.

53-http://ar.wikipedia.org/wiki/. ارمن

٥٤--شاكر خصباك، المصدر السابق، ص٢٢٤.

المصادر

أ-الكتـب والمجـلات باللغـة العربية:

١- احمد، جمال رشيد، ظهور الكرد في التأريـخ، الجزء الأول، الطبعة الثانية، اربيل، ٢٠٠٥.

٢- الأحمد، سامي سعيد ورضا جواد الهاشـمي، تأريخ الشـرق الأدنى القديم، ايران والأناضـول، العراق، وزارة التعليم العالي والبحـث العلمي، بدون ذكر لمكان الطبع او تأريخه.

٣- باقـر، طـه، مقدمـة في تأريخ الحضارات القديمـة، الوجيز في حضارة وادي الرافديـن، الجـزء الأول، الطبعـة الثانية، بغداد، ١٩٨٦.

٤- بروكلمان، كارل، تأريخ الشـعوب الاسـلامية، تعريب نبيـه امين فارس، ومنـير البعلبكـي، دار العلـم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٦٨.

٥- بـراور، اريك، ورافائيـل ثاتاى، يهود كردستان، ترجمة شاخوان كركوكى وعبدالـرزاق بوتانى، دار ئاراس، اربيل، ٢٠٠٢.

٦-بعثة عصبة الأمم، تقرير البعثة الخاصة التي شكلها مجلس عصبة الأمم لدراسة مسـألة مصير ولاية الموصل عام ١٩٢٤. بـدون ذكـر للمترجـم او تأريخ الطبع او مكان الطبع.

٧- بطاطـو، حنـا، الطبقـات الاجتماعيـة القديمة والحركات الثورية في العهد العثمانى حتى قيام الجمهورية، الكتاب الأول،ترجمـة عفيف الرزاز، دار المتنبي للنشرو التوزيع، بلا تاريخ.

٨-حسـين، فاضل، مشـكلة الموصل، ط٣، مطبعة اشبيلية، بغداد، ١٩٧٧.

٩- الحسـني، عبدالـرزاق، العـراق قديماً وحديثـاً، مطبعة العرفان، لبنان، صيدا، ١٩٥٦.

١٠- حمه خورشـيد، فؤاد، القضية الكردية في المؤتمرات الدولية، مؤسسـة موكريانـي للطباعـة والنشـر، الطبعة الأولى، اربيل، ٢٠٠١.

١١- خصباك، شـاكر،العراق الشمالي، مطبعة شفيق،الطبعة الأولى،بغداد.

١٢- رو، جـورج، العـراق القديـم، ترجمة حسن علوان، بغداد، ١٩٨٤.

١٣- سوسـة, احمد، العـرب واليهود في التأريـخ، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٢.

١٤- شريف، ابراهيم، الموقع الجغرافي للعـراق واثـره في تأريخه حتـى الفتح الاسـلامي، اطروحة دكتـوراه، الطبعة الأولى، الجـزء الثانـي، مطبعة شـفيق، بغداد.

١٥- الصمانجي، عزيز قادر ، التأريخ السياسـي لتركمان العراق، دار السـاقي بدون ذكر لمكان الطبع او تأريخه.

١٦- عزيـز، فيروز حسـن، الأهمية الجيوسـتراتيجية لكردسـتان الجنوبية واثرها على السياسة البريطانية تجاهها ١٩١٤ – ١٩٢٤ مركز كردسـتان للدراسـات الستراتيجية السليمانية. ٢٠٠٨.

١٧- محمد، خليل اسـماعيل، اقليم كردسـتان العراق – دراسات في التكوين القومـي للسـكان، مطبعـة اوفسـيت كريستال، اربيل ١٩٩٨.

١٨- خليـل اسـماعيل محمد، اقليم كردسـتان العراق، مطبعـة زانكو، ط٣، ١٩٩٩.

١٩-محمد، خليل اسماعيل، مؤشرات سياسـة التعريـب والتهجـير في اقليـم كردستان العراق، اربيل، ٢٠٠١.

٢٠- محمد، خليل اسماعيل، القضية الكرديـة في العـراق وجـود ام حدود، جامعة الصلاح الدين، اربيل، ٢٠٠٦.

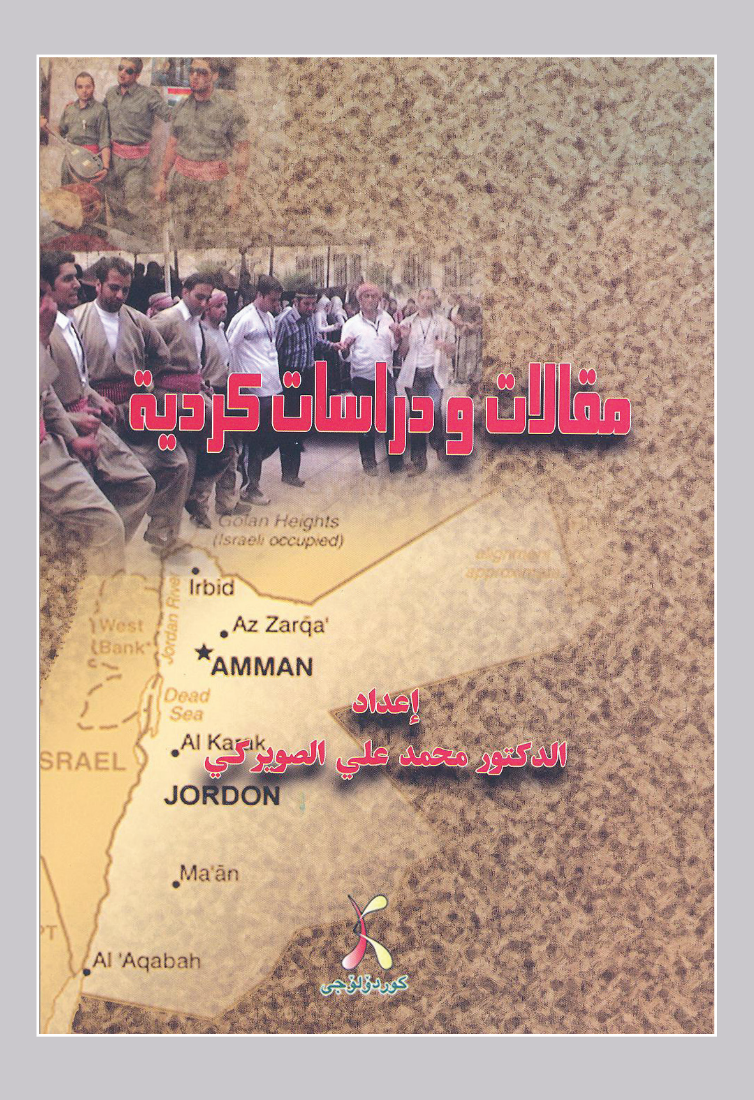
ب-الكتب والمجلات الكردية :

١-جـلال، كامەران محمـد، نوزى له هەزارەى دوهەمـى پێش زايينـدا، ماسـتەرنامەى بلاونەكـراوە، كۆلێجى زانسـته مرۆڤايەتيـەكان، زانكـۆى

سلێمانی، ٢٠٠٤.
٢-طالب، جزا توفيق، بايەخی جيوبوليتيكی دانيشتوانی هەرێمی كوردستانی عێراق، چاپی دووەم، سلێمانی، ٢٠٠٠.
٣-محمد، خليل اسماعيل، دياريكردنی سنوری هەرێمی كوردستانی عێراق، جوگرافيای هەرێمی كوردستانی عێراق، هەولێر، ١٩٩٨.
٤-محەمەد، خليل ئيسماعيل، جيوگرافيايی دانيشتوان، كۆمەڵێك مامۆستای زانكۆ، جيۆگرافيای هەرێمی كوردستانی عێراق، چاپی یەكەم، هەولێر، ١٩٩٨.

ج-المصادر الانكليزية و الالكترونية:

1-Izady, Mehrdad,The Kurds – A concise Handbook Taylor and Fyancis Ltd, London, WCIN 2ET,1992.
2-www.geocities.com/indo european geography.
3- http//indoeuro.bizland.com/archive article 15.htm T, 1992.
4- www.indoeuro.bizland.com/archive/article 15 htm.
5-http://www.xs4.ht/~tank/kurdish/htdoes/his/orig.html
6-www.nvcc.edvc.
http://ar.wikipedia.org/wiki/arman7-



مقالات ودراسات كردية

اعداد
الدكتور محمد علي الصويركي

من مطبوعات
مركز الكوردولوجي
سليمانية - ٢٠١٠

الصحافة الكوردية ... البدايات وآفاقها

د.صباح موسى علي

مقدمـــــــة:

عندمـــاأدرك الانســـان ماحوله وأحـــس بوجـــوده علـــى الارض كان لابـــد مـــن العيش مـــع أخيه الانسان لحاجة بعضهم للآخر من أجل أكتمـــال دورة الحيـــاة وعدم اســـتطاعته الحيـــاة لوحده أضافة لما ذكر فأن الانسان كائن اجتماعي بطبعه وخصاله ويحب ان يتعايش مع أخيه البشـــر وأكمـــال أحدهم الاخر رغم صعوبة ومرارة الحياة في وقتها وبدائيتها وبساطتها المعروفة والتي مرتَ علينا جميعآ.

ومع تطور الحياة من البســـاطة والسهولة والبدائية الى مرحلة النشوء والنضوج كان لا بد للانســـان من أن يفكر بطريقة أو اخرى الى ما شابه ذلك لتدوين وقائع حياته وســـجال أيامه وتسجيل مآثره وما جابهه من مرارة وشـــظف الآيام لذا بدأ بكتابة سيرته وسيرة قومه وشعبه على ورق الاشجار والرسم والنقش على جدران الكهـــوف والمغارات وكانـــت هذه هي البداية وهي عظيمة وانجاز تأريخي رائـــع في وقتهـــا آنـــذاك ومع تطور الحيـــاة وتفرعهـــا وتعقيدها وكثرة الحـــوادث والمواجهـــات والصراعـــات الكبـــيرة والمتعـــددة بـــدا الانســـان محتاجـــآ الى تســـجيلها وتوثيقهـــا وألاحتفاظ بهـــا للآجيـــال القادمة ليكون عبرة لمن أعتبر فبدأ بالتدوين والكتابة وأصدار ما نستطيع تسميته بصحيفـــة ،فظهـــرت اول صحيفـــة في الصـــين وكانت تســـمى(كين بان) قبل ثمانية قرن من ميلاد ســـيدنا المسيح وكانت صحيفة بدائية تعنى بنشر أخبار وحوادث تلك المملكة في وقتها.

توطئــــــــة

ظهرت الصحافة عند الشـــعب الكوردي متأخـــرآ الى حد مأأذا ما تمت المقارنة مع الشـــعوب والآمم المجاورة وهذا له أسبابه سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية فقـــد تعرض الشـــعب الكوردي الى الظلم والاضطهادمنذ فترة طويلة وخاصة في عصر الدولة العثمانية وكانت أرض كوردســـتان مســـرحآ للصراعـــات والنزاعات الدائرة بين الدولـــة العثمانية وملـــوك ايران وكان الجـــزء الاكـــبر مـــن ويلات الحروب الدائرة تقع على الشـــعب الكوردى وكانت الضريبة من جراء تلـــك النزاعات تقع على الشـــعب الكوردى أضافة الى الخراب والدمار التي لحقت بأرض كوردستان ودفع خيرة الشباب الكوردي في أتون تلك

الحـــروب التـــي لا أول لها ولا أخر أضافــة الى ذلك ســقوط الامارات الكوردية الاولى تلو الاخرى نتيجة دســائس و مخططات الاعداء التي كانــت لا تروق لهــم تلك الامارات ويعدونهــا نواة وبداية لتأســيس دولــة كورديــة اضافــة الى أطماع الغزاة في مصــادر الثروة الكوردية والضــرب بيد مــن حديد كل من تسول نفسه التفكير بوحدة شعب وأرض كوردســتان العزيزة ... كل مــا ذكرناهــا آنفآ كانت الاســباب والدوافــع الرئيســة لتأخر ظهور الصحافــة بــين الشــعب الكوردي المسلوب حريته واستقلاله .

الفصل الاول
جريدة (كوردستان)

البحث الاول
الزمان والمكان

كانــت الفــترة أواخــر القرن التاســع عشــر وبالتحديــد عــام (١٨٩٨) فترة سيطرة الامبراطورية العثمانيــة على كل بلاد الشــرق وخاصة بلاد ما بين النهرين أو ما يســمى الآن ب(العراق)وبلاد الشام وأجــزاء كبــيرة من بــلاد المغرب العربى وكانت منطقة كوردســتان تحت الســيطرة المباشــرة للدولة العثمانيــة وكان تأثــير النزاعات والحروب والمشاحنات المستمرة بين العثمانيــين وبلاد فارس مباشــرآ على كوردســتان، وبعبــارة أخرى أن معظــم الحــروب والمعارك التى كانت تحصل بــين الطرفين كانت تقع على أرض كوردستان العزيزة وكانت دماء الكورد تهدر من اجل تلك الحروب أي ان حصة الاسد من الضحايا والخسائر كانت من نصيب الشــعب الكوردي المغلوب على امره نتيجة ظلم وطغيان وفساد الدولة العثمانية والتي كانت ترفع شــعار الاســلام دائمآ لتمرير مخططاتها وتحقيق مآرب دولتهم المريضة .

كان ذلك بعد ســقوط الامارة البدرخانيــة تحت قوة العثمانيين الذين كانوا يرون من وجود جمع وتوحيد شمل الكورد ناقوس خطر يهدد كيانهم الهش وامبراطوريتهم المريضة والخاويــة ، كانت نتيجة سياسة الحديد والنار لتلك الدولة المسماة بأسم الاســلام أن اضطرت اســرة البدرخانيين الى أن ينزحوا من أرض وبــلاد أجدادهم العظام الى منطقــة توفــر لهــم العيــش والامــن والامــان فأختــاروا أرض الكنانــة أرض مصر المعطاء مركزآ لآستقرارهم وبدء صفحة جديدة من الكفاح والنضال ضد من أحتل ديارهــم وســيطر علــى أرضهم ، أضافــة الى ان مصــر كانت خارج ســيطرة الدولة العثمانية وكانت تتمع الى حــد ما بنوع من الحرية وكانت منــبرآ للمعارضين للوقوف ضد الدولة العثمانية وكذلك حالة التمدن والتنــور التي وصلت اليها بعد حملة (نابليون) الشهيرة على مصــر وما أعقبها من تطوروابداع في شــتى مجالات الحيــاة وخاصة الثقافية والسياسية اضافة الى ذلك نــرى ان اختيــار مصــر من قبل عائلــة البدرخانين كانت ســديدة وحكيمــة الى حــد ما ممــا جعل العثمانيين يحاربونهم وهم خارج عقــر دارهم وكانــت العلاقات قد بدأت تتأزم أكثر فأكثر بين الدولة العثمانية ومصر وكان وجود وبقاء اســرالبدرخانيين قد ســاء وازداد الامر تعقيدآ.

المبحث الثاني
(صحيفة كوردستان)

كانــت بلاد مصر في عام (١٨٩٨) أرضــآ خصبــة لآيــواء المعارضــين ضــد الدولة العثمانيــة وكان المكان الوحيد في المنطقة التي تتوفر فيه الى حد ما حرية الــرأي والصحافة نتيجة لوجود الفرنسيين فيه منذ مــدة طويلة وما أحدثــه (نابليون بونابرت) من تطــور وذلك بجلبه مطبعة اليهــا ثم القيــام بحملات اعمار وتمدن في مصر كل هذا جعل من مصر أن تكون قبلة للمتنورين الهاربين من جحيم آل عثمان الذين حكموا المنطقة لآكثر من أربعة قرون

، في هـذة الفترة الحرجة بدأ(مقداد مدحت بدرخـان) بالتفكيربأصدار صحيفـة ناطقـة بالكوردية لآبناء جلدته كي تنير لهم الطريق وتفتح الآفاق الرحبة للتحرر والاستقلال وفعلآ تم ذلك .

ففي ٢٢من نيسـان عام ١٨٩٨م الموافـق ل ٣٠ ذي القعـدة عام ٣١٥ هجرية أصدر أول عدد من جريدة كوردسـتان تيمنآ وتقديسآ لآرض الآباء والاجداد فطبع منها أكثر من (٢٠٠٠) نسـخة باللغتين الكوردية والتركيـة وقـام بأرسـال (٢٠٠٠) نسخة منها الى كوردستان العزيزة مجانـآ وكتب في ديباجة الصحيفة ((أنني سـوف أرسـل من كل عدد (٢٠٠٠) نسخة الى كوردستان مجانآ لأبنـاء قومي كي تفتح لهم طريق النور والحرية والكرامة ومن يريد أن يراسل الجريدة فعنوان الجريدة موجود في أعلى الصفحة)).

(كوردسـتان) أول جريـدة كورديـة ناطقة باللغـة الكوردية صـدرت في مدينـة القاهـرة بمصروطبعـت بمطبعـة الهـلال المصريـة بعيـدة عن كوردسـتان وباللغـة الكورديـة الشـمالية (الكرمانجية الشمالية) والتركية. كان الهـدف منهـا ايصـال صوت الكـورد الى العالم وتثقيف وتنوير الكـورد، حيـث أثبتـت للعالم ان الشـعب الكوردي حالهم حال بقية الشـعوب، لهم صحيفة ولهم وطن ،ومع صدور أول عدد من الجريدة بدأت الدوائر العميلة والعثمانيين بالضغـط علـى مصر مـن اجل منع اصـدار الصحيفة على أرضها وبذلـك سـاءت العلاقـة والفتور بين الدولتين ممـا حدا ب(مقداد باشـا) مرغمآ الانتقال الى مدينة (جنيف) بسويسرا وطبعت الاعداد من(٦-١٩) هناك والاعداد (٢٠-٢٣) في القاهـرة، ثم تلاها العدد(٢٤) في لندن، أم الاعداد (٢٥-٢٩) فطبعت في (فولكستون)، أما العددين (٣٠-٣١) فطبعـت في (جنيف)من قبل شـقيق مقـداد مدحـت بدرخان (عبدالرحمن باشـا) بعد أن وافت المنية مقداد باشا واخذ زمام الامور اخوه عبدالرحمن باشـا واستمرت الصحيفـة بالصدور بين آنٍ واخر ومن مكان لاخـر، وقد صدر منها (٣٢) عـددا وهـي محفوظـة في متحف(المكتبـة الوطنية) بألمانيا، وقد جمع اعدادها وطبعها مشكورآ الدكتـور كمال فؤاد عـام ١٩٧٢ في بغـداد وقد أعاد طبعـه أكثر من مرة.

يقول(د.كمال فؤاد) في مقدمة كتابـه آنفآ((كنت قد سـمعت أن أعداد النسخ الاصلية من الجريدة محفوظـة في مكتبـة (بروسـيا) في ألمانيـا وبعـد وصولـي الى هذا المـكان أبلغت بأن اسـم المكتبة قد تبدل بعد الحـرب العالمية الثانية وتسـمى الآن ب(المكتبة الوطنية) وعند مراجعاتي المستمرة للمكتبة بين الاعوام ١٩٦٥ – ١٩٦٨ استطعت الحصول على النسخ الاصلية لاعداد جريـدة (كوردسـتان) وفي وقتها نشـرت مقالآ في مجلـة (روناكى) الكورديـة التى كانـت تصدر عام ١٩٦٩ في مدينة بغداد)).

المبحث الثالث:

دور ومكانة صحيفة (كوردستان)

كمـا أسـلفنا فـأن صحيفـة (كوردسـتان) الرائدة كانت البوابة ومفتاح الامان لبدء صفحة جديدة في مسـيرة الرحلـة الشـاقة لمهنـة المتاعب كما يسمى، لذلك فان صدور كوردسـتان في تلك الحقبة الزمنية المعقدة له أهميته ودوره الكبير من الناحيـة الاجتماعية والسياسـية للشـعب الكوردي وخاصة ان الشعب الكـوردى في تلـك الفـترة كان يمر بفراغ سياسي كبير نتيجة الاحداث التي ذكرناها اضافة الى حالة التشتت الفكـري والصـراع الايدولوجـي والاحـداث السـريعة والمتعاقبـة التي كانت تعصـف بالمنطقة عامة وبالشعب الكوردي خاصة.

كان هنـاك هدفـان ل (مقداد بدرخان) مـن اصـدار الصحيفة اولهمـا ايصـال صـوت الشـعب الكـوردي والكلمـة الكورديـة الى

كل ارجاء كوردستان والمنطقة وتنوير عقول الكورد منها وتوسيع مدارك افكارهم لفهم ما يدور من مخططات ودسائس للنيل من ارادة ووحدة صف وشمل الشعب الكوردى وخاصة بعد سقوط وانهيار الامارات الكوردية المتلاحقة. وثانيهما اثبات وجود الشعب الكوردي وشرعية قضيته للعالم وبأن للكورد صحيفة ولغة، وان حالهم حال شعوب المنطقة الذين كانوا تحت رحمة بطش وظلم الدولة العثمانية لذا نرى أن المرحوم (مقدادمدحت بدرخان) قد أرسل من كل عدد من جريدته ٢٠٠٠ نسخة مجاناً الى كوردستان وذلك لآيصال صوت الشعب الكوردي الى كل زقاق وبيت، واضافة الى ماذكر فأن مقداد بدرخان قد أضاف الصفحات التركية الى جريدته لكي يكون صوت الكورد مسموعاً من قبل الشعب التركي أيضاً وقد اكد مراراً أن من يرد أن يراسل الجريدة أيضاً فعلى عنوان الجريدة المنشور في أعلى الصحيفة بهدف المساهمة أو ارسال نسخ مجانية الى المرسل وكان يريد من ذلك تحقيق هدفين أساسيين. الاول سياسي و هو تعريف العالم بأحقية القضية الكوردية والوقوف ضد آل عثمان الذين كانوا يعيثون في الارض فساداً بآسم الدين والاسلام لذا فان الجريدة كانت تحارب من قبلهم وتتغير أماكن أصدارها. والثاني اجتماعي والهدف منه هوتنوير الشعب الكوردي لضرورة اللحاق بركب التطور والتمدن والرقي الذي طرأ على الشعوب ونبذ الماضي والعادات والتقاليد البالية التي لاتقدم ولا تؤخر ومن أجل ذلك كرس الكثير من المقالات والبحوث في جريدته

لحث أبناء الشعب الكوردي الى ضرورة تعليم أبنائهم لغة الام وتعليمهم تأريخ الشعب الكوردي وفضح تصرفات السلاطين العثمانيين وما آلت اليه انفسهم.

الفصل الثاني
(مجلة روزى كورد - يوم الكورد)

المبحث الاول (بدايته ونشأته)

بعدان افل نجم جريدة (كوردستان) كانت الاحداث تمر بسرعة كبيرة والاحداث تتلاحق يوماً بعد يوم وخاصة بعد ان شارفت ايام العثمانيين على الانتهاء.

ومع اطلالة القرن العشرين و تزامناً مع ضعف الادارة العثمانية على ارض وشعب كوردستان كانت الشعوب والملل الموجودة في المنطقة تتطلع نحو غد مشرق وجديد تستطيع من خلالها تنفس الصعداء ومع بدء العد التنازلي لسقوط (الامبراطورية المريضة)ومع دخول القرن العشرين بدأت تظهر هنا وهناك المنظمات والجمعيات السياسية والاجتماعية والثقافية وكان للشعب الكوردي حصة الاسد في ذلك ،وفعلاً ظهر عام(١٩٠٠م) اول جمعية بأسم (جمعية عزم شعب كوردستان)ومن الجدير بالذكر ان في عام (١٩٠٨م) حدث انقلاب كبير في داخل الدولة العثمانية وعلى اثره شرع قانون اجاز فيه تأسيس الجمعيات والتنظيمات فكان لهذا القانون الدور الكبيرللكورد لتأسيس جمعية سميت بجمعية (التعاون والترقي الكوردي)واصبح لهذه الجمعية فروع في كل من بدليس والموصل وديار بكر وبدأ نفوذ واعضاء الجمعية بالازدياد واصدرت الجمعية صحيفة باسم (الكورد) لذلك شعر الاتحاديون الترك من مغبة زيادة نفوذ وسلطة تلك الجمعية لذا اسرعواالى اغلاق النوادى والمنتديات الكوردية في ايار من نفس العام .

وفي تلك الفترة الزمنية وبالتحديد العام (١٩١٠م) كان الكثير من شعوب المنطقة تتطلع الى الحرية وتحقيق تطلعاتهم ومع ايقاف جميع نشاطات وفعاليات جمعية الاتحاد والترقي كانت مدينة اسطنبول

التركية مركزآ وملتقى لجميع المثقفين والاكاديميين والطلبة الكوردالثوريين وكبار ضباط الجيش ،علمآن كل المناضلين والسياسيين كانوا يلجأوون الى هذه المدينة خوفآمن بطش وظلم السلاطين وأزلامهم،و في هذه الاثناء اسست جمعية بأسم جمعية (هيفي)الكوردية تضم خيرة شباب و مثقفي الكورد في مدينة اسطنبول وخاصة الذين تم نفيهم وابعادهم من اراضي آبائهم وآجدادهم نتيجة مواقفهم الوطنية تجاه قضايا شعبهم العادلة وبدأت الجمعية بممارسة نشاطها الفعلي في (١٩١٢/٧/٢٧م).

كانت من اوليات اهداف الجمعية اصدار مجلة كوردية تخاطب الانسان الكوردي (١).

و في شهر مايس من العام ١٩١٣م صدرت اول مجلة ناطقة بأسم جمعية (هيفي) واطلق عليها مجلة (روز كورد) أو (روزى كورد) وتعني(يوم الكورد) وكانت تصدر باللغتين الكورديةالشمالية (الكرمانجية الشمالية) والتركية وذلك لمخاطبة العقل والضمير الكورديين.

كان صاحب الامتيازو ومدير تحريرها (سليمانى عبدالكريم —أو عبدالكريم أفندى) ويرجح ان اسم صاحب الامتياز يرجع الى كونه من اهالي مدينة السليمانية ،وصدرت منها ثلاثة اعداد حيث استقطبت المجلة نخبة جيدة من المثقفين الكورد من كوردستان العراق وايران،وصاروا يغذون المجلة بمقالاتهم وكتاباتهم وكان لدى معظمهم الالمام التام بالثقافة والادب الكورديين.

المبحث الثاني

(مضمون وابواب المجلة:

مجلة (روزى كورد) مجلة شهرية صدرت منها ثلاثة اعداد فقط وكانت لها توجهات قومية تنشر في غلاف اعدادها صور لكبار وقادة الكورد امثال (صلاح الدين الايوبي وكريم خان زندوغيرهم) ولم تستمر ديمومة المجلة ففي العام ١٩١٤ صدرت بدلآ منهامجلة (هه تاوى كورد-شمس الكورد).

(ومن الكتاب البارزين الذين أسهموا بنتاجاتهم ورفدوا المجلة بالمواضيع كل من رئيس التحرير(عبدالكريم أفندى)وهو شخصية كوردية معروفة نزح من مدينة السليمانية وكان جده الاكبر (يونس آغا)من شخصيات مدينة كركوك ومنذ صغره تعلم لدى الكتاتيب والملالي كما كانت العادة آنذاك بعدها دخل المدرسة الرشدية ،وفي عام ١٩٠٨م قصد مدينة اسطنبول مع شقيقه الاكبر ودرس في كلية القانون ثم اصبح موظفآ ذا شأن في الكثير من الدوائر العدلية في مدينتي كركوك والسليمانية وقد وافته المنية عام ١٩٢٧م،ومن الكتاب البارزين الذين رفدوا المجلة بالمواضيع والمقالات (ديار بكر نجدت، ته مو غزالن فاضل مخلص ،زيوه ر ،...الخ).

كان معظم المواضيع المنشورة في مجلة (روز كورد)تنصب في المواضيع التي تتعلق بالمسائل القومية للشعب الكوردي وعلى سبيل المثال لا للحصر نشرت مقالة في العدد الاول تحت عنوان (وعي الكورد)وقد جاءت فيها بأن وضع الكورد في هذه المرحلة العصيبة يشبه الانسان المصاب بمرض مزمن لذا على الجميع ان يتداركوا هذاالوضع ويجب توحيد الصفوف بهدف القضاء على هذه المعضلة وكان صاحب المقال ينادي الكورد الى توخي الحذروالوقوف ضد كل من تسول له نفسه النيل من ارادة ووحدة الشعب الكوردى .

وقد كتب (عبدالله جودت) عموداً يشير فيه الى تأريخ الكورد وماضيهم العتيد ويذكر الكورد بقراءة كتاب (الشرفنامة) للاستفادة من تأريخهم ويحثهم على الافتخار والتباهي بنضال الشعب الكوردي عبر السنين من

اجـل الحفـاظ علـى ارض آبائهم واجدادهم ويؤكد بأن الكورد ومنذ صـدر الاسـلام قد لعبـوا دورهم المشـرف مـن اجـل راية لاسـلام واعلاء شأنه وكانوا السباقين دوماً الى الحفـاظ على دينهـم وارضهم وضحوا بالغالي والنفيس من اجل ذلك.

والجديـر بالذكر انـه اضافة الى المقـالات والمواضيـع القوميـة والسياسـية كانت المجلة حريصة كل الحـرص على نشـر المواضيع الفكرية والثقافيـة والعلمية على صدر صفحاتهـا وكانت الصفحات الناطقـة باللغة التركيـة تخاطب المفكرين والمثقفـين الترك بعقلية وبفلسـفة كورديتـين لكي يكونوا علـى علـم بمشـروعية القضية الكوردية.

وكانت ضمن السياقات المعمولة في الصحافـة في تلـك الحقبـة ان الدولـة كانـت تفـرض على كل مطبوع مبلغاً من المال قدره(٥٠٠) قطعة ذهبية كتأمين لدى السلطات ونتيجـة لعدم توفـر الدعم المالي للمجلـة لتوفير ذلك المبلغ ونتيجة الموقـف الوطنـي المشـرف لآدارة المجلة اضطر صاحب الامتياز وبعد صدور ثلاثة اعداد منها الى ايقاف اصدرها وصـدرت بدلا منها مجلة (خورى كورد_شـمس الكورد عام ١٩١٤م).

المبحث الثالث: دور (روز كورد) في الصحافة الكوردية

كماسـلفنا سـابقآ ان مجلـة (روزى كورد)كانـت اول مجلـة ناطقـة باللغة الكورديـة وبرغم عمرهـا القصير ورغـم الظروف العصيبة التي كانت تعصف بشعوب المنطقة وخاصة الشـعب الكوردى والاحـداث السـريعة والمتعاقبـة واعـلان المشـروطية عـام ١٩٠٨م وتشكيل الجمعيات والمنتديات هنا وهناك وفسـح القليل من الفرص والمجال لمصلحة السلطة الرابعة كي تتنفس الصعداء .

ان اصـدار مجلـة (روز كورد) في تلـك المرحلـة كان لـه اهميته ودوره الكبيـر ومكانتـه البـارزة في الصحافـة الكورديـة برغم ان صدورهـا كان الى حـد مـا بعيدآ عن شـعب كوردستان الا انها كانت اقرب من حبل الوريد الى الشـعب الكوردي فكانت مساهمات المثقفين والطلبـة لرفد واغناء المجلة كبيرة جدآ وكانـت محتويات المجلة تعج بالكثيـر مـن المقالات والدراسـات الكوردية التي كانت تخاطب عقل الشـعب الكوردي وخاصة الطبقة المتنورة والمثقفة من الشباب اضافة الى ان اغلب السياسـيين والمثقفين الكورد كما اسلفنا والهاربين من يد السلاطين في مدينة اسطنبول قد انضموا تحـت خيمة المجلة فكانت (روز كـورد) بحـق لـواءآ جمعت ووحـدت كل المناضلين والمثقفين تحتها .

ان (روز كورد) رفدت الصحافة الكورديـة بجيل مـن الصحافيين والكتاب فكانت بحق مدرسة لاعداد جيـل مـن الكتـاب والصحفيين الذين لعبوا فيمـا بعد دورآ كبيرا في رفد واغنـاء الصحافة الكوردية اضافة الى دورهم الوطني والقومي المشرف في شحذ همم الشباب الكورد وتوعيتهـم والعمـل والنضال من اجل قضية شعبهم وامتهم فكانت جمعية(هيفى) ومجلة(روز كورد) مدرسـة ونبراسـآ للجيل الناشىء المتطلـع نحـو مسـتقبل مزدهر وكوردستان محررة.

الفصل الثالث
الصحافة الكوردية في العراق

المبحث الأول
الصحافة في العراق

نشأت الصحافة متأخرة نسبيآ اذا مـا تـم مقارنتهـا مـع تأريخ الصحافـة في المنطقـة وخاصـة الصحافة العربيـة فلو قمنا بألقاء نظرة سريعة الى بلاد مصر ولبنان لرأينا ان هناك بونآ شاسـعآ وفرقآ كبيرآ بين نشـأة الصحافة في بلاد الشـام و العراق رغم ان العراق هو منبع الحضـارات وموطن الانبياء

والرسـل وهذا له اسبابه ومبرراته ، فلـو اخذنا الصحافـة والطباعة في ارض الكنانة على سـبيل المثال نرى أن بلاد مصر وبرغم احتلال الفرنسـيين لهـا وذلـك الاحتلال الـذي يعـرف الجميـع تفاصيله فأن الفرنسـيين حال مـا وطئت أقدامهـم ارض مصرجلبـوا معهم ما تـم التوصـل اليه مـن تطور وتقدم الفرنسـيين الى بلاد مصر ومنها المطبعة التي جلبها(نابليون بونابـرت) معه الى مصر وما رافق ذلك من اغنـاء للثقافة المصرية ، صحيح انها كانت حملة استعمارية الا انهـا جلبـت معهـا التطـور والحضارة والرقي .

أمـا في ارض الرافديـن فكانت الآية معكوسة لأن ارض العراق قد احتلت من قبل الجيش البريطاني وبريطانيا العظمـى لم تفعل كما فعلتها شقيقتها فرنسا بالرغم من ان ارض بـلاد الرافدين كانت تعج بالاقلام الوطنية والكوادر الثقافية والعلمية والادبية .

ولو رجعنـا الى الماضي القريب لرأينـا ان الوالـي (مدحت باشـا) والي العثمانيين في بغداد قد جلب مطبعة الى بغداد واصدر عام (١٨٦٩) جريدة بأسـم (الزوراء) وهي اول جريـدة عراقية كانـت تدار من قبل ملاكات عراقية ولكنها كانت لسان حال الدولة العثمانية فكانت تلك هي البداية بالنسبة للصحافة العراقية.

المبحـث الثانـي: الصحافـة الكوردية في العراق

بالرغم من ان ميلادوصدور أول صحيفة كوردية في العراق قد جاء متأخرا الى حد ما أذا ما تم مقارنة ذلك بالصحـف العربية والعراقية فأن لذلك اسـبابه ومبرراته ،منها بعد منطقة كوردستان عن بغداد العاصمة وتأخر المنطقة الكوردية من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية وعدم الاهتمام والاكتراث بها من قبـل الحكومات المتلاحقة وعدم ايصـال الاعمار والتنمية الى المنطقة اضافة لما ذكر فأن المنطقة الكورديـة كانت سـاحة للمعارك والتجاذبـات السياسـية، وتجـدر الاشـارة هنا إلى أن نشـأة الصحافة الكورديـة في العـراق قـد ولدت وترعرعت في بغداد العاصمة.

كان (جمـال الدين بابان) من كبار ساسـة العراق قد تخرج من المدرسـة القانونية وهو من أسرة(آل بابـان) المشـهورة والعريقة في كوردستان وسبق ان اسس اجداده امارة بابان المشهورة في السليمانية في عصر الدولة العثمانية وهم من اسسوا نواة مدينة السليمانية،

شـغل(جمـال الديـن بابان) عـدة وظائـف حكوميـة وحصل علـى مقعـد في البرلـان واصبح وزيرآ ونائبـآ لرئيس الوزراء عند تأسـيس الدولة العراقيـة الفتية، في العام(١٩١٤) تجمع خيرة الشـباب الكورد قبيل بدء الحـرب العالمية الاولى في العاصمـة بغـداد واصبح قاعـدة لهم للنضـال والكفاح من اجل قضايا شعبهم وامتهم وخاصة بعد ان اصبحـت الدولة العثمانية على شفا حفرة من الانهيار وكانت بينها وبين السـقوط قاب قوسين أوأدنى فبدأ الشباب بتوعية الناس وحثهم على النهوض بالواقع ونبذ التخلف والتسـلط علمآ بأن بغداد كانت أقرب من مدينة اسـطنبول لآيصـال صـوت المناضلـين الى كوردستان الجنوبية لذا قام (جمال الدين بابان) بأصدار مجلة بأسم (بانك كورد – نداء الكورد) في ٢٦من كانون الثاني عام ١٩١٤م وهذا يفند ما يذكره البعض بـأن اصدار أول صحيفة كورديـة في العراق كانت على يد الانكليز.

كانـت مجلـة (نـداء الكورد) مجلة ادبية نصف شـهرية تصدر باللغتـين الكوردية والتركية وبعد صدور العدد الخامس منها توقفت عن الصدور بسـبب اندلاع الحرب العالمية الاولى واسـتدعاء صاحبها لخدمـة الجيش بصفـة ضابط في الجيش.

وقد اسـهم الكثير مـن الكتاب بمقالاتهم وبحوثهم في اغناء المجلة

ومنهم (شوكرى فضلي، صدقي سليمان توفيق ، خاكي بغدادي ،علي بابير ئاغا، بهاءالدين شيخ نوري وغيرهم).

و(نداء الكورد) هذه اهتمت بالمواضيع الادبية والعلمية وقضايا الشعب الكوردي ومسألة مكافحة الامية ونشر الوعي وتشجيع التعليم وحث الاباء على ارسال اولادهم الى المدارس لغرض انشاء جيل متعلم يخدم الشعب الكوردي.

المبحث الثالث:

مكانة ودور مجلة (نداء الكورد)

صدرت المجلة في ظل ظروف عصيبة وحساسة بالنسبة للعراق عامة وللشعب الكوردي خاصة حيث كانت الاحداث تجري بسرعة في المنطقة وكانت المنطقة تتهيأ لاتون الحرب.

وكان اصدار مجلة في تلك المرحلة على يد شاب يعيش بعيدآ عن كنف آبائه وعقر داره أمرآ صعبآ ، بل ثورة كبيرة وصفحة جديدة في تأريخ الصحافة الكوردية.

ان صدور هذه المجلة وبهذه الامكانات المتواضعة وبالاعتماد على التمويل الذاتي جدير بالثناء والتقدير. وكان صدى هذا الاصدار له الاثر الكبير والعميق في صدور ابناء شعبنا وخاصة في تلك المرحلة عينها وكذلك العمل الشاق والدؤوب لاسرة تحرير المجلة ونفسهم الطويل وكفاحهم وصمودهم من اجل ايصال الكلمة الكوردية الى ابناء الشعب الكوردي وتوعيتهم وزرع بذور الوطنية والكفاح من اجل مقاومة المحتلين والطامعين في ارض كوردستان.

لقدكانت ابواب صفحات المجلة موزعة ومنشورة باللغتين الكوردية والتركية وكانت المواضيع التركيةاكبر من المواضيع المنشورة باللغة الكورديةوكان لذلك اسبابه ودوافعه منها ان اللغة الرسمية في تلك المرحلة هي التركية وكان لابد من ايصال صوت الشعب الكوردي الى السشعب التركي لكي يكونوا على بينة من قضايا الشعب الكوردي العادلة.

المبحث الرابع: الصحافة الكوردية أثناء الاحتلال البريطاني وبعده

بعد ان وطئت اقدام الانكليز ارض البصرة في ٢٢ت ١ عام ١٩١٤م وبعد سقوط الدولة العثمانيةأعلنوا(وكما هي عادتهم دومآ) بأنهم جاءوا الى العراق محررين لا فاتحين ومحتلين وكانت سياسة حكومة بريطانيا العظمى آنذاك الاهتمام بأمور الشعب ورعاية احوالهم وايجاد الحلول المناسبة لهم جراء السياسة العوجاء للدولة العثمانية وما آلت اليه أمور وشؤون البلد لذا أولت بريطانيا اهتمامآ كبيرآ بالدعاية والصحافة واظهار الجانب المشرق لسياستهم وتهدئة غضب ونقمة الجماهير خاصة بعد ان دب في نفوس العراقيين بأن الانكليز هم كفرة وغزاة لذا نرى حكومة بريطانيا العظمى(والتي لا تغيب الشمس عن اراضيها كما كانت شائعة آنذاك) تهتم بالجانب الدعائي لنشر افكارها وسياستها تجاه الشعب العراقي، وسرعان ما التفت _الانكليز- الى كوردستان والى الشعب الكوردي محققين بذلك مكاسب جديدة لاسترضاء الشعب وما ان احتلوا البصرة حتى اصبحت هذه المدينة أشبه ما يكون مقرآ عسكريآ واعلاميآ لها في آن واحد.

وبعد احتلال مدينة بغداد في آذار عام ١٩١٧ توسع نشاطهم الاعلامي فاصدروا الكثير من الصحف والمطبوعات منها جريدة(العرب) و(بغداد تايمز) الناطقة بالانكليزية و(ايران) بالفارسية و(تيكه يشتنى راستى — فهم الحقيقة) باللغة الكوردية.

كانت هذه الصحف مكرسة لتحقيق اهداف وغايات المحتل البريطاني ولواختلفت مواضيع وسياسة الواحدة عن الاخرى.

ان صدور هذا الكم الهائل من الصحف في تلك المرحلة العصيبة من حياة الشعب العراقي كان له الاثر الكبير والدور الريادي في

تطور الحركة الصحفية في العراق وكوردستان، صحيح انها كانت صحف المحتل وبوقها الكبير الا انها لعبت دوراً مهماً في تلك الفترة وخاصة صحيفة (تيكه يشتنى راستى) والتي نأت على بحثه لاحقاًوالدور الذي لعبته في اغناء المكتبة الكوردية و تأريخ الصحافة الكوردية.

المبحث الخامس

(تيكه يشتنى راستى - فهم الحقيقة)

لاتحمل الصحيفة اسم أي شخص من الذين ساهموا في اصدارها ولكن هناك حقيقة ساطعة وغير قابلة للتأويل أو الشك أن شخصاً معيناً كان وراء اصدارها.

لقد كان أحد المسؤولين الانكليز قبل نشوب الحرب العالمية الاولى بسنوات قد زار اراضي شرقي كوردستان بصفة تاجر وكان يرتدي الملابس الكوردية ويجيداللغة الكوردية بطلاقة وامضى فترة طويلة في مناطق كرمنشاه وكوردستان الشرقية قبل أن يكتشف سره حيث كان الهدف من تنكره دراسة وضع المنطقة وارسالها الى لندن وكان على اطلاع واسع بأحوال الشعب الكوردي ومتعمقاً في ثقافته وحالته الاجتماعية ، وقبل اندلاع الحرب الكونية الاولى نشر في لندن عدة دراسات وبحوث عن حياة الشعب الكوردي وقواعد اللغة الكوردية ولهجاتها اضافة الى المامه الكبير بشؤون الصحافة وكان يدعى (الميجر سون) المشهور في تأريخ الشعب الكوردي في أثناء الاحتلال البريطاني لكوردستان العراق.

لذا نرى ان امر اصدار الصحيفة قد انيطت الى المسؤول البريطاني والمتخصص في الشؤون الكوردية ، لذا دأب (الميجر سون) وكعادته على اصدار الصحيفة في بغداد وباللغة الكوردية وسماه (تيكه يشتنى راستى _فهم الحقيقة) لكي يدرك الناس حقيقة واحقية الانكليز وزيف ادعاءات الدولة العثمانية المنهارة.

وقبل صدور الصحيفة كنا قد اشرنا الى صدور مجلة كوردية من قبل جمال الدين بابان في بغداد قبيل الحرب بأسم (بانك كرد_ نداء الكورد) الا انه اضطر لوقف نشاطه الصحفي مع اندلاع شرارة الحرب الكونية الاولى وسوقه الى ميادين القتال كضابط في الجيش.

وكان الهدف من صدور (تيكه يشتنى راستى) هوكسب الشعب الكوردي استرضاءه ومجاملته الى حد ما ومن اجل هذا نشرت الصحيفة منذ العدد الاول مقالات وكتابات حول موقف بريطانيا من القضية الكوردية والجهود الحثيثة التي يقوم بها من اجل الشعب الكوردي وفضح سياسة العثمانيين وجلبهم الخراب والفساد للشعب لذا نرى ان اسم الصحيفة كانت مطابقة لسياسة بريطانيا واهدافها في المنطقة وقد حاولت الجريدة من خلال كتاباتها اثارة الشعور القومي للشعب الكوردي بما يخدم مسيرة بريطانيا وما يريدون تحقيقه في كوردستان ولا سيما ادعائهم بان الانكليز هم اصدقاء الكورد.

لقد صدر العدد الاول من الصحيفة في ١امن ك٢ من عام ١٩١٨ وقد امضى في الصدور أكثر من عام وصدر منها ٦٧ عدداً وكانت ترافق كل عدد افتتاحية تمجد الانكليز ودورهم الريادي في تخليص الشعب من براثن من كانت تسول لهم انفسهم ايذاء الشعب وكبح طموحاته وامانيه المشروعة اضافة الى دور الشاعرالكوردي (شوكرى فضلي) وعدد من الادباء والشعراء بنتاجاتهم الغنية ..

ان ل (فهم الحقيقة) مكانة كبيرة في تأريخ الصحافة الكوردية حيثُ كانت تصدر اسبوعياً وبشكل منتظم وكانت اول صحيفة كوردية تنشر الاعلانات والريبورتاجات الصحفية وكذلك كانت اول صحيفة مصورة كوردية تعنى بالشؤون الكوردية ونتاج الادباء والشعراء الكورد اضافة الى متانة لغتها واستخدامها الاسلوب

الصحفي في العمل وانتهى عمر الصحيفة مع اصدار اول صحيفة كوردية في مدينة السليمانية وتحت اسم (بيشكه وتن - التقدم) لسان حال الحكومة البريطانية في كوردستان.(كتاب تيكه يشتنى راستى - د. كمال مظهر)

المبحث السادس
الصحافة ما بين الحربين العالميتين الكارثيتين

أنطفاء شمعة (فهم الحقيقة) التي تحدثنا عنها بشيء من الاسهاب برزت صحيفة اخرى نابعة من أعماق كوردستان ولكنها لسان حال المحتل الا وهي صحيفة (بيشكه وتن _التقدم)وهي اول صحيفة

كوردية تصدر في كوردستان العراق وبالتحديد في مدينة

السليمانيةوهي من اصدارات بلدية السليمانيةوصدر منها (١١٨)عدداً وكانت تحت اشراف الاحتلال البريطاني وكانت تنشرالمواضيع الادبية والثقافية اضافة الى المواضيع التي تخص الوضع السائد ودورالحلفاء في الحرب وكان (مير مصطفى باشا يامولكي)صاحب امتيازهاورئيس تحريرها وقد استمرت صدورها بين الاعوام(١٩٢٠-١٩٢٢).

وفي عهد ولاية وحكومة الشيخ محمود الحفيد صدرت عدة صحف منها علنية واخرى سرية كما في صحيفة(بانكى حه ق _نداء الحق) الذي صدرت منها ثلاث اعداد فقط في كهف(جاسه نه)عندما غادر الشيخ محمود الحفيدالسليمانية ووقف ضد مشروع الاحتلال بعد ان تيقن بان الانكليز يراوغون في حل المسألة الكوردية وصدرت قبلها صحف(بانكىكوردستان_ نداءكوردستان،روزىكوردستان_ شمس كوردستان) وبعدها صدرت صحيفة(ئوميدىاستقلال_أمل

الاستقلال)وكل هذه الصحف كانت لسان حال حركة التحرر الكوردى وامنيات وتطلع الشعب الكوردى بقيادة الشيخ الخالد نحو استقلال الكورد وحريتهم.

وبعد الاطاحة بحكومة الشيخ محمود الحفيد توالت صدور الصحف هنا وهناك ولا مجال لسردها هنا بالتفصيل ومنها (زيانه وه_الانبعاث، زيان-الحياة، كركوك، زين، ديارى كوردستان، به يزه، زارى كرمانجى، روناكى، كلاويز) وغيرها.

الفصل الخامس
الصحافة الكورديةفي ما بعد الحرب العالمية الثانية

وفي اثناء الحرب العالمية الثانية وضمن السياسة الثابتة للاحتلال تم اصدار عدة مطبوعات تخدم قضيتهم وتروج سياسة الاحتلال والمحتلين الا انهم في الوقت نفسه خدموا الثقافة والادب والصحافة الكوردية عن طريق نشر المقالات ونتاج الادباء والكتاب الكورد ،ويجب ان لاننسى حقيقة ساطعةهي انه في تلك الفترة لم تكن هناك امكانيات كافية لدى الكتاب الكورد لنشر كتاباتهم ودراساتهم المتنوعة بشكل كتاب لان مسألة طبع الكتب كانت مكلفة جداً في تلك الفترة ولم يكن بأستطاعتهم طبع نتاجهم لذا كانوا مضطرين الى نشر ما يجول في خاطرهم وما يبدعون من افكار في الصحف والمجلات لآنها لاتكلفهم شيئآ يذكر ،لذا كانت اسهامات الصحف والمطبوعات في هذا الشأن كبيرآ جدآ اضافة الى انها القناة والوسيلة الوحيدة لايصال نتاج الادباء الى القارىء الكوردي .

صدرت عدة صحف ومجلات في تلك المرحلة ومنها(ده نكي كيتى تازه_صدى العالم الجديد،به يام_ الرسالة...وغيرها)

وبعد انتهاء الحرب الكونية الثانية شمر الكتاب الكورد عن سواعدهم وبدؤوا بأصدار المطبوعات وخاصة ان سنوات ما بعد الحرب شهدت نوعآ من الانفراج والحرية فتم اصدار الكثير منه وعلى سبيل المثال لا للحصر(هه ولير_أربيل،راى كه

ل_رأ ي الشعب،ئازادى_الحرية،خه بات_النضال،بروا_المبدأ،برايه تى_ الاخوة،نزار_الغابة، ئيره به غدايه_ هنا بغداد ،هة تاو_الشمس وغيرها).

وقد خطت الصحافة الكوردية في تلك المرحلة خطوات جيدة في سبيل ايصال اماني وتطلعات الشعب الكوردي الى القائمين على الحكم وكذلك تنوير وتثقيف الشعب واحاطته بما يجري حوله وطرح الكثير من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية امام انظار الملآ ليكون على علم بذلك ومنها مسألة الاقطاع وقلة المدارس والمستشفيات والمصانع في كوردستان وعدم الاهتمام بالطرق والجسور ورفع مظلومية الشعب الى المسؤولين لحلها واتخاذ الاجراءات اللازمة والضرورية بشأنها .ومع بدء الحركة االثورية المسلحة للشعب الكوردي اتخذت الصحف موقفآ ثابتآ وداعما للحركة الكوردية بأعتبارها الوسيلة الوحيدة والحل اللازم لانهاء معاناة الشعب فتصدرت عناوين الصحف وأحيانآ بشكل جرىء ما يقوم به الثوار ونشاطاتهم داعيآ في الوقت نفسه الحكومة المركزية الى وضع الحلول المناسبة وانهاء القتال في ربوع كوردستان العزيزة والوصول الى حل جذري وشامل لكل افرازات الحرب وما نتج عنها من تشريد وتجويع للشعب وتعويض ما تم فقدانه وكذلك فتح المدارس والمصانع في كوردستان وايجاد فرص العمل ومد شبكات المياه والكهرباء وتبليط الطرق وغير ذلك.

والجدير بالمناسبة ان اغلب تلك الصحف كانت تصدر في بغداد والبعض منها كانت تصدر في مدينة السليمانية وخاصة في منتصف ونهاية الستينيات الى ان اعلن البيان التأريخي في ١١ آذار عام ١٩٧٠م.

الفصل السادس
الصحافة الكوردية المعاصرة

المبحث الأول:
الصحافة في فترة الازدهار والانتعاش

بعد اعلان بيان الحادي عشر من آذار عام (١٩٧٠) والتي بموجبه منح الكورد نوعآ نسبيآ من أجواء الحرية والديموقراطية والانتعاش و البدء بمرحلة جديدة في حياة الشعب الكوردي من النواحي السياسية والاقتصادية والعمرانية بعد حقبة من الخراب والتدمير والقتال التي تعرضت لها كوردستان جراء القتال والتي لم تشهده أية منطقة في العالم فبدأت الحركة والعمران تدب في أرجاء المنطقة وتنفس الناس الصعداء وكان انعكاس هذه المرحلة كبيرآ على الحركة الثقافية والادبية في كوردستان ومنها افتتاح قناة تلفزيونية ناطقة باللغة الكوردية في محافظة كركوك وتأسيس دار الثقافة والنشر الكوردية وأصدار جريدة يومية بأسم (هاوكارى_ التضامن) مع مجموعة من الاصدارات والمجلات ومنها (به يان _ روشنبيري نوى _ المثقف الجديد) وكان لجمعية الثقافة الكوردية في بغداد الدور الريادي في نهضة الصحافة الكوردية لما لها من نشاط ثقافي وادبي كبيرين اضافة الى اصدار مجلة بأسم (روزي كوردستان_ شمس كوردستان) وكان من ثمار البيان الآذاري بث الروح في عدة مؤسسات ثقافية وأدبية كانت قد جمدت أو توقفت نشاطاتهم نتيجة الوضع المتوتر في كوردستان قبيل بيان آذار التأريخي ومنها تنشيط وتفعيل اتحاد الآدباء الكورد وجمعية الثقافة والفنون الكوردية وتأسيس المجمع العلمي الكوردي جنبآ الى جنب مع المجمع العلمي العراقي ، كل ما ذكر غيض من فيض من نتاج هذا البيان والذي اثمر عن انتعاش الصحافة سواء في بغداد العاصمة أو في مدن وقصبات كوردستان العزيزة ويجب أن لا ننسى أن لجماعة (روانكه_ المرصد) التي تأسست في نيسان

عام (١٩٧٠م) دورهم الكبير والمؤثر في الساحة الادبية والاعلامية بالاضافة الى دور الجماعة وتأهيلهم واسهاماتهم الرائعة في مجالي الادب والصحافة.

لقد كان دور صحيفة (هاوكارى) وعبر مؤسستها دار (هاوكارى) للصحافة والنشر دوراً كبيراً في ايصال صوت الشعب الكوردي الى العالم وأحتواء الكثير من الادباء والصحفيين حوله ونشر نتاجاتهم وما كتب بأناملهم المبدعة فكانت بحق مدرسة كبيرة لكل الصحفيين والكتاب الكورد وكذلك يجب أن لا ننسى دور جريدة (التآخي) لسان حال الحزب الديمقراطي الكوردستاني الكبير في الساحة وما كانت تنشره ولحث الخطى في سبيل توعية الجماهير وشحذ الهمم من أجل الارتقاء بالصحافة الكورية وتوعية المجتمع نحو بناء مؤسسات

ديمقراطية وتوحيد صفوف الشعب والسعي الحثيث لأجل بناء كوردستان مزدهرة ومتطورة .

المبحث الثاني

فترة ما بعد تحريركوردستان

شهدت منطقة كوردستان بعد فشل المباحثات بين الكورد والحكومة المركزية بعد العام (١٩٧٤م) نوعآ من الجمود والانحباس الثقافي والفكري نتيجة ما آ لت اليه المنطقة وبدء الثورة الجديدة لشعب كوردستان واندلاع الحرب العراقية الايرانية التي استمرت قرابة ثماني سنوات وما جرته من الخسائر المادية والبشرية وانعدام الاستقرار في المنطقة التي انعكست ظلالها على كوردستان فشهدت نوعآ من التشتت الفكري والثقافي، كما أن غزو الكويت في(الثاني من شهر آب ١٩٩٠م) زاد الطين بلة وأدى الى قيام الانتفاضة في آذار ١٩٩١م حيث أسس مجتمع المؤسسات في كوردستان واصبحت كوردستان منطقة تتمع بالأستقلال والحكومة الديمقراطية والبرلمان الكوردي مما حدا بالمثقفين والادباء الى ان يشمروا عن سواعدهم لبناء المؤسسات الصحفية في كوردستان ونتيجة للجو الديمقراطي الذي شهدته المنطقة بعد الانتفاضة والذي ادى الى اتساع رقعة الصحافة وبدء صفحة جديدة في تأريخ السلطة الرابعة والتطور التي شهدته المنطقة نتيجة الاستقرار فتم اصدار العديد من الصحف والمجلات الكوردية والعربية وكذلك افتتاح الكثير من المؤسسات التي تعنى بالصحافة ومنها على سبيل المثال لا االحصر (مؤسسة برايه تي _ التأخي_أربيل) وكانت تصدر صحيفة (برايه تي) لسان حال الحزب الديمقراطي الكوردستاني والتي أصبحت فيما بعد (خه بات _ النضال) و(كوردستاني نوي_ كوردستان الجديدة) لسان حال الاتحاد الوطني الكوردستاني ومؤسستي (خاك _الأرض) و(رامان)اضافة الى العديد من الصحف والمجلات للمنظمات والاحزاب المعروفة في الساحة.

وبعد دخول القوات المتحالفة عام(٢٠٠٣)م الى العراق وانهيار النظام السابق بدأت صفحة جديدة من حياة السلطة الرابعة في العراق عامة و كوردستان بشكل خاص أثر توافر جو من الشفافية والديمقراطية والحرية

المبحث الثالث

الصحافة الكوردية المعاصرة

بعد(٢٠٠٣/٤/٩) وعلى أثر سقوط النظام السابق فتحت أبواب وآمال مشرقة وآفاق رحبة أمام الشعب العر اقي بكافة أطيافه ومكوناته واقلياته لكي يتنفس الصعداء وفتحت صفحة جديدة تدعو الى طي الماضي وعدم تهميش الآخر بهدف بناء عراق مزدهر ومشرق خال من الحروب والدمار والويلات فشمر العراقيون عن سواعدهم واتخذوا نهج الفريق الواحد للبناءوكل من موقعه وحسب تخصصه وامكاناته

وكفاءته فبدأت مرحلة جديدة في تأريخ العراق المعاصر لذا كان على السلطة الرابعة أن تأخذ موقعها الريادي والمشرف في هذه العملية وان تلعب دور الأب والراعي والصائن على المصالح العليا للشعب العراقي وأخذت زمام المبادرة فبدأت الصحف والمجلات تغزو المكتبات العراقية وبدأت المؤسسات الصحفية ودور النشر والطباعة بطبع ما لم يمكن طبعه وحدثت ثورة كبيرة وشاملة في مجال الصحافة حيث وصل الامر وبحسب الاحصائيات الدقيقة الى أن في العام (٢٠٠٤) كان يصدر في العراق أكثر من (١٧٥) صحيفة ومجلة بعد ان كانت في العام (٢٠٠٣)لا يتجاوز عددها أصابع اليد وفي الوقت نفسه اسست شبكة الاعلام العراقية وعبر صحيفتها شبه الرسمية (الصباح) الناطقة بأسم الحكومة المنتخبة والتي كانت تسمى في مراحلها الاولى (مجلس الحكم).

وفي كوردستان وبرغم أن المنطقة كانت تتمتع الى حد كبير بنوع من الحرية والديمقراطية ومؤسسات المجتمع المدني كانت الصحافة الكوردية قد مرت بالتجربة نفسها وقد قطعت اشواطآ طويلة في هذا المضمار الا أن الاحداث التي توالت وقد أثرت بشكل ايجابي وبشكل وآخر على مسيرة الصحافة الكوردية.

ومن المجزات الكبيرة التي تحققت للصحافة الكوردية عام (٢٠٠٣)هو اعادة كافة مؤسسات وممتلكات دار التآخي للنشر والصحافة الى أصحابها وبدأت صحيفة (التآخي) بالصدور مرة اخرى وبحلة جديدة واشرف على تحريرها نخبة جيدة من كبار الصحفيين الكورد ممن لهم باع طويل في هذا المجال ومنهم على سبيل المثال(فلك الدين كاكه يي، محمد البدري ، حسين الجاف،فؤاد حمه خورشيد،بدرخان السندي)، وفي الوقت نفسه صدرت صحيفة (الاتحاد) باللغة العربية لسان حال الاتحاد الوطني الكوردستاني في بغداد وقد شارك مجموعة خيرة من الصحفيين في تحريرها ومنهم(كمال فؤاد، فرياد راوندوزى، مصطفى صالح كريم، عبدالهادي مهدي) وغيرهم.

هذا في بغداد،أما في كوردستان وباقي المناطق الكوردية فقد تم اصدار عشرات الصحف والمجلات الكوردية حتى بلغ الامر ان كل قضاء وناحية وكل منظمة وجمعية تصدر اكثر من مطبوع كما انه في العام (٢٠٠٤) كانت تصدر في هه ولير اكثر من(٣٦) مجلة بين اسبوعية وشهرية اضافة الى المطبوعات التخصصية وفي شتى مجالات العلم والمعرفة وقد تأسست وتطورت المؤسسات الصحفية والتي ذكرنا قسمآ منها فقد حدثت تطورات في مؤسسة (خه بات)ونالت الدعم الكبير من القيادة الكوردية فأصدرت صحيفة (خه بات_ النضال) والتي أشرنا اليها سابقآ ومجلة (كولان) وهي اسبوعية ومجلات (رامان ، هه ريمى كوردستان، ميرك ، كومبيوتر، هه نك، هيلانه ى مندالان،وغيرها) ويجب ان لاننسى أن صحفآ جديدة تم اصدارها مثل (ميديا، ريكاى كوردستان، جه ماور)وتم استحداث مؤسسات خاصة مثل (مؤسسة موكريانى، مؤسسة ئاراس، دار الترجمة، المجمع العلمي الكوردستاني) هذا في اربيل وفي السليمانية صدرت و استمرت بالصدور (كوردستانى نوى ، ئالاى ئازادى ،خاك، سيخورمه،جاودير، به يف، وغيرها) وكذلك تم انشاء الكثير من المؤسسات الصحفية والثقافية والفنية ومنها (مؤسسة سردم للنشر والطباعة)والتي تصدر مجلتي (سردم)بالكوردية والعربية ومجلة (ئايينده- المستقبل) و (مندالانى سردم) اضافة الى العشرات من الكتب والمطبوعات، ودار الترجمة ومكتب الدراسات والبحوث .

والجدير بالذكر أن تحولآ كبيرآ

طرأ على الصحافة الكوردية وقفزة نوعية لم تشهدها من قبل هو ظهور الصحافة الأهلية الحرة وقد أخذت تلعب دوراً كبيراً في توعية المواطنين ولفت أنظارهم الى السلبيات الموجودة وانتقاد الحكومة لكي تغير من برامجها وقد تمكنت هذه الصحف من احتلال مساحة واسعة في الصحافة حتى وصل الامر الى طبع العدد الواحد اكثر من مرة وغالباً ما كانت صحف سياسية حرة منتقدة للسلطة كصحيفة(هاولاتى _ المواطن) الذائعة الصيت والتي تباع منها حالياً(١٤٠٠٠) نسخة وهي شبه يومية وكذلك زميلتها(ئاوينه_ المرآة) وهي صحيفة اسبوعية اهلية تصدر في السليمانية مثل (هاولاتي).

وفي كركوك تصدر حالياً العشرات من الصحف والمجلات منها السياسية ومنها الثقافية والفنية ومنها ما تصدر بأسم منظمات وقسم آخر شبه اهلية ومستقلة ومنها (هه وال - النبأ) الصحيفة الاسبوعية السياسية التي تصدر عن مؤسسة (هه وال) وكذلك صحيفة (النبأ) وهي سياسية اسبوعية ناطقة باللغة العربية و (نيركال) بالاشورية، (آينا) بالتركمانية وهي اسبوعية ايضاً، وتصدر المركزالثاني للاتحاد الوطني الكوردستاني صحيفة (كركوكى نوى) بالكوردية وهي نصف شهرية ومجلة (كركوك الجديدة) وكانت سابقاً صحيفة نصف شهرية وعن بلدية كركوك (شار - المدينة) بالكوردية والعربية والتركمانية والاشورية ومؤسسة (روز) للدفاع عن المرأة مجلة (كومارى روز - جمهورية روز) اضافة الى صحيفة (به يامى كه ركوك _ رسالة كركوك) وهي صحيفة نصف شهرية تصدر باللغة الكوردية لسان حال المركزالثالث للحزب الديمقراطي الكوردستاني و(باسه ره)عن مؤسسة (شه فه ق) وتصدر ايضاً مجلة شهرية بأسم (نه وشه فه ق) وهي ادبية ثقافية، هذا بالاضافة الى مجلة خاصة بالاطفال بأسم(مندالانى بابا كوركور).

ان الكم الهائل من الصحف والمطبوعات التي تصدر باللغة الكوردية هي بالتأكيد أغناء للمسيرة الثقافية والصحفية ومرآة تعكس الفضاء الحر والشفافية التي بدأت تغطي المساحة الثقافية وتعبر عن حجم الحرية والامكانات البشرية في اغناء المسيرة ومما لا يقبل الشك بأن انشاء نقابة الصحفيين في كوردستان واقرار قانون نقابة الصحفيين في المجلس الوطني الكوردستاني خير دليل على المستوى التي وصلت اليه صاحبة الجلالة وبذلك اكدت الصحافة مرة اخرى بأنها مسيرة المتاعب وبأنها سوف تواصل الخطى وبلا تردد من اجل ايصال رسالتها الى الملأ وبأن الصحافة جزء لا يتجزأ من ارض الواقع وأنها المرآة التي ترى فيها حضارة الامة ورقييها وتطورها.

الخلاصة

يتناول هذا البحث بشيء من الاسهاب تأريخ الصحافة الكوردية وما آلت اليه والمعوقات والصعوبات التي مرت عليها طيلة ال(١١٠) السنة الماضية ودور رجال الصحافة والمثقفين الكورد في أغناء المسيرة الصحفية الكوردية ورفد المسيرة بأجيال من الكبارالذين ما زالوا كأنجم السماء ينيرون الدرب للأجيال اللاحقة.

ويتضمن البحث مقدمة وتوطئة و أربعة فصول ولكل فصل عدة مباحث مع خلاصة باللغتين العربية والانكليزية ، فيتناول الفصل الاول ميلاد ونشأة الصحافة الكوردية والتي تتمثل بصحيفة (كوردستان) أول صحيفة كوردية وكذلك الاسباب والمبررات لنشأتها بعيداً عن كوردستان الام ، ويتناول الفصل الثاني ميلاد أول مجلة كوردية في مدينة اسطنبول التركية بأسم (روزى كورد_ شمس الكورد) ودورها في الصحافة الكوردية

واهميتها في مسيرة تأريخ الشعب الكوردي ويتناول الفصل الثالث الصحافة الكوردية في العراق منذ اصدار اول مجلة كوردية (١٩١٤) في بغداد بأسم (بانكى كورد_نداء الكورد)والمسيرة الصحفية في العراق ثم تأتي الصحافة المعاصرة ودوره في الحياة السياسية والثقافية والتي يتناوله الفصل الرابع والاخير من هذا البحث اضافة الى قائمة بالمصادر التي كانت خير عون لكتابة هذا البحث والله الموفق .

المصادر

١- كمال فؤاد، كوردستان، أول صحيفة كوردية (بالكوردية)، بغداد، ١٩٧٢.

٢- عبدالله زنكنه، روزى كورد ،مؤسسة زين، السليمانية، ٢٠٠٥.

٣- جبار الجباري، الصحافة الكوردية في العراق، بغداد، ١٩٧٤.

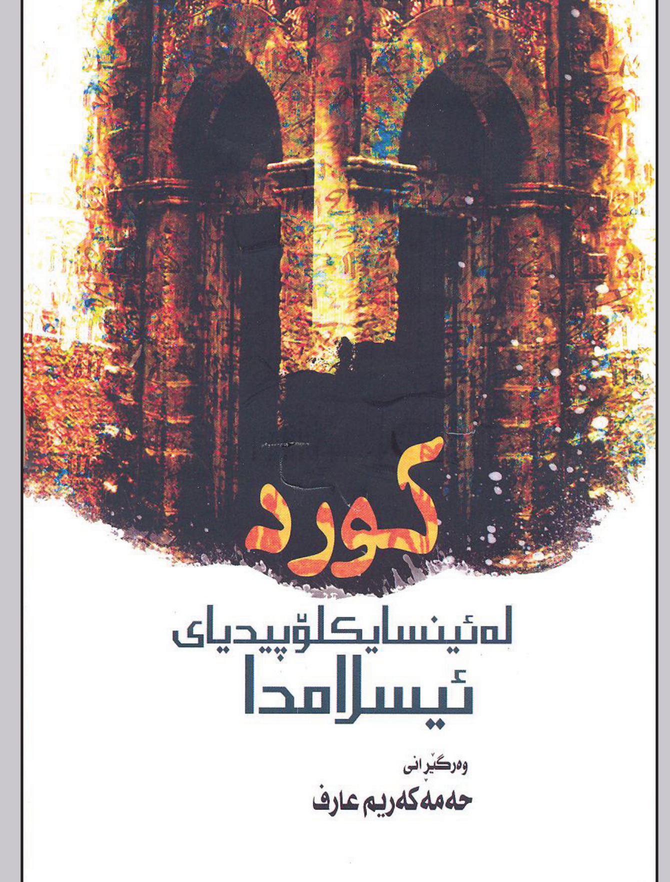
٤- كمال مظهر، تيكه يشتنى راستى (فهم الحقيقة)، بغداد، ١٩٧٨.

٥- زاهدة ابراهيم ،كشاف الصحف والمجلات العراقية، بغداد، ١٩٧٦.

٦- رفيق صالح، روزنامەى سەردە مى شيخ محمود، سليمانية، ٢٠٠١

٧- فاروق علي عمر،الصحافة الكوردية العراقية،اربيل،٢٠٠١.

٨- جمال خه زندار،روزى كورد،بغداد،١٩٨١.



الكورد
في الموسوعة الاسلامية

ترجمة: حمه كريم عارف
من مطبوعات دار سردم للطباعة والنشر
سليمانية - ٢٠١٠

فجر الثقافة السريانية

فؤاد يوسف قزانجي

المدخل

أشرق فجر اللغة والثقافة السريانية في مدينة اورهوي (الرها) التي كانت عاصمة مملكة ارامية صغيرة تدعى اسرهوينا التي قامت بين الاعوام (١٣٢ قبل الميلاد-٢١٠ ميلادية) وذلك في نهاية العصر السلوقي حينما سميت اورهوي (اديسا). وقعت اورهوي بايدي الفرثيين لفترة قصيرة، واحتلها بعد ذلك الرومان في عهد الامبراطور كركلا عام ٢١٠م وجعلوها مستوطنة تابعة لهم. ومن الجدير بالذكر ان اسم المدينة عند المؤرخ ديودورس الصقلي اريخ اي اوروك او نمرود، ومازال الجبل الذي تقع بجانبه المدينة يسمى (عرش نمرود)

دخلت المسيحية الى الرها في نفس الوقت الذي دخلت فيه الى انطاكيا وذلك في اواخر القرن الاول للميلاد. وكان قد اهتدى الى المسيحية اخر ملوك مملكة اسرهوينة او اورهوي وهو ابجر التاسع اوكاما ، الذي حكم خلال السنوات ١٧٩-٢١٠م وذلك اثناء زيارته الى روما في عام ٢٠٢م. كان اهالي اورهوي قد بدأوا يتحدثون بالعامية الارامية التي تحولت تدريجيا الى اللغة السريانية. اما المسيحيون منهم فقد قبلوا هذه اللغة المشتقة من السريانية لكي يختلفوا عن بقية الاراميين الوثنيين في المدينة. ولقد وجد في آثار المدينة مايقرب من ٦٠ نقشا سريانيا مسيحيا وغنوصيا ووثنيا تعود معظمها الى النصف الثاني من القرن الاول، من بينها نص ظهر بعد الفيضان الذي حاق بالمدينة عام ٢٠١ اشار فيه الى دمار كنيسة للمسيحيين في هذا الفيضان. كما وجد بين هذه النقوش اشعار للملك سليمان وبعض حكم احيقار وبعض من رسائل توما الرسول تشير الى رحيله الى الهند للدعوة الى المسيحية.(١) كما وجد نقش او كتابة تسمى (قبرية ابريكوس) الذي كان مطران مدينة هيرابوليس في اسيا الصغرى مقابل اليونان. حيث كان قد زار في نهاية القرن الثاني بعض المدن في الشرق، والنص يذكر:"رايت سهول السريان وجميع المدن حتى نصيبين وقطعت الفرات، ووجدت المسيحيين في كل مكان كنت اتحدث فيه.ويؤكد الباحث ديرنكر انه قد عثر على اثر للخط السرياني يعود الى بداية القرن الاول، وذلك في انقاض دير مار يعقوب ذي القبور في جبل الرها، حيث وجد نقش

على لوح حجري مكتوب عليه اسم الملكة (شدان) ملكة حدياب، التي كانت تضم مدن اربيلا وماحوزا وحزة وغيرها بين ٥٠ ق.م.- ١١٦ م.

تنتمي اللغة الارامية الى عائلة اللغات السامية ، وقد تطورت كتابتها في القرن العاشر او التاسع قبل الميلاد، بعد ان استفادت من الابجدية الفينيقية، وكونت ابجديتها. اما تاريخ الاراميين فيعود الى القرن الثاني عشر او الحادي عشر قبل الميلاد، هاجرت قبائلهم من السهوب والبراري الفلسطينية والسورية الى داخل سورية، ربما لحدوث جفاف في مناطقهم ادى الى هجرتهم كلهم الى الاراضي السورية التي تقع بقرب الانهار، وكانت هجرتهم من الكثرة والاتساع بحيث سميت منطقة شمال كنعان ببلاد ارام ولفترة طويلة. ان اول نص باللغة الارامية عثرعليه يرقى الى القرن العاشر ق.م. وقد ظلت مجموعات بشرية عديدة تتحدث بالارامية في الهلال الخصيب حتى القرن الاول للميلاد .وبعد هذا القرن تحولت الى اللغة السريانية التي اصبحت لغة المسيحيين في سوريا والعراق ولبنان وفلسطين ومصر. وظل المسيحيون في سوريا ولبنان وفلسطين والجزيرة حتى القرن الثالث عشر، اما في العراق فقد استمر معظم المسيحيين يتحدثون باللغة السريانية حتى الوقت الحاضر. وظل عطاء الاديرة العراقية مستمرا في الثقافة السريانية حتى اليوم رغم ماعانته من مصاعب وتجاوزات.اما المسيحيون في مصر فانهم فضلوا الاستقلال عن المشرقيين السريان منذ القرن الخامس والتعامل باللغة القبطية، لكن بعد قرنين اوثلاثة فقدوا اللغتين السريانية والقبطية . ومن الجدير بالذكر ان الباحث ديرنكر، يشير الى ان اول اثر للخط السرياني يعود الى بداية المسيحية، فقد عثر على نص له في انقاض دير مار يعقوب ذي القبور.

بدات المسيحية بالانتشار في مدن انطاكيا والرها وافسس ونصيبين وبصرى وسرجيوبوليس في سوريا، ومدن ماردين وامد وراس العين في الجزيرة، وكذلك في مدن سلوقية ومنطقة حدياب او ارض الاشوريين وفي حيرتا (الحيرة) وكشكر ودير قنى وفرات- ميشان وبيت- لافاط (جنديشابور) وغيرها في العراق بالاضافة الى قطرايي (قطر) والبحرين والقدس وغزا وغيرها. وكان قد رحل القديس توما احد تلاميذ المسيح الى حدياب ومنها الى الهند. كما سافر مار ادي ومار ماري للدعوة المسيحية في العراق وجنوب غربي ايران (اي منطقة ميشان او بيت هوزاي)، كما ذكر في تاريخ يوسابيوس القيصري ،وان المسيحية وصلت عن طريق هذين الداعيين الى اقامة كنيسة في قرية كوخي في ساليق (٢) ومصادر اخرى تذكر ان اول مدينة مسيحية في العراق كانت كشكر.(٣)التي كانت من اكبر المدن العراقية انذاك.

وفي النصف الثاني من القرن الرابع بشر الناسك السرياني الاسقف عبديشوع القناني في قطرايا، واقام ديرا فيها باسم مار توما الرسول ضم بين جدرانه مائتي راهب. وفي عام ٣٠٧ اصبحت مدينة جدرة (ام قيس) في الاردن كرسيا اسقفيا، وقد حضر اسقفها سابيوس مجمع نيقية عام ٣٢٥، كما حضره مار نبتس اسقف تدمر، وكذلك نبقوديموس اسقف بصرى، وقوريون اسقف فيلادلفيا (عمان) وحناديوس اسقف حثلون(حيفا) وبطرس اسقف ايلات، وسويرس اسقف راموث جلعاد.كما امن اهل بطرى (بترا) منذ وقت مبكر بالمسيحية حيث بنيت فيها الى هذا المجمع اديرة وكنائس عدة وكذلك في بواديها الشرقية.، وقد حضر اسقفها استيريوس مجمع الاسكندرية في عام ٣٦٢. ،كما حضر اسقف هيبوس ايضا. وفي ما بين سنتي ٣٧٣- ٣٧٨ رسم اساقفة من

سوريا موسى الناسك اسقفا لعشيرة ماوية اميرة العرب في اطراف الصحراء.(*).

في الحقيقة، كان اهتداء الامبراطور قسطنطين بالمسيحية، من اهم الاحداث التاريخية في المشرق، والذي يعني قبول اكبر امبراطورية في العالم بالمسيحية. الا ان مرسوم ميلانو الذي اصدره عام ٣١٣ اعطى الحرية الدينية لكافة الاديان السماوية والوثنية، ولم يعلن مسيحيته الا وهو على فراش الموت عام ٣٢٤. وعاد الاضطهاد الروماني مرة اخرى في عهد الامبراطور جوليان (٣٦٠- ٣٦٣)،ولم تصبح المسيحية الدين الرسمي للامبراطورية البيزنطية الا في عام ٣٩٢. في حين كان الاضطهاد الساساني الوحشي للمسيحيين في العراق قد وصل الى ذروته على يد شاهبور الاول٣٣٩-٣٧٩ حيث قتل بين ١٠٠٠٠- ١٦٠٠٠ مسيحي، فخسروا خيرة علمائهم ورجال الدين فيهم. لذلك كان عليهم البدء من جديد في القرن الخامس، حينما حدث الانقسام المذهبي بين اليعاقبة في سوريا والنساطرة في العراق وشمال شرقي سوريا.ومع كل ذلك فقد استطاعوا اقامة مدارس جديدة وفي العراق أمنوا شر الفرس باستقلالهم المذهبي الى حد ما.

في نهاية القرن الثالث هاجر اللخميون العرب الى جنوب العراق والى حيرتا(الحيرة) فكونوا مملكة تحت النفوذ الفارسي، بينهم كثير من العباديين المسيحيين. وفي سوريا هاجرت اليها القبائل الغسانية العربية وخاصة بني تغلب، وذلك على الارجح في القرن الرابع وكان بينهم كثير من المسيحيين فكونوا مملكة عربية-مسيحية عاصمتها بصرى واهم مدنها سرجيوبوليس،مدينة الشهيد سرجيوس . وصارت هاتين المملكتين احدهما تقاتل الاخرى بالنيابة عن الامبراطورية الساسانية والامبراطورية البيزنطية، لكن الثقافة السريانية تطورت في المدن بعيدا عن الصراع القائم ،مثل الرها ونصيبين اللتين ضمتا مدرستين عاليتين بمستوى كلية او جامعة. ومن الجدير بالذكر انه في هذه الفترة اصبحت مملكة اثيوبيا او اكسوم مسيحية في حكم النجاشي غيرناس (٣٢٠-٣٤٢) بمساعي مار فرومنس الذي اوفده بطريرك الاسكندرية.

يمكن القول ان جذور الثقافة السريانية قد استمدت من منبعين اصيلين هما تراث الحضارات الارامية والبابلية والاشورية التي تركت اثرها في اعماق فكر الانسان الرافديني، والاخر هو الموجة الثقافية الثانية القادمة من الاسكندرية حينما تحولت اكاديمية الاسكندرية الى مدرسة يونانية مسيحية وذلك على يدي الفيسوف اوريكن(اوريكانوس)١٨٣-٢٥٣ الذي كان قد ولد في الاسكندرية وتوفي في صور، وقد راس مدرسة الاسكندرية (٢٠٣- ٢٣٠) وتبعه عددمن الفلاسفة واللاهوتيين، الذين سعوا لتطوير الفلسفة المسيحية واشاعتها في المشرق ومن بينهم اقليمينس الاسكندري(+٢١٥). الا ان مدرسة نصيبين التي تعلم فيها اوائل المثقفين المسيحيين في العراق وفارس، كانت ذات ثقافة مشرقية مع منطق وفلسفة ادواتها يونانية ومحتواها مسيحي.وكانت اللغة السريانية قد انتشرت في العراق في مدن براث- ميشان وكشكر ومنطقة حدياب التي تسمى احيانا اشور وفي مدينة كرخ –دبيث سلوخ وغيرها.

كانت اول وثيقة ادبية سريانية تعود الى القرن الثاني وهي رسالة مارا بن سرابيون، فقد نشرها الباحث (كوتيون) وتكشف عن ادب جديد في المعنى والاسلوب يختلف عن الكتابة باللغة اليونانية. وفيها اشارة الى السيد المسيح والى الدين الجديد، مع توجهات اخلاقية.وتعد ترجمة الفيلسوف تاتيان (١٢٠- ١٧٣) للانجيل الى السريانية،فتحا جديدا

للغة السريانية الوليدة سهلت على المشرقيين قراءة الانجيل وتفسيره كما قرا المسيحيون لاول مرة كلمات المسيح المفعمة بالقيم الروحية. وظلت هذه الترجمة مستخدمة والتي سماها تيتان(الدياتسرون) اي الرباعي وهو يقصد انه جعل الاناجيل المقدسة الاربعة انجيلا واحدا،حتى القرن الخامس يقراها السريان حتى صدرت ترجمة سريانية جديدة لكل انجيل على حدة سميت بالبشيطة ،تحت اشراف المطران رابولا.وقد اشتهر في مسيرة الثقافة السريانية الفيلسوف والشاعر برديصان(١٥٤-٢٢٢)، ويبدو من اسمه انه ولد ونشا في اورهوي،حيث نهر ديصان. كان من نسب نبيل، وصديقا لملكها ابجر الثامن، وقد آمن بالمسيحية في نهاية القرن الثاني. كان برديصان متضلعا في الفلسفة اليونانية، واحب اللغة السريانية وسعى الى نظم الشعر ، وشعره رفيق. وقد الف كتابا فلسفيا بعنوان(قوانين البلدان) ناقش فيه اهمية الارادة الحرة والمصير. وقد ذكر فيه ان المسيحية وصلت الى باكتريا (افغانستان) (٤).

كانت للمسيحية الشرقية صفات نسكية وزهدية مبكرة، وكان افراهاط الحكيم الفارسي والذي سمي ايضا يعقوب افراهاط و افرام سيروس الذي لقب بالسرياني قد التحقا منذ شبابهما بجماعة متنسكة تدعى (ابناء العهد) وهي اول جماعة تعيش حياة الرهبان في تاريخ المشرق.والجدير بالذكر انها كانت تضم مجموعة من النساء الراهبات. وقد اعتبرت هذه الجماعة العفة والعذرية والبتولية من ارقى صفات الايمان والتقرب الى الله، والتامل الداخلي حيث يتخلى الانسان عن الرغبات الجسدية ويعيش حياة تقشف كما عاش يسوع الانسان. يبدو ان افراهاط قد وصل الى مراتب دينية ابرزها انه صار مطرانا. ومعظم معلوماتنا عنه مستقاة من عظاته التي بلغت ٢٣ عظة. كتب بالسريانية وحسب.كان يميل الى المونوفسية (الاورثوذكسية)، وابتدأ يتاثر بالفلسفة اليونانية التي بدات تسود في عصره بين المسيحيين. ومن بين الموضوعات التي عني بها هما الفصح والختان، وابرز مؤلفاته (اربعون سنة من اضطهادات شابور الثاني)، ويعتقد انه في نهاية حياته توجه الى دير مار متى واختلى فيه. ومن بين المفكرين المسيحيين البارزين الاخرين ثيودور المصيصي (٣٥٠-٣٨٣) وهو لاهوتي سرياني، ولد في انطاكيا وتوفي في بلدة المصيصة قرب قيليقية، اشتهر بشروحاته الفلسفية للعقيدة المسيحية .درس على يد ديودور في احد اديرة انطاكيا لمدة ١٠ سنوات، ثم اصبح مطرانا في مصيصة. تاثرت مدرسة انطاكيا بافكاره وشروحاته بالنسبة لطبيعة المسيح.

في الحقيقة،ان المسيحية في بلاد الرافدين في القرنين الاول والثاني، لم تجابه بقسوة، بل يبدو ان البارثيين كانوا غير معنيين بالقلة الذين يصلون معظمهم في بيوتهم في سلوقية واربيلا وكشكر اوغيرها. وقد اختلف الامر في الربع الاول من القرن الثالث،حينما صدر مرسوم ميلانو الذي خلص المسيحيين من الاضطهاد الروماني حيث كان قد تم اعدام الكثيرين من الرعيل الاول في الدعوة المسيحية وكذلك الاباء الاولين امثال القديس بطرس مؤسس الكنيسة والقديس بولص انشط داعية في تاريخ المسيحية،والفيلسوف ايوجين وغيرهم ممن كانوا يرمون احيانا الى الاسود في الملاعب.واقلق ذلك الملك شابور الثاني الذي كان والده اردشير الاول قد استولى على العراق بعد ان دمر مملكة ميشان الارامية في اثناء زحفه نحو العراق وذلك في عام ٢٢٥، ثم حاصر ودمر مملكة حطرا (الحضر) الرافدينية في عام٢٤١ ، ولم يلتفت الى المسيحيين ، لكن الملك شابورالثاني اعتبر

المسيحيين، متحالفين مع الدولة العدوة الامبراطورية البيزنطية، وشجعه في ذلك (الموبذانات) رجال الدين الذين تبنوا الزرادشتية. فشن جيشه حربا شعواء على المسيحيين وعلى رجال الدين خاصة في جميع انحاء العراق، وتوجد وثائق تشير الى قيامه باعدام ١٦٠٠٠ مسيحي ومن خيرة رجالاتهم، وذلك خلال فترة الاضطهاد الطويلة التي استمرت خلال الاعوام (٣٣٩- ٣٧٩). وتتحدث النصوص السريانية الى قيامه اولا باستدعاء الجاثليق سمعان برصباعي مع ١٣٠ من اتباعه وطلب منهم ان يدعوا المسيحيين الى ان يدفعوا ضعف الجزية او الضريبة ،وقد جرى ذلك بحضور جميع مطرنة العراق وفارس، فلما اجابه الجاثليق ان المسيحيين اكثرهم فقراء وهو لا يستطيع ان يامرهم بذلك، قام الملك شابور بقتل جميع المطارنة امامه، ولما اصر على رايه قتله ايضا. (٥) ويذكر ان الاضطهاد قد عاد خلال السنتين ٤٣٨،٤٥٧. ويحفظ لنا التراث السرياني في هذه الفترة رواية بهنام واخته سارة الشهيدين وعلى النحو التالي:"كان والدهما حاكما على منطقة الاشوريين لعلها حدياب يدعى سنحاريب او الملك سنحاريب، وكان بهنام قد ذهب للصيد، ثم ضل طريقه، فاضطر الى البحث عن ملجأ، فوجد احد الكهوف فالتجأ اليه،وكان ذلك الكهف في جبل مقلوب شرق نينوى. وهناك التقى بالرجل التقي مار متى حيث حدثه عن المسيحية واهمية الايمان بالرب الواحد. وقد تاثر بهنام بما سمع، وسال مار متى اذا ماكان يستطيع ان يشفي اخته سارة المريضة والتي كانت تعاني من مرض جلدي لاشفاء له (لعله البرص). وفيما بعد جاء بهنام باخته الى مار متى، الذي استطاع بنعمة الله تعالى ان يشفيها من مرضها. ولما علم والدهما بالامر،وانهما تركا دينهما الزرادشتي وقبلا بالمسيحية، امر بقتلهما معا. ودفنا في جنوب نينوى. لكن نتيجة عمله الاحمق والشرير، اصيب الحاكم سنحاريب بالجنون، وفي محاولة لشفاءه من جنونه، ذهبت زوجته به الى كهف مار متى، وطلبت من هذا القديس ان يشفيه من مرضه، فصلى مار متى الى الله والمسيح ان يشفيانه وبعد حين يشفى سنحاريب. حينذاك يطلب هو وزوجته ان يعمدانهما كمسيحيين. وقد ساعد هذا الحاكم(الذي كان يسمى الملك) في بناء دير مار متى الذي يقع في سفح جبل مقلوب شرق نينوى، كما قام ببناء دير آخر حول قبري بهنام وسارة سمي بدير الشهيد بهنام. وما زالا هذين الديرين عامرين. عندما اعتلى العرش الساساني الملك يزدجرد الاول بعد موت شابور، اوقف عمليات الاعدام ووافق على اخلاءسبيل الاف المسجونين من المسيحيين، خاصة بعد تحسن العلاقات الساسانية- البيزنطية.".وفي اواخر القرن الثالث هاجرت كثيرا من القبائل العربية الى جنوب العراق من بني اسد وكلب واياد وتنوخ ومنهم العباد الذين كانوا من القبائل النصرانية او المسيحية في الجزيرة العربية واليمن وخاصة نجران،وسكن العباد في حيرتا (الحيرة) التي ذكر في المصادر العربية انه كان تسكن فيها قبيلة كلدية والراجح انها كانت تتحدث بالارامية. ويذكر ان المسيحية انتشرت في الحيرة في القرن الرابع للميلاد وكذلك في نجران .واشير الى كنبسة نجران التي شيدها بنو عبد الديان الحارثي ،وذاعت المسيحية ايضا في صنعاء وجزيرة سقطرى وكذلك في البحرين وقطرايا ومنطقة ميشان التي كانت مملكة تتالف من بقايا القبائل الارامية مثل الكلديين: للمزيد راجع كتابنا (اصول الثقافة السريانية).

لم يكن للثقافة السريانية ان تنمو بدون المدارس التي ترعاها وتمدها بالمعارف والعلوم. فبجانب

المدارس الاولية التي اقيمت في الاديرة والتي تدرس اللغة والدين ومبادىء العلوم،اقيمت في امهات المدن في سوريا والعراق مدارس سريانية عليا ذات مستوى علمي سواء في موضوعاتها اوفي تنظيمها: كانت مدرسة انطاكيا اولى هذه المدارس في الهلال الخصيب والتي شابهت في موضوعاتها واصول التدريس فيها مدرسة الاسكندرية. وقد اسسها لوقيانوس الانطاكي (٢٣٥- ٣١٢) في اواخر القرن الثالث للميلاد،وهي مدرسة لاهوتية في الاصل، ثم تطورت في مناهجها على يد احد العلماء السريان وهو مار افرام السرياني ومعه بعض الاسا تذة من مدرسة نصيبين الذين اغلقوا المدرسة قبيل ان يحتلها الفرس في عام ٣٦٣ وازدادت شهرتها حيث استمر افرام ينظم القصائد في نقد ومهاجمة البدع المختلفة. واستمرت في العطاء في العلوم والاداب السريانية، حتى تراسها نرساي في السنوات (٤٣٧- ٤٥٧) وطور مناهجها وجعلها مدرسة سريانية فكرية.وكان رابولا من المجادلين في الدين ومن الاساتذة والكتاب المجودين.واشهر اساتذتها يوحنا فم الذهب الذي كان لديه مؤلفات في تفسير العهد القديم والانجيل وعن حياة الرهبنة وكذلك ثيودوريتس القورشي الذي اشتهر في تاريخه الكنسي وفي مواضيع عن العقيدة .ثم شاع فيها بدعة نسطور فاغلقت في عام ٤٨٩. وكانت مدرسة نصيبين قد افتتحت بعد مدرسة الرها وذلك في الربع الاول من القرن الرابع، حيث تشجع السريان على اقامتها وعلى راسهم الاسقف يعقوب، وقد تخرج على يديه افرام السرياني، الذي اصبح مدرسا فيها ثم مشرفا عليها. وقد دحض افرام هرطقات مرقيون واريوس في كتابات فلسفية وفي قصائد نقدية. ان ابرز اشعاره جاءت في ديوانه الذي فيه عبق تاريخ نصيبين. كما وجدت له قصيدة تتحدث عن عظمة زنوبيا،واخرى تتحدث عن غزوالبرابرة الهون لاوربا وكانوا قد وصلوا قرب القسطنطينية، والتي جاء فيها:

الشمال تعيس، وتحف به الحروب،
اذا ما تركتهم يارب، فسوف ينتهون الى الفناء،
واذا ماوصل الهون وانتصروا علينا،
فلماذا لانلتجأ الى الشهداء؟
واذا كان اعتمادهم على السيف،
فلماذا لانرتكن الى الصليب الحي؟
واذا كان علي ان اسلم مدينتي اليهم،
فاين مجدك ياكنيستي المقدسة؟
لم يمض عام حينما كان الفرس الهمج هنا،
اولئك صلبوا ابنائنا الاسرى،
واذا ماجاء هؤلاء وهددوا اراضينا،
فما علينا الا القتال او الفناء.(٦)

ولعل الفلاسفة السريان الذين علموا في الفلسفة في العراق في النصف الثاني من القرن التاسع في مدرسة دير قنى ومدرسة بغداد من امثال ابراهيم قويري وثيوفيل وقسطا بن لوقا وابو بشر،متى بن يونان(يونس) القناني وغيرهم ، كانوا قد درسوا في مدرسة نصيبين، حيث كان الفكر المسيحي وفي البداية قد تاثر بالفكر الفلسفي اليوناني. بحيث سار ،بخط موازي مع مفاهيم اوريكانس وفورلس واثباسيوس الاسكندريين، لكن العراق ،كان بعيدا عن الاجواء ذات الاصول الرومانية المسيحية المتاثرة بالفلسفة اليونانية. الى حد ما.

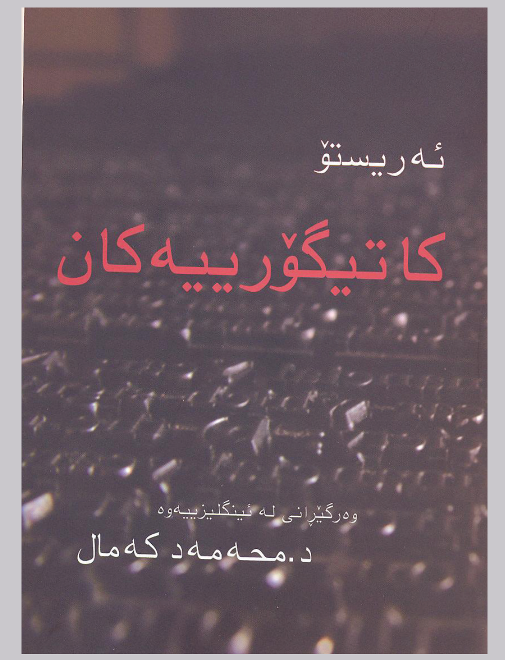
كما اشتهرت كتابات يوسابيوس القيصري وله كتابان تاريخيان هما: اخبار الاحداث والتاريخ الكنسي ،يغطيان تاريخ المسيحية من القرن الاول لغاية عام ٣٢٣، وهو من اهم التواريخ ولا نعرف سبب عدم ترجمته. كما لديه اربعة مؤلفات اخرى هي: حياة الامبراطور قسطنطين، وتمهيد الى الحياة الانجيلية، وبرهان انجيلي، وشهداء فلسطين تحدث فيه عن المسيحيين الاوائل الذين قتلوا على

ايـدي اليهود، امثال اول الشـهداء القديس اسـطيفان الذي مات بين عامـي(٣٢- ٣٥) رجمـا بالحجـر، والقديس يعقوب الاكبر احد تلاميذ المسيح الذي اعدمه اغريبا عام ٤٤ والقديس يعقوب الصغير،وهو ايضا من تلاميذ المسيح الذي صعد به اليهـود الى اعلى الهيكل والقوة من هناك عام ٤٦.

المصادر والهوامش

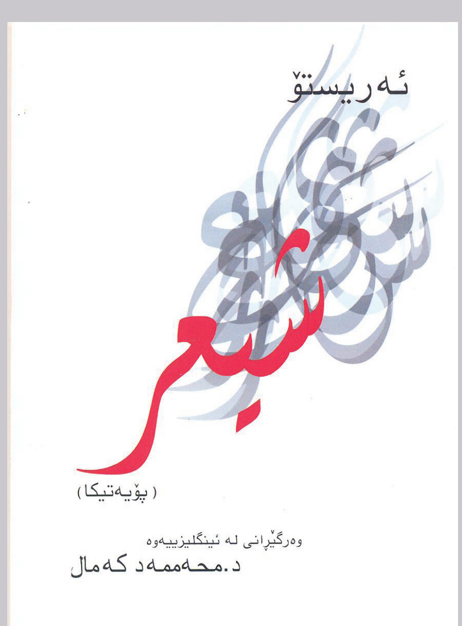
*المقصود بالثقافة السـريانية :الثقافة المشـرقية للاقـوام المسـيحية من ذوي الاصـول الارامية والبابليـة -الكلدية والاشورية وغيرها.

1-Love to Know (Anonymous) Syriac Literature 1911(Elec.
2-Rassam, Suha. Christianity in Iraq. Gracewing,2005. P.25
(*)جقي ،مراد فـؤاد .نعوم فائق ذكرى وتخليد .دمشق ،المطبعة الحديثة١٩٩٦،
(٣)عبـودي ،هنري .معجـم الحضارات السامية.جروس برس ١٩٩١ ،ص٧١٦
(٤)ابونا ،الاب البير » .كنيسـة كوخي« مجلة بين النهرين ٢٠٠٤ص٥٠
5-Rassam, S. Christianity in Iraq.Loc. Cit. P.32(5)
6-Wright,William.A Short History of Syriac Literature. London,1894. P.40
(٧) قزانجي ،فؤاد يوسف.اصول الثقافة السريانية في بلاد مابين النهرين .عمان: دار دجلة ٢٠١٠،ص١٣٠ -١٣



ارسطو
المقولات

عن الانجليزية: د. محمد كمال
من مطبوعات دار سردم للطباعة والنشر
سليمانية - ٢٠١٠



ارسطو
فن الشعر

عن الانجليزية: د. محمد كمال
من مطبوعات دار سردم للطباعة والنشر
سليمانية - ٢٠١٠

تطور الفكر الديني في كوردستان و أثره في الديانات الكبرى

(الحلقة الأولى)

مرشد يوسف

لمحة تاريخية

" أي سومر، أيتها الأرض العظيمة بين كل أراضي الكون، أنت التي يغمرك ضوء لا يخبو، يا من تسنين القوانين الإلهية لكل الشعوب من المشرق الى المغرب".

"حينما..... هبطت السلطة الملكية من السموات، وضع الاله.... الشعائر والقوانين الإلهية العليا.... وأسس خمس مدن في... أماكن مقدسة، ومنحها أسماء وجعلها المقدسات الرئيسية".

"انها المدينة... لاتطيل أعمار المجادلين، وفي المحكمة لا تسمح بقول السباب، وفي الداخل والخارج لا تسمح بالأحاديث الكاذبة، بكلمات العداء، بالانتهاكات والمشادات، بالقضاة الحاقدين وبالظلم، بالنظرات الحاقدة، بالعنف والوشاية، بالوقاحة، بالحنث في الكلمة، مثل هذه السفالات لاتعرفها المدينة".

"... هناك يقبلون الضحايا ويغفرون الذنوب، الكاهن الأعلى مبجل مع المعبد، ينابيع المعبد قوية في الشفاء، كهانه مكتملون في الشعائر، خدمه طاهرون في الصلوات".

"في المدينة، مستوطنة انليل المقدسة،... في نيبور، قدس الأقداس الأب، الصخرة المقدسة، الهيكل المزدهر، اكور، المعبد اللازوردي، من الرماد ارتفع كجبل شامخ، وفي مكان نظيف بناه".

"أيتها المدينة، كل شيئ متوفر لك، تغسلك مياه لاتنضب، أنت راسخة، وكالثور منصة خصب للبلاد، مدينة قدر مصيرها انكي، يا حرم أور، فلترتفع إلى السموات".

عبر هذه النصوص المقدسة، وصف السومريون أنفسهم، معبرين بشكل شاعري شفاف، وفلسفي جدلي، واسطوري حالم عن واقع تفوقهم الثقافي والميثولوجي والديني.

والحقيقة أن الحضارة السومرية التي وضعت الأسس والمبادئ الأولى للكتابة و التاريخ المقدس والميثولوجيا والدين والتبدلات المرتبطة بهذه الابداعات، حولت بوضوح ظروف وتطور الحضارة البشرية باتجاه التقدم وغيرت بيئة الانسان الطبيعية وبيولوجيته وغيرت اسلوب الحياة على كوكبنا الى الأفضل، و الباحثون متفقون على المغزى الكبير الذي تنطوي عليه الحضارة السومرية بالنسبة إلى تطور المجتمع البشري.

واذا انتقلنا من المسلمات والأحكام العامة إلى النظر في الوقائع

والمواد الملموسة فان ضوء الحضارة السومرية مازال يشع من تحت الأنقاض ينتظر الأنامل الرشيقة والعقول العلمية لاكتشاف المزيد من أصولها وينابيعها المدفونة في أعماق التلال المتناثرة في جنوب بغداد حتى شط العرب.ولكن من هم السومريون؟؟؟؟؟

أصل السومريين:

الكلمة المقطعية السومرية (UMA-DA-KAR-DA) التي وجدت على مدرجات معبد سومري يرجع تاريخه إلى 2000ق.م، والتي فسرت من قبل عالم الأثار (DANGEN) على أنها تسمية جغرافية، وفسرها العالم الأثري درايفر.H) K.DRIVER).على أنها بلاد كاردو السومرية وحدد موقعها في جنوب بحيرة وان، هذا الرأي العلمي يعطينا اشارة أولية حول الصلة بين السومريين والأكراد، وهذه المنطقة التي ذكرها العالم درايفرK.DRIVER. .H) (تشكل جزءاً من بلاد الكورد الذين ذكرهم سترابون وقال: بأنهم نفس الكاردوخيين القدماء، وحدد موطنهم في شرق نهر دجلة وطوروس وقال سترابون (إن جبالهم تدعى جبال كردستان).

ويعرّف السومريون أنفسهم حسب النصوص المسمارية السومرية بالرمز K Ê) IN-C Î)-وهذه الكلمة السومرية تتألف من ثلاثة مقاطع وتعني في السومرية أسياد الأرض، وهي تعني أيضاً في اللغة الكردية أسياد المكان أو أسياد الأرضKÊIN) CÎ)ولقب كي الذي يعني السيد باللغة الكردية مازال متداولا في اللغة الكردية حتى الوقت الحاضر، ويؤسفني أن أقول أن علماء الآثار واللغات لأسباب نجهلها لم يقارنوا بين اللغة السومرية واللغة الكردية ولو فعلوا ذلك لانتهت معضلة أصل السومريين وأصل لغتهم الإلصاقية وأقروا بنظرية صلة الأكراد بالسومريين وأنهم شعب واحد، والدكتور فاضل عبد الواحد أستاذ السومريات في جامعة بغداد الذي يملك باعاً طويلاً في أبحاث السومريات يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك بأن السومريين امتداد لأقوام ما قبل التاريخ في وادي الرافدين، وأنهم انحدروا من شمال العراق، وبعد البحث والتقصي لم نجد شعباً يتكلم بلغة الصاقية، ويسكن باستمرار في شمال بلاد الرافدين منذ آلاف السنين وحتى الوقت الحاضر غير الشعب الكردي.

ولدينا دليل آخر على صحة هذه النظرية وهو أن اللغتان السومرية والكردية من أرومة واحدة ومتشابهتان في اللفظ والمعنى والقواعد ومتطابقتان في الكثير من الكلمات، وتتكون الكلمات في اللغتين من جذر ومقاطع ويختلف معنى الكلمة بإضافة مقطع أو اكثر إلى الجذر الواحد لتعطي معنى محدداً [1]مثل الجذر(DAR) الذي يعني الخشب فإذا أضيف إليه المقطع (ISTAN) يصبح (DARISTAN)وتعني الغابة في اللغة الكردية، وإذا أضيف إلى نفس الجذر مقطع(BEST) تصبح (DARBEST) وتعني النعش الذي يحمل عليه الميت إلى القبر.

ونظراً لقلة المفردات السومرية المكتشفة والمتوفرة بين أيدينا فإن الكثير مما هو متوفر يتطابق لفظاً ومعنى مع المفردات الكردية المطابقة وفيما يلي مقارنه بين كلمات سومرية وكردية على سبيل المثال لا الحصر:[2]

-كلمة أو تنا بشيتم) OTENE BIJÎTIM)وهو اسم بطل أسطورة الطوفان السومرية ومعناها بالسومرية هو الرجل الوحيد الذي يتمتع بالخلود وهي مكونة من ثلاثة مقاطع (أو - تنا - بشيتم) وتتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية أو تنا بيشيتم .التي تعطي نفس المعنى أي الذي يعيش لوحده خالدا.

-كلمة كال (GAL) السومرية

التـي تعنـي الكبـير - العظيم. تتطابـق لفظاً ومعنـى مع الكلمة الكردية (GAL) التي تعني أيضاً الكبـير (في العمر - كبير العائلة - الكبير من ناحية الأهمية).

- كلمة جيمي (CIMÊ) التـي تعني في السـومرية (أمي) تتطابق لفظاً ومعنـى مع الكلمة الكرديـة (CAMI) التـي تعني أيضاً أمي بالكردية.

- كلمـة جـين (GIN السـومرية التي تعنـي يذهب. تتطابـق لفظاً ومعنـى مع الكلمة الكرديـة جين (Ç W Î N) التي تعني أيضاً يذهب - الذهاب.

-كلمة جه (CEH) السومرية التي تعني الشعير (نوع من الحب) تتطابـق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية جه (CEH) التي تعني أيضاً الشعير باللغة الكردية.

-كلمة خو (X U) السومرية التـي تعني يـأكل تتطابـق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية خـو (X U) التي تعني أيضاً الأكل أو يأكل أو كل.

- كلمـة ننكـرNIN) GIR (السـومرية التـي تتكون من مقطعـينGIR+NIN تعني بالسومرية (سيدة التل - الجبل) تتطابق لفظـاً ومعنى مع الكلمـة الكردية المكونة من مقطعين أيضاً = NINIY)سـيدة= GIR+ الجبل أو التل) أي سيدة الجبل.

- كلمـة لوجـن جـي (LOGWIN CI)السـومرية والتـي تتألف من ثلاثـة مقاطع) =LOالرجـل، = GINيذهب أو ذهب، = GIالمكان).

وتعني بمجموعها الرسـول في اللغة السومرية وهي تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية المركبة لوجن جي التـي تفيد بمجموعها معنى الرسول أيضاً.

-كلمـة ننـداNENDA) (السـومرية التي تعنـي الطعام تتطابق مـع الكلمـة الكردية نن (NAN)التـي تعنـي الخبز – الطعام.

- كلمـة كالـو(KALO) السـومرية تعني الشاعر أو المنشد أو المجرب الكبـير أو القوال باللغة السـومرية حسـب ترجمة العالم دانجـر (DANGER) تتطابق لفظـاً مع الكلمة الكرديـة كالو (KALO) التـي تعنـي أيضـاً المجرب أو الكبير.

وردت هـذه الكلمـة المهمة في كسـره من لـوح كتابي مسـماري ميثولوجي تصف التضحية بالثور تقرباً للإلـه ومن ثم يؤخذ جلده لتصنـع منه الطبـول التي كانت ترافـق الكالـو (KALO) أثناء إنشـاد الأدعية والصلـوات، وكلمة القوال التي تطلق على رجل الدين الإيزيـدي الذي ينشـد الأدعية في الطقوس الدينيـة الإيزيدية ربما تكون محرفة من كلمة(KALO) السومرية.

-كلمـة لو (LO) السـومرية التي تعنـي رجل تتطابـق لفظاً ومعنـى مـع الكلمـة الكردية لو (LO)التـي تعني أيضـاً الرجل وتقابلها كلمة لي (LI) التي تعني المرأة.

-كلمة را (RA) السومرية التي تعني لأجـل تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة الكردية (RA) مثال: لوكال بـيرا-LOGAL-BI) (RAالتـي تعنـي في السـومرية لأجل لوكال.

تقابلهـا في اللغة الكردية جمل كثيرة مثل:

مـن أجـل بوتـان- (JI BOTAN - RA) .

-كلمة كو (GU) السـومرية التـي تعني الثـور تتطابق لفظاً ومعنى مع الكلمـة الكردية كولك (GULIK) التي تعني العجل.

- كلمـة دومـو مـي) (DUMO-MIالسومرية المكونة مـن مقطعين دومـوDUMO) =(طفـل ومـي = (M Ê) انثى وتعني في السـومرية طفله تشبه الكلمة الكردية التـي تتكون أيضاً من مقطعين لتعطي معنى الأنثى

مثل مـي كـو= (KEW MÊ) أنثى الحمام . وDUM MAM) (التي تعني ابنة العم.

-كلمـة ادان(A DAN) السـومرية التي تعنـي موعداً أو وقتاً . تتشـابه لفظـاً ومعنى مع كلمـة دان (DAN) أو دانـك الكردية (DANEK) التي تعني الموعد أو الوقت.

مثال : داني ايفاريDANÊ) ÊVAR Î)أي وقت المساء.

-كلمة آرا (ARA) السومرية التي تعني فعل الطحن تتشابه مع الكلمة الكردية هيرا(H Ê RA) التي تعني فعل الطحن أيضاً باللغة الكردية.

-كلمة بار (BAR) السومرية التي تعني قطعـة . تتطابق لفظاً ومعنـى مـع الكلمـة الكردية بار (PAR)التي تعني قسمة أو حصة أو قطعة (تقسـيم الشيء إلى قطع متساوية).

• كلمـة دار(DAR) السـومرية التي تعني الخشـب - شـجرة تتطابق لفظـاً ومعنى مع الكلمة الكردية دار (DAR) التي تعني أيضاً الخشب أو الشجرة.

-كلمـة كيشـي(KÊSÎ) السـومرية التـي تعنـي العضـو الذكري تشـبه جملة كردية تعطي نفس المعنى مثل هسـبي كيشي) HESPÊ KÊSÎ (وتعنـي في اللغة الكردية حصان التلقيح (فعل ممارسة الجنس عند الحصان).

-كلمـة أريصتـا تـاري) [3] (ARÎSTA TARÎالتي تعني بالسـومرية أرض الظلام تتطابق لفظـاً ومعنى مـع الكلمة الكردية أردي تاري(ARDIY TARIY) أي الأرض المظلمة.

-كلمـة أودونUDUN) (السـومرية التي تعنـي الموقد . تتطابـق لفظاً ومعنـى مع الكلمة الكرديـة أتـون (ATON) التي تعني أيضاً الموقد.

-كلمـة نمـير(NEMIR) [4] السـومرية التي تعنـي المخصي . تتطابـق لفظاً ومعنـى مع الكلمة الكردية نمير (NEMÊR) التي أيضاً تعني المخصي.

• كلمة شاركشاتيSAR) KISATÎ (السومرية التي تعني ملـك العالم، ملك الـكل . تتطابق لفظاً ومعنـى مع الكلمة الكردية سـركشـاتي(SERGISATÎ) التـي تعني أيضاً قائـد الكل وهنا انقلب حرف السـين إلى شين وهذا وارد في اللغات.

• كلمـة كـور(GUR) السـومرية التـي تعنـي العالـم الأسـفل) القبـر) تطابق لفظاً ومعنى مع الكلمة كور(GUR) الكردية التي تعني القبر.

وتكشف ألواح سومر عن قصة ثعلـب أراد أن يتباهى أمام زوجته يوماً فقال:

هيـا لنسـحق مدينـة أوروك بأسناننا كالكراث.

وهلمي لنشـدّ مدينـة كلاب بأقدامنا كما لو كانت حذاء.

وعندما وصلا لمسافة ميلين من المدينة أخذت الكلاب تنبح عليهما، فصاح الثعلب بزوجته:

جمـي تمـال - جمـي تمـال (ÇIMÊ TIMAL)وتعنـي باللغة السومرية لنذهب إلى البيت، لنذهب إلى البيت،

وهذه الجملـة تتطـابق معنى ولفظـاً مع الجمـلة الكردية جمي تمال (ÇIMÊ TIMAL) التي تعني أيضاً لنذهب إلى البيت.[5]

-كلمـة أمـا تنـاEME) TENE (السـومرية التي تعني الشـاذ، أي الفرد الـذي لا مثيل له تتطابـق مع الكلمـة الكردية تنا) TENE (التي تعني الوحيد أيضاً أي الذي لا مثيل له.

• كلمـة آلام(ALAM) التـي تعني في السـومرية تمثال تتشـابه لفظـاً ومعنى مع الكلمة الكرديـة آلامات(ALAMAT) التي تعني أيضاً التمثال.

مثـال شـكفتا الاماتـا وتعني مغارة الرسـوم والتماثيل المنحوتة في الصخر

كلمة نو ميشو NU - M Ê (S U)التي تعني المرأة الأرملة في السومرية تتشابه لفظاً ومعنى مع المقاطع الكردية التالية نا(N A) =لا، مي = (M Ê) أنثى، وJU(= (جن=المــرأة) (JIN) وتعنـــي بمجموعها امرأة بلا زوج.

- كلمة انشــي(INSÊ) السومرية التي تعني الحمار تتشابه مع الكلمة الكردية هوشىHO S) Ê)التي تعني اسم الحمار أيضاً أو اصطلاح يطلق عن الحيوانات مثل الحمار والبغل بشكل عام، وهنا حل حرفالشين محل حرف السين.

-كلمــة أ (A) التــي تعنــي الماء بالســومرية تتشابه مع الكلمة الكردية آف -آبAV = A-AV) (التي تعني الماء أيضاً.

-كلمــة هــكار(A -GAR) الســومرية التي تعنــي حفرة الماء تقابلهــا بالكرديــة أفكيــرAV) GÊR)وتعني حفرة الماء أيضاً.

- كلمةاباناABANNA) (الســومرية التــي تعنــي الهاون المصنـــوع مـــن الحجـــر تقابلها الكلمة الكردية هاونHAWIN) (وتعنـــي الهاون أيضا المصنوع من الحجر أو المعدن.

-كلمــة اوخلو(UHULU) التي تعني الرماد باللغة السومرية تقابلها الكلمة الكردية خولي (X W EL Î) التــي تعنــي الرماد .

-كلمة أرا هورARA HÛR) (الســومرية التــي تعنــي طحن الحبــوب تقابلها الكلمــة الكردية المطابقة أرا هور(ARA HÛR) التي تعني الحب الناعم) المطحون بشـكل ناعم (أو آري هورARI) HÛR) (الطحين الناعم).

- كلمة هــار آشHAR) (ASالسومرية التي تعني حجر الرحى) الطحن) تقابلها في الكردية آش هيريــن(AS HÊRÎN) وهي تعني أيضــاً حجر الطحن أو المطحنــة الحجرية الخاصة بطحن الحبوب.

-كلمــة ماخالMAHAL) (السومرية التي تعني المنخل وهي الأداة التي تســـتخدم في تصفيــة الحبــوب والطحــين . تقابلهــا في الكردية موخل(MOXIL).

-كلمة دومو بيسانDUMU) (BISAN -الســومرية التــي تعنــي المدرس تقابلهــا في الكردية كلمة دبستان(DIBÎSTAN) التي تعني المدرســة وهناك تشابه في الكلمتــين من ناحيتــي اللفظ والوظيفة.

- كلمــة دوب(DOB) السومرية التي تعني اللوح تقابلها في الكرديــة كلمــة (DEP) أو (DEBالتــي تعنــي أيضــاً لوح خشب وما شابه.

- كلمــة مــاك(MAK) وتعنــي الأم الكبيرة في الســومرية تتطابــق لفظاً ومعنــى مع الكلمة الكرديــة مــاك (MAK) التي تعني أيضاً الأم الكبيرة.

- كلمة كيسكKÊSIK) [6] (الســومرية التــي تعنــي الفتاة تتطابــق لفظاً ومعنــى مع الكلمة الكردية قيــزك (QÎZIK) التي تعني أيضا الفتــاة (وحرف الكاف تبادل بحرف القاف)

-كلمــة (زك) الســومرية التي تعني البطن تتطابق لفظا ومعنى مــع الكلمة الكردية زك التي تعني ايضا البطن.

-كلمــة(كار) الســومرية التي تعني مركز المدينة التجاري(مكان العمل) تتطابــق لفظا ومعنى مع الكلمــة الكرديــة كار التــي تعني العمل(مصطفى الموســوي، وكتابه الــذي يحمــل عنوان:العوامــل التاريخيــة لنشــأة المــدن العربية والإســلامية، دار الرشــيد بغــداد 1982 صفحة 355.

-كلمــة دورو(دور)الســومرية التي تعني السور أو الجدار، تتطابق لفظــا ومعنى مــع الكلمة الكردية دورمثــال (دورا خينــي) وتعنــي جدار المنزل (حول).

-كلمــة (الزكورة)الســومرية التــي تعني الجبل الأبيض تتطابق

لفظا ومعنى في المقطع الثاني(كورة) مع الكلمة الكردية كورة التي تعني ابيض، وترك لنا السومريون الكثير من التراتيل المقدسة التي تتوجه الى الجبل كرمز ديني له ارتباط بالذات الجمعية السومرية التي نزحت من جبال زغروس لتستقر في جنوب العراق.

كلمة (راست) السومرية التي تعني الاستقامة تتطابق لفظا ومعنى مع الكلمة الكردية راست التي تعني الاستقامة.

-كلمة(نو وار)السومرية التي تعني المكان الجديد تتطابق لفظا ومعنى مع الكلمة الكردية نو وار التي تعني المكان الجديد.

-كلمة (آبزو)السومرية المركبة من مقطع آب وتعني الماء والمقطع زو وتعني الماء الذي ينضح من الأرض، تتطابق لفظا ومعنى مع الكلمة الكردية آبزيك أو آفزوك.

هوامش:

١- راجع مجلة متين، الأعداد ٧٣ -٧٤ -٧٥-٧٦، بحث أعده السيد مسعود سعيد ياسين

٢- المصدر السابق، و مراجعة كتاب سومر وأكاد د، وديع بشور، دمشق .١٩٩١

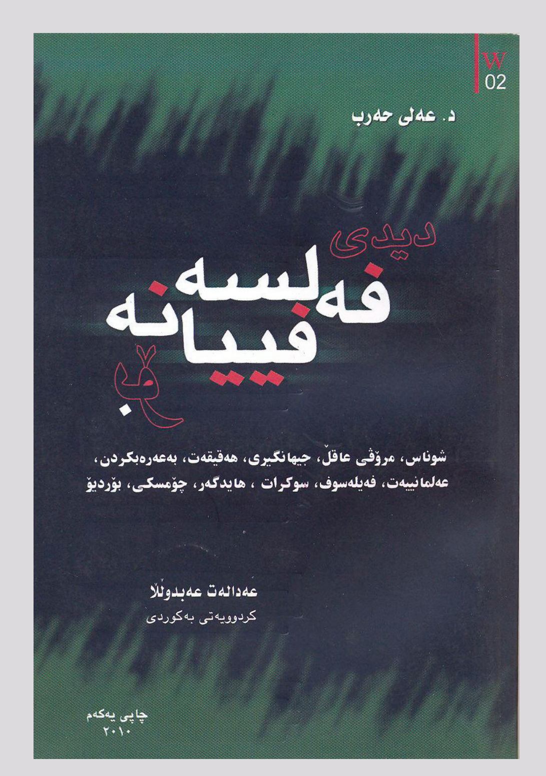
٣- وردت في نص سومري، ص ٢٥٨ من كتاب مغامرة العقل الأولى، فراس سواح.

٤- المصدر السابق.

٥- سومر وأكاد : د . وديع بشور، ص ١٥٥.

٦- قاموس الآلهة والأساطير : د. ادزارد م. هـ بوب ف. رولينغ،ص١١٧-١١.

- مرشد اليوسف : باحث في علم الآثار- دبلوم دراسات عليا في علم آثار الشرق القديم- جامعة دمشق
m.yousef2@yahoo.com



نظرات فلسفية

تأليف: د. علي حرب
ترجمة: عدالت عبدالله

من مطبوعات مجلة "والا بريس»
سليمانية - ٢٠١٠

الجيل الثالث من أسلاف الكرد

د. أحمد الخليل

١- **مانناي** Mannea

النشأة والجذور:

مانناي فرع آخر من فروع أسلاف الكرد، وقد ظهر منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد في جنوبي بحيرة أورميه، وكانت بلاده تضم المدن الكردية في شمال شرقي إيران حالياً، ومنها مَهاباد وسَقِز (ساكِز) Sakkez وشنو (أشنويه)، واشتهر اسم هذا الفرع لأول مرة في النصوص الآشورية المسمارية عام (٨٤٣ ق.م) باسم (مانناي)، وتسمّى بلادهم (مانا،ماننا، مِننا، مَنناش)، وثمة من يرى أن (ماننا) Manna من الأقوام التي سُمّيت Zagro- Elamite، وهم أقرباء اللوللوبيين، واختلطوا بالحوريين، ومنذ بداية القرن التاسع إلى القرن الثامن قبل الميلاد بدأت تظهر بينهم أسماء آرية، وكانت عاصمتهم هي إزيرتا Isirta، وموقعها على بعد (50) كم شرقي مدينة سَقِز. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٤٨٤/٢ – ٤٨٥. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٥٦٢).

وبدأ العصر الذهبي لشعب مانناي منذ عام (٧١٤ ق.م)، إذ تمكّنوا من ضمّ الأراضي الواقعة على نهر آراس (الرَّس في مصادر التراث العربي) شمالي بحيرة أورميه، ووصل نفوذهم في الغرب إلى نهر الزاب الكبير (الأعلى) شمالي أربيل، وهذا يعني أن دولة مانناي ضمّت أغلب المناطق الكردية في شمال غربي إيران حالياً، إضافة إلى قسم من المناطق الكردية في إقليم كردستان- العراق.

وقد ذكر الدكتور جمال رشيد مناطق دولة مانناي بالتفصيل، وخلص إلى ما يلي: « يمكننا أن نشير في النهاية إلى أن بلاد المانناييين كانت تبدأ جنوباً من بلاد بارسوا [= فارس] إلى بلاد الأُورارتيين في الشمال، وتجاور زامُوا وآشور في جهاتها الغربية. أما شرقاً فلا يمكننا تحديد حدودها. وبكلمة أخرى، فإن الأراضي الواقعة بين بحيرة أورميه شمالاً وحتى بحيرة زَريبار قرب مَريوَان جنوباً، كانت تدخل ضمن بلاد ماننا، وشكّلت سلسلة زاغروس جهاتها الغربية». (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٤٨٦/٢، ٥٠٠). وأكّد الدكتور عبد الحميد زايد أن مملكة ماننا Manna: " هي حالياً كردستان الإيرانية، إلى الجنوب من بحيرة أورميه». (عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٥٧٨).

الصراع ضد دولة آشور:

إن الرياح لم تكن تهبّ على الدوام بما يناسب بيدر دولة ماناي، كما يقول المثل الكردي، فقد واجه المانيون دولة أورارتو (خَلْدي) في الشمال الغربي من دولتهم، وواجهوا دولة آشور من الغرب، ومع بداية القرن الثامن قبل الميلاد ظهر ملوك أقوياء ذوي طموح في دولة أورارتو، فشنّوا الحملات العسكرية على مناطق نفوذ دولة ماناي، واستطاع الملك الأورارتي مِينَوا (مينَواس) السيطرة على مناطق أعالي نهري دجلة والزاب الكبير، وعلى بعض المناطق المانية في جنوبي بحيرة أورميه، ومنها منطقة شنو (أشنو) الحالية، بل إن مناطق أرض دولة ماناي صارت أحياناً ساحة صراع بين دولتي أورارتو وآشور، وكانت كل واحدة منهما تسعى إلى الانفراد بالسيطرة على أراضي دولة ماناي. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٤٨٨/٢. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٥٦٢- ٥٦٣).

ومن المهم جداً ألا نُسقط من حساباتنا أهمية طريق الحرير التجاري العالمي في تلك الصراعات، إنه كان يأتي من أگباتانا (هنگمتانا/هَمَذان) في الجنوب، ويخترق دولة ماناي شمالاً، ويمر بمدينة رَغَه (الرَّي) قرب طهران حالياً، ثم يتوجّه شرقاً نحو وسط آسيا، وكان ملوك أورارتو وآشور يسعون للسيطرة على ذلك الطريق، إضافة إلى أطماعهم في موارد دولة ماناي، وفي مرحلة من مراحل الصراع اعترف الملك الآشوري سَرْجون الثاني Sargon11 (٧٢٢ – ٧٠٥ ق.م) بـ (آزا بن إيرانْزو) ملكاً على ماناي، وعقد آزا معاهدة تحالف مع دولة آشور. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٤٨٩/٢. دياكونوف: ميديا، ص ١٩٩).

غير أن شعب ماناي ثار على ملكه آزا، بسبب تخاذله أمام دولة آشور، وقبض عليه الثائرون وقتلوه، فبادر سرجون الثاني إلى القضاء على الثورة، وألقى القبض على قائدها دياكو égdato، وجلس الابن الآخر لإيرانزو على عرش ماناي، ويدعى أوللوسوتو. وحاول أوللوسوتو الخلاص من قبضة الآشوريين أيضاً، فعقد اتفاقاً مع روسا الأول ملك أورارتو، وسلّمه (٢٢) اثنتين وعشرين قلعة، وحرّض حكام مناطق شمالي نهر الزاب الأسفل (الصغير) على الوقوف ضد الآشوريين. لكن سرجون الثاني احتل إيزيرْتو عاصمة ماناي، واستسلم له أللوسوتو، فأبقاه سرجون ملكاً على عرش منناي. (دياكونوف: ميديا، ص ١٩٩. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ص ٥٧٨).

وخلال عهد الملك الآشوري آشور بانيبالAshurbanipal سنة (٦٦٨ ق.م- ٦٢٧ ق.م) غزا شعب السكيث أرض ماناي، قادماً من شمالي البحر الأسود، واستقر في الجهات الجنوبية من بحيرة أورميه، قرب مدينة سَقِز، وصار السكيث شوكة في خاصرة دولة ماناي، إذ تحالفوا مع الآشوريين، وألحقوا الفشل بجهود المانايين لتحرير أنفسهم من الاحتلال الآشوري. وخلال القرن السابع قبل الميلاد كان الحضور الميدي يقوى في غربي آسيا، وكان يهمّ الميديين أن يبسطوا نفوذهم على ماناي، وعدم تركها لقمة سائغة بين أيدي ملوك آشور، ويبدو أن القرابة الإثنية بين الميديين والمانايين لعبت دورها، إذ كان شعب ماناي أميل إلى الميديين، بل إن القائد الميدي دَياكو وضع نفسه تحت حماية سلطة ماناي، خلال الأعوام (٧٣٧ – ٧١٩ ق.م)، لينجو من مضايقات دولة آشور. وبعد انتصار الميديين على دولة آشور، صارت ماناي جزءاً من الإمبراطورية الميدية بين عامي (٥٩٠ – ٥٨٠ ق.م). (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٤٩١/٢ – ٤٩٣. دياكونوف: ميديا، ص ١٩٧).

منجزات حضارية:

ثمة حقيقة ينبغي أن نأخذها في الحسبان ونحن نبحث في تاريخ أسلاف الكرد؛ ألا وهي أن أسماء معظم الفروع التي تكوّن منها الكرد- إن لم يكن جميعها- هي أسماء آلهة (كاشو، خورّو، خلدي)، أو أسماء جغرافية (گوتيوم، سوبارتو، ميديا)، وأحياناً أسماء قبائل تسلّمت دفّة القيادة في وطن أسلاف الكرد (لوللو، ميتاني)، ويصدق الأمر نفسه على شعب مانناي، فهذا الاسم إما أنه اسم جغرافي، أو أنه اسم قبيلة كانت لها السيادة على بقية القبائل، أما الشعب نفسه فكان ينحدر من الگوتيين واللولوبيين والحوريين (الخورّيين)، ثم تأثروا تدريجياً بالميديين، واندمجوا فيهم. وذكر دياكونوف أن مملكة مانناي أصبحت، من الناحية الحضارية والمدنية والاقتصادية، نواة لتأسيس الإمبراطورية الميدية في القرن السادس قبل الميلاد. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٤٩٤/٢. دياكونوف: ميديا، ص ١٤٣).

وقد اشتهرت دولة مانناي بزراعة الحبوب، وذاعت شهرة الحنطة المانّنية (المنّنية)، واشتهرت أيضاً بمراعيها وبتربية الحيوانات بما فيها الخيول، ويبدو من خلال المكتشفات الذهبية والفضية والنحاسية والحديدية، في مناطق جنوبي بحيرة أورميه، أن صناعة المعادن في المدن المانّنية كانت متقدمة، وتشير فنون هذه الصناعة إلى المستوى الرفيع لثقافة الطبقة الأرستقراطية، وهي تضاهي أحياناً الفنون الأورارتية والآشورية. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٤٩٤/٢).

والحقيقة أن علوّ شأن دولة مانناي لم يأت من فراغ، وإنما لأنها حظيت بنخبة من قادة المجتمع والدولة النابهين، ومنهم على سبيل المثال فئة كان كل فرد منها يحمل لقب (هازانو)، ويعني هذا اللقب (مختار الجماعة) أو (عمدة الجماعة)، وكان هؤلاء الـ (هازانو) يشتركون في إدارة دولة مانناي، ويُكلَّفون بالمهمّات والأعمال الهامة من قِبل اتحاد الأقوام المنضوية تحت لواء دولة مانناي، وكان يُنظر إليهم بقدر كبير من الاهتمام. (دياكونوف: ميديا، ص ١٦٩). وإن مقارنة سريعة بين لقب (هازانو) والكلمة الكردية (هوزان) Hewzan / Hozam؛ أي (عارِف/عالِم)، توضّح أن قادة المجتمع الميتاني هؤلاء كانوا من النخبة الواعية الخبيرة، وأن الصلة الثقافية لم تنقطع بين الماننايين وأحفادهم الكرد رغم مرور ستة وعشرين قرناً.

٢- خَلْدي Khaldi (أورارتو)

من هم الخلديون؟

خَلْدي (خالْدي/ خالْتي/ كالْتي) سلالة زاگروسية انحدرت من الحوريين (الخورّيين)، وعاشت خلال الألف الثالث قبل الميلاد أو قبله في المنطقة التي سمّيت بعدئذ كردستان، وكان الخَلْديون يطلقون على أنفسهم اسم (Halitu-in) أي شعب الإله خَلْدي (آلدي)، وكانوا يسمّون بلادهم (بياينيلي)، وأطلق الآشوريون اسم (نائيري) îNaîr على بعض أجزاء بلاد خَلْدي، وهي المنطقة الكردية التي تسمّى (شَمْدِينان) في جنوب شرقي تركيا حالياً، وقد يكون اسم نائيري (نايري) باقياً في اسم قبيلة (ذَهْري) التي ينتمي إليها الشيخ عُبَيد الله ذَهْري قائد ثورة عام (١٨٨٠ م)، وكان موطنه في شَمْدينان. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٣١/٢ — ١٣٤).

وكان معظم الخلديين يعيشون بين أربع بحيرات معروفة في كردستان وأرمينيا، هي بحيرة چيلدر، وبحيرة وان، وبحيرة أورميه، وبحيرة سيڤان، وكانت عاصمتهم مدينة توشپا TuŠpa الواقعة قرب مدينة (وان) الحالية، وانتقل بعض الخلديين فيما بعد للعيش في وادي نهر الفرات. وذكر

وليـام لانجـر بلاد خلدي باسـم مملكة فان (أورارتو/آرارات)، وقال: « لا يمكـن تعيين حـدود أورارتو (آرارات) بالضبـط، وبصفة عامة كانـت المملكـة تقع بـين القوقاز وبحيرة ڤـان». والمقصود بـ (ڤان) هـو (وان). (جمال رشـيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١/١٦٤، ١٣١/٢،١٢٢. وليـام لانجـر: موسـوعة تاريخ العالم، ٨٧/١).

وقـد أطلـق الآشـوريون على موطـن الخلديين اسـم أورارتو/(أوروآتـري)، ففي القـرن الثالث عشر قبل الميلاد أغار الملك الآشوري شلمانصر الأول Shalmaneser ١ (١٢٦٣- ١٢٣٤ ق.م) علـى مركـز بـلاد الكـرد الحاليـة (جنوبـي مـُـوش، وشـمالي وان، وغربـي بحيرة أورميه)، وسـجّل اسم تلك البلاد لأول مرة في التاريخ بصيغة (أوروآتري) التي تبدّلت فيما بعد إلى صيغة (أورارتو)، وأخذت تعبّر عن مفهوم سياسي لدولة قامت في الجهات الشمالية لبلاد آشور، وجاء ذكر بلاد خَلْدي بصيغة (آرارات) في سـفر التكوين من كتاب (العهد القديـم)، ونخرج مما سـبق بأن (خلـدي، أورارتو، نايري) أسـماء لمسمّى واحد. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٣١/٢ – ١٣٣).

مراحل الصراع ضد دولة آشور: في الوقت الـذي بدأ فيه ظهور الخلديين كقوة سياسـية في غربي آسـيا كان الآشـوريون يوسّـعون نفوذهـم في جميـع الاتجاهـات، ويعملـون بإصرار للقضاء على كل قوة سياسـية منافسـة لهم، ومر قبل قليـل أنهم كانـوا حريصين علـى إخضـاع كل مـن المانناييـن والميديـين المعاصريـن للخلديين، وكان مـن الطبيعي- والحال هذه- أن ينال شـعب خلدي نصيبه من أطمـاع ملـوك آشـور، ويدخل في صراع مرير ضد الآلة العسـكرية الآشـورية الشرسة، ويمكن تقسيم فترة الصراع الآشـوري- الخلدي إلى مرحلتين:

في المرحلة الأولى شـمل الصراع الفـترة الواقعة بين عامي (١٢٧٥ – ٨٤٠ ق.م)، ويفهـم من نقوش الملك الآشوري شَـلمانصر الأول أن بلاد خلدي كانت مقسـمة حينذاك إلى إمـارات عديـدة، لا تنضوي تحت لواء سـلطة مركزية واحدة، وذلك هو شـأن معظم أسلاف الكرد على الصعيد السياسي، وكان من السهل علـى الدولـة الآشـورية أن تلحق الهزيمـة بتلك الإمارات، وتبسـط نفوذها على بـلاد خالدي، خلال هجمات ملوك آشور المتكررة، وخاصة هجمات تُوكُولْتي- نِينُورْتا الأول Tukulti Ninurta ١ (١٢٣٣ – ١١٩٧ ق.م)، وتيغـلات بلاصر الأول Tiglathpileser 1 (١١١٤ – ١٠٧٦ ق.م)، وحَـداد نـيراري الثاني Adad- nirari 11 (٩١١ – ٨٩٠ ق.م)، وتوكولتي – نينورتا الثاني Tukulti Ninurta ١١ (٨٩٠- ٨٨٤ ق.م)، وآشـور ناصـر پـال الثاني Ashur Nasir pal 11 (٨٨٣ – ٨٥٩ ق.م). (وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ٨٨/١. جرنوت فلهلم: الحوريـون، ص ٧٩ – ٨٢. جمـال رشـيد: ظهور الكـرد في التاريخ، ١٣٥/٢).

أمـا في المرحلة الثانية الواقعة في الفـترة (٨٤٠ – ٦١٢ ق,م) فقـد اختلف الأمـر، ويبدو أن اعتداءات ملوك آشـور المتكررة على أورارتو ، وحمـلات التدمـير والبطـش القاسـية، فرضـت علـى إمـارات أورارتو أن تنبذ الفرقة، وتتوحّد تحت راية سـلطة واحدة، يقودها ملوك محاربون. وقد تأسست دولة أورارتو بدلالتهـا الموحَّدة بفضل الملـك سَـرْدور الأول (بالكردية: سَرْدار)، وظهر اسم أورارتو لأول مرة في سـجل الملك الآشوري آشور ناصرپال الثاني (٨٨٣ – ٨٥٩ ق.م)، وعمل هذا الملك لبسط نفوذه على أورارتـو، ومع ذلك لـم يفلح كما كان قد أفلـح جده الأعلى تيغلات بلاصر الأول. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٢٣/٢، ١٣٥)

وعندمـا مات آشـور ناصرپال الثاني ثار شعب أورارتو على الولاة

الآشـوريين في كل مـكان، وبدأت قـوات أورارتيـة منظّمـة تهاجم الحاميات الآشـورية، وتنتزع منها المقاطعات واحدةً بعد أخرى، فقاد شلمانصر الثالث Shalmaneser 111 (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) ابـن آشـور ناصربـال الثاني حملة عسـكرية على أورارتو في السـنة الثالثة من حكمـه (٨٥٥ ق.م)، ودخل منطقة خُوبوشْكا الجبلية الواقعة بين وان شمالاً وراوندوز جنوباً، وتغلغل في المناطق الجبلية الوعرة حتى وصل إلى منابـع نهري دجلـة والفرات، وقدّم هنـاك القرابين للآلهة كما كان يعمل أسلافه. ورغم الحملات التدميريـة العديـدة لم يسـتطع شـلمانصر الثالث تقويض مملكة أورارتو تقويضاً تاماً، بسبب موقعها المنيع، وكانت تسـتعيد قوتها إثر كل اندحار عسكري. (جمال رشيد: ظهـور الكرد في التاريـخ، ١٢٥/٢ - ١٢٧. محمـد بيومي مهران: تاريخ العراق القديم، ص ٣٧٢).

ثم أخذت قـوة مملكة أورارتو تتصاعد، ووصل نفـوذ الخلديين إلى حدود الدولة الآشورية، وصاروا ينتزعون من أراضيهـا جزءاً بعد آخـر، حتـى أصبحـت المقاطعات الآشـورية الشـمالية الممتـدة من شمالي سـوريا غرباً إلى نهر آراس شرقاً تحت نفوذ أورارتو، وخاصة عندما تسلّم الحكم في آشور ملوك ضعفاء من أمثال شلمانصر الرابع (٧٨١ – ٧٧٢ ق.م)، وآشور دان الثالث (٧٧١ – ٧٥٤ ق.م)، وآشـور نـيراري الخامس (٧٥٣ – ٧٤٦ ق.م). (جمال رشـيد: ظهور الكـرد في التاريخ، ١٢٧/٢).

وعندمـا تولّى الملـك تيغلات بلاصـر الثالـث (٧٤٥ – ٧٢٧ ق.م) عرش آشور بدأ يخطط للقضاء على قوة الملك الخلدي سَـرْدور الثاني، فهاجم حلفاءه في شـمالي سـوريا، فأسـرع سـردور لنجدة حلفائه. وفي سنة (٧٤٣ ق.م) التحمت قوات تيغلات بلاصر بقوات سـردور في معركة حاميـة، وانتصر تيغلات بلاصر، وانسحب سردور إلى عاصمة مملكتـه توشـبا، وراح يسـتجمع قواه، اسـتعداداً لمنازلة الآشوريين ثانية. (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٢٨/٢).

وفي الوقـت الذي انشـغل فيه ملـوك آشـور بمواجهـة تصاعد الحضـور السياسـي الميـدي (في شرقي كردستان حالياً) تغلّب الملك الخَلْدي روسـا الثاني على آزا ملك مانناي الموالي للآشوريين، وتغلغل في المناطـق التـي تؤلـف جنوبي كردسـتان الآن، وأقـام نصبـاً في مقر معبـد الإله خلدي قرب بلدة موساسـير (تسـمى أَرْدِيني أيضاً وهـي تتطابق مع قرية مجيسـر علـى بعد ١٨ كم شـمالي راوندوز حاليـاً)، فشـنّ سـرجون الثاني Sargon١١ عـدة حمـلات علـى أورارتـو، وأهمها حملتـه الثامنة التي قادها بنفس سنة (٧١٤ ق.م)، وانتهت بسـحق قوات روسا الثاني، وتدمير مدينة موساسير، واحتلال العاصمـة توشپا وحرقها، وأسـر سـرجون الثاني كل أفـراد العائلة المالكـة ومئات مـن خواصهم، ولما عـرف روسـا ذلـك أنهـى حياته بخنجره منتحراً. (جمال رشـيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٢٨/٢).

ولما تولّى سَرْدُور الثالث عرش أورارتو كانت دولة أورارتو قد أصبحت تـدور في فلك دولة آشـور، وكان من الطبيعي أن يسود السلام والوئام بين دولتي أورارتو وآشـور، وزار سردور الثالث نينوى، وقـدّم التحية للملك آشـور بانيپـالAshurbanipal سـنة (٦٦٨ ق.م- ٦٢٦ ق.م) " كمـا يحيّى الابن أباه» حسـب قول الملك الآشوري. وكان سَرْدُور الثالث آخر ملوك دولـة أورارتـو؛ إذ زالت هذه الدولة علـى أيدي الغزاة السِّـكيث scythians،وبعد انتصار الميد على دولة آشور عام 612 ق.م (أصبحت أورارتـو جـزءاً مـن الإمبراطورية الميدية .(جمال رشـيد: ظهور الكرد في التاريخ، ١٢٨/٢- ١٢٩. محمد بيومي مهـران: تاريخ العـراق القديم، ص ٤١٩).

من حضارة أورارتو:

هذا فيما يتعلق بالتاريخ السياسي لدولة أورارتو، أما فيما يتعلق بتاريخها الحضاري فيرى كل من الباحث الروسي ميشتشانينوف Meshshaninov والجيورجي ملكشفيلي Melikishvili أن اللغة الأورارتية عُرفت باسمين هم الوانية (نسبة إلى بحيرة وان)، والموساسيرية (نسبة إلى موساسير)، وكانتا قريبتين من اللغة الحورية (الخوريّة)؛ إلا أنهما تأثرتا، مع مرور الزمن، ببعض المفردات الساميّة أثناء السيطرة الآشورية على تلك المناطق. كما أن الخلديين اقتبسوا بعض مظاهر الحياة السياسية والعسكرية وفن الكتابة وحفظ الوثائق والأعمال الأدبية من الآشوريين (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٢/١٢٢، ١٣١، ١٦٣- ١٦٤).

وتفيد النقوش الوانية (نسبة إلى وان) المكتوبة بحروف آشورية مسمارية أن أعمال البناء، والأعمال الهيدروليكية بوجه خاص، كانت متقدمة ونشطة في أورارتو، ومنها القناة التي تمّ حفرها في عهد الملك الخلدي مِنِوَا للريّ، وكانت مياه القناة مستمدة من الينابيع الواقعة على حافة بحيرة وان، وكانت تروي مساحة بطول (٤٦ ميلاً = حوالي ٧٥ كم). وذكر وليام لانجر أنها ما زالت مستخدمة حتى الآن. (وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم،١/٨٧. جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٢/١٣٩).

كما أن شعب خلدي أظهر استعداداً خاصاً في الفنون الصناعية، وخاصة في صناعة المعادن. وقد توافرت لصناعة التعدين الأورارتية موارد خام محلية غنية، كالحديد والنحاس والذهب والرصاص والقصدير وغيرها، وتشير المراجع الآشورية إلى المستوى الرفيع لتطور التعدين والنطاق الواسع لإنتاج المعادن في أورارتو. (بونغارد – ليفين: الجديد حول الشرق القديم، ص ٥٣٢).

أما على الصعيد الديني فإن الإله خَلْدي (هالْدي/ آلْدي) كان الإله القومي لشعب خلدي، وكان يشكل ثالوثاً إلهياً أعلى مع كل من الإله تيشيبا (إله الزوابع الحوري تِشُّوب Teššup)، والإله أو الإلهة أَرْدِيني (إله أو إلهة الشمس)؛ وهذا دليل آخر، إلى جانب الدليل اللغوي، يؤكد انتماء الخلديين إلى شعب حُوري (خُوريّ). (وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم،١/٨٧).

وقد جاء ذكر أسماء آلهة شعب خَلْدي في نُصب أقامه الملك مِنِوَا بمناسبة القناة التي حفرها، جاء فيه: « ببركة الإله خَلْدي بنى مِنِوَا بن إشبويني هذه القناة، وسمّاها (قناة مِنِوَا)، وبعظمة خَلْدي أصبح مِنِوَا ملكاً مقتدراً، ملكاً عظيماً، ملكاً على بلاد بياينيلي، سيّداً على مدينة توشپا، يقول مِنِوَا: كلُّ من يُخرّب، كلُّ من يكسّر، أيُّ شخص يقتلع هذا العمل، أو يدّعي أنه صنع هذه القناة، فلْيُهلكه خَلْدي وتيشيبا وشيڤيني وجميع الأرباب». (جمال رشيد: ظهور الكرد في التاريخ، ٢/١٤١).

٣ - **الميديون** Medes

من هم الميديون؟

ورد اسم الميد في اللغة الآشورية بصيغ (ماداي) Medai، و(أماداي) Amadai، و(ماتاي) Matai، وهو بالعيلامية (ماتا- په) Mata-pe، وبالعبرية (ماداي)، وبالفارسية (مادا) Mada، وباليونانية (مادي/ميدي) Madoi، Medoi، وبالأرمنية (مار-ك) Mar-k، وبالبارثية (مات) Mat. وقد ذكرت المدوّنات الآشورية، في القرن التاسع قبل الميلاد، اسم شعب يسمى (ميد) Medes وثيق الصلة بالفرس يقطن المنطقة المجاورة لبلاد آشور من ناحية الشرق، وادّعى كل من الملكين الآشوريين تيغلات بلاصر الثالث Tiglathpileser 111 (٧٤٥ – ٧٢٧ ق.م)، وسرجون الثاني Sargon11 (٧٢٢ – ٧٠٥ ق.م) أنهما

ألزما الميد بدفع الجزية، وجاء وصفهم في الكتابات الآشورية بأنهم «الميديون الخطرون»، وأنهم شعب قَبَلي لم يتحد تحت لواء ملك واحد. (دياكونوف: ميديا، ص ٧٢. هـ. ج. ولز: معالم تاريخ الإنسانية، ٣٥٠/٢).

ويستفاد من الدراسات الدائرة حول الميديين أن قدومهم إلى المنطقة التي سُمّيت لاحقاً (كردستان) بدأ منذ حوالي سنة (١١٠٠ ق.م)، وكانوا يتألفون من اتحاد ستة قبائل، سمّاها دياكونوف: Boussi, Paretaknoi, Strouknates, Arizantoi Boudloi, Magoi، وسمّاها هيرودوت (بوسّي، وباريتاسيين، وستروكاتي، وأريزانتي، وبودي، وماجي)، وكانت اللغة الميدية مشتركة بين بطون هذا الاتحاد القبلي، ويستفاد مما ذكره أرشاك سافراستيان أن ميديا هي امتداد جغرافي وتاريخي وثقافي لكوتيوم، باعتبار أن الكوتيين والميد سكنوا المنطقة ذاتها. (دياكونوف: ميديا، ص ١٤٣، ١٤٦. هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ص ٨٠. أرشاك سافراستيان: الكرد وكردستان، ص ٣٢. ديلابورت: بلاد ما بين النهرين، ص ٣٠٨).

الصراع الميدي- الآشوري:

خاض الميد حروباً ضارية ضد إمبراطورية آشور، وكانت هذه الإمبراطورية هي الأقوى آنذاك في غربي آسيا، وكان أقوام ميديا يتطلعون إلى الخلاص من سيطرتها، فشنّ ملوك آشور الحملات المتتالية على معاقلهم، وأنزلوا بهم أفدح الخسائر، ودمّروا مدنهم وقراهم، ويرجع خبر أول صدام بين الميد والآشوريين إلى عام (٨٣٥ ق.م)، أو عام (٨٣٧ ق.م) في عهد شلما نصر الثالث، وصحيح أن الآشوريين حقّقوا بعض الانتصارات على الميد، لكنهم عجزوا عن فرض سلطة فعلية دائمة عليهم. (ديورانت: قصة الحضارة، ٣٩٩/٢. دياكونوف: ميديا، ص ٢٧٧).

وحوالي منتصف القرن الثامن قبل الميلاد برز زعيم ميدي عبقري يدعى دَياكو Daiku ابن فراوُرْتيس Phraortes (حكم بين ٧٢٧ — ٦٧٥ ق.م)، ويسمى باليونانية (ديوسيس) Deioces، ويسمّى في المصادر الفارسية (كَيْقُباد)، فوحّد صفوف الميديين تحت لواء تكوين سياسي باسم (اتحاد قبائل ميديا)، وانتقل بالميديين من ذهنية الانتماء إلى (القبيلة) إلى ذهنية الانتماء إلى (الدولة)، وسنّ القوانين وأصدر المراسيم، واتخذ مدينة أَكباتانا (آمدان/هَمَذان) عاصمة للدولة الناشئة، وهي تقع في واد خصيب جميل، وكانت من أهم المراكز التي يمر بها طريق الحرير التجاري العالمي.

وبعد أن نظّم دياكو المجتمع الميدي، وأنشأ اتحاد القبائل وفق نظام لامركزي، وأسس الدولة والجيش، ثار على الإمبراطورية الآشورية، وأعلن الاستقلال عنها، وخاض ضدها الحرب، لكن الملك الآشوري سرجون الثالث تمكن من القضاء على الثورة، وأسر دياكو عام (٧١٥ ق.م)، ونفاه مع حاشيته إلى مدينة (حَماه) في سوريا، ثم أعيد إلى ميديا أو إلى تخومها بعد فترة غير معروفة. (دياكونوف: ميديا، ص ٢٨، ١٤٣، ١٤٦. ديلابورت: بلاد ما بين النهرين، ص ٣٠٨. ديورانت: قصة الحضارة، ٤٠٠/٢).

وظلت ميديا خاضعة للإمبراطورية الآشورية إلى عهد الزعيم الميدي فراورتيس Phraortes ابن دياكو، ويسمّى خَشْتريت، ويسمّى خشاثريتا Khshathrita في كتابات نقش بهستون (بيستون)، وحكم فراورتيس بين عامي (٦٧٤ - ٦٥٣ ق.م)، وامتاز بدرجة عالية من الحنكة، إنه أعاد توحيد القبائل الميدية، وأسّس حكومة مستقلة في ميديا، وبعد أن أخضع السِّمّيريين (الكِمِّيريون) Cimmerians والسكيث Scythians والفرس

للسلطة الميدية، هاجم العاصمة الآشورية نِينَوَى، لكن السكيث الذين كانوا قد تحالفوا مع الآشوريين هاجموه من الخلف، فباء هجومه بالفشل، وقُتل في المعركة، ولم يكتف السكيث بذلك، بل هاجموا ميديا، وبسطوا سيطرتهم عليها (٢٨) ثمانية وعشرين عاماً، بين عامي (٦٥٣ - ٦٢٥ ق.م). (طه باقر وآخران: تاريخ إيران القديم، ص ٣٩ - ٤٠. Mehrdad Izady: The Kurds, p. 32).

نهوض دولة ميديا وسقوطها:

بعد مقتل فراورتيس خلفه على الحكم ابنه كَيْ أخسار أو كَيْخُسْرو Cyaxares kai-Khosru (٦٣٣ – ٥٨٤ ق.م)، ويسمّى في بعض المصادر (اكسركيس) و(سياشاريس)، وهو أعظم ملوك ميديا، وكان قائداً محنّكاً، ورجل دولة حازماً، حرر ميديا من السكيث، وفرض سيطرته على بلاد فارس من جديد، وأسكن القبائل الرحّالة، ونظّم شؤونهم، وسنّ القوانين، ونظّم الجيش على أسس حديثة، مقتبساً بعض أساليب السكيث في القتال؛ مثل سرعة الحركة والمناورة، وأحدث خيّالة سريعة الحركة، وميّز رماة السهام عن الفرسان. (طه باقر وآخران: تاريخ إيران القديم، ص ٤٠. ديورانت: قصة الحضارة، ٤٠٠/٢. Mehrdad Izady: The Kurds, p.٣٣).

ثم عقد كَيْخُسْرو تحالفًا مع الملك البابلي نبوبولاصر Nabopolassar (٦٢٧ - ٦٠٥ ق.م) ضد عدوهما المشترك (دولة آشور)، وشنّ الهجوم على دولة آشور عام (٦١٥ ق.م)، واتخذ أَرّابْخا (كركوك) قاعدة لانطلاق أعماله الحربية، وزحف بجيشه على العاصمة نينوى، فقاومته مقاومة عنيفة، فاتجه إلى العاصمة الدينية (آشور) وفتحها، وعندئذ انضم إليه حليفه الملك البابلي نبوبولاصر، وهاجم الحليفان نينوى من جديد سنة (٦١٢ ق.م)، فسقطت بعد دفاع مستميت، وانتحر الملك الآشوري ساراك بن آشور بانيبال، وتولّى القيادة عمه آشور أُوباليت، فانسحب بفرقة من الجيش الآشوري إلى مدينة حَرّان، منتظراً وصول المعونة من حليفهم الملك المصري أَمازيس.

وأسرع أَمازيس إلى تقديم العون العسكري لحلفائه الآشوريين، وبعد مناوشات ومعارك عديدة دامت بين عامي (٦١٢ – ٦٠٥ ق.م) خسر الحلف الآشوري المصري الحرب أمام الحلف الميدي البابلي، وزالت من الوجود واحدة من أقوى إمبراطوريات العالم القديم. واستكمل كيخسرو توحيد المناطق التي استقرت فيها الأقوام الهندوأوربية على تخوم القوقاز، فهاجم دولة أورارتو، وألحقها بالدولة الميدية، وأصبح غربي آسيا مقسّماً بين أربع دول، هي: الدولة الميدية، والدولة البابلية الحديثة، ودولة ليديا في آسيا الصغرى، والدولة المصرية. (هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ص ٨٠. ديلابورت: بلاد ما بين النهرين، ص ٣٢٠. دياكونوف: ميديا، ص ٢٨٤، ٢٩٥، ٢٩٤، ٢٩٦).

وأخضع كَيْخُسرو السكيث لسلطته، لكنهم كانوا ينتهزون الفرصة للانقلاب عليه، فهاجمهم وهزمهم، ففروا غرباً، ولجأوا إلى مملكة ليديا في آسيا الصغرى. وطلب كيخسرو من إلْياتّس ملك ليديا تسليمه السكيث الفارين، لكن إلياتّس رفض، فأعلنت ميديا الحرب على ليديا سنة (٥٩٠ ق.م)، ودامت الحرب بين الدولتين حوالي ست سنوات، وصادف أن كسفت الشمس سنة (٥٨٥ ق.م)، ففسّر الفريقان ذلك بأنه غضب من الآلهة، فتصالحا وتحالفا، وتزوّج أَسْتياگ بن كيخسرو من أريينس ابنة إلياتّس، واستقر الأمر بين الملكين على أن يكون نهر هاليس (قزيل أرماق) حداً فاصلاً بين الدولتين. (هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ص ٦٣ – ٦٤. دياكونوف: ميديا، ص ٣٠٢. هارڤي

بورتر: موسوعة مختصر التاريخ القديم، ص ٨٧).

وبعد وفاة كَيْخُسْرو سنة (٥٨٥ ق.م) خلفه على العرش ابنه أَسْتِياگ (أستياجيس Astuages، بين (٥٨٤ – ٥٥٠ ق.م)، وكان من نتائج التفاهم الميدي البابلي الليدي أن ساد السلام في غربي آسيا، ونشطت حركة التجارة، وكثر الثراء، وانغمس نُخَب المجتمع الميدي في الترف والبذخ، وظهرت التناقضات الداخلية، وأدّت سياسات أستياگ غير الرصينة إلى خسارة التحالف مع بابل غرباً، وإثارة نقمة تابعه ملك أرمينيا شمالاً، فانتهز ملك فارس كُورْش الثاني بن قمبيز الأول وأمه ماندْانا ابنة أستياگ، الفرصة، وتحالف مع كل من نابُونِيد ملك بابل ومع يَرْوانْت حاكم أرمينيا، وأعلن الثورة على أستياگ حوالي سنة (٥٥٢ ق.م). (ديورانت: قصة الحضارة، ٤٠٢/٢. مروان المدوّر: الأرمن عبر التاريخ، ص ١١٩).

وكانت سياسات أستياگ الاستبدادية قد جرّت عليه نقمة بعض نُخب المجتمع الميدي، ومنهم هارپاگ (هارپاجوس) كبير قادة الجيش، وأقنع هارپاگ بعض الكهّان المُوغ والنبلاء والقادة الميد بالانضمام إلى كورش، ودارت الحرب سجالاً بين أستياگ وكورش، وأخيراً خسر أستياگ الحرب نتيجة خيانة هارپاگ وفريقه، ووقع في الأسر، وخسرت ميديا استقلالها، وأصبحت تابعة للإمبراطورية الأخمينية بدءاً من حوالي عام (٥٥٠ ق.م). (هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ص ٩٦، ٢٥٩. أنطون مورتكارت: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ٣٥٠، ٣٦٧. ديورانت: قصة الحضارة، ٤١٠/٢).

المراجع

١. أرشاك سافراستيان: الكرد وكردستان، ترجمة الدكتور أحمد الخليل، دار سردم للطباعة والنشر، سليمانية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

٢. أرنولد توينبي: مختصر لدراسة التاريخ، ترجمة فؤاد محمد شِبْل، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، الطبعة الأولى، ١٩٦٤.

٣. أنطون مورتكات: تاريخ الشرق الأدنى القديم، تعريب توفيق سليمان، علي أبو عسّاف، قاسم طُوَيْر، ١٩٥٠م.

٤. بونغارد – ليفين (إشراف): الجديد حول الشرق القديم، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٨.

٥. جرنوت فلهلم: الحوريون تاريخهم وحضارتهم، ترجمة فاروق إسماعيل، دار جدل، حلب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.

٦. الدكتور جمال أحمد رشيد: ظهور الكورد في التاريخ، دار آراس للطباعة والنشر، أربيل، كوردستان العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣.

٧. دياكونوف: ميديا، ترجمة وهبية شوكت محمد، رام للطباعة والتوزيع، دمشق.

٨. ديلابورت: بلاد ما بين النهرين، ترجمة محرّم كمال، المطبعة النموذجية.

٩. الأستاذ طه باقر، الدكتور فوزي رشيد، الأستاذ رضا جواد هاشم: تاريخ إيران القديم، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٩.

١٠. الدكتور عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧.

١١. الدكتور محمد بَيُّومي مَهران: تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠.

١٢. مروان المدوّر: الأرمن عبر التاريخ، دار مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

١٣. هـ. ج. ولز: معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧- ١٩٧٢.

١٤. ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٨.

١٥. وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، أشرف على الترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩.

١٦. هاري بورتر: موسوعة مختصر التاريخ القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١.

١٧. هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح، المجمّع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠١.

18. Mehrdad R. Izady: The Kurds, Crane RussakWashington, Philadelphia, London, 1992.

فان إيروتيك

للشاعر قوباد جلي زاده

ياسين النصير

١

بدءا ثمة ثلاث شخصيات تتقاسم هذا الديوان:

« فان» الحبيبة والرمز والأسطورة، تلك التي وهبها الله لشاعر أشيب فملأت جراره وأرضه بخصب القبلات، ثم عادت من حيث أتت غائبة في زمن السرمدية..

قبل أن تعود (فان) إلى الكهف بعثرت أمام
أقدامنا كيسا من ليرات الحب
التي وهبها إياها شاعر
أشيب،
متيم: في لقاء ليلة دامسة.
ص ٨

العودة إلى الكهفية، هي عودة لبدء الخلق وبدء الرسالات كلها، فالكهفية هي الرحم هي تلك الغرفة السرية التي دفن الله بها أسرار الكون كله، ولنا في التراث الإسلامي أكثر من صلة بين الرسالة والمحافظة عليها والكهف، ففي غار جبل ثور حمى الله الرسول وعلي من بطش الأعداء بهما حين بنى على باب الكهف العنكبوت بيته، وبيت العنكبوت هو غشاء البكارة ، من هنا فعودة فان إلى الكهف ثانية عودة لأن تكون عذراء غير مدنسة من أفعال البشر، عودة ستكون في موقع البداية/السر، وفي زمن السرمدية /الحب.

الشخصية الثانية هي الشاعر المتجول بين حقول الجسد والفكر والشجر،» قوباد» يلتقط من حديقة العشق كل الأزهار النافرة النهدين، ويلقي بها في شوارع المدينة فتدخل البيوت واللسان مطعمة أريج الفم بالقبلات. الشاعر هنا الساحر الجوال الذي يغني ويطرب ويعزف ثم يغادر كأي درويش ملك كل طاقات التبليغ..في البعد المثيولوجي للشاعر يكون العراف مستبطنا لغته التبليغ، ومنشدا لغة الحكمة التي تعبر عن خبرة السنين، ليس غير العراف الشاعر بمقدره أن يعيد فان ثانية للحياة كي تخرج من كهفها ثانية وما الأغنيات/القصائد إلا نشيدا دائما كي تعود فان ثانية..

الشخصية الثالثة، هي الفعل «الايروتيك»، الفعل الجنسي المشترك بين البشر والشجر والطير والحجر، هذا الفعل الذي بنى المدن ودمرها،جيش الجيوش للحرب وللسلم معا، وأقام حضارات وثقافة وحداثة، هذا التكوين الذي يمتلك وحده لغة كل الكائنات، يحضر في هذا الديوان ليس كفعل للجسد، بل طاقة مولدة لحياة الأشياء، وفي

الديوان مئات الصور الايروتيكية التي تخرج من كونها فعلا بين اثنين، إلى فعل جدلي بين كائنات مختلفة كي تولد القصيدة النفي.

في صلب العملية الشعرية يولد الشاعر بنية صيانية وتدميرية معا، البنية الجدلية التي تخرج قليلا عن سياقات هيجل في أنها تعتمد الجدل الداخلي والمؤثرات الخارجية لا لتولد مربعا ثالثا هو نفي النفي، بل تولد تغييرا جذريا في الموجب والسالب معا مع الإبقاء على الموجب والسالب ولكن بحركة متطورة، فقد تنقلب البنية الصيانية عندما تتحجر مفاهيمها إلى بينة تدميرية وقد تتبدل قوى وصيرورة البنية التدميرية عندما تتجدد مفاهيمها، فتصبح صيانية بانتظار أن تنعدم ثانية، هذه الصيرورة نجدها في هذا المركب الثالث الشعري، فان التي تحضر في الحياة فتحدث حركة كونية تغير من سياق الشاعر، ثم تغيب ويبقى الشاعر مستعيدا عبر الفعل الايروتيكي كبنية جديدة التي هي الصائد، والقصائد لا تعود عند إنتاجها وقراءتها لا إلى فان ولا إلى قوباد، أنها بنية صيانية/ تدميرية خلاصة لفعل جدلي ولكن ضمن سياقات الشعر..

سيتبادل هذا الثلاثي الأدوار في صنع القصائد ،مستصحبين معهم الطبيعة الكردستانية واللغة ، والأشياء، والرسوم، والحرية، والأسرة، والأفكار، والأشجار، والورود، وكل ما يصنع مشهدا حسيا مغرقا بالأيروتيكية..

وبالطبع تتحكم الأخلاق العامة في هذا الثلاثي ، فلا يفصحون تماما عن العلاقات الفاضحة التي يولدها الجنس، فتجد نفسك أحيانا في بنية فكرية/ذهنية ، وصور كونية، تبدو بعيدة عن الفعل المباشر، وعشتار لا تنزل من عليائها إلى الأرض طمعا بلقاء عابر مع دموزي، بل تنزل لشعورها بأن الخصب لا يتم في الأحلام..

قليلة هي إسهامات الشعراء العراقيين في مجال الإيروتيك، ماعدا قصائد خجولة لسعدي يوسف لا ترقى لمستوى الشعر/ الجسد، لم نجد في الشعر العراقي ما يوازي الحياة العراقية الخاصة والسرية في العلاقات الجنسية،هذه فرصة يتيحها الشاعر الكردي قوباد لنا لرؤية هذا الموضوع الشعبي،من زوايا مختلفة، لعل في المقدمة منها إشراك الطبيعة والتاريخ والأحياء به، فالجنس في هذا الديوان فعلا مشتركا قبل أن يكون لغة آنية مبررة عن لحظة زمنية قصيرة،لأن الشاعر جعل منه طاقة وفراشة معا، قوة لصياغة مشاهد شعرية للمكان وللطبيعة، وحرية في التنقل بين الأزمنة الشخصية.



لم يكن ثغراً،
وإنما موقدا للجمرات
يكوي شفتي حينا
وحينا آخر لساني!

بمثل هذه الشعرية الحسية يكتب قوباد تاريخا للجنس/الجسد وهو يغطى ويحاط بالشجر والمطر والثلج والقبلات، الجنس هذا الكائن الخرافي المغيب عن أدبنا، هو أحد أهم حقول الإبداع لو أتيح للشعراء والأدباء الكتابة عنه، لخف عنف اللغة، لكنهم ما أن يمارسوه حتى يرحلونه للغة فيفقد هيجانه وصخبه.

٢

ميزة هذه التجربة هو أنها جعلت القارئ يعيش الجنس/ الخلق بأشكال مختلفة، فنأى بها من الجسد الإنساني إلى جسد الطبيعة،فكتب عن ممارسة المطر الجنسية مع الأرض، الفجر مع الشجر، والطير مع التغريد،والنهد مع التلال،والنتوء مع العضو الأنثوي، فصير الطبيعة جسدا وأفعالها جنسا، معمما بذلك الفعل الإيروتيكي بجعله طاقة الحياة في الأشياء، وقدرة الحلم على صياغة واقعة، ولغة مبهمة تغيب عنها الكلمات في لحظات الاحتدام الجسدي، وشعيرة يمكن ترديدها في الأوقات الخاصة، ومجرى مائي يستوعب البحر.. بهذه الطريقة التي منحت الطبيعة فيها الطاقة الحيوية للجسد البشري، أفصحت عن امتزاج فلسفي بين عناصر الحياة بأشكالها وصورها المختلفة، وفي الوقت نفسه كاشفة عن أن الأيروتيكية ليست فعلا مشينا يقف ضد الدين والأخلاق والتقاليد، وإنما هي تكوين قار في كل الأشياء، حيث لا الطبيعة ولا اللغة تستغني عنه..

ما ينزل من السماء
ليس بماء
ألا تراه
تحبل منه الأرض
أوراقا وزهورا
ص ٦٥

كل شيء يستحيل إلى نطفة، هذا ما تخلص إليه هذه التجربة، وعندما يبني الشاعر تصوره لقصائد الإيروتيك على هذه الفكرة المطلقة، لا تجد شيئا غير مشمول به..

٣

في الصياغات الفكرية للحداثة يصبح الجنس/الخلق طاقة مغيرة للكثير من مفردات الحياة اليومية، فالحداثة لا يمكنها أن تبني تصوراتها في مجتمعات تفتقد إلى أدنى حرية للجنس، الجنس هنا ليس بمفهومه الساذج، وهو الإشاعة والتلذذ، بل هو تفريغ طاقة الجسد وشحنها بقدرات النمو،هو الطريقة العملية لاكتشاف المجهول، لا تتصور أن السفر أو فتح طرق التجارة العالمية واكتشاف البلدان وثقافة الشعوب والتعرف على تقاليدهم وثقافتهم وقوى الطبيعة ليس من أفعال الجنس المولدة، ناهيك عن أن الكثير من الحروب الأسطورية والحقيقة كان وراءها الجنس، هلينا وكليوباترا،وعشتار وأفروديت،فالجنس ليس ثقافة أحادية مختصرة على السرير والجسد، بل هو تكوين يعيد الأفكار المبهمة فينا إلى مشاريع وخطط وأفكار وثقافة،ويدفع بالمجتمعات إلى الحداثة ويفرغ شحنات الجسد والنفس والجماعات من العنف، ولذلك عندما لا يجد الإنسان تفريغا لهذه الشحنات المكبوتة، يلجأ إلى طرق أخرى من بينها العنف للتعبير عن طاقاته.. الايروتيك ليس الكتابة عن الممارسة الجنسية فقط،كما يفهم من ذلك نقديا، بل الكشف عن قوى التجاذب بين الأقطاب المتنافرة،هذه القوة هي الفعل الإيروتيكي المولد، وقد تكون له اتجاهات مختلفة، أحيانا يأتي بالضد من عملية التوليد والتكرار كما هو في حالة الملك لير حيث صاغ شكسبير منها دراما الرفض،عندما يتحول فعل الجسد بالإنجاب إلى فعل مضاد للجسد نفسه عندما يلقى به في البرية ليواجه بجسده المتعري العاصفة والمطر. فالجسد/ الجنس هنا يُحكم بأفعاله عندما يتحول الإنجاب إلى جريمة تؤدي إلى تقسيم جغرافية المملكة، ها هو الملك لير تائها في البراري ومعه المهرج بأسنانه المهدمة ساخرا منه،متعريا من ثيابه تحت قوة وسلطة الطبيعة... ويتحول الفعل الجنسي دائما إلى عامل سلب لقوى الإنسان، عندما يصبح قوة قاهرة تضغط عليه باتجاه الثورة ضد أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية

المزرية، يذهب ماركس بعيدا عندما يجد أن مدفأة الشتاء وموقده عندما لا يحتويان نارا وكسوة تغطي الناس وتحميهم من البرد، على الجسد البشري العاري مواجهة هذه الأوضاع بالثورة عليها.. لكي يسد الجسد حاجاته البيولوجية ومنها ممارسة الجنس بهدوء الطبيعة، تبنى الثورة على الأوضاع بالحداثة.

٤

ليس ديوان الشعر، للشاعر قوباد وحده هو الذي منحنا كل هذه الشعرية، بل هناك شاعر آخر هو الرسام «روستم اغاله» رافقت رسومه القصائد فكانت قصائد أخرى،هذه الرسوم التي سلطت الضوء على الجسد وتفاصيله المثيرة،وعلى البيئة والخيال والأشياء، تفصح عن قدرة خفية للخطوط والكتل الملتفة والمنحنية والرخية والناعمة، والمكتنزة، لتكشف عن أنثوية طاغية في الأشياء، فعبر خلالها بشفافية شعبية مباشرة عن الرغبة الجنسية الشاملة لكل الأشياء، وهو ما يجعل القصائد تقترب كثيرا من الذائقة الشعبية للتلقي،ربما حاجة شعر الايروتيك إلى مشهدية بصرية، مفعمة بالحسي، وهو ما يقترن ذلك دائما بأفلام الجنس والصور الفوتوغرافية للجسد ،لكن ثقافة الرسم التشكيلي تبتعد كثيرا عن المباشرة،كما هي في هذه الرسوم التعبيرية المشحونة بجو القصائد المرافقة لها، فالتعبير عن طاقة الخيال الشعري للرسام، تتطلب قدرة على مزج المشاعر المختلفة للقراء، وعندي أن الشاعر والرسام تآمرا معا على القارئ بحيث وضعاه ضمن دائرة مغلقة، هي الجسد في هياج الطبيعة.. من جانب آخر لو عزلنا هذه الرسوم الجميلة وحدها وضمن إطار الفن التشكيلي لمنحتنا تشكيلاتها الشعرية وألوانها الشعبية الزاهية التي تضعنا في مناخ القرية المبهج والمضيء بالاخضرار، رؤية جمالية للبيئة والطبيعة والمرأة الكردية والأشجار والطير والحجر.. نحن في طاقة الجسد الكونية التي تذكرنا دائما بأن؛ الربيع فصل الخصوبة.. ولم يفتني القول، أن الترجمة التي نقرا بها هذا التكوين الكوني الغائر في الجسدية، قد وصلت إلينا بلغة صافية نقية، هي لغة المترجمة «أرخوان».

الريح (ذكر)
ألا ترى أنه يخطف فقط
الغلالة
والستيان
والسراويل النسائية
من على حبل الغسيل؟

ص ١٠٦

٥

تحاكي بنية هذا الديوان بنية السيرة الشعبية، والحكايات، حيث البداية تعلقا بالله، كمخلص للبشرية من وباء الحب بعد أن زرعه في أجسادهم ونفوسهم، ثم يأتي متن الديوان ونراه كالجسد محتذيا بتفاصيله ألف ليلة وليلة ومعرجا على أطرافه، حيث يحتل الفم والعينين والوجه وما شابه ذلك،القسم الأكبر من القصائد. وكأنه بتدرجه يقرأ لنا هذا التكوين قراءة مشهديه، مفصحا عن تفاصيل دقيقة للعلاقات الأنثوية/ الذكرية، فعبر أحدى عشر ليلة، ثم تفاصيل لـ ٢٢ مقطعا لليلة الثامن والعشرين حيث ينتهي الشهر القمري و\ لترحل فان عن هذا العالم غائبة في السماء البعيدة أو في أحشاء الأرض أنها عشتار الباحثة عن تموز:

رحلت (فان)
وأنا مزروع للأبد،
شجرة حزينة
من أشجار سرجنار
على هذا التل المهموم.

ص٤٤

« تغيير تراتب الصور من عندي»

يتبع الشعر تفاصيل القارة

السابعة بتعبير الشاعر حسب الشيخ جعفر، هنا حيث يضطجع هذا التكوين المانح إلها أرضيا ممتلئا بالخصب، وهناك حيث الله يرقب مبتسما ما يراه، وفي داخل القصيدة ثمة نوافذ لا تغلق على الرشف الدائم من ينبوع الصور، هذه التركيبة ستغادر الجزء الثاني والثالث من الديوان، ففي الجزء الثاني يدخل في التفاصيل الصغيرة فللقبلة معنى:

القبلات معبد النار ص ٤٥

هل ثمة ثقافة مثيولوجية مشبعة بالأديان القديمة نراها في بنية القصيدة؟اعتقد أن الشاعر قوباد واحد من القراء الذين يجدون في الصور الحديثة امتدادا للمثيولوجيا الدينية القديمة حيث الديانات الزرادشتية وغيرها متشربة في اللغة والممارسة الكردية، ومعظم هذه الديانات تتعامل مع الجسد البشري كجزء من الجسد الكوني والطبيعي،القبلة نار والنار قبلة السماء إلى الأرض، والجسد أرض والعشق هو حب النار في الجسد..

ومن القبلة إلى الموجة، الغلالة، التنشيف، الوداع، الوشاح، العشق، النبع، الناموسية، الخليج... الخ وكل هذه العنوانات تفريغ للجسد، ومسميات للحب، وبقع مشتعلة بالنار، مازجا بها الطبيعة بالجسد الأنثوي، مقيم على أنقاض هذا الخراب الكبير، مدنا للعشق والصيرورة، أنه الشاعر الذي يقول:

عارية
ذهبت الغابة
إلى سوق النساء
لتشتري كسوة
ص ١٠٧

٦

في لغة الديوان ثمة رومانسية طاغية، ربما كانت الترجمة مولعة بمثل هذه اللغة أيضا، بينما الرسوم تخرج عن إطار العاطفة المباشرة إلى التكوينات الانطباعية الجميلة، مازجة الجسد بالأشياء، مكونة لغة للرؤية غاية في الواقعية الفنية،أقول أن اللغة الرومانسية طاغية، طغيان الذكر، وما كان عليها أن تكون كذلك، لأن الايروتيك ليس حبا من طرف واحد،ولا شغفا بالأنثى فقط،،وإنما هي فعل جدلي بين الذكورة في الأشياء والأنوثة لتولد شيئا ثالثا : الشعر أو الرؤية الثقافية، بغياب صوت الأنثى من القصائد وهيمنة صوت الذكر السيد،قرأنا تجربة غير مكتملة.. بمثل هذه البنية المركبة من القوة واللغة تجعل أية معالجة محكومة بالمجتمع وتقاليده، الساكنة وبما تفرزه، ومن هنا وجدت بالرغم من شاعرية القصائد وتنوعها وشمولها الكوني والإنساني والطبيعي، ليست إلا رؤى أحادية لثورة الجسد، في حين أن الشاعر بمقدوره أن يضعنا في جوهر فلسفة الحداثة ليبحث ليس عن العلاقة الجنسية بين الأشياء، وإنما عن تكوين صورة تندمج فيها الأشياء في احتفال كوني مبهر، يشمل الأرض والسماء، البشر والأحياء،مكونا بقصيدة مركبة طويلة وبرؤية ملحمية البناء ليستخلص لنا أوفيد جديدة، وهلينا الساحرة ومينا العاشقة، ونسرين الوله، وزين الجبلية، وهو الذي يمتلك رؤى وفكر المثيولوجيا الكردية الغنية بالتراث والثورة والحب والطبيعة..هذه الملاحظة لا تنقص تجربة فريدة ومهمة في الشعرية الكردية المعاصرة، ولكنها مؤشر على أن تحديث الثقافة لا يمر عبر البقاء- كما يعتقد البعض- ضمن دائرة الصورة القديمة وما يتغير منها سوى التناول.. كنت أمني نفسي بقصائد نثر مفعمة بالتمرد والخروج على بنية القصيدة التقليدية بتراكيب جديدة، وهو الذي تناول أمكنة وقارات الجسد الأنثوي والذكري معا..

الرحالة إبن بطوطة الكردستاني بدل رفو المزوري في ترحال مع الشعر بين الأمم

د. خالد يونس خالد

أكتب هذه الصفحات عن الشاعر المترجم والإعلامي بدل رفو المزوري، لتبيان دوره في رسالته الأدبية الرائعة من خلال رحلاته الثقافية لنشر الثقافة الكردية بأسلوب أدبي متميز وحضاري، وتعريف العالم بالقضية الكردية من نوافذ لغوية باعتبار أن اللغة وعاء الثقافة.

ليس المزوري الذي أطلقت عليه، الرحالة "إبن بطوطة الكردستاني" أول كردي يجوب الأقطار، ويشد الترحال بين الأمم، فقد سبقه أدباء وشعراء كرد كثيرون، أمثال الشاعر الكلاسيكي الكردي أحمدي خاني صاحب رائعة الحب الكردي (مم وزين)، وشاعرنا العاشق وشيخ العشاق المعروف بإمام الغزل الكردي المولوي. لكن رحلات المزوري لها طابع عصري يغلب عليها الوعي الحضاري بسبب إطلاعه على الثقافات الكردية والعربية والأوربية، وبحكم تواجده في وسط أوربا، وبالذات النمسا، وسهولة التنقل بوسائل النقل المتيسرة في العالم الحديث، وتوفر إمكانية الاحتكاك بالحضارات الأخرى.

بدل رفو المزوري، الشاعر العاشق لوطنه كردستان، وهو المترجم بالدرجة الأولى لأشعار الشاعر الكردي عبد الرحمن المزوري، الشاعر المجدد في كلماته ومواقفه، والجرئ في نقده للبؤس الاجتماعي في المجتمع الكردي. ويبدو أن الشاعرين المزوريين عاشقان في الصميم للوطن وللترحال، ويشعران بالغربة في الداخل والخارج، لأن الحياة بلا حرية غربة في كل مكان، حتى وإن عاش المرء في عقر داره.

لنقرأ معا هذه القصيدة بعنوان "أنا ووطني غريبان" من ديوان الشاعر بدل رفو المزوري "وطن اسمه آفيفان" :

"تعال نسافر معا
ياوطني
عبر البحار والمحيطات
سأحملك معي في ترحالي
ونطوف حول تاج محل
كي نتطيب بالحب والنقاء
الذي أفتقده في شعبي
ونسلم على غيفارا في هافانا
كي نتذكر بطولات شعبي الجائع
وإلى جبال كشمير
ربما نجد حبا حقيقيا
أصبح في وطني مسلسلات مدبلجة
سنحيا معا يا وطني

غريبان في الغربة
حيث لا تكتسحنا انهيارات جليدية
ولا مزايدات وطنية
أنا وأنت
يا وطني
في أهلنا وغربتنا".

عندما أقرأ هذه القصيدة، وأنا في الغربة، أفهم أن الشاعر يحلل الوضع الاجتماعي من زاوية أدبية صادقة. يقول بصراحة أن المرء يفتقد للحب، وهو أيضا يفتقد للاستقرار في الوطن بلا حب حقيقي. هذه الخوالج التي يعبر عنها الشاعر تزورني كل لحظة، وأنا أتذكر مقولة مستشرق ألماني، تخونني الذاكرة أن أذكر اسمه، أن القيادات الكردية لم تدرس التاريخ بوعي. وما أكثر الكرد الذين يدرسون التاريخ، ولكن قراءتهم ليست قراءة واعية.

قرأت القصيدة أعلاه "أنا ووطني غريبان" وشعرت أنا أيضا غريب عن وطني، ووطني غريب عني. أين يكمن الخلل؟

في سذاجتنا أننا نصفق لكل مَن يحمل التيجان، ولا نفكر يوما متى يسقط قصر الباستيل؟

أنا لست هنا في مدرسة أدبية تاريخية، ولكني أريد أن ينظر القارئ إلى صور القصائد ليقرأ الألوان والمعاني بدلا من أن ينظر إلى الألوان ويقرأ الكلمات، وأعني هنا أن تكون قراءته تحليلية وتفكيكية، طبقا لتحليل المنهج التركيبي عند الفيلسوف عمانويل كانت، والمنهج التفكيكي للفيلسوف الفرنسي دريدا، حتى تكون قراءته قراءة عن وعي، ويفهم أن التحرر ليس في القصور المرمرية بقدر ما هي في الوعي الإجتماعي والحضاري للأمة.

أنا لست بصدد تصنيف صديقي بدل رفو المزوري في أدب رحلات كردية أو أجنبية، لكني أقول باختصار أن رحلاته كردية حضارية، وهو رحالة ينقل الثقافة الكردية إلى الأمم بطريقة عصرية ومدنية، وبشاعرية، وبلغة يفهمها المستمعون. إنه سفير كردي، وإعلامي وشاعر ومترجم، لايبحث عن الشهرة، على عكس بعض السياسيين. هدفه ليس بناء القصور كما هو عند البعض من الذين يتباهون بقصورهم المبنية بأفواه الجياع.

لماذا هذه الرحلات الثقافية؟

شرح الشاعر بدل رفو المزوري الغاية من رحلاته بجلاء في رسالة أرسلها لي، وتضمنت مايلي:

"إن كل هدفي من رحلاتي أن أربط ثقافة وحضارة شعبي بالعالم لكي يعرف العالم بأن لنا وجه آخر من الإبداع والثقافة الانسانية، فكل ما يعرفه العالم حول الكورد وخاصة الأوطان البعيدة، مأساتنا مع الانظمة السابقة والدكتاتورية ونحن أقوام الجبال لانعرف شيئا من هذا العالم. وتصور لحين أن زرت المغرب، كان عامة المغاربة يتصورون باننا ناس مثل البربر، وحين حللت ضيفا على احدى القرى على ساحل الاطلسي فكل اهال القرية جاؤوا لرؤيتي وسمعوا بوصول كوردي عراقي الى قريتهم كأنه انا قدمت من متحف ما، وحين التقوا بي تغيرت صورتهم نهائياً حول الكورد، وفي مهرجان شعري ايضا حين القيت الشعر باللغتين".

بعد قراءتي لتلك الحديقة الوردية، وأنا أجد صورة المزوري بين السطور تذكرت قصيدة الطلية لشاعر الشعراء زهير بن أبي سلمى، وهو يقول في معرض دفاع المرء عن أهله وقومه:

ومَن يكُ ذا فضلٍ فيبخل بفضلِه
على قَومه يُستَغنَ عنه ويُذمِمِ
ومَن يوفِ لا يُذمَم ومَن يُهدَ قلبُهُ
إلى مطمئنّ البرّ لا يتَجمجَمِ

صور فوتوغرافية للشاعر المترجم والصحفي بدل رفو تعبيرعن شخصيته، يمكن قراءتها

لفهم شخصيته التي تعبر عنها في طريقة الوقوف وتقاسيم الوجه، والملابس وأسلوب الحديث، والعلامات والألوان. هذه الصور نوع من الإبداع في أعماله الأدبية والفنية. إنها ليست تجارية، ولا هي تعبير عن الربح المادي، بل هي سياحة فكرية وأدبية من أجل شئ أسمى من المادة، وأرفع من السلطة. إنها اللغة الكردية باعتبارها وعاء الثقافة، وهي أيضا الأدبيات الكردية باعتبارها تعبيرا عن مأساة الكرد في وطن يبحث عن الحرية. إنها دروس كردستانية يقرأها الآخرون من خلال الشعر الكردي بلغتهم التي قام صاحبنا المزوري بترجمتها بعقله ووقته وفكره بلا مقابل.

إنها الإباء والعزة في النفس التي تأبى أن يمد شاعرنا ومترجمنا يده للذين يجمعون قناطير الذهب والفضة في القصور المرمرية. أراد أن يعيش فقيرا بالمال، غنيا بالعزة والكرامة والثقافة والشرف وقوة الشخصية.

هل كان كل هذا وذاك، وهذه وتلك في شخصيته، وفي طريقة حياة الأم التي سهرت من أجل رفعة هذا الرجل، أو من قصائد الشعراء الكرد، وعلى رأسهم شاعرنا عبد الرحمن المزوري؟ لقد تعلم بقراءته الواعية وعيا أعطاه الرفعة والمروءة والبساطة والحب، أو كلاهما وكلتاهما.

أراه كالسندباد في مشيته، وكالباز في طيرانه بعقله فوق الحدود المرسومة من قبل البشر. أراه منسيا في وطنه لأنه يأبى نسيان الوطن في قلبه وذاكرته، حتى لايكون تُرسا في آلة بيد الآخرين، يتحكمون في فكره وأدبه. فالأديب يجب أن يكون حرا، والأدب بحاجة إلى الحرية، لذلك ينبغي أن لايكون عبدا أو مُقَيدا بأغلال أحد، أياً كان. فهل اختار المنفى في الغربة المُرة مثلي، وأنا الذي أبحث عن هوية وطني الضائعة مثله، فلا أجدها إلاّ في البعد البعيد عن الوطن، كما قال ديغول في فترة الاحتلال النازي لوطنه: إذا أردت أن تعرف الحقيقة عن وطنك فسافر بعيدا عنه.

هذا المزوري الذي يحمل حقيبته الصغيرة ويرحل بكلماته في ذاكرته. حقيبة ثقيلة بالثقافة، ومحفظة خفيفة لاتحمل إلا بضعة أوراق نقدية بعيدا عن الرائحة الكريهة التي تتصاعد من مخازن دولارات عتيقة بين الرطوبة.

أمامي ديوان ''وطن اسمه آفيفان،'' الصادر عام ٢٠٠٩ في القاهرة. كتب شاعرنا العراقي الكبير يحيى السماوي في صفحته الخلفية هذه الكلمات:

''في شعر العزيز المبدع بدل رفو، يتآخى نخيل البصرة وسنديان أربيل ... وصحراء السماوة مع سهل شهرزور ... فلا يفرق قارئ شعر بدل بين هديل حمام الكوفة وغناء طيور القبج في بهدينان ... أو بين خرير نهر الفرات وخرير شلال كلي علي بك ... ولا بين حفيف بساتين جيكور وحفيف غابات أزمر ... ولا عجب، فالشعر عند بدل رفو ليس ترفا لفظياً بقدر ماهو الذود عن الفضيلة والمحبة والأرض ... عن الأطفال والطيور والشجر... عن الجمال ضد القبح، والمودّة ضد الضغينة ... وعن الحرية ضد التعسف والديكتاتورية''. (يحيى السماوي شاعر عراقي).

وهنا نقرأ في صفحة الإهداء لديوان ''وطن اسمه آفيفان'' معاني عميقة تكمن وراء الأبجديات:

إلى وطن منسي من جغرافية الأوطان

إلى وطن يخرج من صلبي ليصلبني

إلى وطن أسميته آفيفان''.

لنقارن تلك الكلمات بالكلمات التي كتبها لي في إهدائه للديوان حتى نفهم مغزى كل كلمة، وكناية كل جملة في ذاكرته.

كتب في إهدائه لي مايلي:

''إلى أخي وأستاذي وصديقي د.

خالد يونس خالد
أهديك من القلب هذا الوطن الذي سميته آفيفان
واسميتَه أنت وطنا بدون رتوش ومكياج
مع جزيل احترامي
دمتم.
أخوكم بدل رفو" ٢٠٠٩/١٠/١٨
وكان جوابي على إهدائه مايلي:
"الأخ الشاعر الكردي المتألق بدل رفو
هنيئا لك في هذه الباقة العطرة بألوانها الزاهية
بدل رفو شاعر الجمال والمحبة، يكتب بلغة سهلة جميلة وأسلوب سلس، ويفهم معاناة الغربة، والوطن في قلبه. تخرُجُ كلماته من الأعماق، مضفية بالعاطفة الجياشة والحب الصادق بثوب الطبيعة المتعطشة للحب، من قلب مفعم بالوفاء لوطن اسمه آفيفان
د. خالد يونس خالد – السويد".
ماذا يفهم المرء من هذه المحبة الصادقة والعشق للوطن؟
لنقارنها مقارنة أخرى في ديوان الشاعر الفذ عبد الرحمن المزوري بعنوان "آفيفان" ترجمة الشاعر بدل رفو. كتب في إهدائه لصاحب الديوان:
"إلى أبجدية النرجس وروح الشعر وقصيدة القبوج وآفيفان
إلى شاعر ارتشفنا من مناهله العشق والشعر والإنسانية
إلى الشاعر الإنسان
عبد الرحمن المزوري
تكريما له في حياته
أهديه ثمرة جهدي".
المترجم ٢٠٠٨/٢١/١
لقد أصبحت الآية واضحة، أن للشاعر عبد الرحمن المزوري دور في إبداعات بدل رفو في الرؤية والترحال.
لنقرأ معا قصيدة المعاناة المرتبطة بالقافلة والحركة بعيدا عن النسيان. قصيدة "الامطار- مطلب والدتنا" من ديوان "آفيفان" الذي صدر قبل ديوان "وطن اسمه آفيفان"، للشاعر عبد الرحمن المزوري، ترجمة بدل رفو:
"أماه، يا أماه
اني أعلم
أن قلبك أضحى بحر الآلام
وتحول إلى موقد ملئ
بجمرات الأحزان
أن افق مسيرة القافلة
مسكون بالمعاناة والأشجان ...
وموانئ المراكب مليئة
بالآهات والآلام...
إني أعلم
أن ما يفكر به الأطفال
هو رغيف الخبز ...
وأن ربيعك هو الشتاء
هو الشتاء
أماه، يا أماه
- نحن نسأل
نخاطبك يا أماه
ماهو مطلبك؟
نستحثك أن تجيبينا
أن تردي علينا
فأجابت الأم:
يا أحبائي، يافلذات كبدي
سأزيح الستار
عندما يعتمل في القلب والأعماق والعيون:
أن أمكم عاشقة
جريحة
مطلبها – الدواء
ودواؤها – الأمطار...
مطلبها: إطفاء نار الخطيئة
مطلبها: تدمير الليل والقيود والسحب السود
مطلبها: (لاوك) و (حيران)
مطلبها: الأمطار ... ."
إلى آخر القصيدة.



الشاعر الرحالة بدل رفو في ريكا عاصمة لاتفيا عام ٢٠٠٥

من خلال قراءتنا لهذه الصورة نجد الابتسامة المرسومة على وجه بدل رفو الوسيم.

من أين جاءت الابتسامة، وهو بطبعه يحمل عشرات الأسئلة عن قضية شعبه ليطرحها، ويعطي لمن أراد أجوبتها؟

هنا في ريكا عاصمة لاتفيا، يتأمل المزوري، متى يأتي يوم أقف هكذا مبتسما مسرورا في وطن حر اسمه "آفيفان"؟

هنا في الغربة ابتسم لأن ذكريات كردستان في مخيلتي أطول عمرا من الأحلام.

أقول لأخي وصديقي المزوري:
شعب لايموت؟
فأين الرعاة في المسيرة؟
أحب الحرية لي ولكم، وليس لبعض البعض فقط.

بوسترات كوردية من الغربة

١- البكاء
السماء تبكي،
وانا ابحث لها عن
منديل
يجفف دموعها.

٢ـ الفنان
العازف يغادر المسرح
غير قادر ان..
يعزف لحنا راقصا ،
لراقصة شرقية..
تهز خصرها
الرفيع
لأصحاب الكروش
النتنة.

٣ـ النار
النار اضرمت في بيت
فقير معدم..
لم تجد سبيلا
لدخول بيت سياسي
فاسد
لتجمع حراسه الشخصيين
(البوديكارت)
على باب منزله.

٤ـ رئيس التحرير
رئيس تحرير
انبه ضميره،
لم يرد على تهاني
الاصدقاء
لمنصبه الرفيع
فعوضها..
بالرد على رسائل الفاتنات
الجميلات.

٥ـ الانتهازي
انتهازي..
كان يخجل من لغته
و قوميته
حين كان اتباع الفرعون
يلتهمون شارع مدينته..
وبرحيل الفرعون
صار وطنيا ويردد
كم انت رائع ياوطني!!..
ما اكثركم يا اولاد ال......

٦ـ زوربا اليوناني
حين كان اليوناني زوربا
طفلا صغيرا..
اخذ يدخر مصروف
جيبه اليومي
ليشتري الفستق،
يشبع منه ،
حتى الافراط..
فمتى ساشبع من عشقك
يا وطني المسافر معي
عبر محطات الغربة.

٧ـ رئيس دولة
اطلق رئيس دولة
مرسوما جمهوريا:
على شعبي أن يظل شابا
أن يزيل الشيب
بالاصباغ الفاخرة!!...
لئلا يتهم الرئيس
بأنه المسيطر والمحتكر

لصبغ الدولة
لشعره فقط....
حينها...
زود الأسواق والشعب بالصبغ
مجانا...
إنه العدل يا سيادة الرئيس

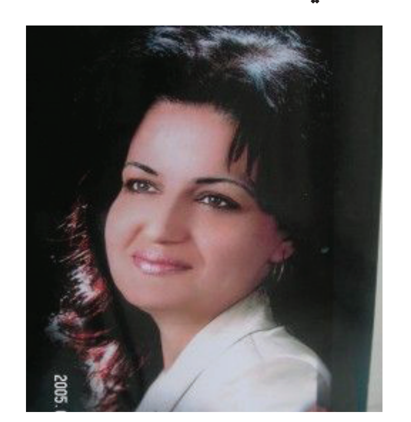
وليحفظكم الله ويرعاكم.

ليسمح لي صديقي بدل رفو أن أكتب نيابة عنه هذه الكلمات:

أيتهـا الصديقة، سـفيرة دولة كوبا في النمسا! يدي بيدك، فماذا أتحدث لك في غربتي؟

سأنشـد لـك قصيدة شـاعرة كردية اسـمها (تريفة دوسـكي). قصيدتهـا حـب للوطن، وعشـق للوفاء.

عنوانها "عيد الحب". فاسمعي خلجـات قلـب المبدعـة الكردية، وحبها للورود وثلوج جبال الوطن والفراشات والطبيعة، لتعرفي براءة جمال شـاعرات الكرد. إنها أغنية خرير خابور والزاب وشلالات كلي علي بـك. إنها عيون الأرض المبللة بدماء الشهداء، وذكريات صراخات الأمهـات وأحاديثهـن مـع الأرواح الطاهرة في ثرى كردستان الباكية بأثـواب الابتسـامات الطاهـرات النقيات. ها هي الشـاعرة (تريفة دوسكي):



الشاعرة تريفة دوسكي

عيد الحب

شعر الشـاعرة الكردية تريفة دوسـكي. ترجمـة: بـدل رفـو المزوري

حبيبـي ...
اقترب عيد الحب،
فما اهديك؟؟
وردة حمراء ،
قبلة حمراء ،
أو احتضان احمر
أو اغنـي لـك اغنيـة حمـراء في هذا الشتاء
حيث لا ثلج
وانت رجل ثلجي
ابيض ابيض،
مثل روح الغيوم
تحوم حول،
فنجان قهوتي وتمتزج به
بعشـق:
تخـط عتبـة حجرتـي
وانفاسك على زجاج النافذة
تسـتحيل نـدى
اقـف وباناملـي اخط اسـمك!

بعشق:
تقرأ القصائد
وتلاعب انامك قامات الورود!

بعشق:
مثل الفراشات تحلق وتفتش
احلى وابهى واقيم الزهور..
أتتذكر حين علمتك لعبة
(بينجوكانى)
وفتحت يديك وسـرقت مني كلهم
وحين كبرت ،
سرقت قلبي
وخبـات روحـي في خريـر النهر!
بعشق:
تجعل من كل ايامي
أعياد حب
وتجعل من الانهار ،
قلادة ماء وتزين بها جيدي
وتجعل من شقائق النعمان
قلائدا معلقة في دواويني!!
ألله..
كم أشتاق لك وانت بجنبي
اليّ..
انه عيد الحب،
ورود حمراء في فؤادي
وشموع حمراء،
اوقدها وتغني لي:
(عاشق انا واعرف عشقك جيدا)
انا فتاة حمراء وانت رجل احمر
وتتحد روحينا
لكنك لم تنطق
أي شئ اهديك ؟



الرحالة الشـاعر مزوري يقدم باقة من الشـعر الكردي إلى عشاق الأدب في المغرب ٢٠٠٨

هنا في المغرب، بعد رحلته على سـواحل البحر المتوسط، يتلاعب الشـوق بجوارحه، ويئــن الحنين إلى وطنه، ويشـده إلى الذكريات في غربته حتــى تسـتفيق الطفولة المعذبة بين الكلمات.

لنقــرأ معــا قصيـدة بعنوان "شوق" ، كُتبت على سواحل البحر المتوسط في فرنسا واسبانيا وجنوب المغرب، مهداة إلي الوطن في الأعماق، (إلى آفيفان ... توأم الروح):

"شوق يرقص
شفاه المحيط الأطلسي
أداعب جدائلك
ضفائرك ياآفيفان
بعشق وحنين غربتي
وأمشطها،
بأهداب ذكرياتي
وأنامل أيامي النازفة
وهي تتبعثر في محطّات الغربة الكئيبة
لا صخور تتحطم الأمواج العاتية عليها
حتى تستفيق أنشودةُ
الطفولة المريرة
وتلويحةُ وداعٍ أخيرة! "

الشاعر المغربي الكبير اسماعيل زويــرق يهـدي سـفير الثقافـة الكردسـتانية المـزوري شـهادة تقديرية في المغرب ٢٠٠٨

كتـب الكاتب المغربـي (إبراهيم قهوايجي) من مدينة مكناس بالمملكة المغربية مقطوعة رائعة جاء فيها:

إنه الشـاعر المترجم والصحفي بـدل رفـو المـزوري الـذي حمل حقيبته الظهرية طارقا باب المغرب من سواحل البحر الابيض المتوسط جهة الشـمال الى شـواطئ المحيط الاطلسـي ... حط الرحال في قرى مغربية لم تسـمع قط عن الأدب الكوردي قريــة تارغة (العرائش)، قرية أحد آيت ميمون (الخميسات) رابطا جسـور المحبـة والتواصل مع الشـعب المغربي من شـماله في شفشاون و تارغة الى مدينة اغادير وتارودانـت و الصويـرة ومراكش وفاس ومكنــاس والـدار البيضاء دون تكليف من أية جهة رسـمية، بل كان ضميره الثقافي الكوردي هو الذي دعاه الى أن يخوض غمار سفر ثقـافي بامتياز تفاعـل من خلاله الشـعر الكوردي بالشـعر المغربي كأول عتبة يمكن بلورتها مستقبلا في إطار مشـاريع ثقافيــة تتبناها الجهات الرسمية في البلدين خاصة وأن بدل رفو يقر أن أقرب الشعوب للثقافة الكورديــة هم العرب، وفي مقدمتهم المغاربة .



ابــن بطوطــة الكردســتاني الشـاعر المترجم بدل رفو في حوار عن الكرد مع أشهر متسلق جبال في العالم راينهولد ميسنير في النمسا ٢٠٠٨. نحن في حديث عن الوطن:

في وطن لم يذق طعم الحرية،
في أزمنة العهر،
وسقوط الشعر
في مهرجانات الموائد المتعفنة
الكلمات سيارات مفخخة
القبلات أحزمة ناسفة
الصداقة طعنات غادرة
الأغاني والتماثيل كفر وإلحاد
(أستغفر الله)
إذا فليدفن الإنسان
ولتبصق الديمقراطية
حرية في جبين الغد،
في وطـن، مـازال أبطالـه يرقصون
على حبال السيرك بإتقان.

المبدع بدل رفو يتأمل، وتأمله

يتابع الأحـــداث في وطنه الجريح، فبدأ يفكر بعقلانية ذكريات آلاف الشـــهداء الكرد الذيـــن ضحوا من أجل الوطن الذي أحبه، وطن اسمه "آفيفان". وراودته شـــكاوى النساء اللاتي فقـــدن أحبابهـــن من أجل الحرية التي هي جزء من إنسانية الإنسان. قراءتنا لصورته الحزينة تحـــت نصـــب مانفيلوف الشـــهداء تعيدنـــا إلى صاحبه وصديقه عبد الرحمن مزوري وقصيدته الرائعة (يوميـــات ميهربـــان البروارية) . لنقـــرأ ترجمـــة بدل رفـــو لبعض أبيـــات القصيـــدة، وهـــي شـــكوى بين ســـطورها أننا لـــم نوف بعهد الشهداء.

قدموا... وقالوا
للأمير
خزائن مليئة ذهباً وفضة
وبلاطه
حبلى بالرفاهية والأمنيات
فتعالي وكوني...
وصيفة للأمير
قطعة من بلاطه
فأجبتهم:
اذهبوا وقولوا لأميرنا الذي
تبلغ قامته عنان السماء
أن لا يغضب أبداً
فنظرة من ابن العم البائس
يحيل قلبي مروجاً
ويحيله ربيعاً
قولوا له:
ان الفراشة التي تحوم بحرية
ستصبح في بلاطك
أسيرة،
ومن الإضطهاد تموت.



نائب رئيس جامعة كازاخستان يقدم الشـــاعر الرحالـــة بدل رفو للجمهـــور في محاضـــرة شـــعرية كردية

يقول بـــدل رفو وهو ينظر إلى نائب رئيس الجامعة، بعد أن قدمه للجمهور:

ماذا أنشد لكم؟

شـــعبي يتطلـــع إلى الحريـــة، ووطني حزين، وجماليات شـــعبي تنظـــر إلى الأفـــق بعيون عســـلية نـرجسية، ينشدن المحبة في حديقة الأحـــزان. وأنا هنا، لا أســـتطيع أن أنساهن، لأنهن سحر الوطن، وجمال الطبيعة التي تبحث عن الحب.

أنشـــد لكم قصيدة صديقي عبد الرحمن مزوري، (أحزان بيت كرديـــة)، حتـــى لا تلومونني لماذا هذا الترحال بين الأمم، وأنا احمل حقيبتي الحزينة، وجوعي كجياع فقـــراء الوطن والمهجـــر بعيدا عن الوطن. وفي كل هذه الحالة، فالعشق غذاؤنا، والحب ســـريرنا، والجمال رداؤنـــا، والوطـــن حبيبنا. ودموع لاتعرف النســـيان في كردستان وفي البعد الذي لايعرف الزمان.

أحزان بنت كوردية

نحن وهي
ولدنا في ليلة واحدة
وسوية ترعرعنا وغدونا
يافعين
هي العروس ونحن العرسان
تنبع مع جداولنا
وتهطل مع امطارنا
وترضع مع صغارنا
ونرقـــد ســـوية علـــى ســـرير ومضجع واحد
فمن لم ير (أحزان)
فأحزانُ بنت كوردية
إنها بلباس وأقراط (حيدرانية)
الحذاء الذي في قدميها،
صنعته الخبرة (البابانية)
تمتهن الرقص والدبكة
على الطريقة(الشيخانية)
أحزان تلك...
كانت تتنقل مع رُحلنا البدو
وتأتي الى الزوزان
وتقف على جدالات وصراعات
الرعاة على المروج
ورأت بأم عينيها
كيف ان (خجوك)
ذات العينين الكحيلتين

صرعت (سيابند)
بجوى العشق
أحزان تلك...
كانــت تذهــب مــع جياعنــا
وفقرائنا
الى القفار والبرية
وتصنع الفحم
وتجلب اوراق الشجر
وتعقد جدائلها
وتشمر عن سواعدها
وتتنقل من احراش
الى احراش
كنحلة،
وكانت تعود مساء
إلى أكواخنا
منهكة ومرهقة
وروحها تئن
أحزاُن تلك...
كانت ترقد في بيت (الجزيري)
صديقة له ولحبيبته (سلمى)
وما كانت لترحل
وما كانت لتموت-.
ضيف ثقيل كالحمى
ومع ذلك،
ما كانوا غاضبين عليها
فكانوا الثلاث
يأكلون من قدر واحد
وكانت لهما كالأم الحنون
أحزان تلك...
احيانا كانت تحلق
(وتحط على برجا بـَلَك)
في بلاط (بدرخان)

تتجول في فناجين قهوته
وتحت عباءته كانت تأوى
الى الفراش
وكالجمار تحط على غليونه
لغاية ان غزا الشيب
رأسه
وأصبح حظه عاثرا وتعيسا
وهدمت اسمه وداره.
أحزان تلك...
قطعت الجبال وحدها
الى ان وصلت
محل (القاضي)
وكفرخ ثعلب وبمكر
نهضت وكسرت عصاه
في ذلك الصعود
كان القاضي شيخا
هرما وحزينا
ارتعش وسقط
وكل سعادته وأفراحه
غدت اتراحا ومآسي
أحزان تلك...
في الحقيقة كانت جدتي
اما لأبي
ولهذا سموه
)صالــح ابن خــم) صالح ابن
أحزان
وكانت احزانه كثيرة
تهطل عليه ـ مزناً
كأحزان (زين ومم)
فإلتهمت الزوابع قاربه
ولفته ،
وانقطــع ســبيله في منتصف

الطريق
ولم يصل الشاطئ
أحزان تلك...
هذا المساء
كانت في بيت(شيخ موس)
تغني،
فأثارت اشجانه
وحطمت سدود عهوده
وحصدت مرج آماله
مرة واحدة
وأصبح كبده وروحه
مقطعا بالآلام
واحترق.
أحزان تلك...
تصبح حيوانا مخيفا
في بعض الليالي
وتقرع الابواب
باباً... باباً
وتدخل البيوت
وترقص على انغام الناي
والأطفال يرتعبون منها
ويختبئون
وبألسنتهم الساذجة
يدعون عليها
ولا يقتربون منها.
أحزان تلك...
كانت حبيبة صديق عزيز
مفتول العضلات لفترة
وكان يعانقها كل يوم
يئن معها
وكانت تعلم بأنه كان تعيسا
ومرت الايام

فأصبح صديقي يبتعد
وينفر منها
وأصبح قاب قوسين
من الهلاك.
أيتها البنت
(احزان) الخادعة
يا عاشقة فتياننا
وتلالنا وجبالنا
كطائر القمري
ألا تنزلين من على رموشنا
الذابلة
اسقطي ارضا
وغادري فراشنا
فقط لمسافة شبر
ابتعدي عن خيامنا
المهلهلة
فاللعنة عليك
وليحرق الرب دارك
فنحن في فرار ونفور منك
ليل نهار.
ولم نصمد امام
سهامك القاتلة
بالله عليك
كُفي عنا ولا تتعقبيننا
كفي عنا ولا تتعقبيننا.

حتى البحر لن ينجو من رحلات المزوري. إني أرى أن العواصف البحرية في الأدرياتيكي قد إنحنت لإغنية المزوري على ساحل البحر. وشاعرنا الرحالة يجد من بعيد كردستان عروسة تتقدم نحوه، كما هو يحتضنها في قلبه الكبير. إنها الأم الكبرى، حبيبة الملايين.

رأيت صورة صديقي المزوري، ولم أجد ما يفرحني أكثر من أشاركه أفكاره، وأقاسمه غربته لأتحدث له بهذه الكلمات:

لن يغيب البحر من ذاكرتي أن أزف له قصائدا من لغتي
أيها البحر كن شاهدا أني جئت إليك بقصائدي من تأوهاتي
إني أرى الأمواج تنشد للأسماك والرمال أنها عشقت رحلاتي
في خريرك أسمع شعري كما كنت أنشده في سمراتي
كردستان لن تُنسى لو تَهدَم الدنيا في جوارحي وذاكرتي
أنا السائح وأنا السفير إبن بطوطة الكردستاني في غربتي

ها نرى الشاعر صاحب القلب الرحيم يقبل المرأة التي أنجبته وربته وعلمته دروس الحياة.
هذا هو الوفاء والتواضع.
فالأم هي المدرسة الأولى.
هذه هي الأخلاق:
إنما الأمم بالأخلاق ما بقيت
فإن همُ ذهبت أخلاقُهم ذهبوا
هذا هو الرحالة إبن بطوطة الكردستاني،
وفيٌ للغة
محب للأدب
مترجم للشعر
عاشق للوطن

عزيز القلب للأم، وفي شوق حنانها، وهو يقبله بقلبه قبل شفتيه، ويغمض عينيه إشارة إلى طرد الأحزان والآلام من الفراق لحظة التلاقي.

ولسان حاله يقول:

عدتُ إليكِ يا أماه! فأنا ميت في فراقك، ولكن عندما أراك تعود إليَّ الحياة.

سنواتي مع تشي غيفارا - سياحة في عمق ثورة هزت الانسانية

رسالتي الى كوردستان برئيسها وشعبها: ألم تحن الفرصة بعد أن نُعَرف العالم ب ثورتنا وابطالنا ؟؟

نتساءل هنا ماذا يفعل المتألق بدل رفو المزوري في هذا اللقاء. إنه يقف بجنب صديقه (ليوناردو تمايو نونيز) بطل وثائر من أبطال الثورة الكوبية. رافق تشي الى بوليفيا عام ١٩٦٦، حيث حاول خلق نموذج دائم للثورة. ونجح بعد موت جيفارا في بوليفيا أن يعود حيا الى كوبا مع ثلاث من رفاقه. وكان خبيرا استشاريا في انغولا ونيكاراكوا.

الشـاعر المترجم بدل رفو هنا ليتحدث عن رسـالة شعبه الكردي من أجل الحرية.

إنه هنا ليقول أين موقع وطننا في نضالاتكم؟

أيـن يكمـن الخطأ؟ أهـو فينا أوفي رُعاتنـا، أم هو في نسـيانكم لقضيتنا؟

لنقرأ القصة باختصار.

"ليوناردو تمايو وسـنواتي مع تشـي غيفارا" كان عنوان الأمسية التي أقيمت له ضمن أسـبوع أفلام أمريكا اللاتينية بمناسبة الذكرى الواحـد والثمانـين لميـلاد الثائر الكوبـي تشـي غيفـارا، في المركز الثقافي للحزب الشيوعي النمساوي في مدينـة غراتس. امتلأت القاعة بالـزوار وعشـاق تشـي غيفـارا والحريـة. وحـين دخـل الثائـر ليونـاردو القاعة وقـف الجمهور تحية واحتراما لهذا المناضل وصفق له طويلاً. سـجل ليوناردو حافل بالنضـال في امريـكا اللاتينيـة. بالاضافـة الى مشـاركته إلى جانب تشـي غيفارا في بوليفيا، حارب في أنغـولا وفي أفريقيا مـن عام ١٩٧٥ ولغايـة ١٩٧٨ حيث قـاد العمليات ضمن صفـوف الثورة. ويعمل الآن جنرالا في وزارة الداخلية الكوبية.

المترجم المبدع د. فيرنار فاسيلي ترجم الحديث من الأسبانية. وبدأ الضيف بسـرد ذكرياته مع تشـي غيفارا الذي تعرف عليه عام ١٩٥٧، وظل بجانبه اكثر من ١٠سنوات . وقال بأنه كان له الشـرف والفخر بأن يرافق تشـي غيفارا في مهماته الخاصـة. وكان يردد عبارة تشـي غيفـارا حـين كان يقـول "بأنه مواطـن كل العوالم وأنا ابن العالم وليس فقط الارجنتين وكوبا".

لقد كان تشـي غيفارا الباحث الطبيب والانسان يحمل مسؤوليات كثيرة. فلم يكن فقط وزير صناعة بـل كان هناك علـى عاتقه الكثير حيث كان يقضي اكثر من ١٧ ساعة في خدمة وطنه، فقد قالها فيديل كاسـترو" بأنه لو انصفنا وزيرا ما فعلينا أن لاننسى تشي غيفارا أبدا". لقد قال تشـي غيفارا لكاسترو أن عليه أن يهتم بوضع كوبا الداخلي، وأمـا أنا فواجبـي التوجه الى دول امريـكا اللاتينية لأنشـر الحرية والعدالة الاجتماعية هناك. واردف قائلا بأن تشـي غيفـارا كان يعلم بانه يكبره عمرا وان ليس بوسعه قيـادة الثـورة لـو بلـغ ٣٩ عاما. لقد نشـر تشـي الف باء الثورة في بوليفيا. وبعدهـا تحدث ليوناردو عن وضع كوبا ومكانتها حاليا بين دول امريكا اللاتينيـة، وقال بان لكوبا علاقات دبلوماسية وسياسية واقتصادية مع هذه الدول، وشعب كوبـا شـعب مكافـح ومقاتل من أجل حريته وانه يتضامن مع كل الحركات التحررية وضد السيطرة على الشعوب والاضطهاد.

بعدهـا فتـح بـاب النقاش وبروح رقيقة وصدر رحب، وأجاب على أسئلة الحضور

بـدل رفو المزوري كان حاضرا بفكره، ومعه كردسـتان وشـعب كردستان في هذا اللقاء

سأل (بدل رفو) الثائر الكوبي "ليوناردو تمايو نونيز":

"كنا ننتظـر أن تحدثنا أكثر عن ذكرياتك وطبيعة تشي غيفارا وتعامله مع الأسرى والرفاق.

ثم طرح عليه السؤال التالي:

مـَن يعش ثورة فعليه أن يقف إلى جانب ثـورات العالم، فمثلا لم نسـمع يوما بأن كاسـترو أو كوبا نطقت اسـم كوردسـتان أو أسماء الثورات الأخرى فما هو السبب؟؟؟

أجـاب ليونـاردو على أسـئلة الرحالة الكردسـتاني (بدل رفو) قائلا:

صحيح أني لم أتحدث عن تشي غيفـارا كثيرا، فبدأ بسـرد بعض ذكرياته معه وطريقة تعامل تشي مع الأسرى حيث كان يعطي دواءه المخصص للربو لأسرى العدو. ولكن حين وقع في الأسر لم يرحموا تشي غيفـارا بل وجـدوه مقيد الايدي والارجل.

وتابع قائلا:

بالنسـبة للحـركات التحررية

فنحن نقف مع فلسطين من أجل حقوقهم. وأما بالنسبة لكوردستان فللأسف ليست لدي معلومات عن كوردستان!!!"

هنا تألم بدل رفو كثيرا. ولسان حاله يقول: من حق الرجل أن لا تكون لديه معلومات، ولكن أليس من حقنا أن نصدر أبطال ثورتنا الكوردية الى العالم؟

ما الذي يقومون به مسؤولوا الأحزاب والحكومة الكوردية في العالم ؟

وبعد انتهاء المحاضرة كان الجمهور يرجو توقيفه والتقاط الصور معه، وانا قلبي يكاد يتمزق متذكراً ابطال الثورة الكوردية الذين ربما كل ثلاثة أشهر لا يستلمون الراتب سوى مرة واحدة.

واتذكر ممثلينا في أوربا والعالم وهم بحاجة الى أبجدية الكوردايتي وغير قادرين على نشر ثقافتنا وأدبنا وثورتنا الكوردية، ذلك التاريخ المشرف من نضال أبطال سجلوا تاريخ كوردستان بأحرف من ذهب.

ومن هنا رسالتي الى كوردستان برئيسها وشعبها.

ألم تحن الفرصة بعد أن نصدر أخبار ثورتنا وأبطالنا الى العالم؟؟؟

وفي النهاية قال المزوري بحسرة:

ربما ستدفن هذه الرسالة في مقابرالنسيان.

بدل رفو المزوري

⋆ مواليد ١٩٦٠/٨/١/ الشيخان/ قرية الشيخ حسن/ كوردستان العراق

⋆ أكمل دراسته الابتدائية والثانوية في مدينة الموصل

⋆ تخرج بقسم اللغة الروسية، كلية الآداب جامعة بغداد عام ١٩٨٥

⋆ بدأ بالنشر نهاية السبعينيات باللغة العربية بجريدة الحدباء الموصل.

⋆ من خلال دراسته في بغداد، واكب صحافة العاصمة ونشر نتاجاته الأدبية والصحفية باللغتين العربية والكوردية في صحافة ودوريات العاصمة ومنها (الأقلام، الطليعة الأدبية، بيان، هاوكاري، روشه نبيري نوى، الثقافة، العراق، باشكوى عيراق، ..إلخ)

⋆عمل مراسلا صحفيا من مدينة الموصل لصحيفة بزاف وهاوكاري ومجلة ره نكين منتصف الثمانينيات.

⋆ يعمل بمجال الشعر والترجمة والصحافة

⋆ يعيش بدولة النمسا منذ عام ١٩٩١ .

⋆ عضو عامل في نقابة صحفيي كوردستان والنمسا.

⋆ عضو اتحاد الأدباء الكورد/ فرع دهوك والنمسا.

⋆عضو جمعية المترجمين العراقيين، المركز العام، بغداد

⋆ شارك في الكثير من المهرجانات السينمائية ضمن الطاقم الصحفي للمهرجان ومنها مهرجانات أفلام الجبال ومهرجان الفيلم النمساوي.

⋆ شارك ومن خلال مسيرته الثقافية في كثير من المهرجانات الشعرية في العراق والنمسا وكازاخستان والمغرب.

⋆ لقد كتب الكثير من الأدباء والنقاد حول تجربته الشعرية:

ومنهم زهير كاظم عبود، إبراهيم اليوسف، عبد الخالق سلطان، د. خالد يونس خالد، فتح الله الحسيني، د.توفيق التونجي، ،د. هدية الايوبي، جلال زنكابادي، عبد الكريم الكيلاني، الناقد مسعود عكو، الشاعرة فدوى كيلاني، عبد الكريم يحيى الزيباري، عبد الإله اليوسف، عبد الغني علي يحيى، د. مؤيد عبد الستار، حكيم نديم الداوودي، نجيب بالايي، الشاعر المغربي إبراهيم القهوايجي، عبدالوهاب طالباني وآخرون .

نشر نتاجا كثيرا في الصحافة العراقية ومنها الثقافة الأجنبية والأديب والتآخي والصوت الآخر

والاتحاد والحقيقة وآفاق سبيريز والصباح الجديد وطريق الشعب والمؤتمر والمنارة ونشرت قصائده في أنطولوجيات عربية وألمانية.

** صدر للشاعر:

* ومضات جبلية من الشعر الكوردي المعاصر عن وزارة الثقافة والإعلام في العراق عام ١٩٨٩

* أغنية الباز ـ قصائد كوردية مترجمة ـ دهوك ٢٠٠١

* رسول حمزاتوف وطالما تدور الأرض بمشاركة الأستاذ خيري هزار مزوري ـ دهوك ٢٠٠١

* أنطولوجيا شعراء النمسا باللغة العربية، ترجمة عن الألمانية ـ دار الزمان السورية ـ دمشق ٢٠٠٨

* أنطولوجيا شعراء النمسا باللغة الكوردية ـ مؤسسة سبيريز للطبع والنشر ـ دهوك ـ كوردستان العراق ٢٠٠٨

* وطن اسمه آفيفان ـ قصائد كوردية مترجمة ـ سندباد للنشر ٢٠٠٩

* آفيفان ـ قصائد للشاعر الكوردي عبدالرحمن مزوري ـ ترجمة ـ دار سردم للطباعة والنشر في السليمانية - كوردستان العراق ٢٠٠٩

* قصائد حب نمساوية ،ترجمة عن الألمانية دار الزمان السورية ـ دمشق ٢٠١٠

من الشعر الكردى المعاصر

انبهارات

مختارات شعرية

1403

شێرکۆ بێکەس

اختارها وراجعها: آزاد البرزنجي

سلسلة الشعر

المركز القومي للترجمة

انبهارات

قصائد مترجمة للشاعر شيركو بيكس

من مطبوعات المركز القومي للترجمة

القاهرة - ٢٠١٠

تناص الألوان في قصيدة النثر

فرهاد بيربال أنموذجا

عبدالكريم يحيى الزيباري

لم يبقَ لونٌ في الطبيعةِ إلا...
لم يبقَ لونٌ في ذاكرتي إلا ...
لم يبقَ لونٌ في ذاكرة الشِّعر إلا وتحدَّث لنا همساً بصوتٍ خافت، سرعان ما يلتحق بملايين الأصوات التي يحتفظُ بها الفضاء، ثمَّ تبهتُ ألوانها وتختفي فجأةً كأنَّها لم تكن، ما لم يتعرَّضْ إلى قراءةٍ ثانيةٍ، تعيد لها اهتزازها واخضرارها. ولا توجد حياة في الماضي ولا في الحاضر، بدون ألوان، وإذا كان للون هذا الحضور، فهو في الشِّعر أبهى حضوراً، فهل الشِّعر مُجرَّد رغبة في التلوين، أم إشباع نفسي في إعادة تلوين الأشياء بألوانٍ جديدة، لتثير فينا الدهشة؟

يقول الشاعر فرهاد بيربال في قصيدته "الأصفر الأكثر اخضراراً"(بالقرب من كامبوسان لوركا في بار الفالتو/ صدفة التقيتُ ماركو باولو/ احتسينا قدح شرابٍ أحمر/ تحدَّث عن رحلته الطويلة إلى أربيل/ واستغربَ كثيراً أنَّ أربيل باقية حتى الآن/ نصوص كردية حديثة- ترجمة نوزاد أحمد أسود- ٢٠٠٧- سردم- ص٥٠). الألوان التي وردت في النص هي(الأصفر والأخضر والأحمر) وهي عين الألوان المُستخدمَة في إشارات المرور، وفي هذا تناص ظاهر مع قصيدة الشاعر بيربال الشهيرة " شرطي المرور" (كل يوم شرطي المرور يرفعُ يدهُ/ عشرات المرَّات/ وفي الشهر يرفع يدهُ ملايين المرات/ فيقبض في نهاية الشهر ثلاثمائة ألف دينار فقط/ وعضو البرلمان يرفع يده مرة واحدةً في الشهر/ فيقبض أكثر من سبعة ملايين دينار). فشرطيُّ المرور هنا، هو رمزٌ للأخضر الأكثر اصفراراً.

والعنوان هنا جزءٌ رئيس في القصيدة، لأنَّهُ يدفعنا إلى إعادة اكتشافِ أنفسِنا أمام مفارقة تشكيلية، لاحتوائه لونين(الأصفر والأخضر) من أصل ألوان القصيدة الثلاثة، والأصفرُ والأحمر علامتا التوقف هُما أشدُّ الألوان حرارةً، في مقابل الأخضر البارد علامة السَّير.

والألوان الأساسية هي الأصفر والأحمر والأزرق، وبذلك يمكننا استنتاج عدة دلالات للعنوان:

١- العنوان هو المنزل الأول، الذي يعشقهُ الفتى، ويرى كلَّ الأمكنة من خلالهِ، والعنوان: دالٌ أوَّلٌ. والذي لنْ أيَّ (دالٍ في النص/ حبيب في الحياة/ معلِّم أوَّل/ مسكنٍ أو موطن... الخ) إلا من خلال ألوان الدال الأول، فبيربال يعشق مدينته أربيل، وسيف الرحبي يعشق مَسْقَط،

ويقول في قصيدة" السرير الكبير" (الجبل الأصفر بتفرعّاته المهيبة/ ونتوئهِ الذي يشبه السرير الكبير/ يستقبل القادمين من مسقط/ إلى عُمان الداخل/ كما يستقبل كتابُ الليالي مخلوقاته وأشباحه/ ويستقبل الأبدية/ هل أقام السَحرة فيه أعراسهم؟/ وناموا على سريره الدافئ/ "السرير الذي يسميه عبدالله كرفاية الوحش"/ واتخذوه حصناً منيعاً/ كما اتخذت الآلهةُ الإغريقية جبالَ الأولمب/ ربما حلم القادم بسرير أيامه الخوالي/ حين كان حيواناً عملاقاً/ يسرحُ في البريّة). والجبل الأصفر سرعان ما يكتسي بالخضار، كتاب الليالي هو الاسم الغربي لألف ليلة وليلة.

٢- الأصفر الأكثر اخضراراً، هو الغرور الأكثر تواضعاً، وهو القديم الأكثرُ حداثةً، والقديم هو الذي اكتسبَ أو فقد شيئاً من صفاتهِ بمرور الزمن، والحديث كذلك، واللون الأخضر هو نتيجة مزج الأصفر بالأزرق، وبذلك يكون الأصفر نصف الأخضر، رغمَ أنَّهما كرمزين متناقضين، فالأول للجفاف والثاني للخِصْبِ والنَّماء، وبذلك يكون العنوان: الجفافُ الأكثرُ خِصْباً.

٣- ليس الأصفرُ المُخْضَّر، بل هو الأكثر اخضراراً، أيْ النفس الأكثرُ صيانةً، باعتبار



الاخضرار عمليَّة صيانة للأرض والنفس البشرية، كما يقول البحتري(صُنْتُ نَفْسي عَمّا يُدَنّس نفسي/ وَتَرَفّعتُ عن جَدا كلّ جِبْسِ/ في اخضرارٍ منَ اللّباس على أصْ/ فَرَ يَختالُ في صَبيغَةِ وَرْسِ). والأصفر رمز الخريف، والأخضر للربيع، أمَّا عن الأخضر الأكثر اصفراراً، والحياة الأكثرُ موتاً، والأمل الأكثرُ يأساً، فيقول الشاعر محمد القيسي(كَمْ الأرضُ خضراءَ/ خضراء/ خضراء/ خضراء/ وَمُوْحِشَة!!). لأنَّها لا بدَّ أن تستقبل الخريف. الأصفر الأكثر اخضراراً، هو الصحارى التي كانت في يوم ما، أرضاً ناضِرَةً خضراء، تحولت إلى اللون الأصفر بمرور آلاف السنين، وكذلك يتنبأً العلماء بعودة هذه الفيافي الجرداء إلى أرض خضراء.

٤-الحبسُ الأكثرُ حريَّةً، كالسجن الذي كتبَ فيهِ ماركو

باولو كتابه الوحيد واصفاً رحلاته وأسماه " وصف العالم". والأصفر رمز الموت، والأخضر رمز الحياة، والموت الأكثر حياةً، هو الخلود الذي ينشده الإنسان منذ كلكامش، مروراً بالرحَّالة الفينيسي ماركو بولو، الذي كان عمره ١٧ عاما حين وصل الصين مع التجار الإيطاليين بقيادة والده نيقولا وعمه مافيو، ١٢٧١ وكان ماركو بولو يتقن أربع لغات، مما ترك انطباعاً عظيماً في نفس قبلاي خان، حيث بعثه في جولات رسمية في طول المملكة وعرضها وخارجها، وبقي ماركو بولو مدة خمسة عشر عاماً يتجول في أرجاء الصين وجنوب شرقي آسيا ممثلاً شخصيا للخان حاكم الصين. وحينَ رجع نشر كتاباً عن رحلاته وسماه "وصف العالم"، ولولا الفرصة التي وجدها بولو ونقلَ طرقاً لتصنيع الثلج، والنظارات للمساعدة في القراءة، ولاحظ استخدام عملة ورقية، وفي عام ١٢٩٦م قام جيش جنوة بإلقاء القبض على ماركو بولو وأودعه السجن. وهنا قرَّر بولو أن يكتب عن رحلاته فأكمل كتابه وصْف العالم عام ١٢٩٨م. وفي عام ١٢٩٩م عقدت جنوة والبندقية سلاماً بينهما فأطلق سراح بولو وعاد إلى مزاولة التجارة في البندقية.

٥-الأصفر هو التاريخ الخيالي لذاكرة تنوء بأحمالها، والاخضرار هجوم اللون الأخضر على الأصفر، والحياة هنا ليست هي الحياة المَعيْشَة، بل هي الحياة المُصْطَنعَة بطريقة إحياء الذكريات، والمُفارقة ليست في التقاء الرحَّالة الإيطالي ماركو باولو، ولا في بقاء أربيل، بسبب الاخضرار، بل في الطريقة التي يستعيد بها الشاعر ذكرياته، مستعيناً بذاكرة القراءة، مستحضراً لوركا وماركو بولو، أمَّا الأحمر فهو نقطة التقاء لا بين الشاعر والرحَّالة، بل بين الأصفر والأخضر. يقول ماركيز(ليست الحياة ما يَعيشهُ أحدنا، وإنَّما هي ما يتذكرَّهُ، وكيف يتذكرَّهُ ليرويه/ مقدمة عشت لأروي).

٦- الأصفر هو الجرح، والاخضرار هو التئام الجرح بمرور الزمن، الطبيب الحقيقي، وتقول نازك الملائكة في قصيدة "شجرة الذكرى" (وَدُرْتُ أسائلُ عَنْ جُرحها/ أما دملته أكفّ القدر؟/ فلم أر إلاّ اخضرار الحياة/ فليس عليها لجرح أثر).

٧-الأصفر رمزُ الشمس،والشمسُ تشرقُ من جديد، كلَّ صباح، والأخضر هو ضوء النهار المُخفَّف بعد مرورهِ بالغلاف الجوي. يقول سعدي يوسف في قصيدة "تكوين"، الأصفرُ هو الآخرون، والأخضرُ هو التفرُّد، (نعيدُ الدورةَ الصمّاءَ والوردةْ/ نعيدُ رهافةَ الوحدةْ/ ونسكنُ في التفرُّدِ ... في اخضرارِ الوشم).

ويقول قباني في قصيدة "مقابلة تلفزيونية مع غودو عربي" (غُودو أنا/ ولم أزَلْ أبحثُ فوق الرَّمْلْ، عن بقية اخْضرارْ/ ولم أزَلْ أبحثُ في الرُكَام عن زَهْرَة جُلَّنارْ/ ولم أزلْ أؤمِنُ بالشعر الذي يَطْلَعُ كالوردة). ويقول قباني في قصيدة " أكبر من كل الكلمات" (سيّدتي! عندي في الدفترْ/ ترقصُ آلافُ الكلمات/ واحدةٌ في ثوب أصفَرْ/ واحدةٌ في ثوب أحمَرْ/ يحرقُ أطرافَ الصفحاتِ/ أنا لستُ وحيداً في الدنيا/ عائلتي .. حُزْمةُ أبيات/ و قطعتُ بحاراً.. و بحاراً/ أنبشُ أعماقَ الموجاتِ/ أبحثُ في جوف الصَدَفاتِ/ عن حرفٍ كالقمر الأخضرْ/ أهديهِ لعينيْ مولاتي/ سيِّدتي! في هذا الدفترْ/ تجدينَ ألوفَ الكلمات/ الأبيضَ منها و .. و الأحمَرْ/ الأزرقَ منها و .. و الأصفَرْ).

١- يقول الشاعر فرهاد بيربال في قصيدته "م"(يقول كافكا: كلُّ شيء أسود/ يقول جيمس جويس: كلُّ شيء رمادي/ يقول مونيه: كلُّ شيء رمادي/ نصوص كردية حديثة- ترجمة نوزاد أحمد أسود- ٢٠٠٧- سردم- ص٤٨). رغمَ أنَّ جويس لم يَكُنْ بشكل من الأشكال أقلُّ من كافكا سوداوية.

اثر القص في التماثل السياسي

جدلية الادب الكوردي والقاص مصطفى صالح كريم

رحاب حسين الصائغ

مصطفى صالح كريم، قاص روحه غنية بالصبر المرتبط بالنضج القومي المشبع بالانتماء الاصيل لما يعنيه تواجده كرجل مفكر وسياسي، قصصه ذات شمولية وعمق مثيرة للاهتمام مما تمنح للقارئ احداثها المتراكمة والقائمة على الصراع في استحضار تيارات مختلفة تهدف بفيض توجيهها في نصه المكتوب بتشكيلات متكافئة برحلتها الانتقائية من حدث لحدث، حاملة الطابع الاجتماعي والمشاعر المشبعة بغنى الطموح الذاتي منجبة افكار قادرة على تقديم المزيد من التجربة الشاملة، يركز على رؤية الحياة وأثرها على المتخيل عند المبدع.

في كتاب (قصص بيفين) منشورات مهرجان كلاويش الثاني عشر عام ٢٠٠٨ اعداد : مكتب المنظمات الديمقراطية للاتحاد الوطني الكوردستاني في مجلة بيفين، هناك اربع قصص للقاص مصطفى صالح كريم، من صفحة (٢٣١) الى صفحة (٢٧٠) القصة الاولى (القلم) ترجمة: رؤوف عثمان \ القصة الثانية (رعشة الهم في اغاني العشاق) ترجمة: ياسمين شيخ محمود البرزنجي\ القصة الثالثة (طير ابابيل) ترجمة حسين عثمان نيركسجاي، مراجعة الكاتب \ القصة الرابعة (« المهلة» أو بقية جمر في الرماد) ترجمة : عبد الستار كاظم.

قصة القلم، تعتمد التضافر بين الذاتي والآخر وكلاهما في فكر القاص مصطفى صالح يتواصلان في حركة مقابلة بمزيد من العمق الشامل كأنهما في حلم التداعي وقناعات انسانية حرة، يراها بوضوح وتنفذ بمنهجية صادقة، للتاكيد على التاريخ وما ينجزه من رسالة انسانية في حركة الزمن، شاهداً بزوغ تلك الذات بكل ما فيها من ضعف وقوة تجعله قلقا وفي حيرة تعد مقارنته بابعاد المرحلة التي تصوغ حقيقة العلاقات الاجتماعية، وتحصن القاص مصطفى ازاء مراحل السرد الزمني في المعايشة، وشروط بنائه الحكائي قائم على ثمرة متحدة بامتيازات الفن السردي، هو واثق ان لديه مادة خام، لكن تبصره الذكي جعله يصوغ منها في براعة التقاط المشهد بقلم كاتب سياسي محنك ويده تبارك الثقة في استخراج ما ينطوي المغزى، ففي احداث القصة يؤكد على مادته الخام في التأثر النفسي من خلال ضمير المتكلم: (لقد رفع اسطى

جليل الخياط المنهك في عمله رأسه ورد على تحياتكم، عندما طالع وجوهكم الذابلة اغرورقت عيناه بالدموع، فانحنى بسرعة على ما كنته ليواصل الخياطة كرة أخرى) في هذا المشهد صاغ لنا معاناة لمرحلة الانتكاس لمجموعة من الشباب الكورد وما يلبس ظروفهم الحياتية من قسوة هم ليسوا بساكتين ولكن عملهم من اجل الافضل الذي ينظرون له في مستقبلهم يعانون بصبر الانبياء، والاسطى جليل يعلم ما في رؤوسهم من هموم يتألم لهم وليس بيده غير الدعاء بضمير صادق، وتوضح معايشته لهم مرة بشرط درامي نجدها في المشهد من خلال دموعه ووجوه الشباب الذابلة وتصوير صراع يعيشه جيلان من البشر، شباب طامح، والاسطة الذي يمثل فئة الشعب المتعب، تواكبهما مثبطات الحياة والصعوبات ما زالت تواجه الشباب في معالجة همومهم ومتابعة الواقع، ففي مشهد آخر من القصة يوجد حوار بين الشباب يعنى بهموم اخرى تصادفهم: (هل رضي البناؤون بالبقاء، ليبدأوا العمل من جديد مع العمال ذو الاذرع الفولاذية لأعادة بناء القلعة؟.

- هيهات لقد فات الاوان، لا اعتقد ان أحدهم يتحمل تلك المسؤولية.).

يبدو من الحوار انهم مجموعة يعيشون نكسة من لمحات الحوار نفهم هذا عند الشباب واصرارهم في البحث عن حل يحمل القوة والطموح وطاقات ملتهبة، الحوار يعبر عن وجود احساس شمولي في انجاز ما يقع عليهم وما يتوجب من مصير، القاص حمل الامتداد الفني في رسم استقرار الواقع ضمن مفارقة السارد وقناعات مشحونة بالحدث الصائب، مجتاز عبر ضمير السارد بقايا متكررة من الحدث المتوالد في ذاته، بينما هو متابع لما واقع حوله بدقة المتأبط وجع القضية، والمعطف الذي امدجه بتعابير جميلة في خلق حدث ملازم للواقع العبثي شاهداً على شيء آخر وهو الفكر الذي عبر به عن القلم، مسعى تعبيري ذكي، في اظهار وضع صديقه والمعطف ولحظة شعوره بالهزيمة، هو متأكد



من أن صديقه قد امتلك المعطف الذي الان بين يدي أحد الدلالين في سوق شعبي لبيع الاشياء القديمة والمستعملة ومع مرور الحدث وجد نفسه بلا ارادة منه يمتص انفاس الدخان مجتراً من بحر الذكريات امواج الالم، وتانيب الضمير، اشتغل القاص مصطفى صالح كريم على خطين في قصة القلم، وجع الحاجة، ووجع رفض الواقع الممزق، لكن ظهور صاحب المعطف يعني مسك زمام الامور مع امتلاك نوع من الامل، فيشعر بشيء من الاطمئنان، وامام قضية اخرى شرف مهنة (القلم) سلاح الفكر، شيء يعني له كل القضية وليس من السهل ان يتنازل عنه كانسان واعي، يستلب منه الكثير في خط سير الحياة مثل الراحة والجاه و الوضع المادي والاستقرار، اما القلم فهو كالوطن لا يمكن استلابه ولن يتنازل عنه في اقصى الظروف، انه

سـلاح يحمل وجه آخـر للقضية، يمثله كشـخص معني امام الآخر أيـا كان نوعــه وحجمــه، وللقلم دور لن ينتهـي طالما قفص صدره يعتلج بالحياة، رغم مرور الصعاب في واقع الحياة الممزقة نجد القاص مصرعلى الاعلاء من شـأن القلم، وان الكاتــب قصــد في قصته تلك انه رغم المأساة والمعانات الا انه لن يبيع قلمــه. جاء ذلك في زمن كان شراء الأقلام هو هدف النظام.

قصة (رعشــة الهــم في اغاني العشاق) تقدم نماذج من المشكلات العامة التي أهدافها ضمن سـياقات معاناة الانسان المستلب حقه والذي لـم تخدمه الظروف بشـكل لائق في مسـعاه اللامباشر وغير المباشر، ونجد القــاص يطرح فكـرة الهم السياســي بحالة نفسـية مختلفة تحمل امكانيــات جميلة عن واقع متــأزم يتخللها نوع مــن العاطفة التــي تنطوي على نــوع ثابت من المواجهــة، الالــم في هــذه القصة كمـرآة عاكسـة للنفـس المعذبة بصمـت والمعشـقة بصـور الحياة ومصاعبها المنمقة بشـكل سـافر، خط الاحداث يسـير بخطى رائعة نحو العلاقة الصادقة بين عناصر الحياة المرأة والرجل، طريقة السرد تذوب بتشابك ابداعي رائع وسلس وجميــل، واقــع يجتهــد في خلق الاجهاد لفتاة جميلة قدمت عمرها هدية لقضية الوطن، والرجل الذي طموحه المسـتقبلي يقوده لأماكن بعيدة يغلف حياته الاغتراب مغالبا الشـوق للاهل والوطــن من اجل نفس القضية، القاص قاد انجازات رحلة بطلــه الخصبة بلغة دقيقة ومعبرة تحمل الدمج الجميل والحب الملبس بالصدف المدهشة والصعاب التي اصبحت طريــة بوجود هذه الحالــة الانســانية الرائعة، يشـير بالحدث الى جانــب آخر قد يكون غامضــاً، ولكــن هــو الهــدف من الحبكة في النــص الحكائي، فمصير الفتاة المجهول مثل مصير القضية التي ينسـج عليهــا الامل في عمل كل انسان يسـعى لتحقيق الهدف، مع وجود المفاجــآة، هو والحبيبة يتقاسمان الحزن بصمت من خلال رؤيــة عامة للامــور الدائرة على واقع الحدث، والتفرعات الموجودة في جوانب الساحة التي وقع عليها الحدث تفضي في تشابكها الى مغزى يفهمه القاص وهو المطلع والراصد علــى شـؤون القضية مــن بعيد وقريب، السـرد يعلمنا بما يحدث في قاعــة اللؤلؤة: (فقد رايت على المائدة المقابلة لنــا ثلاث فتيات أو ثلاث زهرات يانعات، كن يزين تلك المائدة، وكان الحائــط من خلفهن مزدانــاً بإســم القاعة المنقوشــة بالمصابيح فقلت أحدث نفسي:

- «بالضبط.. انهــا الحقيقة.. انهن بحق لأ لئ يزين القاعة»

- وفجأةً أحسسـت بلمسة على كتفــي.. وجــاء صــوت صديقــي (دلنيــا) ليعيدنــي الى رشـدي ويسالني:

- ها.. مالذي يشغلك؟

قبضــت على يــده فرحاً كاني أخشــى أن يفلـت منــي وقلت له ونظــري لا يــزال مركــزاً علــى الناحية الأخرى:

- أحسـنت بالمجئ يا صديقي.. قل لي بــالله عليك، من تكون تلك الفتاة صاحبة الصدر الناهد الذي يحــاول نهداها النافران ان يشــقا السوتيان.

- تلــك هي (نازنــين) احدى رفيقاتنا.

- حسـناً فهمت، ومن هي التي تريد بطرفــة عينيها الحالمتين ان تنــزل الفارس المرسـوم في اللوحة المعلقة على الحائط عن فرسه.

- وتلك (كولشن) خطيبة هذا الشاب الذي يجلس بجانبها.

- والثالثة؟

- استحلفك بحق الاثنتين أن لا تسألني عن أسم الثالثة.

- ان اجوبتك تشـبه البرقيات التجارية.

بطل قصــة (رعشــة الهم في اغاني العشــاق) تبدأ رعشــة قلبه من تلك اللحظــة في قاعة اللؤلؤة، وتلك الفتاة التي سـلبت لبّ قلب

القاص يسير بنا بطريقة (آلان روب غريه) وتلاعبه في مجرى الاحداث يدخلك في مدى ووعي وتبصره في الجهد الابداعي الذي قدمه، رافضا الاستسلام في اعماق داخله المتعشب بالحيوية والنشاط كرجل حر وكناشط سياسي، بتقديمه وضع اجتماعي تدور احداثه وفق رغبة منفعلة وترميم لزمن يميل جسده لخصائص الابداع، مرورا بموجة التحرر من نقاط السيطرة، ساعد على كشف مرجعية الوظيفة الاخرى في مجتمعات مخادعة، استعمل الرمز افرز تشظي انسيابيات كثيرة في مواطن الوعي واللاوعي عن الاثار المخفية للاشباح السادية وظاهرة السلطة وقناعاتها المستهلكة، وبدل ان يكون الشخص الاول في الحدث، كان دور المرأة الدور البارز، تلك الفتاة الجميلة التي هي ضحية والشخصية الاولى في مجمل الحدث وبطرق غامضة تشد القارئ، عاد بنعشها بعد ان عاش معها اجمل اللحظات في الغربة بعد ان فرقهما الوضع في الوطن وجمعتهما الغربة بعيدا عن الوطن، مع ذكريات مؤلمة لفراق جهل سره،

:(اجل انا ايضا بعد ان وصلت الى هذه النتيجة وجدت نفسي مجبراً على ترك الدراسة والعودة مع نعش (نرجس)،).

فهو عاد مع حبيبته التي توفيت اثر عارض جهل في الظاهر سره، ولكن في عمق نفسه يعلم الحقيقة، انها سطوة الأنظمة وقوانين الحياة تتجاذبها عواصف الحيرة والامل المخنوق، والنفس التي تنطوي على مزيج من المصاعب لا يمكن تجاوزها وحجمها في تواصل بين الظل الذي ينفرد بمفتاح سياسي من نوع آخر، وأخيراً نلمس بأن هذه الفتاة اللغز "نرجس" هي رمز لقضيته التي ناضل لأجلها.

قصة (طير ابابيل) لا استبطان في هذه القصة، جو لغتها معبر بدقة ووضوح، فهي تحكي عن صانعي المخاوف، والقاص مصطفى ملتقط صور شاملة في ظل حقيقة من واقع مسافته الزمنيه تعبر عن واقع سياسي عامله الافتراض والاستقصاء النفسي، وكشف اسرار مظلة الظلم، نافذة الحدث تحمل الهزيمة والعار لمنفذيها، انها تتخلل نوع من التسلق المفضي الى الهاوية، وعملية السقوط تاتي من اقزام دبرت تلك الواقعة المؤلمة، يكون فيها غياب الضمير عنصراً مهماً عند السلطة، ولكن الاصرار لم يمح حاسة التمسك عند المتضررين ممن اصابتهم مصيبة الحدث المؤلم، رغم وجود الحقد عند السلطة يقابله وجود روح التعاون عند العامة مما يشكل الشاهد الصادق لبراءة الشعب من براثن الدولة وتماسكه رغم اختلاف المناخ والجغرافية والمكان واللغة، نجد تماسك واحساس بمشكلة الآخر تجاه بعضهم لأن الجميع والاغلبية من الشعب مغلوب على امرهم مع الدولة وجلاوزتها، وما يقع ضمن حدود سيطرتها، وان عناصر الشعب لا دخل لها بما تقدمه السلطة والطغاة منها، وما تخلفه السياسة في بعض الاحيان تعالجه العامة بصور تعبر عن وجود تكاتف رائع لحياة تعيشها مجموعات من الناس الابرياء في ظل الالفة والخير الذي يعمر مشاعرهم ، والجميل في القصة ان استعمال المآذن لقلب صباح يوم صافي غير عابئ بلحظات آتية مشؤومة من الجامع استعمال ذكي جدا، فهو ربط صائب جدا اذ كيف يكون المكان الذي هو مصدر خشوع و يحمل لغة الاطمئنان، استعملته السلطة لاغراضها الخسيسة، جميل جميل جدا، مكان جعلته السلطة موضع لقلب الحال في غمضة عين لجحيم اصاب بشراً ابرياء ونالهم ما فوق طاقتهم وشمل من يجب ان تشملهم الرحمة في عرف الحياة، لا وبل الغي اي وجود انساني لما قدمه منفذو أوامر السلطة، الاطفال والنساء والشيوخ، عجبا

لأمر الطغاة، يقدم القاص مصطفى التناقض بين اجناس البشر ويعري تعرية كاملة لواقع حال حمل معه العار على مدى التاريخ، صباح برئ ولحظات طرية يعقبها جو ساخن من الظلم والتدمير والتهجير والقتل بصورة بشعة خالية من اي رحمة، ثم يعود لجو آخر، بشر عاديون هم لبنة المجتمع وليس قادة لهم مصالحهم الذاتية لا دخل لهم بالقسوة والطغيان، يساعدون طفل نجا من المجزرة، ونجاة الطفل في القصة يعني ان هناك آملاً لمستقبل حي لا يمكن ان يموت بمثل هذه الصورة البغيضة من قبل قساة القلوب وحاملين صلبان الموت، الطفل شاهد حي على الحدث وهول الظلم الآتي من قبل الآخر المتمثل بالسلطة، هذا الشاهد الطفل الذي سلم من عملية التهجيروالقتل الاجماعي شاهد بريئ لا جرم له غير انه انسان يجب ان يعيش بسلام ويبحث عنه في اصعب الظروف يعبر هنا وجوده عن الالم الذي صاحبه والقوة التي امتلكها كي يبقى ويفضح مارآه في الخفاء: (اصوات المجارف وهدير الشفلات تؤكد على البدء بردم الرجال والنساء والاطفال دفنت احياء وهم تحت الرمال والتراب واخفيت وضعية اية آثر للجريمة ، وانت تدخل رويدا رويدا في احضان الاغماء) يتحول الوضع الان الطفل يكون معانداً للموت شاهداً على كل ما فعلته ايديهم التي تلوثت بدماء الابرياء، يحكي افظع جريمة وهي دفن الاحياء بدون ذنب ارتكبوه، انه المستقبل الذي يرفض العنف الذي يولد العنف، ولكن الحق الذي لا يمكن اخفاؤه بتراب وسلاح غادر من القتلة : (وقبيل غروب الشمس وبعد ما قطعت مسافة لا تعرف كم ساعة رايت من بعيد خيمة فلاحت لك بارقة امل في الافق بدات تخطو بسرعة نحوها حتى اقتربت منها وسط نباح كثيف للكلاب اهل الخيمة استقبلوك واحتضنوك، وما ان شربت طاسة ماء كاملة حتى دخلت في غيبوبة).

القاص مصطفى يدخل ذلك الطفل كشاهد وحيد ناجي من المجزرة، وبعيشه الغيبوبة مؤكدا ان محاولات الاحباط المتكررة لن تمحي الحدث الجسيم والمفتعل، ولابد للحق ان يظهر وينتصر، كاشفاً رغبات الحقد عند السلطة،الشهادة كانت على لسان طفل والطفل لا يعرف التلفيق والكذب انه من صلب البراءة والصدق، تفاعله مع وجوده الذي سعى الجلادون لإخفائه يقع في قمة الروعة في ادراك القاص بفن الروي وغاية الابداع في السرد الذي في الحقيقة هو من واقع الحياة ومأساة عانا منها الشعب الكوردي، وكل ما في القصة من خطاب في خلق الصورة والمشهد النفسي وانسيابيته الخارجة من اصالة التجربة تحمل ترجيح المعنى المعطى وجاذبية انتباه القارئ، واضاءة طريق المتلاقي الذي قد يكون غير مدرك ملابسات زمن غاشم، القاص مصطفى صالح كريم مدرك ومسيطر بادراج خطابة المتفق عبر فكر ناضج وملامس للمعاني وصفاتها الحسية، : (فيما كان مغميا عليك وتهذي وتخلط بالكلام. أن الموت نزل من ناقلات الجنود وانه حاصرك، وبدأت بالأنين والصراخ، وعندما فتحت عينيك، ورأيت كأنَّ ملائكاًعلى جبينك، كان امرأة في متوسط العمر مرتبة وانيقة على ذقنها شامات وبأذنها خزام وهي تنظف جروحك بمنشفة، واعطاك شاب طاسة صغيرة من الحليب، طلبت المرأة منك شربه، وكان عندك لذيذ)، (مضت ايام وجاء للخيمة ضيف وهو شاب وسيم طويل القامة.. حنطاوي اللون ، ببشاشة وابتسام اقترب منك، وبلغة كردية ضعيفة ومكسرة قال لك : شلونك كاكة.. تصير زين، لا تحزن فهذا بيتك.) دائماً الناس البسطاء تحمل قلوبهم الرحمة وحب التعاون لا تحمل نفوسهم الطمع والغدر،

يشعرون بمعاناة بعضهم، القاص لم يغفل ان هناك فرقاً بين الناس وما تقدمه السطلة وسلاطين لا ترحم، وان التاريخ غير غافل عن ظلمهم، ومن هؤلاء الناس هؤلاء البسطاء من الناس الذي عاملوا هذا الطفل كواحد منهم في ديارهم وفي قلب بيتهم كانه واحد من صلبهم وابنا لهم، ولكن بقاء حنينه لمكان الاجداد والجذر الذي نبت منه جعلهم يحسون بما يقاسي وساعدوه على تخطي المسافة والعودة الى الديار بسلام وامان ليبقى الشاهد والمستقبل الناضج بالحياة.

قصة (المهلة أو بقية جمر في الموقد) لطقوس الحياة جمالية، وما يؤشر على وجود نوع من الانسجام في مضامينها من موروث ثابت، تخلق الانحيازات والتحولات المعرفية وتتشكل منها كينونة التفكير الجمالي في احداث هذه القصة تجانسات وتوافقات اخرى، بمعنى ان القاص ادخل في احداث القصة نوع من السرد الآني بصورة حداثية جديدة اعد لها وجه آخر من الاسطورة، بدأ قصته بمقولة : (تنسي وليامز) بهدف لجر القارئ الى جانبه والأحداث المتسلسلة فيها الحبكة، ثم بدأ مع اسطورة سومرية تموز راعي كرس قيثارته من اجل حب أسَّرَهُ، مشبهاً نفسه بذلك العاشق لأنه ايضا راعي لحب سلبه لب قلبه، واجداً نفسه بذلك العشق مملوك لأحاسيس لا يستطيع تجاوزها،القاص مصطفى وجد لغة منسجمة مع متخيله في التعبير في خلق تيار يقوم على علاقة منطقية لواقع تدخله اختيارات جمالية شروطها متكونة من التأثر والتأثيرفي مرايا القص، مما يؤشر حدة استجلاء البنية الداخلية في تجاويف الوعي المستقر عند القاص، حاملة شيء من الانتماء في تمايز التوحد، صيرورة الحياة ينوب عنها تصورات في لغة مكثفة، : (كان تموز يقضي الليل مسهداً، يحدق في النجوم التي تلمع فوق سطح بيت عشتار يستنجد بها يتوسل اليها ان توصل سرقلبه بهمسة)

-(وانا كذلك في الليالي كنت العب مع تلك النجوم اللائي كن في رهان مع عيني شه وبو، عسى ان يوصلن اليها اسرار قلبي الهائم)، تنامي في معرفة المشاعر عند البطل وعند القاص وعند تموز، تطير مشع في ذائقة القاص، صيرورة في حياة البطل، تعويض في الاسطورة، نوع من التداول في الاحتماءبالصمت والكشف عن دواخل عاجزة على فضح مكوناتها امام الحس الواقعي، نوع من الكبت او الكآبة قد لا يجرأ على الاعلان عنها، القاص نفسه هو المخول في دور البطل وتحويل صوته الى صوت الاسطورة، ليجنب هدير أحاسيسه المنبعثة من عمقه تجاه حب لا يجد فيه امل، فعاش صراع البوح والصمت في آن واحد، من طرح افكار تموز: (تموز عندما كان يخلو الى نفسه يقرر العديد من الامورلينفذها: (غدا سالتقي بها، بالالحان، بالهمسات الرقيقة اقول لها: (منذ امد وانا في انتظارك يا ربة الحسن والجمال) ولكن عندما يلتقي بها يلجم لسانه وتنهار قواه، ولا يبقى بمقدوره ان يبلغها سر قلبه) القاص مصطفى استفاض من بحثه عن حقيقة شاملة دأب عليها قلب الانسان وعواطفه بما لا يوازيها من مشاعر اخرى من دقة وعمق فحين اوجد لنا تطابق بين افكار تموز وافكار البطل وافكاره، مخترقا مساحات الزمن التي بينه وبين الاسطورة تلك المثيولوجيا والتطابق في السعي لعقد التوحد الذي هو عنصر اثبات يتخذ منه مفاهيم العلاقة الوجدانية ، وابتكار القاص هنا يدل على الذائقة الجمالية والتجربة المتبادلة في المعرفة وهو متخيل صرخة تموز وعلاقته الحاضرة، ولا يعني القاص الاستنساخ الفكري انما المعادل الموضوعي في ذهنه المبدع دفعه ان يبحث عن

التكامل في الربط وادراج ظواهر في رحم الاسطورة، ومشاعر لا تتعترف بمسافات الزمن، جاعلا منها حالة لا تتبدد وحاضرة رغم اختلاف الازمان وما زالت تعتبر خامة رائعة تتنفس بقوة في جسد الانسان، مهما اختلفت الاجواء، في الاسطورة منتصرة بل تحمل قيماً نبيلة في الحب، وتوحد الحب في الاسطورة يحمل الارادة، بالحب سعى للخلاص من ورطات الحاضر في محيطات غير سليمة، محيطات معنية بالمأزق السياسي والاجتماعي والاقتصادي، لأن الحب يعني الانتماء والحنين، وخاصة عند الرجل الحب يخرجه من لغة التعصب، والعاطفة تتمثل عنده بالشعور الانثوي، واشتباك فكرة القاص التي خلق منها اجواء حبكته الدرامية الوجدانية، وحدث متقابل مع الاسطورة خارجا بملكة الشروق القامع لحدود طبيعة التبعية، تماهي يؤكد تواطؤ متكافئ مع ائتلاف مقدس لحالة الشوق والقلق والحيرة التي تتوالد مع ثيمة دائمة تأخذ مع فعلها الآخر الى فعل يوصلها حد التأله ودخول التاريخ.

القاص مصطفى صالح كريم ، قدم لنا اعمال غايتها هادفة ، تبعث على الوصول الى نقطة جامعة في خلق جو الالفة والود والحيلة المبتكرة حتى ينفذ الى خططه بدقة في السرد والمحاكات حيث صاغ افكاره التي تقود العقل الجمعي في ذهن القارئ، على تطور العلاقات في الاثر المكتسب من ما يناسب الانسان البحث عن الحرية حيثما يشاء، ومحاولاته في رغبة التجدد عبر مسارات يحتمها المجتمع، كما اجد ان القاص يحب ان يكون قائداً لا منقاداً متفكراً متصفحاً في مخاضات البحث في عصر لم يملك من الجميع فيه زمام الامور وان من يملك ادوات عمله المناسبة، حتما يكون متميزاً، القاص مصطفى صالح كريم دائما يعانق بؤرة الضوء حيث ما يكون يستل من منافذ النور خيوط تعينه في تتبع مسارات الحياة متمكنا من ايصال باقات زهوره في نهاية كل عمل يقدم عليه، كجندي مجهول يعمل على مرور الوقت في وصول شعلة الانتصار ذروتها، ففي مجال القص قدم شواهد ادبية تعلن عن بقائها ضمن الادب الكوردي المميز باسلوبه الخاص، وفي مجالات اخرى يعمل القاص كسندباد يخوض غمار البحار بنفس الدأب، رافضا الجمود راغبا بالتفاعل، من خلال قصصه في كتاب مهرجان كلاويـَز، نجد لكل قصة مجرياتها المختلفة ومضمونها المتنوع، منها تحمل الانتساب للحلم، ومنها تحمل الانتساب للحرية، ومنها تحمل الانتساب للحكمة التي يملكها فيلسوف، وفي مجلمها تتسم بالقنص في اختيار المادة ونوع السرد والعودة لأصل التجارب الحياتية التي اعطته فكر المجرب والحالم الذي لا يخاف من حلمه بل يحافظ عليه ويخطط له حيثما يشاء ويكون. ومن خلال قراءتي لهذه القصص وجدت رومانسية عذبة فيها ولكن القاص استخدمها للوصول الى أغراض سياسية، فالزمن الصعب الذي عاشه جعله يعبر عن أفكاره وطموحات شعبه من خلال هذه القصص التي أغلب أبطالها هم رموز استطاع القاص استخدامها بمهارة. حبذا لو استطعت الحصول على ترجمات أخرى لقصصه وخاصة "متشحة بالسواد في العام الرابع".

من الشعر الكردي الحديث

نرجس ١٩٥٩

شعر: محمد صالح ديلان

ترجمة: محترم محمد

يا ذات
ثنايا الشعر الناعمة
وخدود البلور
وعيون
بالثمالة والحشمة تفيض
ومثل الذهب المجتلى تبرق
وكنوز ثغرك الصفراء
ترنو لبريق
احجار السفوح والهضاب
انت تسائلين ريح الصبا
حين التبسم
تهز شفاها متبرمة
والبرعم
حين عيونه الوسنى تطرف
والارخوان
حين ينقش شفاهها الجنبذ
انت تسائلين ريح الصبا
متي تحلق
فراشات السهوب التائهة
ومتى

على جنات المروج
تهبط
لا جواب في الافق
وكل ما تذكر وتفطن
مثل عمر شقائق النعمان
علي عجل تشر ق
وتغرب
او مثل
ثلج الشتاء المتاخر
حين يهبط
حتي الغسق لا يصمد
وكما يقبل
النسيم والبرعم والجنبذ
ويدبر
وبدموع انداء الليالي
يغسل
اجسادا مشرفة على الفناء
واذ لاجواب في الافق
بعضهم لوجوه البعض يحدق
يا تساؤل الفراشة التائهة

يا ايها الشعر الابيض
والعيون الخجلى
والثغر مثل كنز الذهب
مع نسيم الشمال
حين تعود المواشي
للديار
وتهز الرقاب بعضا لبعض
كشيخين
دب في اوصالهما
الهرم
بلحيتين بيضاوين
وخدود صفر
يلهبان النجوى
ويذران في الريح
الماضي العتيق
وحتى على شواهق القمم
يأفل الغسق
المسامع يرخيان
غير أن
مناداة الفراشة التائهة

لا لمسامع الضفادع
تتناهى
ولا مسامع الابقر تقرع
وبغتة
تدمدم الغمامة
والرعد الاحمر
يهز قلب الجبل
وسحائق اغياث الشمس
الاوراق الناعمة تذبل
يا ترى اي تسمية
على هذه الحال تطلق
اهي صولة
ام نحيب الشمس
ينثر
على سطح الارض
لونه الذهبي
والطيور في الاجواء تحلق
ومع الغابات تشدو
وتغلي وترغو
ونرجس امال الكرد
في انتظار
فراشة رسالة النهوض
حتى تجفل
قلوب هذا الكرد الباسل
وحتى يذهلك
ان الكرد
بصفاء الحرية
مزق غمامة الاستبداد
وبرياح قوة الكفاح
ابتاع صحو التحرير.



قصائد إلى حلبجة وكركوك

شعر: شيركو بيكس

ترجمة: صلاح برواري

١- جواب

بعد اختناق (حلبجة)،
كتبت شكوى طويلة
الى الله!.
وقبل الناس
قرأتها الشجرة،
فبكت!.
وفي زاوية ما،
قال طائر زاجل:
-حسنا، من سيأخذها لك؟!
لاتعتمد عليّ في ايصالها،
فأنا لا أصل الى عرش الله!.
وحين جن الليل[١]
قال ملاك شعري الأسود:
-لاتغتم..
انا سأوصلها الى الأعلى،
الى حيث (درب التبانة)،
لكني لا اعدك
بأن يستلم مني الرسالة
بنفسه!
فأنت تعرف،
من يقابل الله العظيم؟!.
قلت: شكرا.. حلق أنت!
حلق ملاك الالهام،
آخذاً معه الشكوى..
وحين عاد،
في اليوم التالي،
كان (عبيد)،
سكرتير الله
-من الدرجة الرابعة-
قد كتب على هامش الشكوى،
بالعربية:
-ايها الابله!
عرّبها!
لأحد هنا يعرف الكوردية!
ولن نأخذها.. الى الله!!.

٢-هدايا الله

هناك سبب ما
لو أن الله تعالى
شاء يوما
أن يفكر فجأة
في النزول بين الكورد،
وأن يجلب معه،
بقدر الورق المتساقط
للحدائق والمزارع،
الشكولاتة لأطفال (حلبجة)،
وعرائس وألعابا
ملء واديي (سفره وزرون)[٢]
وقمر الدين
ملء سهل (قراج)[٣]،
حتماً..
هناك سبب لذلك!.

٣-في ذلك العام

في ذلك العام..
نحن وتأريخنا
كنا لوحدنا،
نحن وموتنا
كنا لوحدنا!.
بعد ١٦/٣..
لاجبريل، ولا الملائكة
لا الصحابة، ولا المشايخ

لا احد منهم
ولو من بعيد،
لا بأيديهم
ولا برؤوسهم
ولا بأرجلهم
حيّونا!.
موسى وعيسى والأنبياء
كلهم
لم يكتبوا لنا رسالة
ولو من سطرين!.
ولأجل العزاء والسلوان،
حتى الله العظيم
لم يهاتفنا
ولا أرسل لنا فاكسا!.
في ذلك العام..
كنّا وهذه الأرض.. لوحدنا!
كنا وموتنا... لوحدنا!.

٤-مشهور

في أفق (كركوك)
عرفتُ لوناً
قرمزياَ.
هذا اللون انبرى
يحارب (الأسود)،
حتى الغروب،
ولم يعرف مرة
لوناً خافتاً
او لون هروب!.

٥-معا

بنيت لنفسي
بيت شعر
في (كركوك)،
وسكنته.
لكن، ضاق قلبي،
لأن ورد حديقتي
ولون النوافذ والجدران
ولون الخيال والحيطان
ولون السماء والرؤية
وصوت كلماتي وطيوري
ورائحة كل غرفي
لون واحد
وصوت واحد
ورائحة واحدة!.
لكن...
حين اجتمع بود،
وفي بيت واحد،
كمان (قوال)
وناي (قوريات)
وقيثارة (آشورية)
وترومبيت (كلداني)[٤]
صار للورد مئات الألوان،
وللأصوات مئات الأصوات،
وللروائح مئات الروائح،
وحينها أيضا...
انشرح قلبي!.

الهوامش:

١-جَـنّ الليل: اشـتد ظلامه، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا» (قرآن).

٢-سـفره وزرون: واديان في منطقة شاربازير.

٣-قراج: سهل في منطقة اربيل.

٤-قوال: نوع مـن المواويل الكوردية في كركوك.
قوريات: مقام تركماني في كركوك.
ترومبيت: آلة نفخ موسيقية.

حمه كريم عارف

رجل من مطر الكلمات المستديم

شيركو بيكس

ت: جلال زنكابادي

حينما تكتب بعشق وتصبح نديم لغة الابداع والعطاء، وحين تسلم حياتك كلها بيد القلم، ثم تمسي فراشة تطوف حول الكلمات واسرجة الكتب وكل جملة جميلة، ستكف حينئذ عن ان تعيش لنفسك، بل يصبح عمرك عمر اوراق المحبة وورودها، وتضحى حياتك حياة شعب، وتلتحم مع المستقبل، وتمطر مع المطر، وتنهمر شمسا مع الشمس!

حمه كريم عارف:
رجل من السهر،
انهمار الكلمات
وهبوب نسائم اليراع
ونافذة مشرعة
للشجن الاخضر
واشعة الغبش!
حمه كريم عارف:
وتر لعشق الادب الابدي
وعين للانسانية
والاغنية الفصيحة الدائمية
لحنجرة الحياة!
ثمانون كوكبا – كتابا في سماء عمر
ثمانون ترعة صافية عبر غابة
ثمانون تحليقا في سماء فضية
وثمانون قبلة مني في هذي الكتابة!
وها انذا وحدي
اوقدت في هذي الليلة على طاولتي
شمعة التكريم هذي لذاك العاشق الولهان
وحدي انا
مع بضعة ابيات من قصيدة سردمية
وحدي انا
مع فراشة مهمومة
وبضع قصاصات بيض منتظرة
وحدي انا
رحت اقلب صفحات العيون الندية
لتلك المرجة الزاهية
لأقرأ انفاس تلك البركة الصافية
حتى الصباح
لأسرد حكاية طائر جريح الصداح!
وحدي انا في هذه الليلة
فحتى انا في هذه الليلة
وحتى حمه كريم لم يدر
أي جريدة او مجلة
ولا اي شارع في كركوك
ولا اي مقام لعلي مردان..
أجل
وحدي
وطاولتي
ولا احد غيري.
كركوكي
ممتليء ممتليء بكردستان
وطافح بالعالم كله!
كركوكي

يجلب الدنيا جمعاء
الى حضن الكلمة هذي
فتستحيل الدنيا جمعاء
الى حضن الكلمة هذي
فتستحيل الكلمة وردة (سان)
حيث صبَّ العديد من بحيرات الرواية
من كل الارجاء
في وطن اللغة الكردية
وجلب العديد من جنينات القصص
الى ربوع اللغة هذي
وعلق العديد من مرايا التاريخ
على حيطان نفوسنا الآسية.
كركوكي
خط اجمل بستان،
وسطر الحقول الغناء
ولم يتوقف!
كركوكي
ترجم لنا مشامش الدنيا
ترجم لنا الليالي القمراء

وترجم لنا عشق الابتكار الاكبر:

البير كامو، الكسندر فدايوف، هيرب ميدو، فاسموف، تشيخوف، كازانتزاكيس، غونتر ديشنر، فان كوخ، مالرو، شكسبير، غوركي، تشيرنفسكي، هوميروس، جايكوفسكي، ادغار الان بو، جاك لندن، غوغل، سيروس برهام، بليخانوف، كريس كوجيرا، مهدي حسيني، ثابت رحمن، احمد محمود، صمد بهرنكي، عزيز شريف، نجف فلي بسيان، اشرف دقهاني، مسعود احمد زاده، كوهر مراد، يلماز غوناي.. والعديد العديد من الجبال والسهوب والبحيرات والانهار..

اجل لقد علق ثمانين قنديلا في غرف اللغة هذي
عبر خمس وثلاثين سنة معطاء
وعبرها افتتح ثمانين طريقا جديدا في هذه الخارطة المترامية
ونثر ثمانين بذرة للورود الصفراء
ونصب ثمانين سلم
ووهب ثمانين طيفا
ورسم ثمانين لوحة زاهية..
ألا ما أندر مثل هذه الحناجر الصداحة
في هذي اللغة!
ما اندر مثل هذه النغمات في هذه الالوان
ما اندر مثل هذه الزخات من هذه الغيوم السارية
وما اندر مثل سنابل القمح هذه في هذي الحقول!
وها انذا
وحدي
وهذه الابيات تسامرني
في الهزيع الاخير لهذا الليل
وقد اوقدت على طاولتي سراج احتفائي
بكركوكي
ممتلىء بالكلمات
طافح بالمشامس
فمرحى
وسلاما
ايها المطر المليح للغة الكردية
سلاما ايها الكركوكي الحبيب
سلاما.. من السليمانية

اشرات المترجم:

-الشاعر الكردي شيركو بيكس في غنى عن التعريف.

-حمه كريم عارف: (تولد ١٩٥١ كركوك) قاص، مترجم (عن اللغتين الفارسية والعربية) وصحافي بارز في المشهد الثقافي الكردستاني المعاصر، وقد اتحف المكتبة الكردية بتآليف وتراجم تربو على الثمانين كتابا (نصفها لم ير النور بعد) وسبق ان ترجمت له مجموعة (ظل الصوت وقصص اخرى) ونشرت في ٢٠٠٥، كما شرفني بمؤازرته في تصحيح وتدقيق قاموسه الرائد والكبير (كوفند وزنار/ فارسي – كوردي/ ١٢٠٠ صفحة) وتقديمه، والذي صدر في ٢٠٠٦.

-مشامس: مفردها (مشمس: المكان الذي تطاله اشعة الشمس، لاسيما في الشتاء = خوره تاو باللغة الكردية) على ذمتي.

-سان: مخففة كلمة (سلطان) باللهجة الهورامية وتعني ايضا (قائد) وهي ذات مسحة تقديسية، ومن اسماء المواليد الذكور عند الهورامانيين.

-الوردة الصفراء: ترجمة لـ (شستبر) الكردية، حيث لم افلح في العثور على مايقابلها بالعربية.

-في الترجمة تصرف طفيف جدا دون المساس باي معنى وارد في المتن، انما لجلو المحتوى اكثر وموسقة المبنى، حسبما تقتضيه لغة الضاد الحبيبة.

المصدر:

جريدة كوردستانى نوى (ئەدەبو هونەر) العدد ٦٤٣ - ٢٠٠٩/٧/٢٣



قصائد إلى الأم..

شعر: لطيف هلمت

ترجمة: صلاح برواري

١- الأم

لو سَئِمَتِ الظلامَ
روحُكِ المُتعَبة،
ذاتَ ليلةٍ؛
ووددتِ احتضاني،
كما الأيام الخوالي
يا أمي العزيزة...
فربّما لن تعرفي ابنكِ
الآن!
لربّما ستقولين:
هذا الولدُ المُشاكِس
كان يقطعُ الماءَ عن الأسماك!
كان يكسرُ الأبواب والنوافذ،
يتسلق الحيطان،
ويمزّق ملابسه!.
أيا أمي العزيزة
لم أعُد طفلاً، لأشاكِس!
وحتى لو شاكستُ؛
فلن أقذفَ العصافيرَ بالحجارة،
ولن أشجَّ رؤوس المارة،
ولن أرميَ حجراً
على باب الجيران!
ولن ألاحِق طائرة ورقية
مِن سطح إلى سطح!.
لن أسرق الجوز والعسل لأولاد الحارة
مِن بيت المونة،
ولن أشعل ناراً
أمامَ باب الدار،
ولن أعارك الصبيان.
حتى لو شاكستُ اليوم؛
فأنا مختلفٌ عمّا مضى!
الحجرُ الذي
كنتُ أقتلُ بهِ عصفوراً،
أرميهِ الآن
نحو عين العدو!.
أيّامَئذٍ
كنتُ أحبّكِ وحدك؛
الآن كبرتُ يا أماه
وأعشقُ أشجارَ واحجارَ هذا
الوطن،
وثلوجَ القِمَم، والشمس.
أنّى وجدتِ شاعراً مُتعَباً،
في الجنة أو في الجحيم،
يحملُ وطنه في قلبهِ؛
فقبِّليهِ كفايةً
يا أمي...
فهو ولدكِ...
إنه... أنا!.

٢- قلبي يمطرُ شِعراً:

لا يهمّني
في هذه المدينة الضيقة
أغادَرتُ مُبكراً
أم متأخراً!
لستُ مهتماً
أنمتُ في ظلِّ ليل شارعٍ
أم في غرفةِ فندق؛
فأنا وحيدٌ دوماً،
لا أمَّ لي

يغتمُّ قلبُها لأجلي،
ولا حبيبة
يصدأ قلبُها
في انتظاري!.
قلبي مُنفطِرٌ
كأكُفِّ القرويين الفقراء،
بدلاً من الألم
يُمطِرُ شِعراً!.

٣- أيا أمي العزيزة

أيا أمي العزيزة...
أتبعُكِ
كما الكلابُ تتبعُ
رائحة الخبز الساخن
واللحم؛
كما الشِعرُ يتبعُ
قلبي،
وكما يتبعُ المُخبرون
الشاعر!.

٤- النجمة البعيدة

أيتها النجمة البعيدة
خذيني معكِ... حتى الصباح
لن أسرق أشعتكِ،
لن أبكي،
لن أضحك،
لن أقتل عصافيرَ غاباتكِ،
لن أخفي بذار القنابل
تحت قدميكِ،
ولن أكشف أسراركِ
للعلماء!
فأنا لا أمَّ لي
ولا حبيبة
لأحدثهما عن حدودكِ.
ألا خذيني معكِ،
أيتها النجمة البعيدة؛
لأنظر قليلاً
مِن تلك العَلياء
إلى قِمم وطني البعيد!.

٥- سأذهب

سأذهبُ... أماه
فإن لم أعُد،
سأصيرُ وردةً في ذاكَ الجبل.
سأذهبُ... أماه
فإن لم أعُد،
سأصيرُ قنبلةً
في أيِّ أرضٍ يحكمها ظالم!
سأذهبُ... أماه
فإن لم أعُد،
سأصيرُ شبرَ أرضٍ
لدُنيا أكبر من هذه!
سأذهب... أماه
فإن لم أعُد،
ستصيرُ روحي عاصفةً
تطرق كل الأبواب
بحثاً عنكِ!
سأذهبُ... أماه
فإن لم أعُد،
فروحي كلمةٌ
لكل شاعر شجاع!.

٦- بداية قصيدةٍ ضائعة

أماه... أماه
أكملي لي
قصيدةً لا تأتيني!
صيغي لي
بداية أغنيةٍ طويلة
كشعر معشوقتي!.
أماه... أماه
لو قيدوني آلافَ السنين،
وحرثوا جسدي بالسكاكين،
ثم أطلقوني للحظة؛
لقصَدتكِ من آخر الدنيا!
ولو منعوا الكلام
كالمُخدِّرات
لآلاف السنين،
وأطلقوا لساني
للحظة؛
لكلَّمتكِ... قبل أيِّ أحد!.

٧- قصيدة ضاعت بدايتها

أماه... أماه
قتلوا مُحَيّاكِ
وسكبوا بيننا
صحراءَ آلامٍ!
أماه... أماه
كل يومٍ
أكتبُ لكِ قصيدةً
تذوبُ
ويتدفقُ الحُزنُ
مِن مَوج كلماتِها
وهي تشدو لي.
كنتُ أخشى الحُزن

في ما مضى؛
لكنني الآن
كلما أحسُّ بالوحدةِ
أتلهفُّ لعودةِ الحُزن
ليغنّي لي!.
لو استطعتُ
لوضعتُ جراحي بين مخالب
الذكرى؛
لوهبتها لتلك العيون
الجميلة كليل القرية!
لو استطعتُ
لكتبتُ لكِ، أمامَ عتبةِ مدينةِ
الآلام
على شاخصةِ جراح آلافِ العشاق
... مثلي!
ترنيمةً مهمومة!.

٨- أكبرُ جُرح

حين ماتت أمّي...
لا النجومُ تساقطت
ولا الأسماكُ ارتحلت!
حين ماتت أمّي...
لم تدمع عين السماء
ولم يتملك الحُزنُ
طائراً
ولا وردةً في أحضان السفوح!
حين ماتت أمّي...
لا القمرُ خُسِفَ
ولا الشمسُ كُسِفَتِ!
ولا مَلاكٌ
أوقدَ سِراجاً عند رأسِها!
حين ماتت أمّي...
بقيَتِ الأرضُ كحالِها؛
لكن... في داخل قلبي
فُتِحَ بابٌ قديم
لأعمق جُرح!.
أواه... يا أمّي العزيزة
فراقكِ صعبٌ جداً؛
ليس كمِثل حرقة الظمأ،
ولا كحَردِ وزعل الحبيبة!
في بعادكِ... أَحسُّ بفراغ كبير؛
حُزني كمثل «هلكورد»
يجثم على كاهلي!.
لو شعَّ نورٌ
ذاتَ ليلةٍ
مِن كُتَل ترابِ الضريح،
وبدَّدَ الظلام؛
فلا تظنيهِ شمعةً!
إنه أنا...
أحترقُ لأجلكِ!.
أيا أمّي العزيزة
أقولُ للسكاكر: سكاكر
وللجُرح: جُرح
وللوردةِ: وَردة
لكن... أمّاه
لِمَن أقول،
وإلى الأبد،
يا... أمّي!.

٩- نجمة

كلُّ النجومِ المهاجرةِ
عادَت
وحطت على زجاج النوافذ،
وعشّشت هناك؛
ما عَدا نجمَتي!
أين أبحثُ عنها؟
في أيِّ غابةٍ،
أيِّ قريةٍ،
أيِّ تلةٍ،
أيِّ طريق؟!.
أواه، ما أشدّ خشيَتي
أن تضيع نجمتي
كما ضاعت... أمّي!.

خالد جوتيار

«يا أخي أنتظر قليلا ... نحن آتون»

شعر: المهندس محمد حسين رسول

١

مِنْ وادِي الغُرابِ جاءَ صَبِيٌّ
يَحْمِلُ حَقيبَةً مِنْ صَفيحٍ أَزرَقَ
تَزاحَـمَتْ فيها أَخاديدُ تُرابٍ أَسْمَرْ
يَقْطُرُ جَسَداً أَثْقَلَهُ هَيْجُ القَرْيَةِ
وَقَلْباً أَقْمارُ الشَّجْوِ غَوْرُهُ
يَتَلَفَّتُ
يُفارِقُ زَرازيرَ الحُقُولِ
وَنافِذَةَ بَيْتٍ مِنْ طِينْ
تُشْرِقُ مِنْها الشَّمْسُ كُلَّ صَباحْ
لَمْ تَصْحَبْهُ الزَّرازيرُ
وَلا النَّافِذَةْ
تَشَمَّمَهُ جِراءُ الزُّقاقِ
لكِنِ البُومُ طارَدَهْ

٢

مَرْأى الـمَدِينَةْ
قَلْعَةٌ سَقِيمَةٌ مِثْلُ خَيْمَةٍ مِنْ تُرابْ
تُذْكِي ذاكِرَةَ اللِّقاءِ الأَوَّلِ
نافِذَةٌ تُذَكِّرُ بِنافِذَةْ
شَمْسٌ تَشُمُّ رائِحَةَ شَمْسٍ
أُناسٌ يَنْثُرُونَ العَفاءَ على الوُجُوهْ
والبُومُ بُومٌ

٣

كَبُرَ الصَّبِيُّ
مارَسَ الشَّوْقَ
حَفِظَ الأَشايا وَعَناوينَ الدُّرُوبِ
عَشِقَ أَعْتابَ البيُوتِ وَآفاقَ
الحاراتِ
تَعَلَّمَ كَيْفَ يَبْتَسِمُ
كَيْفَ يُحِبّ
أَو يَرْسُمُ شَكْلاً أَعْجَفاً لامْرأةْ
والبُومُ لازالَ بُوما

٤

تَعَلَّمْ
دَمْدَمُ قَلْعَةْ
أَربيل قَلْعَةْ
أَرابْخا قَلْعَةْ
حَلَبُ قَلْعَةْ
آمَدُ قَلْعَةْ
.... قَلْعَةْ
.... قَلْعَةْ
عَشِقَ القِلاعَ
والبُومُ بُومٌ

٥

أَدْرَكَ أَنَّ القامَةَ لها انْتِماءٌ
إِنْ كانَتْ قَلَماً يُفْرِغُ ما في
ذاكِرَتِه مِنْ أَسى
أَمْ شَمْعَةً تَذُوبُ بِأَباءْ
كَتَبَ الشِّعْرَ
زامَلَ الذِّكْرَ والتَّكايا
صادَقَ اللّيلَ والسُّكْرَ وأَوّاهَ الآهِ
لكِن الغِناءُ
ما أَرْحَمَهْ
أَنْجَدَهْ
والبُومَ لازالَ بُوما

٦

القَلْعَةُ وَطَنٌ مُتَخَثِّرٌ في قَبْضَةِ تُرابْ
الجَبَلُ وَطَنٌ أَنْهَكَتْهُ قائِمَةُ الرِّياحِ
نافِذَتُه لا تُشْرِقُ مِنْها الشَّمْسُ
لا أَقْمارَ ولا جِراءَ
غادَرَ القَلْعَةَ
عاشَرَ الجَبَلَ
والبُومُ طارِدَهْ

٧

كَتَبَ الذّاكِرَةَ
النّافِذَةَ والأَقْمارَ والزّرازِيرَ
والصَّفِيحَ والجِراءَ
والبُومُ بُومٌ

٨

يُغَنِّي
ما كانَ ما كانَ ما كانْ
لَوْ لَمْ يَكُنْ ما كانَ ما كانْ
يُغَنِّي
والبُومُ طارِدَهْ

٩

جاءَ الخَرِيفُ الأَهْبَلُ بِغُلالَةٍ
تَغَضَّنَتْ بِشَدْوِ الحَيران
أَلْقاها على سِيماءٍ كَدَّهُ الشَّدْوُ
رَنَّمَ خالِدٌ أُهْزوجَةَ القِلاعِ والجِبالِ
وَتَسَلَّلَ كاوِيسُ مِنْ بَيْنِ أَضْلُعِهِ
يَتَلَمَّسُ أَخادِيدَ التُّراب
يَسْتَرِقُ السَّمْعَ لِلشَّهْقَةِ الفُضْلى
تَتَفَجَّرُ آهَ الرَّحِيلْ

١٠

البُومُ لازالَ بُوما
القَلْعَةُ بُومٌ
والوَطَنُ بُومٌ
والزّرازِيرُ لا الجِراءُ بُومْ
والقَلَمُ والذّاكِرَةُ وقائِمَةُ الرِّياحِ
والشِّعْرُ والشّادِي بُومْ.
كانون الثاني ٢٠١٠

أين أذهب

شعر: لقمان محمود

دلشا، كل ما أعرفه
: أنني ولدتُ قبل الله، ولدتُ
فيكِ.
ترعرعتُ قبل صياغة الأوطانِ،
ترعرعتُ فيكِ.
أين أذهب
و أنتِ بقائي، قوتي و جمالي
أين أذهب
و أنت دائماً ميلادي.
*** * ***
دلشا لم أحمل السلاح أبداً
لكن آثاره دائماً على صدري، و
على ظهري.
لم تلامس قدماي
ثلوج جبال كردستان أبداً
لكن ساقي دائماً تُبتَر.
من أنا
: صرتُ لا أعرف الحقيقة من
الوهم.
*** * ***
دلشا، الأيدي الباردة للأصدقاء
لم تخجل من دفءِ هذا الحب.
ضحكة الطعنات
لم تخجل من حزن هذا الجرح.
كل ما حصل
: أن هذا الحب
صار أكثر خلوداً.
***

أعرفك دلشا، و أعرفُ أنكِ سهواً تنادين على جميع أصدقائي بإسمي، و هذا ما يجعلهم يغضبون، و يسحبون من صوتك جسمي، و لهذا مرةً ضحكتُ...ضحكتُ حتى صرتُ جنيناً، مما جعل الجميع يضحكون من حبل سرَّتي. غير أنك وحدكِ إرتبكتِ و مسكتني و قرَّبتني منكِ، حتى قلت باكياً: دلشا أكتبي إسمي، كي يمسحوا أصدقائي جسمي، لأرتاح و ترتاحين. فدهشوا، لكنكِ فهمتِ، و لذلك صرتِ تبكين معي. لكنَّ المرأةَ التي تذّكرتني كانت تبكي قبلنا بدموع كبيرة، و قبل وصول دمعتها إلى الأرض كانت تصبح تفاحة، و كان وجودي تحت شجرتها سبباً كي تسمح ليدي الصغيرة جداً، الإلتصاق بتفاحتها، و امتدت يدي الأخرى، الصغيرة جداً بالإلتصاق أيضاً، و حتى الآنَ يا دلشا، أحسُّ بالملوحة في جميع حليب العالم، طالما كانت فمي تمصُّ دموع أمي من الحلمة.

حلكة الليل ونافذة العشق

شعر: كەژال ابراهيم خدر

ترجمة: عبدالكريم شيخاني

(١)

لو لم أكن آلهة العشق

لما كنت أنظر اليك الى هذا الحد

لو لم أكن شـــديدة الاشتهاء لنوازع أعماقك

لم أكن لألثم انامك

فتعال

وأصبح السراج المنير لقلبي

كن ضياء القمر لحياتي

إغسل في أعماقي خرير التنهدات

والأحزان والثلوج على جفني

(٢)

إنني قد سألت رحلة تساقطي

كيف تثمل بأريج الورد

إنني قد سألت عشقي الولهان

حين يصبح إطارا للقلب

(٣)

إن قلبي –دوماً - جذوة

يعرف الحب

وإن عمر العشق طويل

سيأتي يوم

يصبح فيه نبراس نور

ويستقدم احلام الراحة

(٤)

حين أنسكب في عينيك

أحلامي تشعر بالارتياح

وحينما أصبح ورقة صفراء

فالدنيا كلها كريمة سخية

(٥)

منذ فترة اوصدت ظلمة القلب

نوافذها

إن زفة الحب طلسم

أخمدت وجه شعاع الشمس

(٦)

أنوي أن أسطر وطنا

يكون خريره شبيها لصوتك

حين أفكر في لحظة

فأنت شجن تلتهب

تتعلق بأنفاسي

(٧)

كم أريد

أن أحدث حفيف الريح

لأجل أن تجلب لي عبيرك

هل يخفي القمر حسنه؟

حين أريد أن أتحرك

مع نبراس روحي

يروي ظمأ أعماقي

(٨)

أضل الشبح موعدهم الغرامي

لم تبق للضحك قهقهته

أضاع الخريف لون الأوراق

فتساقط على رأسي

(٩)

أنا بين عشاق هذه النواحي

قنية ورد ذابل

وكر لا مأوى له

جدائلي وقلبي مهموم ومضطرب

(١٠)

إنني أعرف
أشجاننا من أين ظهرت
لماذا أجهشت سمائي بالبكاء
لماذا أخذ الحمام بالرحيل
في ذلك الوقت انهارت
روضة قلبي من الأعماق

(١١)

لاتمر ليلة دون ان احلم بك
دون أن اسكر بعبيرك
انئذ، يسبح جسدي في الخمر
ويقبض على جدائلي
عبير الامك واحزانك

(١٢)

ساودع أمر انفاسي
بنوافذ غرفتك
إني سائحة امام بابك
وكل خطوة تأتي من لدنك
انما هي انشودة لقامتك

(١٣)

حين أخوض في الآلام
تكون الأمطار روحانية ميتة
كلما أريد أن اسطر حلاوة الحياة
فان العشق ظل لاروح فيه



أمست الام الليالي كوة روحي
وأصبحت الأوراق والورود أشواكا
اطوي الذكريات طيا
واشم الورود الجميلة شما
الى ان يغيب عن البال غنجها
ودلالها

(١٤)

كانت رحلتك متأخرة جدا
لماذا أفلت
باتت الأوراق صورة لفصل الخريف
أدارت غيوم وجهها
الليل ينبئ عن وهن جسدي
تفوح من أناملي رائحة الأحزان

اي سر هو الليلة الظلماء
لتودع الأحزان نفسها بقامتي

(١٥)

في الأوقات التي يخيم فيها الظلام
فان نافذة قلبي مثل شجرة
تستبد بها مخاض الأحزان
وفي الأوقات التي أنوي
تطير الذكريات
ألمح ظلي
حين أطوي هودج قلبي

عشق كرستالي

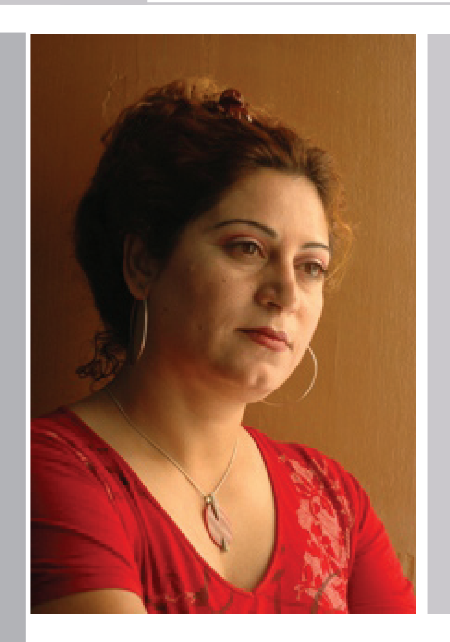
گولزار جلال

ت: بلند كريم

تعالَ.. هذه الليلة. تهطل الثلوج
من سماء العشاق
انها ثلوج كرستالية
عشقي أنا.. منذُ أبدٍ بعيدٍ
بانتظار هطول هكذا ثلوج..
للقاءك
تعالَ هنا.. تحت هذه الثلوج
الكرستالية
أعرف.. أن هذه الثلوج الكرستالية
تستحيل إلى قلادات تزين جيدي
ومن ثم.. تكشف خفايا عشقنا
ساردةً قصة أعوام حبنا..
والثلج على سفوح القمم
يواكب عشقنا المملوء بحنينٍ
عاصف..
وهي تتنفس الصعداء.
أنتَ منذُ امدٍ طويلٍ
جعلت من عشقيٍ
لآلئ كرستالية.. إن غَفيتَ..
وضعتها في جيدك..
وإن أمطرت حنينك عليَّ
وضعته في خصري انا..

هذه الليلة..
مرايا عشقنا
مؤطرة بحرارة الحنين
تعال.. هذه الليلة
اسمح لك بمعانقتي كما تشتهي،
وانا اجعل من هذه المعانقة
كرنفال هطول ثلوج كرستالية
تعال.. لنتعرى تحت هذا الثلج..
ونفتح ذِراعينا له.
تعال.. لنكوِ جسدينا بالثلج
حبيبي..
عشقي لك على أحرّ من الجمر
يذيب الاصعقة.
ويلٌ له ان حاول قهر حبنا..
تعال.. نتعرى هذه الليلة حدّ
الجنون..
حبيبي.. لاتتعجب..
العري تحت الثلوج الكرستالية
طقوس مقدّسة
تعالَ.. لنجعل من رذاذ الثلوج
كسوةً..
نتغطّى بها.. حتى نلوج في العمق.

هل تعلم ان عشقنا هذا
كالجمرِ يذيب الاصعقة
إذا ذابَ الصعيق
أينع حبنا في رياض الزهور
كبرعم زهرة..
وبراعم الزهور ايضا
تبشر بقدوم.. ربيع عشق كرستالي
يا الهي الكبير..
متى يرقص قوس قزح حبنا
في سماوات عشقنا اللامتناهية؟!
حبيبي.. في رهانات الاصعقة
ينمو عشقنا كاللآلئ
على ضفاف الجداول، ومن ثم
يصطفون كهدايا..
لجيد هذا العشق الكرستالي
بعدها.. يزهر براعم عشقنا
ظافراً في هذا الرهان.



الشاعرة الكوردية «بەجان ماتور» إبنة القمر

ترجمة وتقديم: دلشا يوسف

الشـــاعرة و الكاتبة الكوردية (بەجان ماتور)، مواليد ١٤ أيلول ١٩٦٨، قرية مقصود أوشـــاغي التابعة لمدينة مرعش التركية. أنهت دراستها الثانوية في مدينة عنتاب و تخرجت من كلية القانون في جامعة أنقرة.

حصلت الشـــاعرة على جائزة (خليل كوجا جوز) و جائزة (أورهان مراد أربرنو) للشـــعر عن مجموعتها الشعرية (قصور تعجّ بالرياح) ١٩٩٧.

نشـــرت قصائدهـــا في مجـــلات معروفـــة في تركيا مثل(آدام ســـه نعه ت، دفتر، آكين بـــو لته ن و يازت إلخ...).

صدرت لها مختارات شعرية بالإنكليزية بعنوان (معبد الإله المريض) عن دار نشر آرج ٢٠٠٤. كما صدرت لها مختارات شـــعرية بالألمانية و الفرنســـية بعنوان (الرياح تجتاح هيرن هاوزر) عن دار نشر(بي، إيتش، إي) في لوكسمبورعام ٢٠٠٨.

ما زالت الشـــاعرة و الكاتبة المعروفة به جان ماتور مســـتمرة بنشـــر مقالاتها في صحيفة زمان التركية حول مجالات شتى مثل اللغة، الفكر، و القضية الكوردية، حيث تعمل رئيسة لمركز الثقافة و الفن في دياربكر و الذي تأسس عام ٢٠٠٨.



من مؤلفاتها الشعرية:

- قصورٌ تعج بالرياح (١٩٩٦).
- ليت الله لا يرى أحرفي (١٩٩٨).
- الأبناء الذين ربتهم القمر.(٢٠٠٢)
- في صحرائه.(٢٠٠٢)
- تركني إبراهيم.(٢٠٠٩)

نصوص شعرية:
المرأة حرفٌ على جدار الله

(١)

المرأة حرف على جدار الله
تشبه بجعةً سوداءْ
أدمنت الإنتظار.

(٢)

حينما قال الموت للزمن
سرْ لا تنتظر
عَلِمتُ.

مددتُ وَلدي على بلاطٍ
لم يضربه شعاع الشمس بعد
و خنقتهُ.

عَلمتُ حينما كبرَ في رحمي.

تلك المرأة التي دخلت الحوض
مثل بجعةٍ سوداء،
تنصلتْ من حروف الله
و تمَنَتْ نفسها في صوت الماء.

(٣)

وقفتْ في ظل النافورةِ
لأيام...
كانت تود أن تصبح إنساناً
و لتتخلص من جناحيها.
كلما تدفقت المياه من النافورةِ
رّقت جناحاها.
و حينما رفعتْ جناحيها
رأت تحتهم أفعى
تعرّت من جلدها
و رقَتْ غشاؤها
لو أطالت الأفعى رقبتها حينها
و نظرت في العمق
لرأت ولداً متفسخاً.
لكنها لم تنظر أبداً.

(٤)

متسولٌ في الباحةِ
كان يقول في أغنيتهِ
آثمٌ...
كل من لا يعرف حروف الله
و مع صوت الصلاةِ
إختلطَ الماء بالمرأةِ

(٥)

حينما قال الموت للزمن
سرْ لا تنتظرْ
توقفتُ في الباحةِ.
لم أكن أعرف حروف الله
كنتُ الزمنَ
و الخطيئةَ معًاً.

كل إمرأة تعرف شجرتها
عند مجيئي إليكَ
أود أن أفتح جناحيّ
المرصعتان بالأحجار السوداء
في سماء تلك المدينة المزهوّة
لأجثم على فروع شجرةٍ
و أصرخ بألم :
كل إمرأة تعًرف شجرتها.

طرتُ تلك الليلة
تجاوزتُ تلك المدينة
التي تهابها الظلام
روحي كانت وحيدةً
دون ظلٍ.
......
.....
كنتُ العلوّ.

الوَدَاعْ

طوال العشق
لن أتعِبَ الضوءَ
و لا الصمتْ

أدفنته
مع العشق
عند الشاطئ
الذي ولّدَ الموجة العاتية في
داخلي.

اسطورة العمى

قصة/ نجاة نوري

ت/ غفور صالح عبدالله

لم يكـن في هــذه المدينة احد يملك بيتـا مثل بيتنا، بيوت هذه المدينة كانت مليئة بصور المطربين ، واناس ذو العيون السليمة، وصور اعزاءهم ، والرجــال الكبار، كانت تلك البيوت مليئة باللوحات الملونة والجالبة للانتبـاه. لكن بيتنا كان متحفا لصور العميــان، كان بيتنا على مدى سنوات طوال مليء بصور هؤلاء العميان، تلـك الصور كانت جزءا من الحزن و الالم بالنسبة لي. لكن كانت اجمل الصور لدي، صور اولئك الرجال الذين سماهم جدي بـ(الاحيـاء الكبار)، لم يكن هناك جدارا في بيتنـا ، والا كانت هناك صورة اعمى معلقة عليه، لذا على مدى تلك الايام لم يكن هناك شيئا اخر عـدا تلك الصـور وحكاياتها لاعيش معهـا . لذا لم يكن صعبا بالنسبة لي و عائلتي والاخرين ان نتعرف على غزليـات و تصرفات احـد العميان في هذا الزقاق ، او في هذه المدينة نتعرف على الاشـياء المحيطـة بنـا، ذلك الرجـل الذي مــن خلاله تعرفت علـى المدينةو الناس و العشاق، رجلا كان نسيانه صعبا بالنسبة لنا ، كان يقول : ان العمى كان موجودا بيننا في جميع العهـود. انتم تـرون فقط عينين ضريرتين لدى العميان، لاتشعرون بدنيا مليئة بالعشق وغزل الخلود خلـف تينـك العينـين. ان صور العميـان جزء من مشـاهدة ارواح اشـخاص اخريـن ، الذين يصلون الى الارض المضيئـة بظلمة ابدية، انتـم لاتعرفون بأن عشـق العمى يعـود بنـا الى الرؤية ، واكتشـاف اولئك العميان الذين يعشقون مثل سليمي البصر. مثلهم يملأ قلوبهم بالجمـال، الغزليات التي كانت هم يلقونها على اسماعكم من سقوف الظلام ، اشـعارهم كان شـعرا لم يكن يكتـب بمئـات الرجال ذوي الاصحـاب العيون السـليمة، قليل منكم يسـتطيع ان ينظر الى تلك الصـور كما هي. قليـل من الناس يسـتطيعون ان يتعلمـوا اسـرار العمـى، اكثريتكم عندما تنظرون الى صورة احـد العميان ، او ترون احـد العميـان، تشـعرون بالعجز اوتحزنون لاجله. لا نشعر بحقائق الاشـياء التـي خلـف روح اولئك العميان و المخبأة هناك. انت كيف تستطيع ان تساير خطوة بخطوة اعمار اناس كانت العمى جزءاً من اعمارهم.

مـع هذا انهـم مثلنـا يحبون الحياة ، واكثر عشـقا منكم، هذه هـي الاسـرار التـي تسـرد لكم حكايات العمى. انـا منذ اللحظة التي تعلمت تلك الاسرار من عمى جدي، لم اسـتطع ان احس بعالم العميـان، كان جدي يسـتطيع ان يكتب الرسائل و الغزليات الجميلة للعشـاق، ان التجـوال في حيـاة و عمى جدي يتعب الانسـان، لحين

عمى جـدي لم يكـن احد يعرف شـيئا عن العمـى ، ان جدي منذ سن الثامنةعشرة كانت تفوح منه رائحـة النعناع و الشـاي المعطر و روائـح البهـارات و رائحة البخور، عندمـا كان يعـود الى البيت عبر الزقـاق ، لـم يكن ثمـة احد لم يشتم منه تلك الروائح من قامته. لحـد الان تفـوح من تلـك الازقة للمدينـة تلك الروائـح ، وتحملها الريـح الى جميع البيوت. ان جدي منذ ذلك الوقت عندما اخذ شـاي المعطر الى ذلك التاجر في بغداد، في زمن عبدالكريم قاسـم ، ذات ليلة قبضوا عليه بتهمة التجسـس ، و بعد توقيفه لمدة اربعة عشر يوما، ومحاكمته اخـذوه الى قبالة جلاد كهل ، والذي كان عمله الوحيد هو سمل عيون الذين يتم اعتقالهم في بغـداد العاصمة ، ويقتادونهم اليه لكي يسمل عيونهم . في غرفة هذا الجلاد مثلما تحدث لي جدي بعد سـنوات ، وقبل ان يصاب بالعمى، قـد رأى جميـع تلـك الصـور في غرفته، فقد شـاهد هـذه المقولة علـى جلد غزال معلـق على احد جدرانها(لاتغلـوا ولا تمثلوا). ان الاشـخاص الذين يفقـدون البصر الى الابد على يد هذا الجلاد الكهل ، كانوا يحفظون صورة تلك المقولة في عيونهـم المسـمولة، كان جدي يقول بأن ذلك الجلاد كان يحلفهم على قـرآن ضخم، بـأن لايذكروا ملامحـه لأحد، وهذه كانت صورة اخرى من تلك الاسـرار للجلادين التي يعلمنها للمعاقبين، كان جدي يقـول بأن ذلـك الجـلاد كان له حكاية خاصة لكل سـمل للعيون، قـال الجـلاد ذات مرة بـأن هذا السـمل بحق المعتقلين لـه امتداد منـذ عهد هـارون الرشـيد، كان جـدي يقول بأن هـذا الجلاد كان كهلا جـدا ، بحيث كان يضع رأس كل شـخص يراد سـمل عيونه في حضنه بصعوبة ، فقد تعلم هكذا لكـي يحقق غايـة العمـي . كان يفرش في حضنه منشـفة صوفية نظيفة معطرة، و يضع رأسه مثل طفل رضيع في حضنه، ثم يشـرع في سرد تلك الحكاية التي حضرها لـه، كان يتصرف بصورة عجيبة ، ويحزن لك و يشفق عليك بصورة عجيبة يبدأ هكذا ، كان يقول لك : انظـر الى الجهة المقابلة للصحراء ، او الى الضفة الاخرى للنهر، انظر الى الطيور الكُركة فوق بيوضها في الاعشاش ، بحيث كان يجعلك بحق ان تتراءى لك تلك الصور التي كان يصفهـا لـك، كنـت تحـس بأنك تتجـول في البحـار و الصحـارى، وليس انـك تـُهيأ لسـمل العيون. سـرد الحكايات لم تكن بحاجة الى التعب من قبل ذلـك الجلاد، فقد قـرأ الكثـير من كتـب الحكايات ، مثل الـف ليلة وليلـة والاحاديث الشـريفة، ومئـات مـن الكتـب الاخرى، لكي لا يعرقله ايما حرف لسرد الحكايات في غرفته المخيفة، العجيب من ذلـك كان يكتب تلك الحكايات التي كان يسرد للمعاقبين في كتاب ضخـم، يكتب كلها ، كانوا يقولـون بأن بغـداد كانت جميلة بهذا الكتاب، يقولون بأن عشـرات البحاثـة زاروا بغداد لاجل العثور على كتاب حكايـات ذلك الجلاد ، لكن مع مقتل عبدالكريم قاسـم يضيع ذلك الجلاد مع كتابه. فقد روى ذلـك الجلاد لجـدي حكاية سـمل عيـون و قطـع اوصـال (عبدالرحمن بن ملجم) قاتل علي بن ابـي طالـب، فقـد روى ذلك الجلاد بان (عبد الرحمن) مع بتر كل قطـة من جسـده ، كان يغني الغزليات للعشق و الخلود. هو اراد ان يكتب تلك الغزليات بدمه على جـدران زنزانتـه، الذيـن كانـوا يعذبون هذا الرجل يوميا تعجبوا منـه، كان يغني اجمـل غزلياته لكل تعذيب، تعجبوا منه ذات مرة بأنهـم ارادوا، بـأن لايعذبوه، وهو بـدوره لـن يسـتطع ان يغنـي غزلياتـه، اندهـش معذبيـه من كانوا على رأسـه، كانوا يشـعرون بالخجـل لـكل غـزل يقولـه (عبدالرحمـن)، قبـل ان يقطعوا شريان تفكيره ، طلب من الجلادين

ان يمنحوه مهلة للتحليق ، تحليق لاجـل ان يعتــذر في عــزاء (امام علي)، قال (عبدالرحمن) لقتلته ، أننــي قتلت رجلا لقد رهن جل عمـره للعدالة و خدمــة الفقراء، قتلته لكي يكـون خالدا الى الابد، قتلته لكي يذكر اسـمه بين رجال العظـام على الارض الى الابد. كنت اعــرف بأنــه اذا لم يقتل سـوف يكون في المستقبل في عداد الاشرار، انا قتلت (علــي) لكي يبقى خالدا بيننــا الى الابــد، ان جلادي (عبد الرحمن) عندما فكـوا قيوده من جسده، رأوا جسـدا ضئيلا يخرج من نافــذة الزنزانــة الى الخارج، انهم رووا ذلك بعد سنوات للناس، فقد حفــظ احد جـلادي الرجل جميــع غزلياتــه، كان جلاديه لم يــردوا ان يقطعــوا لســانه ، لكي يتلذذوا بغزلياته، مع قطع اوصاله كانــت الغرفــة تمتلــئ بحــروف غزلياتــه التــي كان يغنيهــا (عبدالرحمــن) للعشــق و لعلي و للمــوت وللصحــراء، كان علــى الجلاديــن ان يهــدأوا لوهلــة لكي يفقهوا معنى تلك الغزليات ، التي كان يغنيهــا قاتــل علــي تحـت التعذيـــب، انهم عذبــوا كثير من الناس بهذه الشـاكلة. لكن لم يروا شــخصا مثل هذا الرجل ان يغني الغزليــات اثناء التعذيـب و قول الامثلــة، الوقــت كان موزعــا لهم علــى وجبتين عجيبتـــين، وجبة للتعذيـــب و والانتقـــام مـــن عمل مقـــزز ومـــوت علـــي، والاوقـــات الاخرى كانت لاســتماع عشــرات الغزليــات التي تعود بالانســان الى اقصــى طهــارة الــروح و الحياة، الشخص الذي حفظ جميع غزليات (عبدالرحمـــن) في الزنزانة ، بعد فــترة كان يردد تلــك الغزليات في الساحات و بين الناس وينسبها الى نفســه. لحين مماتــه لم يدر احد بأن تلــك الغزليات تعــود للقاتل. بعــد ايــام تعجــب كيــف جــلاد اختصاصــه التعذيـــب و قطـــع الــرؤوس يتحول فجأة الى شــاعر كبير و ، يقــول كل هذه الغزليات الجميلــة. هذه حــال الدنيا اغلب الاحيان تســرق غزليات الاخرين ويشتهرون فى المدن كقارىء الغزل وليــس جلادا. عندمــا حان وقت سمل عيون عبدالرحمن ، قد رمى الجلادون عيونــه في الارض ، فقد رأى عبدالرحمـــن تينــك العينين بعيون الروح علــى الارض ، وقال اخر غزلياته لتينك العينين. فقد روى ذلــك الجلاد الكهــل حكاية مــوت ذلــك الرجل لجــدي حتى الهزيــع الاخير من الليــل. قال له بأن عيونكــم المفقوءة ثروة كبيرة لي، لا احد يستطيع ان يأخذ مني ما حييــت. هنــاك في بيتي الاف العيـــون، انــا اراكم بتلــك العيون وليس بعيونـــي. ذلك الجلاد الهرم تحدث بشكل عجيب ، عن اصفهان و ســمرقند و اذربيجان و المغرب والســليمانية و مصر. وقال بأنني اجد كل شــىء لاوطــان هؤلاء عن طريــق تلك العيون المفقوء ة ، ارى بتلك العيون التي اسملها واحتفظ بها لدي، كل تلك الشــوارع والازقة و دواخــل بيوتكــم. في فجر احد الايـــام عندما وجد جدي نفســه مرمي في احد شوارع بغداد و فاقد البصر، لم يسمع صوت ذلك الجلاد الكهل ، ولاصوت احد في الشــوارع المحيطة، رغم عــدم تألمه على يد ذلــك الجلاد ، اثناء ســمل عيونه، فقط شــعر بأنه قبل ايام في بغداد كانــت عيونه ســليمة ، و لم يزل تفوح مـــن ثيابــه رائحة الشـــاي المعطر، لكـــن الان في نفس المدينة، ومختلف عـــن تلك الايام يعيش في عالــم اخر، يرى بغــداد بدخيلته وليــس بعيـــون الايــام الســابقة. عرفني جــدي بدنيا العميان بهذه الصورة، انه قــام بتربيتي في تلك المعارض الكبيرة لصور عميان هذا البلــد وصور عميان المدن الاخرى، صور اولئك العميـــان التي وصلت الى منزلنا بطرق مختلفة، في اليوم الذي علقت مئــات الصور للرجال العميان على جدرانــه ، كان يوما لم يكن لاحــد غرفة مليئة بهكذا صور. ذلك اليـــوم والصور علماني

منذ الطفولة البحث داخل اسطورة العمى، انا تعرفت على دنيا مليئة بالاسرار ، والبحث اثر الغزل و حياة العميان ليس شيء اخر. تلك الدنيا التي جلبت لي حظ سيىء، انا الان لا اتحدث عن عمى الذي يمنحه الرب لعبده في الاعمار المختلفة، انا لا اتحدث عن تلك اللحظات المشؤومة في عهد الخلفاء ، و العهد العثماني واقطاع اوروبا و فترة امارة اردلان ، التي كانت تنفذ سمل العين بحق المعارضين ، ان سمل العيون جزء من تراث كل شعب، لاتجد حضارة ما ليس فيها الحديث عن التعمي، ان الرؤية بعين القلب لدى العميان للاشياء المحيطة بهم ، كانت حديث الناس و الوجهاء، ان الجلادين الذين جعلوا من سمل العيون مهنة لهم داخل الزنزانات، كيف صمدوا امام نور و رؤى اولئك الذين كانوا يسملون عيونهم، او كيف تم تعميهم بآلة حادة، ان محادثة مع اولئك الجلادين جزء من كتابة تأريخ ضائع، الذي لم يستطع ان يدونه احد، او ان يبحث عنه. كُتبت اشياء كثيرة في حياة السجناء و جلاديهم في الفترات المختلفة، مع هذا ان ذكريات اولئك الجلادين حول التعمي و سمل عيون السجناء ، هي اقل الصفحات داخل مكتبات الدنيا الكبيرة، انا فقط من خلال جدي وعلى لسان ذلك الجلاد الكهل في عهد عبدالكريم قاسم ، سمعت بان ذلك الجلاد منهمك في كتابة مذكراته ، و باسماء اولئك الذين قام بسمل عيونهم. ان حكايات تلك الحقبة من مدينة بغداد تسرد هكذا، ان الامراء والحكام و ذوي السلطة ، اول عمل لهم هو استدعاء القتلة، ومن بينهم الذين جعلوا من سمل العيون مهنة يومية لهم، ان ابشع الاعمال في الحضارات كانت سمل العيون، (عندما يقتل محكوم ما بعيون سملة، بعد ذلك يبحث زوج من العينين عن صاحبه الى الابد، ان الرب يمنح عبيده موهبة ما، ان الذين يتم تظليم هذه الدنيا امام ناظرهم، لكن لايستطيعون قتل نور ارواحهم، لا يعرفون بان الله سيمنحهم دنياً اكثر ضياء من هذه الدنيا). هذا كلام والدي الذي كان يقوله لي من خلال صور العميان، تلك الصور والتي من ضمنها صورة كبيرة لجدي ، عليَ ان اعلم نفسي تلك الاشياء التي يتعلمها العميان، على مدى سنة ولمدة ثمانين يوما بقيت باستمرار داخل صور العميان ، قطعت علاقتي بدنيا النور، على اية حال لبست ملابس قديمة لجدي ، شرعت في البحث داخل الظلمة عن دنيا العميان، في الايام الاخيرة لايام الثمانين تلك ، عندما كنت مشغولا بقراءة الكتابات التي كتبها جدي في حينها في بغداد ، صادفت رحلة كانت بالنسبة لي عجيبا ، ونسيانها صعب لي حتى الان. والرحلة كانت، فقد وصلت الى مدينة كانت تغص بالعميان ، او قد تم تعميهم، فقد كان الجميع عميانا، من الرئيس و الحكام و التجار و الموظفين وقراء الغزل ، دخلت الى مدينة كان يجب فيها ان اصل الى ملك العميان من بوابة كبيرة، لماذا اردت ان التقي ملك عميان تلك المدينة ؟ في تلك اللحظات سمعت صوتا، كان يشبه صوت جدي وقال لي ارجع . بعد ذلك تحدثت عنه لجدي، تحدثت عن صوته الذي منعني من الوصول الى ملك العميان ، فقد بدأ لفترة بتعليمي كيفية التعرف على عالم العميان، كان يقول لي بأن اولئك يتم تعميهم مثلي من قبل الجلادين، ليسوا مثل اولئك العميان الذين فقدوا البصر منذ الولادة، انه علمني بأن الرؤية لدى العيون السليمة ، ليس السبب الذي نحن نسميها الرؤية الحقيقية ، كثير من الناس هنا ذو عيون ساطعة وجميلة، رأوا بها الآلاف من الملامح الجميلة للمدنية ، وقرأوا بها الاف الصفحات للعدالة و الاعمال المقززة. مع هذا انهم

اكثـر عميـا مـن جميـع عميان الدنيا، هذا لديهم موهبة مدمرة، لكن العمـى لدى الاعمـى موهبة لقـول الغزل و التعشـق وللجوانب الجميلة، لايمكـن ان يمنح العمى كاسـم للعميان ، هناك موسيقيين وشـعراء و نحاتين عميان، لكنهم يـرون الاشـياء المحيطـة بهـم باصابعهـم، انهم يـرون الاحرف باصابعهـم، بهذا الشـكل يعرفون عالـم جميل بالنـاي، ليس كذوي العيون السـليمة يعزفون الموسيقى للحروب، يصنعون التماثيل للخونة واللصوص، يلقون القصائد للقتلة، هذه الاشـياء لا وجـود لها في دنيا هؤلاء العميان، كثير من الاحيان و ليـس الان لكن في وقـت متأخر ، رغم كل تلـك المظالم التي نفذت بحقـي في بغـداد، يجب ان اشـكر كثـيرا ذلـك الجلاد الكهـل ، الذي اعمانـي بصـورة جـد رحيمـة، وانقذني من دنياكـم انتم، هكذا كان جدي يتحدث الي يوميا، فقد عرفنـي الى عالم بحيـث اذا جاء دور سـمل عيوني بأن لاخاف من ذلـك العالـم و لا احـزن لفقدان بصـري. يوميا في اغلـب الاوقات داخـل تلك الغرفـة المليئة بصور العميان المعلقة، كانت تخبرني عن اسـماء العميـان ، و الذيـن تـم تعميهم فيها في الجانب الايمن، بين تلـك الصـور كانت هنـاك صورة لأمرأة عمياء باسـم (سـلمى) تم تعميهـا في ١٨٧٢ في عهـد مدحـت الباشـا بايدي رجال ذلك الباشـا. فقـد روى لـي جدي هـذا القدر حـول تلك المـرأة ، التي عشـقت مدحـت الباشـا، وقرأ لـي جدي غزلين لتلك المرأة ، اللذين الفتهما في عشـق ذلـك الرجل:(كـم انا سـعيدة بعـد كل هـذه الفضائح، وصـل صقـر الى البيـوت الخربة لهـذه المدينـة، والتهم مـن جراء الجوع احشائي، وفي مسجد صدري أذنً للعشق)، ان جدي لم يكمل لي ابـدا قصة تلـك المـرأة العمياء ، كثيرة هي الاسـاطير التي نسـجت حول العميان وتركت وهي ناقصة. يجب الان وبعد سـنوات ان تعرفوا الحكايات مـن خلال الدروس التي علمني اياه جدي ، بعد سنوات انا أيضـا فقدت بصـري ، بحيث كان مختلفا عن جميع فقدان البصر في هذه المدينة، عندما ابعدني والدي من المدينـة ، واخذنـي الى قرية قريبة لكي يدخلني الى المدرسـة، ذلـك اليـوم قال لي جـدي ، بانه حـان وقت عمائي، وانا كنت واقفا قبالـة طاولـة المدير مثـل عود يابس، فقد اكملوا جميع الترتيبات لاجل قبولـي، كان المدير رجل ذو شـعر ابيـض، قـال لي هـل ارى الصـورة التي خلفه، لكـي يتأكد اكثـر مـن سـلامة بصـري، لان الطـلاب من ذوي العيـون الكليلة يعملـون لهـم النظـارات، عندما رفعـت رأسـي لـم ار ايـة صورة معلقـة، لذا قلت لا ارى اية صورة، حينها صـرخ والدي بصوت عالي: يا ابن الكلب كيـف لاترى الصورة الكبـيرة للوطن، بعـد ذلك جلبوا كتاب الصف الاول الابتدائي، لكي انظـر الى الصـور الموجـودة فيه. اشـرت لهم علـى جميـع الصور باليد، قلـت للمدير خشـية: اني ارى الصـورة الصغـيرة العائدة لك التي تحـت زجـاج طاولتك، منذ ذلك اليوم كنت اعمى ازاء كثير من الاشياء ، تلك الاشياء التي علمتني اياه جدي، علمني بان العماء شيء جيد في اغلب الاوقات، بعد سنوات تذكـر والدي ذلك اليوم و قال لي: عجيب انك رغم صغر سـنك كنت شجاعا ، بحيث لاول مرة استطعت بين كل اولئك الرجـال، ان تقول للمدير بانك لاترى الصورة الكبيرة للوطن، اعذرنـي بأني تأثرت تلك الايـام. ان عمائي جـزء من مئات الاسرار التي مكثت لدى جدي، انه علمني ان اكون اعمى ازاء كثير من الاشـياء، كانت عيوني ترى الشجر و الطيور واشياء اخرى، كنت اقرأ اصغـر الحروف، في كثـير الاحيان عندمـا كنـت اجلس بـين صور العميان ، كنت افقد البصر مثلهم. كنـت اسـافر الى المـدن البعيدة،

وابتعد عن مدينتي عشرات الايام، لكن كنت افقد البصر امام صور التجار السارقين و الشعراء الثرثارين، كان يصيبني العمى في الحفلات والمناسبات الوطنية، في اغلب الاوقات كنت لا ارى صور الاشخاص الذين كانوا يرشحون انفسهم للانتخابات، ولا ارى على شاشات التلفزة صور رجال عالم الكبار ، وعجبا كنت افقد البصر ازاء هويتي و جواز سفري، كنت افقد البصر ازاء كثير من اشياء هذه المدينة، لفترة طويلة كنت ارى عالما اخر وليس هذه المدينة والاشياء الموجودة فيها، تلك لحظات العمى كانت بالنسبة لي موهبة ، منحتني اياه جدي، وليس الرب او الاخرين. منذ اليوم الذي اخذوني الى المدرسة ، لم استطع ان ارى اية صورة للرجال السيئين ، حتى من الموسيقيين و المغنيين الكذابين. ان العمى يخفي عني كثير من الاشياء التي حولي، كان جدي يقول لي انك حي، لانك لاترى الاشياء القبيحة من حولك، ان رؤية الاشياء القبيحة و المزيفة في هذه المدينة تشيخ الانسان، كان على حق، عندما كان الناس يبكون او يحزنون اثر رؤيتهم للصور التي حولهم، وان كنت اهدأ داخليا، اذ كنت لا ارى الاشياء التي تعذب الناس، قبل وصولي الى الاشياء ، التي لم ارغب في رؤيتها ، كنت افقد بصري. ان العى كان يمحو جميع الاشياء امام ناظري، وادخل عالما مليئا بالسعادة ، لكي يملأ بيتنا اكثر بصور العميان، جمعت عشرات بل مئات من صور العميان ، وعلقتها على الجدران و اغصان الاشجار و باب باحة منزلنا. بعد ذلك ونحن في منزلنا جميعا فقدنا البصر، فقدان البصر الذي ارشدنا جدي اليه، ثم لم نر اي شيء سيىء لهذه المدينة، كنا نسافر مع غزليات جدنا الى تلك المدن المليئة بالروائح العبقة ، واصوات المغنيين و الغزليات الآسرة، كنا دوما في السفر، فقد نسينا مدينتنا الى الابد، كان جدي يقول لنا في طريق السفر ، ان المدن المليئة بصور رجال كذابين سوف تتعفن . كان يقول لنا : شكرا لذلك الجلاد الهرم الذي اعماني ، وانقذني من رؤية صور هذه المدينة، كان يقول لنا : نحن الان عائلة تذهب الى اراضي العميان الذين خلقوا اجمل الاساطير لانفسهم، نسلك طريق اولئك الذين لايموتون..

اقصوصة قصيرة

القاص: سيامند هادي

ترجمة: جيهان عمر

(حفارة)

مثل المالك الحزين، كنت تبحث عن شواطئ الانتظار في محيط العالم لجزيرة النوارس.. حطيت على الشاطئ.. كنورس حيث قطع مجرى خيالاته.. رأيتَ النوارس تلتهم انفسها بمناقيرها..!

(الجندي)

نتيجة اللاوعي قتل صديقه بطلقة طائشة، لقد كان دون أمل.. لأنه لم يستطع ترويض بندقيته بعد عشرين عاما..!

(خادم الحرم)

كان يكتب كل مرة في وصيته: عندما أموت، ارموا جثتي في البحر.. لا تضعوني في اطار شجرة ولا ضيفا عند رطوبة التراب.. لأني اول ماعرفته، التراب، والتابوت، والموت..!

(موعد غرام)

بعد انتظار طويل، ترك كرسيه وحيدا.. ماعدا اوراق الازهار التي انتشرت على الكرسي وعلى الارض، خلف الكرسي سويق زهرة وورقة معلقة بها..!

(الوقت)

كانت تحس بأنها ليست لها علاقة مع هذه الكلمة.. بل تتوقف عند الذكريات، وعند التأمل تنهزم..!

(النوم)

ميؤوسة لأجل عبور الوقت والعادات الدائمة.. كانت في غفوة.. مثل انقطاع الوقت والاستراحة: بعد ارهاقات كثيرة تنام..!

(المكان)

لستُ انا الذي اتضجر من مشاهدة الشارع.. لأنني اشاهده بشكل مختلف في كل مرة.. وهو يراني في كل يوم بلون ما..!

(مرة اخرى)

في احدى اقتراحاته كتب لعلماء الكون العالمي:

امنحوني فسحة في السماء لأسكن فيها.. امنحوني السهول والجبال والقرى والمدن وكل من على الارض حتى أكون اول من يسكن فيها..!

(التأمل)

عندما علم بأنهم لايريدون ان يفكوّا قبضة يديه من الافق.. ويضعوا رأسه في جرة الخيال.. ويوقظونه على قدميه.. كان يصيح ملئ حنجرته:

لا تقلعوا المساميرَ والصليب من على ظهري.. أنني متمرس به.. صلبوني قبل المسيح..!



عيون المارد

«من أدب الرفض في زمن البعث»

قصة: معتصم سالبي

ترجمة: محمد صابر محمود

منذ زمن بعيد، صار عندي الخوف من عيون المارد شبحاً مرعباً.. لا ينفك يلازمني ويلتف حول عنقي.. يعتصره مثل (طوق عزازيل). لقد غدا ذلك الرعب منذ بواكير طفولتي، هاجساً يدق ناقوس الخطر حولي!!.. يملأ جمجمتي ويحقن قلبي ونفسي بالآلام المبرحة. من الجائز أن يقول البعض: انه كاذب فيما يدعي.. وربما قال البعض الآخر: انه صادق فيما يقول.. ولربما قال آخرون: إن الذنب إنما هو ذنب الرجل نفسه لأنه ليس بمقدوره أن يكيف نفسه حسب متطلبات الظروف والأحوال. وثمة من أناس – أستطيع القول جازماً بأنهم كثيرون – هم على شاكلتي، قد تبرعم ذلك الفزع والهلع في أعماقهم.. وهم – مثلي أيضاً – يحاذرون تلك العيون المرعبة المخيفة ويحاولون تجنبها، والابتعاد عنها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

ترى ماذا يمكن أن تكون عيون المارد هذه؟! والتي يتوجس منها واحد مثلي هكذا – أنا الذي لا اشك لحظة في سلامة مخي – ويحافظ على نفسه من شرورها بهذه الصورة؟. لو تفضلتم بتصديق ما أقول، فأن عيون المارد تلك لهي أشد اضطراماً وإحراقا من النار المستعرة!!.. لو صادفت شخصاً لأحرقته في غمضة عين فأحالته إلى كتلة من الفحم.. وإن شفرتها أحد وأرهف من نصل (الألماس) لو قدر لإنسان ما وسقط فوقها لشقته نصفين في الحال وقطعته كما تقطع الخيارة!!.. ثم إن رائحتها أشد عفونة وأنتن من رائحة المزبلة!!.. فإذا ما دنا منها امرؤ تراه سرعان ما يصاب بالدوار، والغثيان، فيتداعى ويسقط مغشياً عليه!!.. لكنني وبالرغم من كل هذه المخاوف التي تنتابني وتقض مضجعي، فأنني – ومنذ طفولتي الباكرة – دائم الإصغاء شغوف بالاستماع إلى القصص والأساطير الخيالية التي تروى عن عيون المردة، والغيلان.

رحم الله الجدة (هةمين) وغفر لها ذنوبها، حيث هي الآن (تثوي في دار الحق والبقاء وأنا الآن لا زلت أتقلب في دار الشقوة والفناء) مثلما هي علمتنا هذه الجملة حينما كنا أطفالاً، كانت هي لنا بمثابة المذياع والتلفاز، حيث كانت تروي لنا العديد من الحكايات، والقصص المشحونة بالسحر، والسحرة.. ونحن – بدورنا – كنا نلوذ بالصمت المطبق.. ننصت مبهورين بعيون مفتوحة وأفواه فاغرة.. نرهف أسماعنا لما ترويه من أحداث ووقائع. نلتقط كلماتها واحدة فواحدة. أما في الليالي الممطرة فقد كانت تتراءى لنا، فنتخيل أصوات المزن الهاطلة، وكأنها وقع سنابك

تلك المهرة التي يمتطي صهوتها ذلك الفارس الشاب، البطل الذي يرد ذكره في سياق الملحمة التي ترويها لنا.. إذ كان معظم أولئك الأبطال الشبان يتصدون لعيون المردة، ويقاتلونها بمنتهى الجرأة والأقدام ودونما خوف أو وجل.. حتى تندحر فتنهار من أمامهم، ومن ثم يخلصون الناس من بطش، وآثام وشرور تلك العيون التي تتقطر سما زعافا.. وحيث في نهاية المطاف تقر عيناً البطل الشاب بلقيا حبيبته الفاتنة الجميلة. ثم أن الجدة (ههمين) كانت هي الأخرى تضع النهاية لقصتها فتختتمها بقولها:- (أما أنا – يا صغاري الأعزاء فقد عدت من رحلتي صفر اليدين وبخفين ممزقين). غير أننا – نحن الأطفال – فقد كنا نحصل على الكثير الكثير!!.. فيأخذنا العجب وتستبد بنا الدهشة، والذهول من غرابة تلك الكوارث والأحداث الجسام فنثني – من الأعماق – على الجدة (ههمين) ثناءاً لا حد له. حينما ودعت الجدة (ههمين) هذه الدنيا للمرة الأخيرة، كان رحيلها – بالنسبة إلينا والى باقي المستمعين المغرمين بحكاياتها الطريفة – صدمة عنيفة.. قوضت أركاننا فانتابتنا أحاسيس ومشاعر ملؤها الحزن والأسى..

ولفترة طويلة أيضاً كنا نبحث عن واحدة مثل الجدة (ههمين).. تملأ علينا الفراغ الذي تركته هي.. لتروي لنا قصصاً من أمثال تلك التي كانت هي ترويها لنا.. ولكن ذلك الحلم الذي كنا نحلم به لم يتحقق مطلقاً!!. في وقتنا الحاضر حينما يصاب تلفزيون أحد البيوت بالعطل، نراهم سرعان ما يقومون بتصليحه لدى أحد المصلحين. غير أن نموذجاً مثل الجدة (ههمين) فنادراً ما يمكن الحصول عليه.

أيها السادة المحترمون – لحد الآن، ما زلت أتذكر ذلك اليوم الذي شاهدت فيه لأول مرة عيون المارد بأم عيني مجسمة بشكلها الطبيعي وبحجمها الكامل، كنت ما أزال طفلاً وكان بيتنا يقع في أقصى المدينة.. صف الدور لمحلتنا كان يقابل وادي (خاصة) فيما بين البيوت ووادي (خاصة) كان ثمة طريق رفيع، وطويل يمتد ماراً وسط بستان الخضرة، أنا ومجموعة من أطفال المحلة كنا منهمكين في صنع ما يشبه حمامات صغيرة بالرمل، والطين.. كل واحد منا كان قد أعد – من جانبه – وعلى نسق واحد – بناء حمام صغير له على قارعة الطريق. على حين غرة انطلقت صرخة من أحد الأطفال، وصاح قائلاً: هيا بنا أيها الأطفال.. أسرعوا!!.. لقد داهمتنا عيون المارد،

وإذ ألتفتنا إلى وسط (خاصة)، أذا بنا نشاهد زوبعة من الغبار، وهي تتوجه نحونا بسرعة مذهلة!!.. فما كان منا إلا أن نلوذ بالفرار، ونعدو مسرعين، باتجاه سطح دارنا ومن ثم أخفينا أنفسنا فوق سطح الدار.. من هناك ومن وراء السياج الفوقاني أخذنا نترصد ونراقب بإمعان عيون المارد!!.. وإذ وصلت إلى الجسر المنصوب فوق الساقية التي على هذا الجانب من الطريق المار من منتصف البستان، شاهدنا عيون المارد ترتدي ثياباً يميل لونها إلى اللون الخاكي، وإنها تلبس قبعة بنفس اللون أيضاً.. تمتطي صهوة حصان أسود بلون القطران!!.. تيبسنا في أماكننا من شدة الفزع والهلع، وكادت الدماء تتجمد في عروقنا، توقفت عيون المارد على الطرف القصي من البيوت لحظة.. ترجلت وربطت حصانها أمام بيت (الحاج مجيد)، ومن ثم اندفعت داخل بيتهم!!.. أما نحن الأطفال فلم نجرؤ على مبارحة سطح المنزل إلى وقت متأخر من ظهر ذلك اليوم.. فبقينا في حالة من الترقب والانتظار إلى أن غادرت عيون المارد جميع الأحياء.. بعدها توجهنا مباشرة صوب الحمامات التي كنا قد بنيناها لكي نتفقدها.. ولكن – ويا للأسف الشديد – كلها كانت مهدمة تحت وطأة حوافر

حصان عيون المارد، ومقلوبة رأساً على عقب.. وفي نهاية الأمر عدنا جميعاً من حيث أتينا، بقلوب تكاد تتفطر من الأسى والحسرة.. وفي طريق عودتنا سمعنا (گولچين) زوجة (الحاج مجيد)، وهي تروي ما حدث لنساء المحلة بصوت خافت يتخلله الخوف.. كانت تقول:

(ويل لكن، أيتها الخائبات!!.. ما أن دخلت عيون المارد بيتنا حتى هرع الحاج، فذبح لها ديكاً.. غير أنها بالرغم من كل ذلك، فقد كانت تستشيط غضباً من الحاج قائلة: يا عديمي الأصول، لماذا تذبحون لي ديكاً؟!.. ألا تعلمون بأنني أشتهي لحم الدجاج!؟.. متى تتعلمون الأصول..؟). أيها السادة المحترمون: ها أنا ذا أنزوي الآن في ركن قصي خوفاً من عيون المارد.. ولو أنني الآن كبير السن فأن ذلك الخوف أيضاً قد نما وترعرع معي.. إن كل ما خطه قلم أو دون وألف من كتب حول عيون المردة، أذا ما وقعت تحت يدي فأنني أسارع رأساً إلى مطالعتها بشغف وحماس شديدين.. سواءاً أكان الكاتب آسيوياً، أو أفريقياً، أم من أمريكا اللاتينية.. الآن، أنتم مندهشون.. يأخذكم العجب من فزعي هذا!!.. فتتساءلون: في أيما مكان يمكن أن يكون مختبئاً يا ترى!؟.. وهل تراه قد حشر نفسه داخل صندوق حديدي مقفل!؟. وأنا بدوري عند الإجابة أقول لكم: كلا.. وإنما أنا قابع الآن في أحدى القرى المنسية المبتورة، القابعة بين أركان أربعة جبال شاهقات عنيدة!!.. وهذا بدوره يحمل في طياته معنى الجبن أيضاً!!.. وإلا فلماذا لا أغدو واحداً من أولئك الشبان الذين، يأتي ذكرهم في حكايات الجدة (هةمين)، أتصدى لعيون المارد وأنازلها؟!.. أو لماذا لا أستحيل زوبعة، لأملأ عيون المارد بالأغبرة، والرمال والأشواك...؟.

أن كابوس سل الأقاصيص، والحكايات الخيالية، والملاحم، يأخذ بخناقي على الدوام ويمعن في مضايقتي ولا يدع لي فرصة للخلاص منه.. وهو يطاردني دوماً. وكما كان ديدني في طفولتي فأنني لما أزل متمسكاً بتلك المسألة، حيث أسأل باستمرار من أولئك الشيوخ الطاعنين في السن، والعجائز المسنات الذين يشكل كل واحد منهم بحد ذاته خزينة تحتفظ بعشرات الحكايات في أكياس ذاكرتها!!.. أن انزوائي هذا قد أفادني من جهة حيث أنني دونت، وسجلت كثيراً من القصص السائرة على الشفاه..

كان (أحمد ذو الرأس المدبب، والابن الأصغر لـ(محمد علي الأعرج) مخبراً لي.. يطلعني على الأخبار، أول بأول.. لا أدري بماذا أدعو له!!.. أأدعو له بطول العمر، أم أدعو عليه!.. لأنه خدعني، واحتال علي عدة مرات.. في ذلك اليوم أوهمني، فصور لي حماراً مع ما يحمله في هيئة عيون المارد!!.. وفي يوم آخر أوهمني في سرب من الطيور الوديعة أيضاً!!.. فمثله لي عيوناً للمارد.. وهكذا !!.. حتى جعلني بحيث صار جحر الفئران عندي وكأنه سوق القيصرية!!. ها هو ذا الظلام مخيم، ونحن جالسون على الدكة التي تتوسط حوش بيت صاحبي الذي أنزل عنده.. الرجل صاحب البيت مشغول – طول الوقت – مع العم (قورباني)، بالحديث عن المواشي والحيوانات.. أما أنا فمنشغل بعالمي الخاص.. أترقب الأخبار وأستطلع كل شاردة وواردة عن عيون المارد دونما أية فائدة تذكر.

بعد فترة من النباح المتواصل من كلاب القرية، أذا بأحد أبناء (لاله هەياس) يندفع هو وبندقيته داخل الدار!! وكما هو متبع لديهم فقد طلب مني أن أربط فم الذئب عن عجلهم الهائم – الذي تأخر في ذلك المساء عن القطيع – لكي لا تفترسه الذئاب.. ناولني مطواة ذات فم مفتوح.. في حقيقة الأمر، أذعنت أنا أيضاً لطلبه، فطويت النصل على المقبض مضطراً.. ثم تمتمت على مضض بناءاً على

رغبته ببضع كلمات غير مفهومة. بعدها شكرني كثيراً وغادر البيت.. لم يمر سوى فترة وجيزة من الوقت حتى فاجأنا (أحمد) ذو الرأس المدبب، فدخل باحة الدار على وجه السرعة فصاح بي قائلاً:-

- يا هذا!!.. لماذا أنت غافل هكذا عما يجري حواليك!؟.. ألا تعلم بأن عيون المردة تطوف حول القرية من جهاتها الأربع!؟.

داهمتني وخزة ألم ممض، فسرت في تجاويف قلبي رأساً، وأنهد على أثرها كياني، وارتعدت فرائصي!!. احتذيت على عجل حذائي، فاندفعت صوب باب الحوش. حال خروجي من الباب، شاهدت القرية، وهي محاصرة من أطرافها الأربعة بعيون المردة!!.. كانت العيون تجوس محدقة بقوة، مرسلة وميضها إلى كل الجهات!!.. وضعت يدي على ركبتي وقلت في نفسي: هذا هو اليوم الذي كنت أخاف منه!!.. غير أنني – مع هذا – تماسكت، فحثثت خطاي متوجهاً صوب نهاية البيوت. أخذت الأعين تزداد اقتراباً من القرية بمرور الوقت.. خيل إلي وكأنها تقبل باتجاهي.. تناهى إلى سمعي صوت هرج ومرج صادر عن ازدحام.. وإذ دنوت من مصدر الجلبة والضوضاء تعثرت قدماي بصخرة فسقطت منكباً على وجهي.. غير أنهم سرعان ما لحقوا بي فأنهضوني ثانية..

سمعت صوت العم (محمد أمين)، وهو يقول لي من خلال العتمة:-

- لماذا أنت مرتبك إلى هذه الدرجة! ولم تتخبط في مشيتك هكذا!!؟. بصوت متهدج ممتلئ فزعاً أجبت:

- عيون المردة.. عيون المردة.. ها هي ذي تحاصر القرية..!!.

راح الجميع في قهقهة داوية.. حيث أدركوا مبلغ الرعب الذي يساورني ويستبد بي.. ثم أخذ العم (محمد أمين) يخفف عني ويهدئ من روعي بقوله:-

- لا.. لا.. ليس الأمر كما تتوهم.. أنك على خطأ.. أنها ليست عيون المارد.. بل هم أبناء (لاله هەیاس) الذين يفتشون عن عجلهم الذي أنفرد عن قطيع الأبقار، وهم يحملون المصابيح بأيديهم. حال سماعي هذا الكلام أطمأنت نفسي وعاودني هدوئي ثانية، ثم ما لبثت أن استعدت قواي بعد ذلك أيضاً..

عدت أدراجي إلى ذلك البيت الذي كنت أقيم فيه في تلك الليلة الحالكة الظلام، وأنا خجل من نفسي غاية الخجل.. لكن الأغرب من كل ذلك هو أن صوتاً هادراً استفزني فجأة وأنا سائر في طريقي.. خيل إلي في البداية أنه صوت قنبلة انفجرت تحت قدمي.. وإذ عدت إلى وعيي، علمت أنه كان صادراً عن كلب لبيت الحاج (ناصر).. وأنني خلال تخبطي في الظلمة لم أنتبه فوطئته بقدمي، وهو يتعبقني بنباحه.. تحاشيته فابتعدت عنه قدر المستطاع.. وهو أيضاً تركني بدوره فوراً.. في حين لو كان الوقت نهاراً لما كان يتركني وشأني بتلك السهولة واليسر.

أيها السادة المحترمون – أنكم كيفما تفسرون الأمر وتؤولونه، فهذا أمر متروك لكم أنتم.. أما أنا فأفسره من جانبي على أنه ربما علم بمقدار ما أعانيه من الرعب والفزع، لذلك تركني وشأني بتلك السهولة، وأنه ربما قد ضحك كثيراً فيما بعد من جبني هذا!!.

شمعة من أجل المسرح.. شمعة من أجل الحياة

يوقدها: محي الدين زەنگەنە

في عام ٢٠٠٨ تمكنا وفريق العمل في «سردم العربي» بقدر ما من الجهد وبكثير من الجد والاصرار، من انجاز ملف خاص عن المسرح –العدد ٢٠- احتفاء «بيوم المسرح العالمي» واسهاما في أحياء هذا اليوم في كردستان، وفي سائر بقاع العالم المأهولة المتحضرة.. كارث اممي تتناقله الاجيال والامم.. منذ اكثر من نصف قرن..

بيد أنني هنا، لابد ان اعترف واقر بأن الملف ذاك لم يكن في مستوى الطموح! ولا حتى قريبا جدا منه.. ناهيك عن بلوغه او حتى الاقتراب منه بالقدر الذي ينبغي! ان الطموح.. هذا (الشيء) القريب جدا، كما يبدو وفي متناول اليد بسهولة ويسر.. والبعيد جدا جدا، على صعيد التحقق والرضا، كائن غريب، اذ كلما بدا لأحدنا انه قد قبض عليه بكلتا يديه وبانامله العشر، يجده تزأبق وفر.. وشرع يتسلل من بين انامله ويهرب بعيدا بعيدا.. ليظل الباحث عنه بعد ذلك.. يكد ويتعب ويشقى لاهثا من أجل الدنو منه، بتقليص المسافة بينه وبينه، في شقاء دائم وبحث مضن وجهد دائب ولهاث متواصل.. وقلق متزايد باضطراد.. ولكن وفي الوقت نفسه في لذة عارمة، فائقة، ما من لذة تضاهيها، الا لذة العاشق المراهق الولهان الذي يطارد الجنية اللعينة الحبيبة التي زارته ذات ليلة باردة، وقضى معها، في احضانه او احضانها، هنيهات، قصيرات لاتعدو طرفة عين، بينما تبدو له سنوات طويلات من العمر، في حلم.. مترع بالدفء والمتعة واللذة والشبق. او تسللت اليه في ظهيرة صيف قائض كنسمة من نسيمات الفردوس..

ما العمل؟

العين، كما يقال، بصيرة، والصفحات كثيرة ولكن الاقلام قليلة، او شحيحة، جفت ينابيعها.. حتى لتبدو كأن قد اصابها عقم مزمن لاشفاء منه..

كانت تلك ثمرات امكانياتنا وقدراتنا. وامكانيات اصدقائنا الاحبة الذين آزرونا، وقدراتهم. التي قدموها لنا هدايا او بالاحرى (عيدية) بمناسبة «عيدنا المسرحي» ومع هذا فقد كانت الحصيلة، لا بأس بها، ومقبولة الى حد ما، اذ اينعت مايقارب الستين صفحة من السطور المضيئة. واضعاف اضعافها من الكلمات المشعات التي انارت الملف والمجلة معا.. وجعلتهما جديرين بالقراءة. ولكن، واسفاه، لاقراء. على الرغم مما فيهما من العديد من الوان الابداع، التي تنوعت وطرزت الصفحات من مقالة الى دراسة، الى نص درامي وحوار فني ومناقشة ووثيقة. اضافة الى الكثير من الاراء والافكار ووجهات النظر، المبثوثة هنا وهناك، بين السطور والعبارات..

واننا بهذه المناسبة، نهيب

بأحبة سردم من خالقي الابداع وصانعي الثقافة، عامة. في كردستان وخارجها، ان يزينوا مجلتهم ويزرعوا ارضها الخصبة بشتلات ابداعهم، على الصعد كافة، ولاسيما ما يتعلق بالمسرح الكردي، في شتى فراديسه وحقوله، من نصوص درامية ودراسات فنية وتأريخية وحوارات و.. و.. و.. في العدد (٢٨) وفي هذه المناسبة نفسها ولأجلها اعني (٢٧) اذار -لم نستطع- -اقولها ببالغ الاسى والاسف غير المجديين- ان نهيء توأما للملف السابق، حتى في مستواه المتواضع، بسبب الكسل والرخاوة واشياء اخرى اقل شأنا، ولكننا على الرغم من ذلك لم نشأ ان ندع هذا اليوم الفريد في العام، ان يمر في الخفاء، في الظلام بلا شموع نصنعها من الكلمة والحرف والحركة والضوء.. نفتح نافذة للنور والشمس في الظلام الغامر الذي يكاد يلف الاشياء كلها بعباءته الثقيلة.. و «ان تشعل شمعة –يقول المثل الصيني- خير الف مرة من ان تلعن الظلام» وها نحن نشعل شمعتنا.. وننير هذا اليوم.. امام قرائنا واحبتنا من عشاق المسرح والفن والانسان ونشاركهم الافراح والبهجة التي لن تنطفيء.. مادام ثمة جهد.. مادام ثمة عشق.. وادعوهم الى احتفال بسيط، نقرأ خلاله معا. كتابا هاما عن المسرح وجمالياته وفنونه وعلومه.. املا ان يشاركوني المتعة التي احتوتني والفائدة الكبيرة التي جنيتها.

او بالاحرى ان اعيد معهم ولهم قراءتي له.. مرة اخرى. بصوت عال.. وفي حلقة دراسية –ان صح التعبير- او في «بروفة» عامة.. وان استرسل معهم ومع نفسي في مضغ المرارة والغضب والهموم والاحزان التي تغزوني، على الرغم مني.. رثاء.. و اشفاقا على حال المسرح» عندنا.. سواء في العراق او في كردستان. وان كانت الحالة هنا اعني في كردستان كما تبدو لي –على ضوء متابعتي- اكثر ثراء.. مما هناك لاسباب ذاتية وموضوعية، ليس الدخول في تفاصيلها من مهام هذه الكلمة المقتضبة، املا ان تكون لي عودة الى ذلك في وقت اخر..

* * *

لا اظنني اعلن عن اكتشاف مجهول.. ولا افاجيء احدا، حين اقول.. بان عروضنا المسرحية لاترتقي الى المستوى المأمول.. لاسباب عديدة لعل اهمها واوضحها.. افتقارها الى الحرفية المسرحية الفنية واصولها التقنية والجمالية، وابتعادها، بهذا القدر او ذاك عن «القانون العلمي للمسرح» ومناخاته واجوائه النابعة منه والمحققة لوجوده عبر الالتزام الذاتي المبدع، المتأتي بدوره من الادراك الواعي.. والاستيعاب التام والتمثل الطوعي، لا القسري.. لمتطلباته وشروطه..

ولكي اكون دقيقا في اطلاق هذا الحكم العام وموضوعيا، يتوجب علي ان اقول: ان تلك الفكرة هي المحصلة الحالية التي تكونت عندي شخصيا من خلال مشاهداتي لمعظم العروض المسرحية ومتابعاتي لاكثر ماينشر عن بعضها الاخر طيلة سنوات من العشق والهيام بهذا الهم اللذيذ.. المسرح وقضاياه الفنية والفكرية والجمالية والاجتماعية.

بالطبع لا انفي وجود استثناءات قليلة لاتتجاوز اصابع اليد الواحدة، الامر الذي يوجب علينا ان نتوقف طويلا ونتأمل عميقا مجمل حياتنا الفنية والثقافية لعلنا نعرف اين يكمن الخلل ونقف على اسباب التخلف.

هل يكمن ذلك في الجهل بالقوانين الاسياسية للابداع الفني بشكل عام والابداع المسرحي بشكل خاص؟

يخيل الى ان فهما غير سليم قد ترسب في اذهان العديد من الكتاب والفنانين.. بصورة عامة واذهان العاملين في المسرح عندنا بصورة خاصة.. لمقولة «برناردشو» الذي سأل ذات مرة عن افضل القواعد

اي «القاعـدة الذهنيـة» للابداع في شـتى حقول الفن وفراديسـه، فأجاب بسخريته المعهودة «القاعدة الذهبية هي لاقاعدة ذهبية».

بعضهـم رأى في هـذا القـول ان الفيلسـوف السـاخر يرمـي الى ضـرب القواعـد كلهـا.. عـرض الحائـط والانطـلاق مـن الصفر.. مـن اللاقواعد. ومـا الى ذلك قصد الرجل. وهـذا الفهـم الخاطىء لم تقتصر اثاره السـيئة على المسـرح وفنانيه حسـب بـل تجاوزتهم الى العديـد من زملاء الحـرف والكلمة في مجـالات ابداعية كثـيرة.. حتى بتنا كقراء او مشـاهدين، معرضين وربمـا بشـكل يومـي للصفع من قبـل خواطـر سـائبة فضفاضـة وكلمـات لارابط يربطهـا ببعضها عدا الاخطاء الاملائية والاسـلوبية والنحوية.. تحت اسماء او عنوانات براقة شتى.. شعر.. قصة.. رواية.. الـخ.. او نجد انفسـنا امام عروض بهلوانيـة تهريجيـة او استكشـات حركية.. تحت اسـم الدراما.. وهي لاتمت اليها من قريب او بعيد.. وقل الشيء نفسه عن المعارض التشكيلية والرسوم والمنحوتات.. و .. و..

قد يكون بعض هـذه الاعمال غـير خالية مـن النوايـا الطيبة والـرؤى الجمالية.. بـل قد تكون ممتلئة بهما حـد التورم.. ولكنها تبقـى على الرغم مـن ذلك.. بل ربما بسبب ذلك ابعد ماتكون عن الانتماء الى الاسماء والعنوانات التي يفرضها عليها اصحابها.. قسـرا او جهلا او حبا عشوائيا..

مـن المعـروف جيـدا ان لكل مجال من مجالات النشاط الانساني –الابداعـي وسـواه- قانونـه الخـاص، النابع منـه، والمانح اياه هويته واسمه وعنوانه والصائن له والسائر به نحو الاحسن والاجمل.. ابتداء من ابسط الانشطة الانسانية واكثرهـا مألوفيـة وتـداولا.. الى اشدها تعقيدا وصعوبة وندرة..

هـذا هو التكلـم، اعني النطق بالكلمـات، وهذا قانونه.. وهذا هو المشـي وتلك عدته.. وقل الشـيء نفسه عن الركض والجلوس والاكل و و و وحتـى التحليـق في الفضاء وامتطـاء مركباتـه والتنزه فوق سـطح القمـر.. وكذلـك الامر في الانشاء المدرسـي العادي.. والنشيد اليومـي للاطفـال و و و.. حتـى الكتابة الخارقة.. والشـعر الصادم والسمفونية.. العبقرية و و و ..

ان الحريـة التي يقرها السـيد شو، كمبدع.. ومفكر.. وداعية كبير لها ويقرها معـه، قبله وبعده والى الابد ومنذ الازل، سائر الخلق، لكل مبدع.. في شـتى مجـالات الابداع والحياة، لاتعني الفوضى.. لاتعني، حسـب فهمي، على الاطلاق، حرية الجهل والتنكر.. للقواعد والاصول، سـواء المتعارف عليهـا عبر القرون العديـدة مـن الابـداع الانسـاني، ام النابعـة مـن الشـروط الذاتية والموضوعيـة المتجددة عبر الازمنة كلها، ولا تعني في الاحوال كلها احالة اللاقاعدة الى قاعدة او جعل الفوضى والاضطراب نهجا ومسلكا.. وهدفا، وعدّ اللاقانون قانونا؟ اشـد ضيقا ودموية من سرير بروكروستيس، سـيء السـمعة.. (لقد فصلت هذا الامر، بعض الشيء، في مقالة سابقة لي انظر سـردم العدد ٢٤ ولا اريد هنا.. تكرار ماقلت).

بـكل تأكيد لايشـفع للمخرج المسـرحي، الذي سـيحظى بالقدر الاكـبر من اهتمامنا في هذه المقالة، سائر اجراءاته الشكلية التي يضفيها علـى عرضـه المسـرحي.. اذا لم تكن نابعة من مضمون المسـرحية نفسـها.. وموظفة لاجلها.. واذا لم يكن مطلعا بعمق على اصول الفن الدرامي وقوانينه والصيغ المتطورة والمستحدثة لهذه الاصول والقوانين منذ اسخيليوس وسوفوكليس حتى بيكيت وادامـوف، مرورا بكل من ساهم في هذا التجديد والتطوير.. سواء اولئك الذين ساروا على وفق ارسـطو ونهجه.. او الذين جددوا واضافوا وخالفوا ارسـطو عن علم ودراسة ودراية.. وليس عن طيش او هـوس بالخـلاف حسـب، على طريقة خالف.. لعلك تعرف..

وهذا الكتاب (التكامل الفمي في العرض المسرحي). تأليف: بوبوف. ترجمة: شريف شاكشتي. ٣١٤ صفحة) الذي اود ان اعيد قراءته مجددا مع القراء عامة. ومع زملائي من العاملين في المسرح، من شأنه ان يقدم هذه المعرفة الضرورية جدا. بالقانون العلمي الاساس للمسرح. اضافة الى المناحي الجمالية العديدة.

والمؤلف واحد من رجال المسرح الجادين، المكتوين بعذاباته طوال نصف قرن اخراجا وتمثيلا وكتابة وتنظيرا.. اكتسب معرفة عملية رصينة من خلال المعاناة الفعلية وتجارب الفشل والنجاح.. من خيرة عمالقة المسرح الحديث.. ستانسلافسكي، دانشكو، ميرخولد، فاختانوف. مرجانوف و و و مع نصوص عباقرة الادب الدرامي العالمي.. شكسبير.. سترندبرج. تشيخوف.. موليير.. ابسن.. الخ.. وهو احد العمالقة الذين وطدوا.. اسس المسرح الحديث واثروا طرائق التعبير فيه بوسائل جديدة مبتكرة زادتها ثراء وخصوبة.. منطلقا من مضمون ثوري جدلي للواقع والواقعية.. يعده الانعكاس الصادق للحياة عبر الصور والمشاهد الفنية بشكل يبلور عمليات التطور التأريخي الاكثر عمقا وجوهرية وقدرة على تصويره في تطوره الثوري.

الانسان هو البؤرة التي تتجمع عندها حزم اضواء سائر العاملين في المسرح، وهو ايضا الموشور الذي يشع على جمهور المشاهدين ومن خلالهم الى التأريخ المستقبلي للفكر والثقافة والحضارة والضمير الانساني فلا وجود للعبقرية بعيدا عن حب الانسان».

والانسان هنا ليس هو المؤلف وحده، على الرغم من الاهمية الفائقة لخالق النص الدرامي، ولا هو المخرج فقط او الممثل حسب وانما المقصود كل العاملين في المتعة المسرحية من مهندس الديكور، والانارة، والازياء، والسينوغرافيا و و و و حتى فريق المشاهدين. في وحدة هارمونية متماسكة. اذا اختلّ ايّ عنصر.. او نغمة فيها.. اختل العرض المسرحي كله. الذي ينبغي ان يكون من التداخل والترابط، فكريا وحركيا، بحيث لايستطيع المشاهد.. بعد انتهائه ان يفكر او يتعلق بالنص وحده، او بالاخراج او بالتمثيل او بالسينوغرافيا او.. او.. او. فقط.

ولكي ينهض المسرح بهذه المهام النبيلة ويحقق المتعة والفائدة، في اجلى صدورهما، لابد ان يتألق كل عنصر فيه منفردا.. وتتالق العناصر كلها معا للوصول الى الهدف المنشود والانطلاق بالانسان نحو معرفة اشمل واعمق بنفسه وبالحياة وبالمجتمع وبالعالم.. من حوله.

فالمخرج اذ يتسلم النص من المؤلف، يكون هو الساحر الخفي والمفكر على المسرح القابض على خيوط ماكنة المسرح المعقدة. والموجه للارادة الخلاقة للفريق كله وعليه يتوقف بالدرجة الاساس، نجاح العرض او فشله، ومهمته دقيقة جدا وحساسة الى ابعد مدى، فاذا ماترك ممثلا ما ان يتحرك على هواه، فانه يسعى لكي يغطي، مايستطيع، على الممثلين الاخرين. واذا أراد ان يمارس الديكتاتورية فانه لن يأتي بنتائج افضل. واذا كانت مهمته اطلاق المبادرة الحرة عند جميع الفنانين فانه لابد له من تحقيق فهم موحد مع الكل. وهذا الفهم الموحد المشترك لايتم ولاينشأ الا عبر النقاش والحوار وفي توافق مقبول في المشاعر والافكار وتوحيد الجهود والاجتهادات للفريق كله. من غير اغفال الطاقة الشخصية والموهبة الفردية لكل عامل. ولابد من اطلاق النبرة الخاصة لكل ممثل ولكن عبر الانسجام الضروري بين سائر عناصر العرض.. ومن غير التنافس او الصراع من اجل ابراز.. العضلات على حساب الاخرين. لانه حينذاك يكون قد اخلّ بالعرض المسرحي كله.. وباللوحة الفنية التشكيلية والموسيقية واللونية..

والغى كونه جسدا حيا متناسقا.

اصبح للمخرج –يقول ستانسلافسكي- دور اكثر تعقيدا، اذ عليه ان يبني عمله الفني او بالاحرى كاتدرائيته الكاملة.. بحيث يثير لدى المشاهد الافكار الملحة الانية والمستقبلية.. ويحدد دانشكو للمخرج، من بين وجوهه الفنية والقيادية العديدة.. ثلاثة وجوه:

١-المخرج المفسر اذ يفسر للمثل وسائر العاملين كيفية اداء اعمالهم.. او ادوارهم ولاسيما الممثل، ولهذا يمكن ان نسميه المخرج/ الممثل. او المخرج/ المربي..

٢-المخرج- المرآة المعاكسة لسمات الممثل الشخصية.

٣-المخرج- منظم العرض المسرحي ككل- قائد الاوركيسترا.. في سيمفونية العرض المسرحي.

واذا كان الوجهان الاول والثاني مخفيين عن المشاهد، فان الوجه الثالث يكشف عن نفسه امام الجمهور بوضوح، خلال الميزانسين (التشكيل الحركي) والديكور والمؤثرات الصوتية والاضاءة والمشاهد الجماعية و.. و.. و.. (السينوغرافيا) بيد ان الوجهين الاولين لايظلان مخفيين الى الابد، فمع بدء العرض وسيادة الممثل على الخشبة.. يظهر كلا الوجهين في الممثل، اقصد في ابداع الممثل ومهارته في الاداء. فعلى المخرج ان يكون، او بالاحرى ان يحيا بشكل غير مرئي في الممثل ويلهب خياله الابداعي ويدفعه الى ان يعثر على نفسه وان يعبر عنها على وفق مايقتضي دوره.

وعلى الرغم من اهمية الممثل في العرض المسرحي، باعتباره الواجهة المباشرة مع الجمهور، فانه لاينبغي اهمال العناصر الاخرى من قبل المخرج وانما يتوجب عليه ان يعمل على خلق الهارموني المتكامل بين سائر مفردات لغة العرض.. ولكي يصل الى هدفه المنشود ويحققه بالشكل الفني المطلوب، لابد له بالاضافة الى استغراقه في تنظيم المشهد المسرحي بشكل متناسق جميل ان يضع امام عينيه واهتمامه البالغ هدفا عاما ينشد بلوغه ويحشد وينظم كل المتطلبات الاخرى على وفق خطة مدروسة.. ولكن مطاطة ومرنة للغاية، قابلة للتغيير والاضافة تقوده بسهولة ويسر ودون عناء وبسلاسة وشفافية الى هدفه ذاك.. واذا كان مضطرا الى يجزىء المسرحية الى لوحات اثناء (البروفات) فان هذه اللوحات يجب ان تحظى بقسط متساو من الاهتمام بالترابط والتداخل مع بعضها. وذلك لايتحقق الا باستنباط العلاقة المركزية بينها، بصورة جدلية، توثر احداها.. على الاخرى، وفي الوقت نفسه تتأثر بها، بهذا القدر او ذاك.. ذلك لان الوقائع والاحداث مهما تعددت وتنوعت فهي غير منفصلة عن بعضها.. وذلك امر لايتأتى له الا بفهم قوانين التطور، وصولا الى اشكال وصيغ جديدة.. تمنح مسرحيته (وهي مسرحية الجميع، وليست مسرحيته وحده) الجمال والقدرة على النفاذ الى عقل المشاهد وقلبه.. ومن ثم القدرة على احداث التغيير في المجتمع والناس، منبع ومصب كل عمل فني عظيم.

واخيرا.. اذا كنت في استعراضي السريع، ولكن غير المخل على ما آمل، لهذا الكتاب الهام، قد اقتصرت على مايقول مؤلفه بصدد المخرج والممثل مع شذرات قليلة عن المفاصل ألاخرى للجسد المسرحي المتكامل وعناصر خلقه.. فلأن الالمام بكل ذلك غير متيسر في هذه العجالة. ولانني لم ارم الى تلخيص الكتاب بشكل يغني القارىء المهتم بالمسرح عن الرجوع اليه.. بل على الضد تماما.. فقد حرصت على تحفيز القارىء الى دراسة الكتاب والاستفادة منه في الحدود التي يقتنع بها.

وفي الختام لا املك الا ان اردد مع المؤلف «ان الشعب ينتظر منا عروضا عظيمة الاهمية.. لايمكن التصدي لها- ولا ابتكارها وخلقها- الا من خلال التسلح بحرفية مسرحية اكثر علمية واكثر كمالا وجمالا ايضا بكل تأكيد..»

أوراقي!!!

الى «هەلەبجە، جيرنيكا العصر»

جسدي الذي مزقته القنابل و السموم ..
و الى كل بقعة أحترقت ، و تحترق ، بانفاس الديناصورات المعاصرة التي لما تنقرض ...

قصرحية: محي الدين زەنگەنە

عثـر الراعـي "مـام ويـس" وهو شـيخ طاعن في السن. ولكنه لايـزال يحتفظ بقـدر غير قليل من الحيوية والنشـاط، على فوهة حفرة مطمـورة الا بضعة أصابع، حينما كان يرعى أغنام اهل قريته والقرى المجاورة، على سـفح جبل "مـاوت" الـذي شـرعت الخضرة الباهتة، على الرغم من كل شـيء، تطل برأسها مع مقدم شهر آذار، في بضع بقع متفرقـة متباعدة، هنا وهناك، بعد طـول يبس وجفاف ومحـن، اذ كانت الحـرب الحارقة الطويلة قد أحالته ضمن ما أحالت مـن أراضـي كردسـتان الخضراء ومراعيهـا اليافعة وينابيع مياهها المتدفقة الى أرض قاحلة محروقة، لاعين ماء ولا عشـبة خضراء. في أية بقعة طالتها المواد السامة.

أيكـون حيوان مـا قد حفرها بحثا عما يقتات، تساءل مام ويس، واذ لـم يوافه الحظ .. تركها وراح ينشد أمكنة أخرى قد يكون حظه فيها أفضل؟

غـرز فيهـا عصـاه فوجـد أتربتها رخوة هشـة، ولكن رائحة ما أنبثقت من بـين طياتها. ربما يكون الحيوان هو الآخر. قد أدركها بحكـم غريزتـه ونفـر منها ولم يرهق نفسه كثيراً!!

أثار الامر فضوله وبدأ يحركها بطرف عصاه، فأستجاب له التراب بسهولة ويسر، مما دفعه أن يواصل الحفـر ويحمل الاتربـة والحصى بيديـه ويفرشـها علـى اطـراف الحفـرة التي كانـت تتوضح كلما يتوغل هـو وعصاه أكثـر، ببطء يتناسـب وسـنوات عمـره التـي قاربت الثمانين..عاما.. أو تجاوزت ذلـك، أو ماتـزال دونه. مـا أدراه على أية حال، فـلا أحد في قريته يحفل بمثل هذه الامور.. هي أيام أو سنوات.. أو عقود.. تمضي.. بلا حساب ولا أهتمام.

كلما حفر أعمق صارت الحفرة تستجيب له أسـرع وعمقها يزداد أكثر، حتى لم يعد بوسـعه المكوث في مكانه على الحافة طاويا جذعه

لمواصلة الحفر وحمل الاتربة بكفيه الهزيلتين.

فكر هنيهة ثم أستعاذ بالرحمن الرحيم وبسمل وقرأ سورة «آية الكرسي» فأحس بأنه قد تطهر الى حدّ ما من هواجسه ومخاوفه التي كانت اجنتها تتشكل في داخله وتتناسل.. و.. قرر أن ينزل فيها. ألا أن الرائحة الغريبة التي لايعرفها والممزوجة برائحة التراب التي يعرفها جيدا.. هاجمته بقوة وصدته.. وكادت تحمله على التقيوء والتوقف عن الاستمرار.. وترك الامر كله. ومغادرة الحفرة.. مثلما فعل ذلك الحيوان المجهول من قبل.

الا ان فضوله الذي شرع يقوى ويشتد، بسمره في مكانه، ودفعه الى مواصلة ما بدأ به وباشره. وشحنه بأمل ان يكون ثمة شيء ما مدفون تحت الاتربة، وهذا الشيء، دعا في سره، ان شاء الله لن يكون شرا أو.. ضارا..

بعد أن اطمأن نفسه وشحنها ببعض القوة والامل.. شرع يحفر أعمق وبهمة اكبر، وبين الفينة والفينة يستقيم ويرنو الى أغنامه، واذ يراها سارحة ترعى يعود الى اشباع فضوله المتصاعد وتلهفه المتعاظم الى معرفة الشيء المخفي في الحفرة..

وعندما غاصت أنامله في الاتربة



بسهولة أكبر، ترك عصاه جانباً وأخذ يحفر بكلتا يديه.. ولكنه سرعان ما توقف حين لامست أطراف أصابعه، أو أصطدمت بشيء صلب.. صلد.. فكر.. أهو حجر؟ صخرة؟ ماذا يكون ياربي..؟

سحب يده بسرعة وأرتد الى الوراء خائفا، أنتابه هاجس مفاجيء.. أنه..أنه.. رررأس..و.. قد يكون رأس أنسان. أنسان؟؟ وأرتعد.. وأخذ يرتجف.. ولكي يتأكد من هاجسه..أو..أو يقضي عليه ويلاشيه.. لم يجد بداً من أن يلمس الشيء مرة أخرى..فمد نحوه.. يداً مرتعشة..لا..لا شعر يكسوه..وو.. ليس ثمة نتوءات.. ولاتعرجات..أو..أو..انه..نه.. أملس..أملس تماماً.. حتى أكثر من الرأس الأصلع..أأيكون لأحد.. أبناء القرية..مـ ..مـ ..من مقاتلي البيشمه ركة؟

شعر بضيق شديد، وأحس بأنه يوشك أن يختنق.. وينهار.. فتماسك بصعوبة بالغة وأخرج رأسه من الحفرة.. وأستنشق الهواء ملء رئتيه.. وأنتعش نوعاً ما، ونسي ان يرسل نظراته خلف أغنامه كما أعتاد أن يفعل كلما أخرج رأسه من الحفرة.. سيطر عليه هلع شديد أيكون قد دخل مقبرة جماعية.. من المقابر التي تطبق على رفات العشرات من الشباب، في طول البلاد وعرضها؟ أيعني.. ذلك أن ثمة رؤوساً او او.. جماجم بشرية أخرى..؟

يتوجب عليه أن يخرج.. أن يغادرها ويسرع الى القرية.. ويعلم كل من يرى.. ليهرع الى مساعدته..

وفعلاً أستند على جانب

من جوانب الحفرة.. بكل ثقله الخفيف، فأحس كأنه يمسك بجدار..أو بقايا جدار مبني بشكل محكم.. اذن فهو..سو.. سوبير.. او..او.. موضع.. أو خندق.. وان من كان يحتمي به ويقاتل منه، قد قتل فيه.. وأنهالت عليه أتربة التلول المهشمة التي تحيط به..و.. وليس فيه سواه.. وقد يكون! من يدري؟ وأنى لي أن أدري..؟

سال "سيامند"، ذات مرة، كيف تقفون في العراء تحت وابل الرصاص. لسنا في العراء، أجابه حفيده، أننا نحفر في الارض، مثل حيوان الخلد، حفراً عميقة نختبىء فيها.. يعني.. يعني.. سوبيرات..؟؟ لا.. لا.. أصرّ الحفيد، خنادق.. هناك في الجيش يسمونها "خنادق".

اذن فهو الآن في أحد هذه الخنادق وأن أحداً ما مدفون هنا! وأنه.. أنه.. أقصد.. أن جثته قد تعفنت.. وهذا هو سر هذه الرائحة التي تقوى وتشتد كلما توغلت أعمق.. وربما هو أحد أبناء القرية التي كانت متسلقة سفح الجبل، والتي لاشتها الحرب المجنونة ودفنتها بكل من وما فيها، من بشر وشجر وأنسان وحيوان..و.. وقد يكون.. يكو.. يكو..

لم يجرؤ أن يقول حفيده.. الذي دفعته الحكومة، قبل ثلاثين سنة، الى المحرقة، لقد أنتزعه الكفار من أحضان عروسه، في الاسبوع الاول من زواجه، والقت به بين فكي رحى الحرب الطاحنة.. ولكنهم قالوا أن "سيامند" في الجنوب.. والجنوب هذا بعيد. بعيد جداً.. فما الذي أتى به هنا؟ أيكون قد فر من الجيش والتحق برفاقه البيشمه ركة.. مثلما فعل معظم شباب كردستان..؟

لا..لا..لا..

هز رأسه بعنف كمن يطرد ذبابة لحوحة التصقت بنقطة دبس على صفحة وجهه.. وهو يصرخ بأعلى صوته ويكرر لا.. لا..لا.. يريد أن يسمع الدنيا كلها صراخه ونفيه الجازم.. ولكن صوته المخنوق لم يغادر شفتيه ولم تسمعه حتى اذناه.. ومع هذا ظل ينفي عنه هواجسه السود بأصرار قوي مشوب بقلق وأضطراب..و.. وشك. لقد قالوا له أنه أسير وأنه سوف يعود ذات يوم، بعد أن تضع الحرب أوزارها..

وأنتهت الحرب، ولكن المآسي والفواجع التي خلقتها وخلفتها وراءها ماتزال حية قائمة في كل مكان لاتخلو منها بقعة واحدة.. والقتلى قد عرفوا.. والأسرى عاد معظمهم، وهم أشبه بموتى أخرجوا من قبورهم.. وبقي ثمة عدد غفير ممن أسموهم ب"المفقودين" من الذين ضاعوا.. مجللين بأوهام الآباء والامهات وآمالهم.. ودعواتهم.. أنهم عائدون ذات يوم.. بيد أن أحدا منهم لم يعد.. ولن يعود..

"سيامند" لم يعد ... وأبنه "شوان" الذي زرعه جنيناً في أحشاء زوجته قد غدا اليوم، بفضل الله وعونه، رجلاً.. وبعد بضع سنوات.. سيصبح طبيباً..و..و..اذاً؟

عاد يحفر برفق أشد.. ويزيح التراب بحنان أعمق.. عن الحجر.. أو.. أو الشيء الذي لمسته أنامله وظنه حجراً أملس.. برهبة وقدسية.. ذكرتاه بالحجر الذي لمسه ولثمه في الكعبة المشرفة.. وصلى في داخله، داعياً ومتوسلاً أن يعيد اليه حفيده وكل الاولاد الذين لم يعودوا حتى الان..سـ.. سالمين!!

أحتضنه بأنامله العشر بخشوع وهدوء.. وراح يقلبه على أوجهه ويمعن فيه النظر ويزيح عنه الأتربة بفيه وأصابعه بتأن وروية..آه.. ماهذا؟ م..ما..مـ..مـ.. ماذا أرى؟.. صعقه مارأى انه.. ذلك "الكلاو" الحديد.. الذي كان سيامند يخفي تحته رأسه.. كلما عاد الى الجبهة بعد أنقضاء اجازته القصيرة! و.. ماذا كان يدعوه.. ال..ال..خو..دا.. خودا.. لا..لا أستغفر الله ال.. الخوذة..أجل أجل

الخوذة..

اذاً.. فثمة جنـدي راقد هنا.. أو.. أو بالاحـرى جثتـه.. وهـذه خوذته التي خانته ولم تحمه من الرصاصة التي أخترقتها، فكر، وهو يتحسـس الثقب الذي دخلت فيه سبابته.

واصل الحفر والتنقيب بمزيد مـن الهـدوء والتأنـي والرقـة.. والحرص المتزايد في تجنب أي أذى أو خدش.. يمكن أن يسـببه.. لهذا الراقد المسـكين هنا.. الذي لابد أن يكون أحد الهاربين من أتون الحرب والعائدين الى كردستان للدفاع عنها وحمايتها.. من هجمات الاعداء..و.. قد يكون.. "سيامند".. نفسه الذي طالمـا حدثه.. بأنه سـوف يلتحق بكل تأكيد بالجبل.. أول ما تتاح له الفرصـة..او .. او ..يخلق الفرصة ..و ..و.. يهرب .

أو.. أو سـواه.. مالفرق؟ فكلهم سـيامند وكلهـم أولاده وأحفـاده وليكن من يكون، غريباً.. أو حتى عدواً.. فهو أنسان.. وحرام أن يدفن الانسان على هذا النحو المهين، تحت الاقدام وحوافر المواشـي والاوساخ والفضلات والقاذورات.

واذ تلمـس العظـام. أزاح عنها التراب بترو.. فبان الهيكل العظمي، الآدمـي، مجروداً، كمـا توقع، من الجلد واللحم. توقف مسـح بذيل عمامتـه البيضـاء دمعـه الـذي انحدر من عينيه وأختلط بالعرق المتصبب من جبينه، ثم راح ينفخ بفيه. ينفض عنه الاتربة المتجمعة في تجاويف الهيكل وثقوبه وحفره العديدة..

لا..لا.. أنه ليس «سـيامند».. حفيـده كان بـذراع واحدة.. لقد بـتروا لـه ذراعـه اليسـرى التي تهشـمت بعـد أصابته. قالـوا له انه الحل الوحيـد اذا اراد أن يحيا حفيده.. وأرغمـوه بعد أن تماثل للشـفاء ولمـا يبلغـه .. أن يلتحق ثانية بفصيله!.. اه.. هذا.. شخص آخر الذراعان سـليمتان. وها هما كفاه وأصابعهما العشـر.. وها هما سـاقاه..و..وما الـذي جـرى لك ياولدي؟ لعن الله القتلة أينما كانوا وقطع دابرهم في كل زمان ومكان بجاه كاكه احمدي شيخ..

لمـح وهو يرفعه شـيئاً تحته يلمع اذ تسقط عليه أشعة الشمس الآيلـة الى الغـروب، تناوله. نفض عنه التراب.. انه كيس مصنوع من نايلون شفاف.. فيه أوراق مكتوبة ظلـت نظيفـة وسـليمة. أخفى الكيـس والاوراق في «عبـه» لابد أن فيها شيئاً.. وشـيئاً هاما ولهذا حرص عليهـا الرجل هذا الحرص الشـديد.. سـيعرضها على شوان حين يعود من السـليمانية حيث يدرس في الجامعة..

كفرة! كيف يرمى الميت هكذا .. بلا كفن.. ولا..

قـال ذلك.. وهو يلفه بالقماش الـذي يشـده علـى رأسـه.. ولم يكتفي بذلك فقط، بل شرع يفك القمـاش الطويـل العريـض الذي يتحـزم به و يلفّه حوله .. واعاده الى الحفرةحريصا ان يجعل رأسـه بأتجاه القبلة.. ثم أخذ يهيل فوقه التراب برفق.. حتى أمتلأت الحفرة وعلـت عن مسـتوى الارض بعض الشـيء.. فغرز حجرا عند الرأس وآخر عنـد القدمين..وبسـمل.. وقرأ "الفاتحة" ثـم صلى وقوفاً.. صلاة الميت علـى روحه.. وتوجه نحو أغنامـه بعد أن رأى الافق قد أصطبغ بلـون أحمر فاتح، لايلبث ان يتلاشـى.. ويحل محله سـواد الليل.. وعليه أن يعيد المواشـي الى بيوتها.. قبل حلوله.. ويسـرع الى البيت قبل عودة شوان من الكلية.. ليهيىء مايأكلانه.

التقـط عصـاه.. وسـار نحو الاغنـام.. واضعاً كفه فـوق قلبه حيث الاوراق. لم يسـر سوى بضع خطـوات، حتى مـلأ اذنيه صوت أنهيـار شـيىء، فجمـد في مكانه وكان أول شـيىء بـادر الى ذهنـه أن القبر الـذي أقامه قد أنهار..أو.. أو.. تفلـش، ولم يجـرؤ أن يلتفت فقد تلبسه رعب شديد، أنبثق من داخله، أهتز له كل كيانه وأرتجف حتى أن العصا قد سقطت من بين

أصابعــه التي كانت تقبض عليها.. ررررربي..رررررحمتك!!

ذلك كل ماأستطاع لسانه نصف المشلول أن ينطق به بصوت أخرس لـم يغادر جـدران فمــه.. حانت منه التفاتة مشـوبة بالخوف وهو ينحني لالتقاط عصاه.. فرأى القبر علـى حالــه، حتى أن الشـاهدين مايزالان في موضعهما.. كما زرعها قبل قليل.

تغلب الى حد ما على مخاوفه.. وعــاد الى القــبر.. دار حوله.. كل شـيء كما تركه.. اذن ماذا جرى؟ مــاذا كان ذلك الصــوت..؟ لعله.. لعلــه.. توهــم.. أجــل.. لابد أنه توهم...او...او...او ...

أســرع يصعد نحو أغنامه التي كان بعضها قد أعتلى الجبل.. بيد أن صوت الانهيار غزاه مرة أخرى.. أقوى وأشــد.. فأرتعب وسقط على وجهه.. ومن فرط خوفه اسـتمد قوة مؤقتة فنهض بسرعة.. وأطلق سـاقيه للريح.. وحــين صار على مبعدة.. حسب أنه قد نجا.. توقف لاهثا، متقطع الانفاس.. فرأى هذه المرة بوضــوح.. ويالهــول مارأى.. رأى كل مخاوفــه متجســدة أمــام ناظريه.. رأى بــأم عينيه الهيكل الآدمي، خارج القبر متجها نحوه.. سـائرا في الهواء.. خطوات واسعة.. لاتمس قدماه الارض.. وهو يشـير اليه بكلتا يديه السـليمتين.. بل.. بل.. وسمعه.. سمعه بوضوح، ملء أذنيه.. يصيح به:

"أوراقي.. أوراقي.. أوراقي".

جوفه الخـوف وفقد كل قدرة على السيطرة على نفسه، تشابكت رجلاه، كأنهما شـدتا الى بعضهما.. أو التصقتا ببعضهما.. وصارتا كتلة واحدة ثقيلـة. لا تتحرك.. لثوان معــدودات.. أو ثانية واحدة.. ظل يحدق به بعينيين جامدتين.. من زجـاج.. لاتتحركان..لاترمشـان.. لاتنغلقــان.. وفي لمـح البصر صار الخوف صخرة سقطت عليه، فقدت سـاقاه القدرة على حمـل هيكله الفارغ الهزيل.. فتهالك على نفسه وتسـاقط على بعضه.. وأسـتحال كــرة تتدحرج من علٍ الى أسـفل الجبل بسرعة شديدة.. كما لو كان حزمة عاكول وحشائش متيبسة.. ركلتها عاصفة هوجاء.

لـم يسـتطع "مام ويـس" أن يتوقف في انحداره من على سـفح الجبل.. الا بعد أن أصطدم بأجمة كبيرة كثة من أعواد القصب الطرية والاعشـاب النابتـة علـى حافات "كاني سور" ولولاها لاقتحم القرية أمام أنظار الجميــع.. وهو مايزال يتدحرج مثل كــرة مصنوعة من الخــرق.. تركلها قدم خرافية غير مرئية..

أنتصـب واقفـا علـى قدميه بسـرعة غريبـة، متحامـلا على آلامه وأوجاعه التي لم يشـعر بها للوهلـة الاولى.. فقد عطل الرعب الذي شـمله.. من أن يكون.. الميت يلاحقه احساس فيه.. واذ غامر مرة أخرى وجـازف بالالتفاف الى الوراء.. ولم يرَ سوى أغنامه تنحدر نحوه..تتبعه.. كما أعتادت أن تفعل كلما حان وقـت العودة الذي باتت الحيوانات تعرفه غريزياً.. أطـمأن "مــام ويس".. وسـرى في روحه المرتعدة وهيكله الناحل المرتجف.. خيط من الراحــة.. واعتقاد غير راسخ تماما" بأنه قد نجا..او..او.. ربما يكون قد نجا.. كما كان يأمل ويدعو في سره..و..و..ولكن..ولكن؟ مــاكان ماجــرى؟ و..وهــل جرى ماجرى وحدث ماحــدث.. فعلاً.. وحقيقــة..؟ أم..أم.. قــد توهـم كل ذلــك..وأن.. أن مخاوفــه قــد خلقته له؟.. ربما..ربما..كان الامر كذلــك.. وطاب له أن يملأ نفسـه بهذه القناعة.. بعض الوقت..

بيــد أنه لم يلبـث ان أنتفض علــى نفســه. فأنهــارت قناعتــه ومــاكان يشـحن بــه نفســه من أوهام.. وهو يــكاد يزعق.. ولكني رأيته وسمعته.. رأيته ملء عيني وهو يشير الي..وسمعته ملء أذني وهويصرخ..أوراقي..أوراقــي.. أوراقي..لقد..لقــد.. كــرر نداءه.. ثلاث مرات..لامرة.. ولامرتين..

ترى مــاذا في هــذه الاوراق..؟

لـــ ..لـــ لعنـــة؟..أم..أم رحمـــة..؟ و..وهل.. ينبغـــي أن أعيدها..الى.. الى..

خشـــي أن يقول اليـــه.. أو الى صاحبها.. وقال "الى هناك".. ولكن أنى لـــه أن يقـــترب مـــن "هناك" والرعب مايزال يملأه و يتشعب في داخلـــه أخطبوطاً خرافياً بملايين الاذرع .. (لـــ ..لـ .. ليس قبل ان يراها شـ ..شـ.. شو .. شوا!!!! ...)

و قطـــع حـــواره الداخلـــي .. سؤال حادّ مثل السكين .. أخترقه من مجهول معلـــوم .. ملـ .. ملـ .. ملعـــووون «أ ..أ ..أ كان.. بـــ ..بـ ..ذراعين.. ام بـــذراع.. وا..وا.. وا ... «و شـــلّه الرعب مـــن الجواب المريع الذي حدســـه و الذي ترتعد لـــه فرائضه .. وكل ذرة من ذرات جسده الشائخ المفتت تفزع منه و لاتجرؤ على مواجهته .

أستحال لســـانه في جوف حلقه كتلة رصـــاص تابى الحركة ..و لم تلبث الحالة ان تلبســـته من قمة راســـه حتى أخمص قدميه .. و صار جسمه كله رصاصاً مكوّما ..لا تندّ منـــه حركة و لا نأمة و لا رعشـــة .. و أســـتحال في جلسته القرفصاء صخـــرة تدحرجت من أعلى الجبل .. و استقرت قرب نبع المـــاء .. لا ينبض فيـــه عرق ..و لا ترمش له عـــين ..و لا يصدر منه ســـوى أنين خافت يعجز عن بلوغ أذنيه هو ..

شرعت الخراف تتدحرج و هي تنحدر من الجبل ، متسارعة تزاحم بعضها بعضاً .. اذ أدركت بغريزتها ان وقـــت العـــودة الى حظائرها قد حـــان .. بيـــد أنهـــا توقفت عند «كاني سور» كما أعتادت كل مساء ، تعـــبّ المـــاء ..و تلتهم الاعشـــاب الطرية النابتة عند الحافات

و بعـــد ان شـــبعت و ارتوت.. تيممـــت شـــطر القريـــة .. ولكنها تباطأت و توقفت عند «مام ويس» منتظـــرة ان ينهـــض و يقودها الى بيوتها ..غير ان «مام ويس» ظل في جلسته الجامدة ، يرنو الى حيواناته بعينـــين من زجـــاج ، بلا لون و لا شـــعاع ، مما دفعها ان تقترب منه ، تحسسه بان وقت العودة قد حان .. و لكن «مام ويس» ظل في ســـكونه الغريب غير حافل بها ..فاضطرت الحيوانات ان تتولى أمورها بانفسها فعادت أدراجها سالكة الطريق التي أعتادت ان تسلكها ..الى القرية ..ثم تتفرق اذ تبلغ بيوتها .. هارعة الى حظائرهـــا ..و هي تطلـــق ثغاءها ..كانها تعلن عن تخلف راعيها .. و تبلغ الناس الرسالة ..

[غرفـــة متداعيـــة الاركان محروقة الجدران. شـــوان في جمع من الناس. يجلسون القرفصاء على الارض. يصغـــون اليه، مشـــدودين بأنتباه شـــديد، الى مايقـــرأ. "مام ويـــس" مطـــرق صامت،جامـــد، لايحرك ســـاكناً.. كمن غابت عنه الروح. ولم يعد ســـوى هيكل فارغ من كل شـــيء. بينمـــا تصدر من الآخرين آهات وتأوهات..وحركات. حسب مقتضى الحال]

مدينـــة عامـــرة، تســـري في مفاصلهـــا حيـــاة شـــاملة. حركة دائبـــة.. ناس غـــادون ورائحون.. أشـــجار باســـقة..حدائق زاهيـــة. عصافير تزقـــزق. طيـــور تغرد.. الخ..الـــخ.. الكل في مـــرح وبهجة.. فجأة يطبق عليها ظلام.. يســـبقه هدير طائرة مسرعة جداً.. يصيب الكل ذهول.

تتوقـــف الحركـــة.. يشـــمل الجميع رعب وترقـــب. ثوان يعلو الهديـــر بصخب عال. مرة أخرى.. تعقبـــه ثـــلاث طائـــرات، تتهادى، وهي تحلـــق على منخفـــض تكاد تصدم الاشـــجار والبيـــوت. ترش بكثافة مســـحوقاً أبيض، ســـرعان مايتشـــكل على هيأة غيوم رملية، بنية، رمادية.. تتصاعد الى الأعلى كتلا مجســـمة. يطبق على المدينة ظـــلام كثيف.. ثم يخف وينقشـــع رويـــداً رويداً.. يغدو الناس في هلع وذعر شديدين يتراكضون بمختلف الاتجاهـــات والســـبل.يصطدمون ببعضهم..بالجدران..بأعمـــدة الكهرباء..بالمركبات المتوقفة، بكل مايصادفهـــم.. يتســـاقطون علـــى

بعضهم.. كذلك تغدو الطيور والمواشي.. في فزع هائل.. الكل يتكوم على الكل.. تصحب كل ذلك أصوات أستغاثة وصراخ وعويل، من كل حدب وصوب، مختلطة ببعضها.. الاشجار وحدها تبقى واقفة لثوان.. ثم تتهاوى على عروشها كأن نيرانا بركانية تلتهمها.. ثم تلفظها.. كتلا من الفحم.. وتنفخها هواء أسود وغيوماً داكنة واذ ينكشف الظلام بعض الشيىء.. تبدو سائر الموجودات من بشر وحجر وطير وشجر.. قد غدت أكواما من الفحم.. وتفترش المدينة جثث مقطعة الاوصال وحيوانات نافقة وعصافير محترقة.. لقد فرغت المدينة، التي كانت قبل دقائق ضاجة بالناس والحركة. من كل معلم من معالم الحياة..تماماً.

تظهر كلبة عمياء حبلى، تلهث، تفاجئها آلام الولادة، تتخبط على غير هدى.. تصطدم بأحدى أكوام المحروقات المتفحمة.. تحتمي بها.. تطلق عويلاً حاداً متواصلاً. تتلوى تقذف جراءها، خمسة جراء صم بكم عم. تتزاحم على التعلق بأثداء الأم.. التي تظهر عليها الراحة بعد العناء الشديد. تلطع جراءها بحنان. تغسلها بلسانها. تستكين لحالة الرضاعة. صوت قذيفة هائل.. تتفرق الجراء عن الام، تتشتت. الأم تبحث عنها كالمجنونة. هنا وهناك.. تصطدم بالاكوام.تسقط. تنهض.تسقط. تركض.. تصدر أصواتاً خافتة.. الجراء تبحث ، هي الاخرى ، مضطربة مرعوبة عن الأم.. تصطدم ببعضها..تنهض..تدور في دائرة ضيقة.

الأم لاتتوقف عن النحيب والبحث. تضيع خلف أحدى الاكوام.. وهي تئن أنيناً موجعاً.. متواصلاً..

يظهر عسكريان بملابس مرقطة. مدججين بمختلف أنواع الاسلحة. بندقية رشاشة.رمح. سيف.بضع قنابل..الخ..

الاول: (يفتش هنا وهناك، بشراسة) أما يزال ثمة أحياء في هذه البلدة المذبوحة..(يطلق رشاشه في كل مكان ويواصل البحث).

الثاني: (يرى الجراء متكومة على بعضها.يهرع نحوها بلهفة) الله!! جراء.. مواليد اليوم وربما الساعة (يرفعها بحنان) آه.. انهن عمياوات.. ياالهي. (يمسح عليهن برقة) سأخذهن لولدي (يضعهن في حضنه. يدخل أصبعه في حلق جرو).. جوعان..آه ماأشد جوعه!! ألم تطعمك أمك (يتلفت) ولكن أين هي؟ ماذا حل بها..؟

الاول: (يهجم على زميله بجنون أهوج. يركله بقسوة. تتساقط الجراء على بعضها)، ماهذا يارجل؟ هل أنت مقاتل صنديد أم حرمة مرضعة؟ (يصلي الجراء كلها برشاشه. يعلو أنين الأم الموجع، أشد مايكون وجعاً) هيا.. هيّا..نبحث عن أحياء آخرين!!

الثاني: (بالم وحزن) أحياء؟.. لقد أحترق حتى الجبل..

الاول:(بهياج أشد) جبل.. حجر..شجر..ماء..هواء..كلها أهداف.كل شيىء في هذه المدينة الخائنة هدف (يهم الثاني أن يتكلم. يسدد نحوه رشاشته) أخرس. تلك هي الاوامر.. لاهمسة من مخلوق. ولانسمة من هواء. كل شيىء ينبغي ان يموت.. أن يتوارى من الوجود هيا..هيا (يدفعه أمامه بعنف، يعود يسحق أشلاء الجراء المقتولة ببسطاله الضخم)

أنين الكلبة يعلو. تخرج من مخبأها.. تزحف بحثاً عن أولادها.. تعثر على كومة أشلاء مسحوقة.. يستحيل أنينها عويلاً ونحيباً وبكاءً فاجعاً.. تجمعها بيديها.. تدفعها تحت أثدائها.. تظهر أتان عمياء.. تصطدم باكوام الفحم تتراجع.. يدخل جحش صغير. مولود لتوه.. يتحامل بصعوبة بالغة على قوائمه القصيرة الهزيلة يلهث متقطع الانفاس، يبحث على غير هدى عن أمه.. انه هو الآخر

أعمـى.. الام تنهق. تناديه من غير جدوى.. صلية رشاش قوية تصيب الاتان. تسقط. مضرجة بدمائها.. تتخبـط هنيهة في بحـيرة الدم.. ثم تخمـد.. الجحش يسـقط هو الآخـر، على مقربة مـن الكلبة.. تزحف الكلبـة نحوه.. تضع ثديها في فم الجحـش.. الجحش يرضع.. ينتشـي.. تدب فيه الحياة. الكلبة تتمسـح به برفق.. تلطعه برقة.. تنتشي.. هي الاخرى..

الثانـي: (يدخـل في هيـاج شديد، شـاهراً رشاشته.. يطلق في الاتجاهات كلها) لقد أصبته.. بحمد الله وفضله.. أصبت هدفاً..

الاول: (يتبعـه بألـم وحزن) حيوان.. أنه مجرد حيوان مسكين (يقف عند بركة الدم)

الثانـي: (في هيجانه) حيوان.. أنسـان..نبات..جماد..حي..ميت.. الـكل هـدف (يواصـل بحثـه في جنـون) أين هو؟ مـاذا حل به؟.. أخشى أنه مايزال يتنفس. ينبغي الاجهـاز عليـه قبـل ان يهـرب ويعـود الى صفـوف الأعداء..أيـن هو؟ أين (يطلق رصاصاته بصورة عشوائية)

الاول: (يندفـع نحـو الجحش، بتعاطف) آه..ياالهي..ماأغرب هذا!!.. كلبة ترضع جحشاً.. قادر على كل شيىء قدير..آه..والجحش..الجحش الصغير..ماأجمله..سـأخذه هدية لولدي..

الثاني: (بحدة وتهور) لن تأخذ شيئاً حياً من هذه المدينة المقتولة.. كل شـيىء فيهـا الى الفنـاء.. كل شـيىء الى الدمـار.. كل شـيئ الى الاندثار (يصلـي الكلبة والجحش برشاشته، تتدفق دماؤهما تختلط بدماء الاتان.. (يملأ كفيه.. بالدم .. يعبه بشراهة ونشوة..ينهار الاول.. يهم أن يتكلم تسبقه دموعه).

الاول: (مـن خـلال دموعـه) ح . . ح . . حيو . . ا نه . . أ نـه . . مجرد..ح..ح..ح..

الثاني: (يركله بقوة) أخرس.. تبلـغ بـك الوضاعـة.. أن تندب حيوانات العـدو.. هل أنت محارب بطل أم حرمـة ندابة..هيا..هيا.. نعثر على أهداف أخرى..

الاول: (منهـاراً) اخرى؟ وماذا بقي في هذه المدينة البائسـة التي احترقت حتى مياهها.

الثاني: أشـياء وأشياء.. أهداف وأهـداف.. كل حي أو ميت هدف.. متحـرك أوجامـد هدف..الضحك هدف..البـكاء هدف..هيا..هيـا.. لاتتخاذل (يدفعه أمامه بوحشية.. يعـود يصلـي الجثـث بصليـات عديدة..تتطايـر اللحوم المثرومة والعظـام المفتتـة في كل مـكان.. يلتقـط بضـع قطع مـن اللحم.. يلتهمها بلذة عارمة..يخرج)

[الغرفـة المحروقـة.. وجوم وذهول يطبقان على الكل.. يبدون أشـبه بموتـى خـارج قبورهـم، لاصـوت، لانأمـة، لاحركة، جمود تام، أحدهم يمزق الصمت..يتبعه آخرون]

ـ ماهذه الاوراق؟

ـــ أوراق؟ أهـي أوراق. انهـا قنابل.ألغام ..سـكاكين.. تجول في أحشائنا.

ـ (صوت هـادىء) مرايا..انها.. مرايا..

ـــ تحطمت أعصابـي .لم أعد اطيـق المزيـد. أنـا خارج..خارج أتنفس هواء قبل أن أختنق؟

ـ (صوت مفجوع) كف ياشوان. كـف عن ذر الاملاح على جروحنا الندية التي لم تندمل

ـ (صوت أقـوى) ولن تندمل.. واصل شـوان واصل. ضعنـا امام أبصارنا وأنفسنا .. عراة..عراة..

(شـوان يعـود الى تقليـب الأوراق...واذ يسود الصمت.. تعلو خرخشة الأوراق)

عـراء. لاشـيىء فيـه سـوى مرتفـع مـن الارض علـى شـكل دائرة غير منتظمة. تتوسطه كتلة بحجم مناسـب. فوق سطح دائري

متحرك. يدور حول نفسه ببطء أو بسرعة حسب المطلوب. وتدور معه بالضرورة الكتلة. التي لايمكن تحديد شكلها. يتسلط ضوء قوي عليها. ثم يبهت. يتغير الضوء، تتغير تغيرات عديدة وتتلون الواناً عديدة مألوفة وغريبة.. تتغير معها أشكال الكتلة وتتبدل.. تتخذ صوراً شتى. وهيئات مختلفة عديدة متباينة جداً. فتنفذ داخل في نفسه. أشواكه رماح وسيوف وسكاكين وخناجر. ثم شجرة بلوط كثة الاوراق والاغصان كثيرة الثمار والعصافير.. فجأة تتساقط الاوراق والاغصان.. العصافير تحترق في أعشاشها.. بعضها يتطاير.. تلاحقها السنة النيران.. فتتساقط محروقة.تغدو الشجرة تنوراً مسجوراً تتصاعد منه روائح خبز محترق.. سرعان ماتستحيل الى روائح أجساد بشرية. شبح ما.. ضخم هائل الضخامة يلقم النيران المزيد من البشر، أطفال. نساء.رجال.شباب.شيوخ الخ.. الخ.. يصبح الشبح مجموعة جرذان تلتهم اللحوم المحترقة.. يتحول التنور الى قبعة عسكرية. خوذة. بيرية. كاسكيت. سدارة. ثم عمامة سوداء. ثم خضراء. بيضاء. حمراء. صفراء.. ثم جراوية.. ثم الى عقال..شدة رأس نسائية.. جبة ملالي..عباءة للجنسين..أمرأة عارية ترضع طفلاً، آية من الجمال، من ثديها الوحيد.. الذي هو قذيفة هاون ضخمة نابتة من منتصف صدرها. تعصر ثديها القذيفة، بأصابع طويلة، خارجة من يد آلية، يتدفق منه، بدل الحليب، نفط أسود، داكن ثخين مثل القير المصهور.. تتقدم فأرة بوجهين، أحدهما للعسكري الاول والآخر للعسكري الثاني.. تنتزع الطفل من المرأة التي تعيط وتولول.. بصوت أشبه بقراع السيوف.. العسكريان يشقان الطفل الى شقين .. كل فم يمضغ ويفترس أحد الشقين. يسيل من الطفل دم غزير جداً.. يستحيل الى بحيرة مليئة بأسماك ملونة زاهية توشك أن تختنق.. تطل بروؤسها من البحيرة. تتحول الرؤوس الى وجوه بشرية وحيوانية، بأسنان طويلة حادة.. لاتلبث أن تتطاحن فيما بينها، بلا سبب ظاهر، تتساقط الاسنان من الأفواه. يبرز شيخ أدرد.. يلتقط أفاعي بروؤس ضخمة.. يلقيها في جوفه، الذي يشبه مغارة عميقة الغور.. بيد.. وبالاخرى يقبض على مجاميع من جراد أخضر وأسود.. ثم يطلقها على رجل أنيق جالس الى مائدة عامرة، يحتسي الخمر.. يحيط به الجراد، يشاركه الوليمة. وهو يهش ويبش.. واذ تفرغ محتويات المائدة، يقضم الرجل القناني والكؤوس ثم يهجم عليه الجراد ويفترسه ويلاشيه. ثم يتطاير أسراباً..أسراباً.. تسد الافق . تستحيل الكتلة الى جردل تقفز منه عقارب وثعابين وزنابير وفراشات ملونة وطيور الحب وبلابل مغردة. ثم تتحول الى دبابة عملاقة تطلق قذائف وصواريخ بكل الاتجاهات. أصوات مبان تتهدم..تنهار..تتخللها صرخات وأصوات بكاء ونحيب.. تختلط معها أنغام موسيقية صاخبة جداً. وغير متناسقة وفي نشاز مقرف. مؤذ للأعصاب والذوق.. ثم تصفو وتصبح سيمفونية رقيقة (بحيرة البجع مثلاً) تظهر كائنات جميلة.. رقيقة.شفافة. بألوان زاهية.. ترقص بجمال أخاذ وأداء رائع.. ثم تتحول فجأة الى خنازير مجللة بغائطها وقاذوراتها يسحق بعضها بعضاً بعدوانية وشراسة.. وشبق. كأنها تمارس هواية من هوايتها المحببة، أو طقساً من الطقوس البدائية.. التي يجب عليها أن تؤديها.. وتمارسها بطاعة تامة.. تتحول الكتلة الى طبل ضخم يضرب عليه مجموعة من أكلة لحوم البشر. بعظام الارجل والاذرع المجرودة من اللحم.. يتمزق الطبل.. فتتقاتل.. المجموعة بوحشية.. يفترس بعضها بعضاً. يأكل الكل الكل.. ثم تتحول الكتلة الى كرة

ضخمـــة، ترتســـم عليهـــا خارطة العالم بأسره.. بالألوان الطبيعية.. تـــدور حول نفســـها بســـرعة. ثم تنقســـم الى نصفـــين متســـاويين تماماً.يدخـــلان في صـــراع دموي وقتال ضار فيمـــا بينهما. يتفتت كلاهما الى أجزاء صغيرة.. تتحارب فيما بينهـــا بضراوة ووحشـــية.. تفنـــى الاجـــزاء كلها.. وتتســـاقط أشلاء متقطعة.. تتماسك فيما بعد وتستحيل الى أجنة في أرحام.. تشبه بالونات الهـــواء، نفاخات الاطفال. ترتفـــع فوقهـــا أعـــلام دول العالم كلها. ســـارياتها مغروزة في جماجم بشرية..وحيوانية معاصرة،غزلان. يمامات. أسود. نمور. ومنقرضة.. ديناصورات..ماموثات..خراتيت.. الخ..الخ..مرسومة عليها (الاعلام) صور الرؤساء والحكام والملوك في ســـائر الدنيا.. منذ عصور ماقبل التاريـــخ.. حتـــى اليـــوم ومابعد اليوم.. الى جانب المجرمين والقتلة والســـفلة وصور الانبياء والرســـل والاوليـــاء والحكمـــاء والفلاســـفة والفنانين والشعراء والثائرين، على مر التاريخ، مؤطرة بزهور في غاية الجمال والرقة.. مختلطة بالاشواك والعاقول والاحراش السامة.. تعتلي كل ذلـــك ســـحائب وغمائم تتراءى خلالهـــا الالهة من أقـــدم الازمنة.. ووســـطاؤها من الأنصاب والاصنام والاوثان.. وفوق كل أولئك غمامة داكنة، متشـــكلة على هيـــأة كائن خرافي، لم يـــر أحد له مثيلا قط، جانب منه يمثل وجه كيوبيد(اله الحب) يحمل ســـيفاً يســـيل دماً.. تتســـاقط منه الجماجـــم. الجانب الآخـــر منـــه.. لمخلـــوق في غايـــة البشاعة والقبح.. ومرعب الى ابعد حد.. يحمل بيـــده غصن زيتون.. ويلوح به بحماس..

صوت: «مضخم جدا» أوراقي.. أين أوراقي؟ (تتردد الصدى) راقي.. قي..ي..ي..ي.

(يقتحـــم الهيكل المجلس. دون ان يعرف احد كيف دخل .. او من اين .. يصيب الجميع شلل في العقل والفكر واللسان)

الهيـــكل: أمـــا تزالـــون قابعين هنـــا؟ يانفايات المزابـــل الموبوءة؟ ياقـــاذورات البالوعات المجرثمة!؟! مأأنتم؟ أحيـــاء بلا أرواح ولادماء؟ أبـــول عليكم جميعاً (يمد يده الى منتصفـــه يريد أن يبـــول عليهم فعلاً.. ولكن لاتنزل قطرة) فارغة.. مثانتي نشـــفت.. لقد رشحت به، قبل هنيهة، وجـــه القمر المجدور القبيح الذي مايـــزال، على الرغم مـــن كل شـــيء، يرنـــو الى العالم بوقاحـــة ولايتوارى خجلاً.. ولكن لـــدي مايليق بكم.. وتســـتحقونه بجدارة (يبصـــق عليهم) تفووووو عليكـــم.. تفوووو (تـــتردد الصدى بقـــوة وصخـــب مـــن كل مـــكان) تفوووووووووو.....

(يخـــرج مثلمـــا دخـــل ..دون ان يعرف أحد كيـــف .. أو من أين ..يظل الجميـــع في جمودهم التام ..يبدون مجموعة جثث ..في مقبرة جماعية ..)

صـــوت خافـــت.. مرتجـــف .. مفتت:

- أ.. أ..أ..كان ..بـــ ..بـــ..ذرا ..عـــين .. ا ..ا..أ..م ..بـــ ..بـ..ذرا .....



مساهماتية النص التجريبي في «قصرحية» محي الدين زنكنه «أوراقي!!!»



جمالية العنونة:

تشير العنونة (أوراقي!!!) التي اشتغل النص عليها إلى عائديتها للمتكلم بدلالة ياء التملك التي ينتقل أثرها، وفعلها منه إلى قارئ النص فيدخل في شراكة معه توحدهما مع أفكار المؤلف التي تمارس دورها ألتوثيقي من خارج النص. كما تشير- فضلا عن وثائقيتها - إلى حدوث فعل التعجب حد التساؤل عن سببية تشكله مضاعفاً منذ البداية. فأي الأوراق يمكن أن تثير تعجباً مضاعفاً إن لم تكن على درجة قصوى من الأهمية؟

ترتبط العنونة (أوراقي!!!) بالإهداء (إلى هەلەبجە، جيرنيكا العصر) برباط التوضيح المتبادل من خلال قوة التشبيه بينها وبين المهدى إليه (هەلەبجە) وبين هەڵەبجە والمشبه به (الجرنيكا). ولم يغفل الكاتب الإشارة إلى عصريتها حين الصق بالمشبه به مفردة (العصر) لتعود العصرية على هەلەبجە من خلال (الجرنيكا). وتوكيدا للتشبيه والاستعارة جاءت جملة الكاتب: «جسدي الذي مزقته القنابل والسموم» لتحصر المدينة بين قوسي (القنابل والسموم)، وهي أسلحة فتاكة ومدمرة لكل كائن متحرك على الأرض التي عفرت وجهها المساحيق أو السوائل الكيميائية.

(هەلەبجە) إذن أخذت من (الجرنيكا) رمزيتها وتماثلها لتصير بها رمزا عصريا من رموز الإرهاب والخراب والدمار والسعار والجينوسايد. ومن خلال جملة الإهداء الثانية (وإلى كل بقعة احترقت، وتحترق، بأنفاس الديناصورات المعاصرة التي لما تنقرض) يتضح بشكل أكيد، ومباشر أن تلك الأوراق إنما تعود إلى مدينة أحرقت بنيرونية معاصرة لما تنقرض بعد.

إلى هنا يمنحنا الإهداء اضاءاته المهمة التي تقرّب صورة الجلاد (الدكتاتور)، والضحية (هەلەبجە) من صورة المكان الذي كتبت الأوراق من أجله موثقة حدوث الجريمة الكارثية (المأساة) التي سنرى كيف امتد أثرها إلى الزرع والضرع و..و..الخ..

وعلى هامش العنونة نجد توقيع الكاتب مسبوقاً بما يحدد جنس نصه الأدبي والفني في آن (قصرحية) ومن طبيعة المفردة نستنتج أن الكاتب بإزاء كتابة جنس تجريبي يجمع بين القصة القصيرة، وهو احد كتابها، وبين المسرحية، وهو أحد روادها بطريقة تذوب معها الفواصل والعوازل بين كلا الجنسين فيصبح الجنسان مدخول أحدهما بالآخر، وهذا هو بالضبط ما سنؤكد عليه في

اشتغالناعلىنص(القصرحية).

تقنية القص:

يبدأ الكاتب قصته بالفعل (عثر) ليلفت انتباهنا إلى المعثور عليه (فوهة حفرة مطمورة) لا نعرف ما المطمور فيها، ولهذا نجدنا نواصل البحث عن سر دفائنها عن طريق (الراعي) وهو شخصية القصة وراوي أحداثها وحلقة الوصل التقليدية بين عالمي المدينة، والطبيعة التي أخضعت لتغييرات قسرية بوسائط مختلفة بحسب قوة تأثيرها وجهنمية ذلك التأثير عليها.

النص القصصي إذن جملة فعلية (الجملة الفعلية بحسب نحاة العربية هي التي تبدأ بفعل ما) بحكم استباقه بفعل ماض (عثر) يشير إلى قيام الفاعل بكم من الحركات لبلوغ غاية أو هدف هو داخل القصة الوصول إلى السر.

قد يعترض علينا معترض ما مدعياً أننا تجاوزنا التعريف النحوي الذي اقتصر على جملة واحدة لا أكثر، وهو غير خاطئ في هذا لأننا استعرنا تعريف النحاة فعلاً، ولكننا لم نتوقف بحدود التعريف حسب بل مضينا إلى اعتبار النص جملة واحدة على وفق نظرتنا إلى أن الكل يساوي مجموع الأجزاء، وعليه فان كل الأفعال والحالات والأحداث التي روتها الشخصية الرئيسة تصب كأجزاء في مصب الفعل الرئيس (عثر) والذي لولاه لما وجدت تلك الأجزاء فعلا. لنعاين الأسئلة الآتية أولاً:

١. هل كان يمكن للنص أن يسترسل في السرد لو لم تكن الحفرة موجودة؟

٢. هل كان الحديث عن السر الدفين ممكناً لو لم تكن الحفرة موجودة أصلا؟

٣. هل كان الحديث عن الحفرة ممكناً لو لم تكتشفها الشخصية؟

٤. هل كان إطلاعنا على تفاصيل الأحداث ممكناً لو لم يكن السر موجوداً؟

٥. هل كان يمكن لمواقفنا أن تتبلور لو لم يقع داخل النص ما وقع؟

هذه الأسئلة وأخرى غيرها افترضت أن القارئ مطلع على فحوى قصة النص. وان بامكانه استنباط واستقراء، وان بشكل أولي، حالات النص جملة وتفصيلا. إننا إذن إزاء جملة أفعال حركية مثل:

«سحب يده بسرعة وأرتد إلى الوراء خائفا»

أو مثل:

«أستند على جانب من جوانب الحفرة»

وأفعال توصيفية مثل:



«كلما حفر أعمق صارت الحفرة تستجيب له أسرع وعمقها يزداد أكثر»

أو مثل:

«شعر بضيق شديد، وأحس بأنه يوشك أن يختنق»

في المثالين الأولين تبدو حركة سحب اليد، وارتداد الجسم إلى الوراء،واستناده على جانب الحفرة واضحة ومحسوسة ومرئية إلى حد ما. بينما لا نلمس حركات المثالين الآخرين إلا من خلال البوح بها ووصفها، وان انطوت على حركة داخلية غير مرئية يمكن لمثل الدراما فقط إظهارها على خشبة المسرح ولكننا هنا بإزاء فعل القص حسب. ولما كانت الأفعال الحركية مهيمنة على مفاصل القصة ومطباتها اتسمت القصة بسمات

هي أقـرب إلى حركية الدراما منها إلى سكونية السـرد. ومن السهولة بمـكان اسـتنتاج ما لهـذا النص القصصي مـن قـدرة كامنة على التحـول إلى الدراما كميزة امتازت بهـا أغلـب إن لم اقـل كل قصص محي الدين زنكنه القصيرة.

إذا سـلمنا أن الفعل هو حركة لإشـباع رغبة أو الوصول إلى هدف كما يحلو للدراميين تعريفه فاننا نسـتطيع أن نختصـر القول في أن غاية الفعل (عثر) هي الوصول إلى الحفرة لكشف السر. إلا أن الاختصار لا يعني الاسـتغناء عـن مفردات النص التكميلية، والاسـتطرادية، ومـا ينتـج عنهـا. ثمة عشـرات الجمل الفعليـة، والتوصيفية لكل منها غرضاً أو هدفاً يصب في بلورة المعنى العام لنـص القصة، ويعمل بطريقة مسـاهماتية على تحقيق فائدة مضاعفة في هـذا الحدث أو ذاك. وان اغلب هذه الأفعال ـ ضمن مراحل تطورهـا ـ تعمل بطريقة تشـويقية تمسـك باهتمام القارئ مغرية إيـاه بالتطوع ذاتيا لمتابعة أحداثها أولا بأول.

لنستعرض بعض تلك الأفعال ضمن مراحليـة تأثيرها في العمود الفقري للقصة:

«غـرز فيهـا عصـاه فوجـد أتربتها رخوة هشـة، ولكن رائحة ما انبثقت من بـين طياتها..ربما يكون الحيوان هو الآخر..قد أدركها بحكم غريزته ونفر منها»

تأسـس هذا الفعل (غرز) على الفعـل الرئيس (عثـر)، فهو من حيث تسلسله يأتي بعده، فلا غرز للعصا بغير اكتشاف الحفرة السابق للغرز. والفعل (غرز) متبوع بعدد آخـر من الأفعـال التكميلية مثل: (أثار) الأمر فضوله (فاستجاب) له التراب،وكلمـا (حفر) أعمق صارت الحفرة تستجيب له أسرع. عملية الحفر إذن مستمرة في هذه المرحلة من النص لكن الكاتب يؤجل فعلها قليلاً لينتقل إلى فعل التفكير بسر الحفرة نفسـها وبمحتواها الذي ما يزال مجهولا حتى هذه اللحظة من الحفر.

«فكـر هنيهـة ثـم اسـتعاذ بالرحمـن الرحيم وبسـمل وقرأ سـورة «آية الكرسي» فأحس بأنه قد تطهر إلى حدّ ما من هواجسه ومخاوفه التي كانت أجنتها تتشكل في داخله وتتناسل»

التوقف عـن الحفـر فرضته قوة الخوف الداخلية التي اعتملت في نفـس الراعي وشـلت حركته، ومنعته من الاسـتمرار بالحفر لو لا أنه (اسـتعاذ) بالرحمن مطمئنا نفسـه بآيـة قرآنية ثـم (قرر) النزول إلى الحفرة ثانية.

إن التوقـف وسـائر الأفعـال اللاحقة هي كلها من توابع مرحلية الفعل (فكر).

«شـرع يحفـر أعمـق وبهمة اكبر»

بعد أن (طمأن) نفسه في الحدث السـابق شـرع بالحفـر، وعندما غاصـت أناملـه في الأتربـة أخذ (يحفر) من جديد لتستمر عملية الحفر إلى توقف آخر تفرضه أفعال داخليـة توصيفيـة مبنيـة على الهواجس، والظنون، والوسـاوس، والشـعور بالضيـق، وهكـذا تتم الانتقـالات الأخـرى في متواليات دائبة بين الحركة والسـكون، بين الخـارج والداخـل، بـين الأفعال الحركية والأفعال التوصيفية إلى أن تحقق الشـخصية رغبتها فتقبض علـى حزمـة الأوراق المدفونة مع (الهيـكل الآدمي) في تلـك الحفرة ليتم الانتهاء من فعل البحث الذي اسـتغرق زمن القصة منذ (عثر) الراعي على الحفرة إلى أخذه كيس الأوراق ومغـادرة المكان بسـرعة، وعجالة.

بعد انتهاء دور مرحلة البحث الطويلـة هذه تبدأ مرحلة الأوراق دورهـا، وهيمنتهـا علـى مفاصل النـص الوثائقـي (الأوراق) الذي دفـن مع (الهيـكل الآدمي) ليكون محض شهادة على ما جرى في زمن الحرب.

درامية الوثيقة

تخبرنا القصة أن الراعي(مام ويس) أخفى كيس الأوراق (الوثيقة) بعد حدسه أنها تنطوي على أهمية كبيرة، وولى هاربا من الحفرة إلى المدينة بعد أن رأى ما رأى، وليقرأها لهم (شوان) بعد عودته من الجامعة. وفي هذا الموضع من النص تحديداً يكون الكاتب قد نقل القصة بدراية، وخبرة كبيرتين، من مرحلية الزمن الحاضر(الحفر والعثور على الأوراق) المرتبط بالزمن الماضي(وقائع الحرب،والهيكل الآدمي وكتابة الأوراق) إلى الزمن الماضي(الأوراق) المرتبط بالحاضر(قراءة الأوراق). وكان لا بد من معالجة الوثيقة بطريقة فنية تضمن تقبلها، بعد أن أحالها إلى الدراما لسببين: الأول جعلها أكثر تأثيرا باستخدام الحركة، والحركة الانفعالية لبث الروح فيها، وتجديد حيويتها. والثاني لأن حجم المأساة وكارثيتها لا يمكن أن يستوعبها غير جنس الدراما المسرحية فمهمة القصة هي أن تقول،ومهمة الدراما هي أن تفعل، وما بين الاثنين فارق نحن في غنى عن الدخول في تفاصيله، ولكننا نضيف فقط أن محي الدين زنكنه استخدم الاثنين معاً لحاجة فرضتها طبيعة النصين المدمجين في نص واحد أطلق عليه زنكنه (قصرحية) كما ورد في تحليلنا لعنونة النص.

يبدأ النص الثاني (المسرحية) بوضع التأثيثات الدرامية - اللازمة ضمن مقتضيات العرض الدرامي(على الورق طبعاً) - والتوصيفات الشخصانية، والصور العيانية، والميزانسين قيد التنفيذ لتبدأ الشخصية (شوان) بقراءة الأوراق مفتتحا خطابها على مسرح الحياة. الحياة التي انتقاها كاتب الأوراق أو التي أرادها لشخوص المسرحية والتي حدثت له ذات حرب كارثية هائلة.

«مدينة عامرة، تسري في مفاصلها حياة شاملة..حركة دائبة..ناس غادون ورائحون.. أشجار باسقة..حدائق زاهية. عصافير تزقزق. طيور تغرد.. الخ..الخ.. الكل في مرح وبهجة»

وصف لمدينة تتطابق مواصفاتها مع مدن كثيرة في أرجاء العالم، ولكنها تختلف عنها، بل تمتاز في ما حدث لها بعد ذلك: «فجأة يطبق عليها ظلام..يسبقه هدير طائرة مسرعة جداً.. يصيب الكل ذهول» قد نعتقد أن الظلام، وهدير الطائرة، والذهول الذي أصاب الناس أمور لا ميزة فيها تجعلها مختلفة عن سائر المدن، ولكننا بتقدم الخطاب الافتتاحي سنجد أن الكارثة لا يمكن وصفها أو عنونتها إلا بوساطة اسم المدينة التي حدثت فيها تلك الكارثة المهولة ولم يرد زنكنه تحديد هويتها بالضبط كي لا يتقيد بقيود واقعها ووقائعها مع أن واقعها يكاد أن يكون ضربا من اللاواقع. ولبيان هول الكارثة وضخامتها ينقل لنا زنكنه، أو كاتب الأوراق، أو الراوي ما حدث، وقتذاك، وتأثير الذي حدث على حياة بعض الحيوانات ليجعلنا نقف مفكرين بهول ما حدث للبشر، وكيف تعامل الجاني مع المجني عليه.

لنقرأ الحوار الذي دار بين الأول والثاني:

الأول: (من خلال دموعه) ح..ح.. حيو..ان..إنه..مجرد..ح..ح..ح..

الثاني: (يركله بقوة) أخرس.. تبلغ بك الوضاعة..أن تندب حيوانات العدو..هل أنت محارب بطل أم حرمة ندابة..هيا..هيا.. نعثر على أهداف أخرى..

الأول: (منهاراً) أخرى؟ وماذا بقي في هذه المدينة البائسة التي احترقت حتى مياهها.

الثاني: أشياء وأشياء..أهداف وأهداف..كل حي أو ميت هدف.. متحرك أو جامد هدف..الضحك هدف..البكاء هدف..هيا..هيا..لا تتخاذل (يدفعه أمامه بوحشية.. يعود يصلي الجثث بصليات عديدة..تتطاير اللحوم المثرومة

والعظام المفتتة في كل مكان.. يلتقط بضع قطع من اللحم.. يلتهمها بلذة عارمة..يخرج)

الحوار كشف لنا أولاً أن الشخصيتين (الأول، والثاني) بلا أسماء محددة لانهما قد يكونان أي اثنين مثلاهما في القوة التي عملت على إبادة المدينة عن بكرة أبيها.وثانيا أنهما مختلفان كإشارة إلى أن الأول مجبر على تنفيذ مهمة الإجهاز على من تبقى من الأحياء، بعدما أتمت الطائرة فعلها الجينوسايدي، وان الثاني يقوم بالمهمة ذاتها بقناعة وبرغبة دموية في القتل والابادة.

لم يرد زنكنه أن يطرح تلك القوة في نصه على أنها قوة شر مطلق فجعل نصفها على شاكلة الأول، وجعل نصفها الآخر على شاكلة الثاني لا إنصافا منه للنصف الأول حسب بل ليوضح، من خلال اختلاف الأول، بشاعة ونذالة، وانحطاط، ووحشية قوة الشر خلقاً وسلوكاً. وبخروج (الثاني) يكون المشهد قد انتهى، ويكون الكاتب قد انتقل بنا إلى ملاحظة ردود أفعال الشخوص في الغرفة المحروقة.

ـ ما هذه الأوراق؟

ـ أوراق؟ أهي أوراق. إنها قنابل.. ألغام ..سكاكين..تجول في أحشائنا.

ـ (صوت هادىء) مرايا..إنها.. مرايا..

ـ تحطمت أعصابي..لم أعد أطيق المزيد..أنا خارج..خارج أتنفس هواء قبل أن أختنق؟

ـ (صوت مفجوع) كف يا شوان.. كف عن ذر الأملاح على جروحنا الندية التي لم تندمل

ـ (صوت أقوى) ولن تندمل.. واصل شوان واصل..ضعنا أمام أبصارنا وأنفسنا..عراة..عراة..

نلاحظ على ردود الأفعال هذه، وعلى الرغم من وجود الملاحظات الاستباقية المحصورة بين قوسين كبيرين [كما هو حال نصوص زنكنه الدرامية السابقة] أنها وردت كما لو أنها كلام مقروء غير منطوق بدلالة العلامات الشارحة التي سبقتها، ومنحتها صفة قرائية داخل الدراما ربما بقصد اللاتحديد المتعمد لشخوص المسرحية وأصواتهم، والذين هم على شاكلة (مام ويس) أو للحفاظ على التداخل والتجاذب بين الجنسين المدمجين. ورأينا ـ من وجهة نظرنا ـ أن تحدد هوية الشخوص كأصوات لها تسلسل رقمي يجنح نحو الدراما ومستلزماتها لا نحو القصة وأدواتها خاصة بعد توصيف حالاتها الثلاث: (صوت هادئ)، و(صوت مفجوع)، و(صوت أقوى).

ومن الأصوات وردود الأفعال ينتقل الكاتب إلى سرد ما حدث في بناء يجمع بين لغة المونوتراجيديا، والمونولوج، والسرد الدرامي، والاستيهام الفني لتقريب صورة الدمار الكيميائي الشامل الذي لحق بالأرض وما عليها، وبالمكان ومن فيه. تختلط الرؤى، وتتكدس صور الدمار والانهيار، وتترى الفواجع والمواجع منذ فجر التاريخ، وحتى لحظة ظهور»غمامة داكنة، متشكلة على هيأة كائن خرافي، لم ير أحد له مثيلا قط». وما يكاد (شوان) يفرغ من الوثيقة حتى يقاطعه صوت جاء من رحم المأساة صارخا «أوراقي.. أين أوراقي» فيردد الصدى بعده راقي..قي..ي..ي..ي».ثم يقتحم المكان بطريقة مبهمة وهو يوجه تأنيبه للكل في خطاب تختتم به القصرحية:

« أما تزالون قابعين هنا؟ يا نفايات المزابل الموبوءة؟ يا قاذورات البالوعات المجرثمة؟!؟! ما أنتم؟ أحياء بلا أرواح ولا دماء؟ أبول عليكم جميعاً (يمد يده إلى منتصفه يريد أن يبول عليهم فعلاً..ولكن لا تنزل قطرة) فارغة.. مثانتي نشفت..لقد رششت به، قبل هنيهة، وجه القمر المجدور القبيح الذي ما يزال، على الرغم من كل شيء، يرنو إلى العالم بوقاحة ولا يتوارى خجلاً..ولكن لدي ما يليق بكم..وتستحقونه بجدارة (يبصق

عليهم) تفووووو عليكم.. تفووووو (يتردد الصدى بقوة وصخب من كل مكان) تفووووووووووو.....»

إن نظرة شاملة، متأنية، استكشافية للنص، واستنادا على ما تقدم، تعطي انطباعاً تاماً عن مساهماتية اشتغال الأفعال القصصية والدرامية على اجتراح جنس تجريبي جديد جامع للقصة القصيرة وسرديتها، والمسرحية ودراميتها، وهو ما أطلق عليه محي الدين زنكنه تسمية (قصرحية).

ملخص استنتاجي:

١. أشارت العنونة إلى اشتغال النص الأول (القصة) على ضمير المتكلم الذي انتقل تأثيره وفعله إلى القارئ فدخلا في شراكة وحدتهما مع أفكار المؤلف.

٢. ارتباط العنونة (أوراقي!!!) بالإهداء برباط التوضيح المتبادل من خلال قوة التشبيه والاستعارة.

٣. حددت العنونة جنس النص الأدبي/الفني مبتكرة مفردة جمعت بينهما هي مفردة (قصرحية).

٤. النص الأول ـ وهذا تحديد افتراضي حسب ـ هو جملة فعلية حاضنة للأحداث المروية منذ الفعل (عثر) ولغاية فعل اكتشاف السر (الأوراق)، وقد بينت الدراسة هذا من خلال طرحها لعدد من الأسئلة الاستنباطية التي صبت في جوهر النص كجملة فعلية.

٥. تضمن النص على مجموعتين من الأفعال هي: الأفعال التوصيفية، والأفعال الحركية.

٦. غاية الفعل (عثر ،اختصاراً، هي الوصول إلى الحفرة لكشف السر ولم يغن هذا الاختصار عن مفردات النص التكميلية.

٧. اشتغلت الأفعال،داخل النص، بطريقة أغرت القارئ بالتطوع لمتابعتها ذاتياً.

٨. اشتغل النص (القصرحية) على الانتقالات المدروسة بين الحركة والسكون، وبين الخارج والداخل، وبين الأفعال الحركية والأفعال التوصيفية.

٩. الانتقال من النص الأول (القصة) إلى النص الثاني (المسرحية) تم عبر التمثيل المرحلي لزمنين مختلفين هما الحاضر والماضي. الحاضر ممثل بالحفر والعثور على الأوراق، والماضي ممثل بوقائع الحرب وكتابة الأوراق.

١٠. تمت معالجة الوثيقة فنيا لجعلها أكثر تأثيرا وتشويقاً باستخدام الحركة ، والحركة الانفعالية.

١١. النص الثاني (المسرحية) وضع التأثيثات الدرامية اللازمة من التوصيفات الشخصانية ، إلى الصور العيانية قيد التنفيذ.

١٢. تسمية الأول والثاني جاءت من كونهما شخصيتان غير محددتين بهوية لأنهما تمثلان أي اثنين مثلاهما في قوة الشر المستشرية.

١٣. جمع البناء السردي للدراما بين لغة المونوتراجيديا والمونولوج، والسرد الدرامي، والاستيهام الفني لتقريب صورة الدمار الشامل.

١٤. ظهور الهيكل في خاتمة النص مطالبا باستعادة أوراقه باصقا بقوة على كل من لا يفعل شيئا إزاء كارثة كالتي مرت بهم ذات حرب تدميرية شاملة.

١٥. القصرحية باختصار ودقة شديدين عمل تجريبي نجح في تجنس نفسه فنياً وأدبياً من خلال مساهماتية اشتغال أفعاله القصصية والدرامية على اجتراحه كجنس تتسع جغرافية بوحه مدى القصة، ومدى المسرحية وفضائيهما.

استراليا ٢٠١٠

حوار مع الدكتور أحمد الخليل:

اللغة والتاريخ إذا خسرهما شعب ما خسر هويته

اجراء: الدكتور محمد احمد البرازي

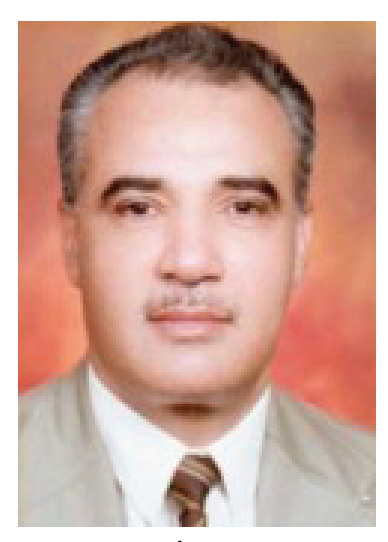
الدكتور أحمد الخليل أكاديمي وباحث كردي، يدرّس اللغة العربية في جامعة الإمارات العربية المتحدة منذ سنوات، وله عدد من الكتب والمقالات المنشورة، بعضها في الأدب والنقد، وبعضها في التاريخ الكردي، منها كتاب) تاريخ الكرد في الحضارة الإسلامية)، وباشر منذ سنتين بكتابة سلسلة تاريخية بعنوان) مشاهير الكرد في التاريخ)، وما زال ينقّب في المصادر عن موقع الكرد في تاريخ الشرق الأوسط.

وأجرينا معه الحوار الآتي:

١ ـ السيد الدكتور أحمد الخليل حبذا أن تعرّف القراء بنفسك.

ـ اسمي الكامل أحمد محمود شَـمّو الخليل، ولدت سنة (١٩٤٥) في قرية كُرْزَيل Korzél، بمنطقة عفرين (جبل الكرد) في شمال غربي سوريا، تلقّيت تعليمي أولاً على يدي المرحوم والدي، باعتباره كان ملاّ (خوجا) القرية، ثم أكملت دراستي الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدينة عفرين، وعملت معلماً في المدارس الابتدائية عدة سنوات، سجّلت خلالها في الجامعة، وحصلت على الإجازة في اللغة العربية، وإلى جانب التدريس في الثانويات، ومسؤوليات الأسرة، واصلت التعليم العالي، وحصلت على درجة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة حلب سنة (١٩٩٠)، ومنذ ذلك الحين أعمل محاضراً للغة العربية.

٢ ـ تحدّثت في حلقة من سلسلة (عفرين بوّابتي إلى العالم) عن الفرق بين حامل الشهادة والمثقف، وذكرت صفات هذا وذاك، وبما أنك تجمع بين الثقافتين الأدبية والتاريخية ترى من هم المفكرون والأدباء الذين تأثرت بهم؟



ـ تأثرت بمثقفين كثيرين، وكان لكل واحد منهم تأثير معين في شخصيتي وفكري، ففي الثقافة العالمية تأثرت بسقراط في نزعته الفلسفية، وبنيتشه في نزعته التمردية، وبكارل ماركس في التفسير العلمي للتاريخ البشري، وبسارتر في التركيز على الذات الإنسانية، وبهيجل وكروتشه في علم الجمال، وبروايات تولستوي، ودستويفسكي، وهيجو، وهمنغواي، أما في الثقافة العربية فتأثرت من القدماء بشعر المتنبي، وشعر المعرّي، وأدب الجاحظ، وكتب أبي

حامد الغزالي، وفكر المتصوفة، كما تأثّرت بعدد من أدباء ومفكري العصر الحديث، منهم عبّاس محمود العقّاد، وأحمد أمين، وطه حسين، وقاسم أمين، وأحمد شوقي، وآخرين.

٣ ـ هذا عن المفكرين والأدباء العالميين والعرب، لكن ماذا عن المفكرين والأدباء الكرد؟ ألم تقرأ لهم؟ ألم تتأثر بأحد منهم؟ أرى أنكم لم تذكروا أحداً منهم.

ـ هذا صحيح، فقد نشأت في مناخ ثقافي عربي، ولم أكن أجد في المكتبات العامة والخاصة كتابات لمفكرين وأدباء كرد، ولو وجدتها في عهد مبكر لقرأتها، لأنني كنت وما زلت أملك الرغبة في أن أقرأ كل ما يقع بين يدي، ويبدو أن حملة التعتيم والتغييب والتهميش التي تُمارَس ضد الكرد، وضد الثقافة الكردية، كانت وراء قلة الكتب عن الكرد، وأذكر أنني وجدت اسم (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان) للمرحوم محمد أمين زكي، في قائمة تصنيف المكتبة العامة بحلب حوالي سنة ١٩٧٦ إذا لم تخني الذاكرة، فشعرت وكأنني أجد بين يدي كنزاً ثميناً، فقرأت فيه طوال الساعات المسموح بها داخل المكتبة، وعدت بعد أسبوع لأقرأ فيه ثانية فلم أجده. وبعد ذلك بسنوات صرت أقتني الكتب المتعلقة بالشأن الكردي من خلال بعض الأصدقاء، ومن الكتب التي تركت أثراً عميقاً في نفسي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، وشرفنامه لبدليسي، ومم وزين لأحمد خاني، وديوان ملا جزيري، ودواوين جيكرخون، وكتب أخرى كانت تدور حول الثورات الكردية في إيران وتركيا والعراق.

٤ ـ حسناً، لك إلى الآن حوالي عشرة كتب مطبوعة، بعضها في الشؤون الأدبية والنقدية، وبعضها في الشأن الكردي، وعلمت أن لك الآن كتابين في الشأن الكردي تحت الطبع، فحبّذا أن تعطينا لمحة عن بداية مسيرتكم مع الكتابة.

ـ بدأت الكتابة في عهد مبكّر، فعندما كنت في الثامنة عشرة تقريباً كنت أكتب الشعر بالعربية، كما كتبت بعض القصص، وأذكر أنها كانت ذات نزعة فكرية فلسفية، تظهر فيها تارة نزعة سقراط إلى الحوار الهادئ وتوليد الأفكار، وتارة نزعة الفيلسوف الألماني نيتشه العنيفة في كتابه (هكذا تكلم زرادشت)، وحينذاك لم أكن أنشر شيئاً، ولم أكن أعرف شيئاً عن النشر، وقد نشرت قصيدة وحيدة في أوائل السبعينيات من القرن الماضي، ونشرت المقالة الأولى سنة ١٩٨٦، ونشرت الكتاب الأول سنة ١٩٨٩، ومنذ سنة ١٩٩٦ صرت أكتب المقالات بغزارة، كما شرعت في تأليف الكتب بشكل مستمر، وأعتقد أن لذلك علاقة باستقرار وضعي المعيشي، بعد أن بدأت العمل محاضراً في جامعة الإمارات في خريف سنة ١٩٩٣.

٥ ـ أعرف أنك إلى الآن تكتب بالعربية، ولم تكتب بالكردية، وثمة كتّاب كرد آخرون يفعلون ذلك، ما رأيك في هذه الظاهرة؟ ولماذا لا تكتبون بالكردية؟ أليس من الأفضل أن تكتبوا بها، كي يقرأ الكرد كتاباتكم، ويستفيدوا من المعلومات والأفكار التي تتناولونها؟

ـ قرأت ذات مرة أن أحد شعراء الكرد الغيارى في العصر الحديث قال ما معناه: « ابنُ زانيةٍ كلُّ كردي لا يتكلم بلغته «. وقد يبدو هذا الحكم قاسياً، لكن ذلك الأديب كان يدرك ما يقول، إذ علمت من خلال قراءاتي في تواريخ الشعوب أن ثمة ركنين مهمين إذا خسرهما شعب ما خسر هويته شاء ذلك أم أبى (اللغة، والتاريخ)، ولذلك تجدون أن الجهات التي لا تطيق الوجود الكردي على الكرة الأرضية يعملون ليل نهار، وبكل وسيلة ممكنة، لحمل الكرد على نسيان لغتهم، والجهل بتاريخهم.

وأعود إلى موضوع التكلم والكتابة بالكردية، فأنا سعيد لأنني أتحدث بالكردية منذ أن بدأت الكلام، فالبيئة التي ولدت فيها، كانت كردية تماماً، وصحيح أن والدي كان يعرف العربية باعتبار كان ملا (رجل دين)، لكن

والدتي ما كانت تعرف من العربية سوى العبارات المألوفة، مثل (بسم الله، الحمد لله، ما شاء الله، إن شاء الله، إلخ)، وأضيف أن أم أولادي لا تعرف لغة سوى الكردية، وهكذا فإن حكم ذلك الأديب الكردي الغيور لا يشملني.

وبقيت مسألة عدم الكتابة بالكردية، وتعلمون أنه ليس من السهل الانتقال مباشرة من التأليف بالعربية، إلى الكتابة بالكردية، ولا سيما أن كتابة الموضوعات التاريخية والفكرية والأدبية بحاجة إلى مستوى لغوي رفيع، أقول (ليس من السهل)، لكن أقول أيضاً (ليس من المستحيل)، ومنذ مدة قصيرة قلت لصديق لي: (لا يجوز أن يمر عليّ عام (٢٠٠٨) إلا وأكون قد كتبت أولى مقالاتي بالكردية)، وهذا طموح أعمل لتحقيقه، وصحيح ستكون كتاباتي في المرحلة الأولى لن تكون بالمستوى المطلوب، لكنها ستتطور، وإذا كنت أنا الكردي تعلمت العربية، وحصلت على درجة الدكتوراه في (الأدب الجاهلي)، وهو أصعب مراحل الأدب العربي، فهل يصعب علي أن أكتب الكردية وهي لغتي الأم.

وبهذه المناسبة اسمحوا لي أقول لكل كردي- ولا سيما الكرد الذين يعيشون في المهاجر، وأجبرتهم ظروفهم على عدم التحدث بلغة الآباء والأجداد-: لا يجوز أن تنتقل إلى العالم الآخر وأنت لم تتعلم ولو جملة واحدة بالكردية. وأقول للإخوة الكتّاب الكرد الذين لا يكتبون بالكردية: اتخذوا القرار، وابدأوا الخطوة الأولى، وتذكروا الحكمة التي تقول: (أن يصل المرء متأخراً خير من ألا يصل أبداً)

٦ - في الفترة الأخيرة كتبتم موضوعات قيّمة في تاريخ الكرد بشكل عام، وعن مشاهير الكرد بشكل خاص، ما الدافع إلى اهتمامكم بذلك؟

- عندما أعود بالذاكرة إلى عهد الشباب الأول أجد أنني كنت مهتماً في البداية بقراءة سِيَر المشاهير، بغض النظر عن العِرق والدين والطائفة، وهذا النوع من الموضوعات قريب من القصة والرواية، سوى أن لها طابعاً واقعياً، ثم وجدت نفسي مهتماً بقراءة كتب التاريخ والتراجم، ومن الكتب المفيدة التي قرأتها في هذا المجال كتاب (الكامل في التاريخ لابن الأثير)، و(وَفَيات الأعيان) لابن خَلِّكان، ومقدّمة ابن خلدون).

وكنت في تلك المرحلة مجرّد هاوٍ ومحبّ للمطالعة، لكن بعد أن قرأت كتاب (قصة الحضارة) للمؤرخ الأمريكي وِل ديورانت، وكتاب (تاريخ البشرية) للمؤرخ الإنكليزي أرنولد توينبي، انتقلت من دائرة قراءة التاريخ إلى دائرة قراءة فلسفة التاريخ، وهذا في حد ذاته أمر مهم؛ إذ لا يكفي أن نعرف كيف تم هذا الحدث أو ذلك، بل من الضروري أن نعرف (لماذا حدث؟).

وحينذاك أدركت مغزى النصيحة الهامة التي قدّمها الحكيم الصيني كونفوشيوس لأحد ملوك الصين قبل الميلاد بحوالي (٥٠٠) سنة، لقد نصحه بقراءة التاريخ، وقال له: « إنك حينما تنظر في المرآة تستطيع أن تعدّل وضع التاج على رأسك، وحينما تنظر في التاريخ تستطيع أن تتنبّأ بقيام الدول وسقوطها «. والحقيقة أنني عملت بنصيحة كونفوشيوس، وكم أتمنى أن يعمل بها كل مثقف، بل نصيحتي لساسة الكرد خاصة أن يقرأوا التاريخ قديمه وحديثه، عندئذ يصبحون أقدر على فهم الشؤون الإقليمية والعالمية، وأكثر نجاحاً في التعامل معها، واعذروني إذا قلت: من لا يقرأ التاريخ بعمق يبقى نصف جاهل.

أما بخصوص اهتماماتي بكتابة التاريخ فالسبب الأصلي يعود إلى مشروع تثقيفي وضعته لنفسي منذ عشرين عاماً، وما زلت أعمل فيه، ويتلخص ذلك المشروع في أن أكتشف هويتي على حقيقتها، أعرف جذوري، أعرف موقع الكرد على خريطة هذا العالم، أعرف ماذا كنت، وماذا صرت، وخلال هذه المسيرة عرفت أموراً ما كان يمكنني أن أعرفها لولا قراءة التاريخ، واكتشفت حقائق ما كانت

تخطر لي على بال، كما اكتشفت كم هو هائل حجم التعتيم والتغييب والتهميش والتزييف الذي لحق بالكرد منذ ألفين وخمسمئة سنة، وما أكتبه من دراسات تاريخية ليس إلا تدويناً لما أعرفه وأكتشفه، وأقول لنفسي: حسناً، ها قد عرفتَ الحقيقة، لكن هل هذا يكفي؟ لماذا لا تضعها بين أيدي الآخرين أيضاً؟

٧ ـ معروف من خلال كتبك المطبوعة أنك لا تقتصر على التأليف، وإنما تهتم بالترجمة أيضاً، فترجمت كتاباً بعنوان (القبائل الكردية) لإيغلتون الابن، وآخر بعنوان (الكرد وكردستان) لأرشاك سافراستيان، ما الذي يدفعك إلى ذلك؟

ـ أضف إلى الكتابين السابقين كتاباً آخر بعنوان (الميثولوجيا والهوية في شعر الهنود الحمر)، ترجمته قبل الكتابين المذكورين، واسمح لي أن أذكر مناسبة ترجمة هذا الكتاب، فقد دخلت المكتبة العامة ذات يوم أبحث عن كتاب في الشعر الإنكليزي، بهدفين اثنين: الأول هو الاطّلاع على الشعر العالمي ومنه الإنكليزي، وهذا أمر يلازمني منذ أربعين سنة، أقصد قراءة آداب الشعوب، لأنك عندما تطّلع على آداب الشعوب تفهم روحها، تفهم قيمها، تفهم رؤيتها، تفهمها من الداخل بعمق. وكان الهدف الثاني تحسين قدراتي في اللغة الإنجليزية.

وبالصدفة وجدت كتاباً بعنوان (شعر الهنود الحمر الشباب في أمريكا)، فأحببت أن أقرأه، إذ كنت وما زلت أشعر في أعماقي، وأرى في الواقع، أن بيني - أنا الكردي- وبين الهندي الأحمر قواسم مشتركة كثيرة، بل أرجو أن يعذرني إخوتي الكرد إذا قلت: نحن الهنود الحمر الشرق أوسطيين، فهناك من غزوا ديارنا، وسيطروا علينا، ولا يريدون أن يسمعوا كلمة (كردي)، ويصرّون بعناد غريب على أن يضعونا بين خيارين لا ثالث لهما: إما الانصهار وإما الانقراض. ولمّا قرأت الكتاب شعرت أن أولئك الهنود الحمر الشباب أصدقاء لي، يتحدّثون عني، إنهم يبدون في أشعارهم متمسّكين بهويتهم، فترجمت بعض القصائد، مع دراسة مختصرة حول العلاقة الوثيقة بين الميثولوجيا والهوية.

أما كتاب (القبائل الكردية) وكتاب (الكرد وكردستان) فجاءت ترجمتهما ضمن مشروع (اكتشاف الذات) الذي ذكرته قبل قليل، وكل ما أكتشفه أرى من الضروري أن أضعه بين أيدي الآخرين، مع الاعتراف بأن لغتي الإنكليزية ليست جيدة، لذا أنفقت وقتاً طويلاً وجهداً شاقاً في تأليف الكتابين المذكورين، وبهذه المناسبة كم أستغرب حينما أجد بعض المثقفين الكرد يجيدون لغات عالمية أخرى، ولا يقومون بترجمة الموضوعات المتعلقة بقضايا الكرد، ولا سيما الموضوعات التاريخية والميثولوجية، إلى اللغة الكردية أو العربية أو التركية أو الفارسية!

٨ ـ أنت تدرّس في الجامعة، ومسؤول عن عائلة كبيرة، فكيف توفّق بين هذه الأعباء وبين الكتابة؟ وقد لاحظنا من خلال كتبك وحلقات سلسلة (مشاهير الكرد) أنك تقرأ عدداً كبيراً من المصادر لجمع المعلومات، ومعروف أن مهمّة الكاتب لا تقف عند جمع المعلومات فقط، بل لا بد من دراستها أيضاً، وهذا كله بحاجة إلى وقت طويل، أليس كذلك؟

ـ بلى، وقد جاء في القصص الدينية أن نبياً - لعله يوشع- كان يحارب أعداءه ذات يوم، وكادت الشمس تغيب، فدعا الله أن يؤخر غروب الشمس، كي يحقق النصر. وأجدني أحياناً أقول لأم أولادي، (دِيا محمود) مازحاً: كنت أتمنى أن يطول هذا اليوم أكثر، فإن ٢٤ ساعة وحدها لا تكفي لإنجاز ما أريد إنجازه. وأقول أحياناً لأولادي وبعض أصدقائي: ارتكبت في حياتي كثيراً من الأخطاء والحماقات، وخسرت الكثير، لكني راضٍ عن نفسي في شيء واحد؛ هو أنني كنت على الدوام حريصاً على أن أستثمر وقتي للقراءة، ولا أدعه يذهب هدراً.

كانت هذه هي عادتي منذ أن

كنت في الثامنة عشرة على أقل تقدير وإلى هذا اليوم، كان الكتاب يصاحبني في الحل والترحال، وفي أوقات العمل مع أهلي في الحقول، كنت أحصد والكتاب معي، لأقرأ صفحات منه في فترات الراحة، وكنت أسقي حقل القطن والكتاب معي، وكنت أجلس على (الدَّوْرَج) أيام البيادر والكتاب معي (النورج آلة لها دواليب فيها مسنّنات حديدية، تجرها دابة، وتستعمل لدراسة السنابل، نسمّيها بالكردية: جَرْجَر)، وانتهيت من قراءة كثير من دواوين الشعر والقصص وكتب حياة المشاهير وأنا مسافر في السيارات والقطارات والطائرات، وإلى الآن أضع في السيارة على الدوام كتاباً، كي أقرأ فيه وأنا أنتظر أن يأتي دوري في دائرة رسمية، أو في مشفى لإجراء بعض التحاليل، أو في كاراج لإصلاح السيارة، وطبعاً كنت أختار لكل حالة الكتاب المناسب، فمثلاً لا يمكنني قراءة كتاب في فلسفة سقراط أو ماركس أو هيغل وأنا أسقي القطن، أو وأنا جالس على (الجَرْجر) والدابة تدور بي حول البيدر، أو وأنا مسافر، مثل هذه الحالات بحاجة إلى قصة أو رواية أو كتاب حول شخصية.

٩ ـ نفهم مما ذكرت أنك كنت تستثمر الوقت على نحو أفضل.

أجل، فالمثل الأمريكي يقول: (الوقت مال). وأقول من جانبي: (الوقت معرفة، والمعرفة تأتي بالمال أيضاً). لكن ثمة عامل آخر ساعدني على التوفيق بين مسؤولياتي الوظيفية والعائلية من جانب، وبين المطالعة والتأليف من جهة أخرى، ألا وهو تنظيم الوقت، والقيام بأكثر من مهمة بشكل متواز، فمثلاً، حينما أبدأ بتأليف كتاب في موضوع ما، أكون في الوقت نفسه قد خططت لتأليف كتاب آخر، ولذا أبدأ بجمع المعلومات حول الكتاب المنتظَر تأليفه، أو حول موضوع يهمّني ويعيد لي الحيوية الذهنية، منتهزاً فرصة تعبي فكرياً من الموضوع الذي أعالجه، لأن جمع المعلومات أسهل من معالجة الموضوع، وبهذه الطريقة أتحايل على نفسي، فأعطيها إجازة بعض الوقت، لكن بما يفيدني ثقافياً في نهاية الأمر.

١٠ – لكن ماذا بشأن وظيفتك و أسرتك؟

ـ العمل الوظيفي يأخذ مني كل يوم بحدود ٨ ساعات، مع حساب مسافة الطريق ذهاباً وإياباً، واستكمال متعلّقات التدريس من تصحيح وغير ذلك، وتذهب ٨ ساعات أخرى للنوم والطعام وما شابه، ويبقى في يدي كل يوم ٨ ساعات، أما في أيام العطل فلي من الوقت حوالي ١٦ ساعة، أليس من الخطأ تبديد جميع هذه الأوقات دونما فائدة؟!

أما بشأن أسرتي فإن (دِريا محمود) ليست متعلمة، لكنها تفهّمت نهجي في الحياة، فوفّرت لي المناخ الذي يساعدني على الاستمرار، من حيث تنظيم أموري الحياتية اليومية، وعدم الانزعاج من جلوسي الطويل وحيداً مع الكتب والكتابة، وكذلك يتفهّم أولادي السبعة اهتماماتي، فاعتادوا منذ الصغر على عدم إثارة الضجيج في البيت، والكفّ عن ذلك عندما كنت أنبّههم وهم أطفال، ومن حسن الحظ أني كنت أسكن في القرية عندما كانوا أطفالاً، وبيوت القرية كبيرة عادة، ومفتوحة على الطبيعة، ولها فناء واسع، وهذا يتيح للأطفال ممارسة ألعابهم مع بعضهم ومع أقرانهم من الأطفال في الهواء الطلق، وليس داخل الغرف.

١١ – لكن أليس في نهج كهذا تقصير في حق الأسرة عليك؟

ـ لا شك في ذلك، فقلّما أخرج بالعائلة في زيارات وفي نزهات، بل قلّما أجلس معهم داخل البيت، وهذا تقصير في حقهم، وأحاول جهدي التخفيف من ذلك، لكن لا خيار أمامي، وكلما تقدّم بي العمر أشعر أن هناك الكثير مما يجب أن أقوم به على الصعيد الثقافي، وأنني أحتاج إلى المزيد من الوقت، لذلك أذكر أفراد الأسرة في مقدمات الكتب، وأشكر لهم صبرهم عليّ، ولعل في ذلك عزاء لهم.

لكـن ثمة أمـر مهـم ينبغي الانتباه لـه، كنت عندما تزوّجت أحمـل الشـهادة الثانويـة فقط، وكنـت أقبض راتب معلم ابتدائي، وكان راتبـاً قليـلاً، ثـم أنهيـت الدراسة الجامعية، وصرت مدرّساً في الثانويـات، وبطبيعـة الحـال تحسّـن راتبي، ثـم حصلت على الدكتـوراه، وصـرت محاضـراً في الجامعـة، فتحسّـن راتبـي أكثر، وكانت زيـادة الراتب تنعكس على الوضـع الاقتصادي للأسـرة، من حيث المسكن والمطعم والملبس، وثق تماماً أن المرأة والأطفال حسّاسون جـداً في هـذا المجـال، إنهـم مثل ميزان الحرارة، وكانوا يعلمون أنه لولا صحبتـي للكتب، وإقبالي على العلم، لما تحسّـن وضعهم المعيشي، ولظلوا محرومين من أمور كثيرة، وأعتقد أن المردود الاقتصادي أقنع العيال بالصـبر عليّ، فهم يجدون الفائدة تعود عليهم في نهاية الأمر، أقول هذا كي نكون واقعيين، وكي نوظّف جهودنـا العلمية في خدمة أهلنا قدر المسـتطاع، وعدم تركهم بين أنياب الفقر والحرمان.

١٢ ـ ومـاذا حـول مشـاريعك الثقافية في المستقبل؟

ـ هنـاك ثلاثـة مشـاريع أرى مـن الضروري القيام بها إذا مد الله في العمر:

١ - المشروع الأول هو الاستمرار في الكتابة حول تاريخ الكرد.

٢ - المشروع الثاني هو التنقيب عن الميثولوجيا الكردية وفي الديانة الأزدائية والزردشـتية عند الكرد قبل الإسلام، إن معرفة هذه الأمور مهم جداً، ولا يمكن أن نعرف تاريخ الكـرد بدقة ما لم نعرف تفاصيل عقائدهـم القديمة، وصحيح أنني جمعت معلومات مفيدة حول هذه الأمور، لكـن المصادر المتاحة لي في هذا المجال قليلة، والحمد لله هناك باحثون كـرد آخرون ينشـطون في هـذا الاتجاه، وهذا شـيء مهم وضروري، وأتمنى أن استطيع يوماً ما الكتابة في هذا المجال.

٣ - المشـروع الثالث هو العودة إلى الأدب الكـردي، فهـذا هو مجال تخصصي الأكاديمي الحقيقي، أقصد النقد الأدبي، وقـد ألفت عدداً من الكتـب النقديـة في الأدب العربي، لكـن إلى الآن لم أؤلـف كتاباً حول الأدب الكردي، وهذا أمر يضايقني، وخاصة عندمـا أقرأ بعض المقالات النقديـة الكردية التـي أراها دون المسـتوى المطلوب، ومـع ذلك لقد أعطيت الأولوية الآن للتاريخ الكردي وللميثولوجيا الكردية، وسيأتي دور الأدب والنقد بعون الله.

وأذكر بهذه المناسـبة أن أول ما كتبته في الشأن الكردي كانت أدبياً، وكان ذلـك عـام ١٩٩٢، إذ أعارنـي الصديق الدكتور الطبيب إبراهيم خليل علي من قرية (خربة شران) بمنطقة عفرين، النسخة الأصلية من الملحمة الكردية الشعبية (ممى آلان)، وهـي بقلم المرحوم الدكتور نوري زازا، وقمت بترجمة الملحمة إلى العربية. وفي صيف ١٩٩٣ تقدمت إلى وزارة الإعلام في سوريا للحصول على موافقة النشر، ثم سافرت إلى الإمارات، وعلمت بعدئذ أن الوزارة وافقت، لكن الأمور اختلّت في زحام ظروف السفر، وفقدت جزءاً كبيراً مـن المبيضـة، كما فقـدت النص الأصلي، وقـد كلّفت أحد الأصدقاء بإيصاله إلى عيادة الدكتور إبراهيم في حلـب، لكن علمت أنه لم تصله، وكم يؤسفني ذلك، وأفكر أن أعود لسـنة ٢٠٠٩ إلى العمل في المسـوّدة ثانيـة، وأخطـو خطوتي الأولى في الحركة الأدبية الكردية.

١٣ ـ أخـيراً ما رأيـك في الثقافة الكرديـة؟ ومـاذا تقـول للمثقفـين وللكتّاب الكرد بشكل عام؟

ـ قبـل أن أخاطـب المثقفـين والكتّاب الكرد اسمحوا لي أن أقول لكل كردي: (أمة لا تقرأ أمة خارج التاريخ)، كتبـت هذه العبارة منذ سـنوات في إحدى حلقات سلسـلة (عفريـن بوّابتـي علـى العالم)، ومـا زلت أزداد يقيناً بها يوماً بعد يوم، ومعروف أن الكرد كانوا طوال تاريخهم يجيدون القتال دفاعاً عن حقوقهـم، لكنهم كانوا يخسـرون في النهايـة، لأنهم كانـوا يفتقرون إلى العلـم والمعرفة، ولأن خصومهم كان يسبقونهم في هذه الميادين، لذا أقـول: إن المعرفة هـي الطريق إلى

الخلاص، وعلى كل كردي أن يقرأ، وأن يوجّــه أولاده إلى القراءة منذ الصغر، وقد تنبّه كبار قادة الكرد إلى هــذه الحقيقة، وكــم أتمنى أن يقرأ الكرد وصية المرحوم الشـهيد قاضــي محمد إلى الشــعب الكردي قبيل إعدامه، إن المرحوم الشـهيد ينصح بضــرورة إقبال الكرد على العلم والمعرفة، وضــرورة تحقيق الوحدة بين صفوفهم، وهل يمكن لأمة جاهلة أن توحـّد صفوفها؟

١٤- حسـناً، لنعـد إلى رأيكم في المسـيرة الثقافية الكردية، كيف ترونها؟ وماذا تقولون للمثقفين والكتّاب الكرد؟

ـ الســاحة الثقافيــة الكرديــة تشـهد حراكاً نشيطاً وشبه شامل، وصحيــح أن في هذا الحراك ثغرات عديــدة، منهــا التعجّــل، وعدم الإتقان، والوقوع في قبضة التعميم أحياناً، وعدم الحرص على توثيق المعلومات أحياناً أخرى، والتنافس الــذي يصل إلى درجة (التحاســد) بعــض المــرات، لكــن هــذه أمور عادية، تواكــب المسيرة الثقافية لأي شــعب عانى من ظروف القهر الثقافي، ومن تدمير القيم القومية، وتفكيــك المقوّمــات الثقافيــة المشــتركة، وســتتقلص الثغرات في المســتقبل، وســتتأصّل الكتابــات أكثر، وسيصبح الكتّاب أكثر اتّزاناً وموضوعية، وإنني متفائل جداً.

أما بشأن المثقفين والكتّاب الكرد فأقول لهم ما أقول لنفســي: أحسنوا التعامل مع ما تبقّى لكم من الزمن، وينبغــي أن يعــرف كل واحــد منا الميدان الثقــافي الذي يمكن أن يبدع فيه، وعليه أن يعمل بهمة وإخلاص في ذلــك الميــدان، أقصــد أنــه من الضروري أن نتخصص، ولا نتوهّم أننــا عباقــرة في كل ميــدان، ومن الضروري أيضاً أن نحدّد الأولويات، ونسأل أنفسنا: نكتب ماذا قبل ماذا؟ ولا يمكــن لنا أن نبدع ونفيد ما لم نوسّع معرفتنا ونعمّقها.

وأخــيراً هناك ظاهــرة محزنة أجدها تظهر على السطح حيناً بعد آخر، وهي ظاهرة النقد اللاذع الذي يوجّهه كاتب كــردي لكاتب كردي آخــر، في كتاب أو في موقع أنترنيتي، إمــا لاختلاف في الرأي والرؤية، وإما لأن كاتباً ما وقع في أخطاء منهجية، أو معلوماتية، أو لغوية. ونحن الكرد معروفون بحرارة الرأس، وســرعة الانفعــال، والإســراع إلى المواجهــة والمجابهة، وشــدة الاعتــداد بالرأي، والعنــاد في الموقف، إنــه جانب من جوانب (ســيكولوجيا الجبال) التي أتحــدث عنها في بعض كتاباتي، وكم أتمنى أن تختفي هذه الظاهرة، وأن يفــرح الكاتب القديــر عندما يقرأ لكاتــب كردي قدير آخر، وأن يفرح الكاتب الأكبر سناً، وربما الأكثر علماً والأغنى تجربة، عندما يقرأ لكاتب آخر أصغر وربما أقل علماً وتجربة.

وهنــاك مثل ليبرالي رأســمالي يقــول: (دعه يمر، دعــه يعمل)، وهكــذا يجــب أن تكون فلســفتنا علــى الصعيد الثقــافي، بلى، فلندع الآخر يكتب، ويكتــب، ويكتب، إن ممارســة الكتابة بحد ذاتها عملية مهمة جداً، إن الكتابة- مهما كانت، وكيفما كانت- اكتشــاف للذات بكل مــا فيها مــن ســلبيات وإيجابيات، إنهــا ارتقاء بالفكر، وتطوير للذات، وبناء للشخصية المعرفية، وتأصيل للمَلَكة النقدية، وتحســين لأسلوب الخطاب، وتواصل مع الآخر.

وصحيــح أن الكاتــب- وخاصة المبتدئ- قــد يخطئ، وقد يتعجّل، وقد لا يؤصّل، وقد يركبه الغرور، لكن الأمور ستتحسّن رويداً رويداً، سيكتشف هو نفسه من خلال كتاباته أنه أخطأ هنا، وتعجّل هناك، وكان مغــروراً في هذا وذاك، وســيصحّح نهجه يوماً بعد يوم. ويمكن للمثقف الأكثر علماً وخبرة أن يوجّه الآخر بصــورة لطيفة وبنّــاءة، والأفضل أن يفعل ذلك بصورة غير مباشــرة، فالتأثــير عندئذ يكــون أفضل، أما أن نمــارس نحــن المثقفــين القمع الثقــافي على بعضنا فذلــك أمر في غاية الخطــورة، وكفانا القمع الذي ينصب علينا من كل جانب، ولندع الكتّاب من شبابنا وفتياتنا يفكرون ويكتبون دونما شعور أن هناك من يحمل سوطاً، ويتربّص به عند كل عبارة، وفي كل مقال أو كتاب.

هــذا هو أملــي، ولكــم جزيل شكري وتقديري.



شخصيات كردية

ربع قرن على رحيله
علاءالدين السجادي
عاشق التراث الكردي

ابراهيم باجلان

ربع قرن مضى على رحيل فقيد الادب والثقافة الكردية الاستاذ علاء الدين السجادي الكاتب والقاص والصحفي والمؤرخ والشخصية الاجتماعية البارزة ذلك الذي ارتقى بجهوده المخلصة وكفاحه الدؤوب الى ان يكون واحدا ممن اخلصوا للتراث والادب الكرديين. فاكتسب - نظير اخلاصه وتفانيه - حب واعجاب وتقدير ابناء شعبه وكل الذين عرفوه واطلعوا على نتاجاته..

واذا ما بحثنا عن الدوافع والاسباب التي دفعته الى سلوك هذا النهج في حياته نرى انها لا تخرج عن مدار دائرة حب هذا الشعب وتراثه قبل كل شي اخر، هذه الدوافع الخيرة التي تشكل بمجموعها مفاتيح ابواب الخلود التي ولجها قبله العديد من العلماء والفنانين والادباء والمناضلين والمصلحين. ولكل ماتقدم نحتفي بذكرى السجادي الاديب والمؤرخ الذي نعرفه من خلال اعماله.

ورغم ما قيل وما يقال في حقه فان كل الاقوال، لا تبلغ القمة التي تسنم ذراها.. واذا ما اردنا ان نضيف شيئا فاننا لا نضيف شيئا جديدا، لكننا نذكر جزءا من كفاحه الفكري والثقافي اي اننا نحاول هنا استذكار خدماته ونتاجاته في مجال التراث الكردي وابداعاته المتميزة في هذا الميدان.. وبما ان التراث الكردي الذي نعنيه يشمل التراث الشعبي او الفولكلور الكردي والاشعار الشعبية وكذلك التراث الكلاسيكي لادبنا الذي كان جزءا منه مشتتا ومتناثرا قبل ان يشمر الفقيد وصحبه الرواد عن سواعد الجد فجمعوا ما استطاعوا ونظموا عقده ولموا المتبعثر منه.. ومع اطلالة ذكرى مرور ربع قرن على رحيل علاء الدين السجادي، في ١٩٨٤/١٢/١٣ نستذكره، ولنجمع من نتاجاته باقة نجعلها اكليلا ثرا سواء نتاجاته في مجال الادب والتاريخ او الفولكلور وكل ابداعاته.. جمعنا هنا نتاجاته الادبية والفولكلورية وذلك لترابط وتلازم التاريخ والادب والتراث معا واهمها:

١ - ميژووی ئه ده بی کوردی- تاريخ الادب الكردي وقد صدرت طبعته الاولى عام ١٩٥٢ والثانية عام ١٩٧١.

٢ - گهشتيك له كوردستانا-

رحلة في كردستان سنة ١٩٥٦.

٣ -رشتەی مرواری- عقد اللؤلؤ وقد صدر في ثمانية اجزاء خلال،١٩٦،١٩٧١،١٩٧٢،١٩٧٨،١٩٨٠،١٩٨٣، ١٩٥٧،١٩٥٨،٨

٤- شورشەکانی کورد- الثورات الكردية لغاية ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، صدر عام ١٩٥٩.

٥ - کوردەواری- التقاليد الكردية، تراث ١٩٧٤.

٦ - اثار اخرى.

فكتابه تاريخ الادب الكردي يعتبر سفرا قيما ونتاجا رائدا في مجال تاريخ الادب الكردي او التراث الكلاسيكي المدون وهذا الكتاب كما قيمه مؤلف (الواقعية في الادب الكردي) الدكتور عزالدين مصطفى رسول يعتبر من الكتب الكردية المهمة الكبيرة بصفحاته الستمائة والثلاث والستين وقد بلغ عدد صفحات الطبعة الثانية سبعمائة وست صفحات. ورغم انه يحمل اسم (تاريخ الادب الكردي) فان صاحبه يسميه اوسع دائرة معارف كردية صدرت الى الان. ففي هذا الكتاب موجز لاراء مختلف المؤرخين الى يومه عن الكرد واصلهم واسمهم ونفوسهم وتقاليدهم.. كما يقول الدكتور:

انا في الوقت الذي نعطي المؤلف مثل هذا الحق شافعين له ذلك بظروف القارئ الكردي الخاصة، نرى ان خوض هذا البحث وبحوث اخرى يخرج الكتاب من كونه تاريخ ادب بل يمكن ان يسمى بخليط من التاريخ والجغرافية وعلم الاجتماع وجميع فروع علم الادب من نظرية وتاريخ ونقد وبيبلوغرافيا ونماذج من النثر الفني. ورغم ذلك فليس بالامكان: ان نغض الطرف عن كون الكتاب قد اعطى مادة للتدقيق ولتحليل الادب الكردي، ستبقى ذات قيمة خاصة الى سنين طويلة وهذا الكتاب قد اكتسب مأثرة بوصفه اول اثر كردي من حيث جمعه المواد الكثيرة عن حياة الشعراء الكرد واعطائه تفاصيل دقيقة عنهم وعن عصرهم وظروفهم الشخصية وقد بذل مؤلفه جهدا بحثيا كبيرا في التوصل الى هذه المعلومات. وان القاء نظرة واحدة على المصادر التي اعتمد عليها السجادي يوضح لنا انه قد قرأ مصادر مختلفة ووضع جميعها موضع ثقته فاقتبس بذلك اراء مؤلفين ينتمون الى طبقات مختلفة والى مدارس فكرية مختلفة واخذ عنهم ما يخص تاريخ ومنشأ الادب.

وحسب الكتاب فخرا ان جمع كل ما امكنه وبالتفصيل دقائق سيرة وحياة اربع وعشرين شاعرا من الراحلين وذكر اسماء وتواريخ ولادة ووفاة مائتين واثنى عشر شاعرا اخر.

كما ثبت نصوصا فولوكلورية تدون لاول مرة، ونصوصا من اثار الشعراء لم تدون من قبل، وان ذلك قد جعل الكتاب دعامة كبرى للبحث ولتحليل الادب الكردي واضاف الى الطبعة الثانية منها ملحقا عن الصحافة الكردية والقصة الكردية ومواد اخرى بلغت اكثر من مائة صفحة. لذا كان لصدور هذا الكتاب القيم اصداء طيبة في الاوساط الثقافية والادبية الكردية داخل وخارج العراق، ومن لدن المستشرقين ايضا. وحسنا فعل المؤلف عندما اضاف الى مقدمة الطبعة الثانية ثلاث رسائل تلقاها من اديب كردي خارج كردستان العراق ونقصد المرحوم (محمد مهري) المحامي والمدرس بعث بها من استانبول سنة ١٩٥٤ قال فيها: منذ عام كامل وكلما سنحت لي الفرصة اقرأ اثركم النفيس والمس مدى جهودكم وكفاحكم اللامتناهي وتضحياتكم الجسيمة- في اوج علياء الشرف- قرت عينكم وامد الله في عمركم وبيض الله وجه والديك اللذين انجبا ابنا مثلك. اخي علاء بلا تكلف ولا مجاملة اقولها: ان تاريخك للادب الكردي! ترك اثرا وسمعة في عالم الادبيات الكردية، فأحييت الكرد ومنحتهم

روحا جديدة لهؤلاء الموجودين الان ولاولئك الذين سيأتون. عمر الله بيتك مثلما عمرت بيوت الكرد.

كما كتب اليه (ادموندس) وهو من المهتمين بالدراسات الكردية مهنئا ومشيدا بفضله وانه قد حقق حلما طالما كان يراوده. كما يقول ان عملكم هذا يعتبر خدمة كبيرة ليس للكرد وحدهم بل لعالم العلم والمعرفة، وكل المهتمين باداب الشرق يعتبرون انفسهم ممتنين لذلك الاستاذ ولمنزلته الرفيعة.

وايضا بعث اليه المرحوم (رفيق حلمي) احد رواد كتابة تاريخ الادب الكردي رسالة يبدي فيها فرحته وابتهاجه بصدور هذا الكتاب كما يقول: ان الكلمات تعجز ان تصف لكم تلك المشاعر التي اكنها لكم ولهذا الاثر النفيس الضخم الذي استطيع ان اقول لكم عنه بصدق انكم قد وفقتم من جميع النواحي واستطيع القول اثركم رائع وثمين. وبالنسبة لاثاره الاخرى المكرسة للتراث الكردي يعتبر كتابه الفولكلوري الثمين (رشته ى مرواري- عقد اللؤلؤ) والذي يشكل في حد ذاته ثروة ثقافية قومية لشعبنا وكنزا ثمينا لتراثه، يذكر الدكتور عزالدين مصطفى رسول في كتابه ادب الفولكلور الكردي: ان اجزاء (عقداللؤلؤ) شيء جديد ونادر في ميدان تدوين الفولكلور والادب والحركة الثقافية الكردية. وقد وجدت لها مكانة خاصة في ميدان التراث القومي الكردي وفي مجال اللغة الكردية واغنائها وتطويرها- وهذه الاجزاء تعتبر محاولة جريئة للحفاظ على اللغة الكردية. وفي ميدان اللهجات الكردية وتثبيت الخطب والمحادثات ضمن قصص او محاورات اللهجات المختلفة للغة الكردية وفي بعض الاماكن في هذا الميدان فانه ايضا يصلح للمقارنة. وان صح استعمال لفظة النادر او الفريد فان (عقد اللؤلؤ) كتاب او اثر (نادر) كما خلدت هذه المجموعة الثمينة من مجلدات (رشته ى مرواري- عقد اللؤلؤ) سير بعض الشخصيات الشعبية الكردية وارخت لبعض الاحداث التي وقعت بعضها قبل اكثر من قرن واحد، فهي بذلك تفيد الباحثين والمؤرخين وحتى علماء الاجتماع وغيرهم.

لانها تضم نوادر وطرائف وعادات ترتقي الى مصاف ما يمكن تسميته بوعاء للماثورات الشعبية والفلسفة الشعبية او ما اصطلح على تسميتها بابداع الجماهير وليست هذه المجلدات وكتاب تاريخ الادب الكردي هي كل ما قدمه الفقيد السجادي من جهود في سبيل الحفاظ على التراث الكردي وادبه فهناك آثار اخرى للفقيد يمكن ذكرها وتسطيرها وتسجيلها له بمداد الفخر والاعتزاز فكتابه (جولة في كوردستان) الذي اصدره عام ١٩٥٦ كان مواضيعه في نظر الكثيرين غريبة، فكان الفقيد يجيبهم بقوله: انا لم اكتب هذا ليومنا هذا وستقدرون اهميته في المستقبل ورغم انه لم يمض وقت طويل على هذه الرحلة لكننا نرى ان الكثير من مواضيعه والمعلومات التي تتضمنه اكتسبت اهمية كبيرة وحتى من ناحية التقسيمات الادارية والشكل الجغرافي. من هنا نلمس بوضوح ان الفقيد كان يعلم على أي امر هو مقدم! حينما يكتب نتاجاته، ولم يكن يفعل ذلك عفويا، كما ان اجابته ورده للمعترضين على مجموعة (عقد اللؤلؤ) يعتبر تأكيدا لهذا القول فكتب يقول: ان الذين نقدوني بشدة هم الذين رغبوا في قراءة كتبي تلك وكانوا يقرأونها في الخفاء، ويتوقون الى صدور جزء اخر من الكتاب..

وكما ذكر الاستاذ جمال بابان في حفل تأبين الفقيد: ان الكرد كغيرهم يملكون ثروة ضخمة في مجال النكات والفكاهة والطرائف الا ان ما عرقل تسجيلها هو عقدة الخجل ورغم ان الفقيد كان رجل دين ويوجه اليه الكثير من الانتقادات الا ان ذلك لم يمنعه من

اصـدار مجلداته في ذلك المجال من الادب وان احدا لم يتوسع مثله في هذا الميـدان رغم محاولات البعض قبله.

لقد قدم السـجادي خدمات لا تنسـى للتاريخ الكـردي عن وعي وادراك منــه لهـذا الجانـب مـن جوانب حياة ووجود شـعبه سواء بتأليفه المؤلفـات التي ذكرناها او بتأليفه المباشـر في التاريخ ككتابه (الثورات الكردية) والذي ارخ فيها لاهم الاحداث والثورات.

يقـول الدكتور (كمـال مظهر احمد) انه وبلاشك يشكل مصدرا مفيـدا احتل مكانتــه اللائقة في المكتبة التاريخية الكردية، ورغم ان بعض مؤلفات الاستاذ لم تكن تخلو من بعض الهفـوات احيانا لانه في معظم استنتاجاته التاريخية كان يستلهم ثقافته الذاتية التي كونها بمطالعاته الشـخصية واجتهاداته ولان معظمهـا كانت اعمـالا بكرا كتبهـا في وقـت كانـت المصـادر العلمية نادرة خلاله. ومسـاهمات الفقيد في توضيح وتدوين التاريخ الكـردي وتراثـه لاتقتصـر على ماذكرنا وحسـب، بل اننـا اذا ما تصفحنـا اعـداد مجلتـي (كه لاويز) و(نـزار)، اللتين كان يتولى ادارتهما يتضح لنـا وبجلاء كفاح هذه الشـخصية الكردية المحبوبة من اجل صيانة تاريخ وتراث شعبه وتحفيز المثقفين للاقتداء بمثقفي الامم الناهضة. ويمكن الاستشـهاد والاستناد الى المقالات العديدة التي كتبها على صفحـات مجلة (نزار) التي اصدرهـا باللغتـين العربية والكردية سـنة ١٩٤٨ فقد كتب في العـدد الرابع منهـا والصادر في ١٥ مايس ١٩٤٨ كتب اقتراحا حث فيه علـى ضرورة كتابـة تاريخ الكرد في الكتـب المدرسـية تحت عنوان: (اعـادة النظـر في كيفيـة مـادة التاريـخ) يقـول: طالمـا نعيش في خيرات هذا البلد ونستظل بسمائه (يقصد العراق) فان امانينا وامالنا واحدة، ومن الاحسـن والاوفق ان يعرف احدنا الاخـر، لا ان نقصر المعرفة على رفيـق واحد ويوضع الاخـر في الظلمـات، ممـا يوجد المجـال لهجمات المسـتعمرين على هذه النقطة الحساسـة ويدعو الى شيء من سـوء التفاهم الذي نـريد القضاء عليه قضاء مبرما. ويختتم مقالتــه بقولـه: اننـا ندعـو الى تدريس تاريخ الاكراد في مدارسـنـا ولنوثق من عرى وحدتنا واخائنا اكثر من قبل.

كما تتجلـى نظرتــه للتاريخ في المقدمـة التـي كتبهـا لكتـاب (كردستان الوسطى) لمؤلفه الاستاذ عبـد الرقيب يوسـف حيث كتب مايلي: التاريخ هو الحد الفاصل بين الماضي والحاضر، فيساعدنا فهم ما مضـى على فهم مـا نكون فيه، او بالاحرى التاريخ قصة الانسـانية والبشرية في حال تطورها ونشوئها منذ ان ظهرت على يد الانسان الى يومنا هذا، فعلينا ان اردنا ان نعلم ونفهم وضعنا الحاضر ان نـرجع الى سـير الاحقاب التي مضت ونأخذ مـن جذورها دروسـا لكـي نصل بها الى شـاطئ الحقائق التي لعبت بالبشـرية وكونتها في القرون التي رقت فيها او تقهقرت وبواسـطتها نسـتطيع ان نـدرك الانظمـة السياسـية والاجتماعية والعلمية والدينية التي مرت علينا في الايام الغابرة.

واما عن الدور الذي نهضت به مجلة (كه لاويز) في ميدان التاريخ الكردي، فقد تحدث عنه (الدكتور كمال مظهر احمد) في كتابه المعنون (ميزوو- التاريخ) حيث كرس لهذا الموضوع عدة صفحـات من كتابه المذكـور لتقييـم دور مجلـة (كه لاويز) في خدمـة التاريخ الكردي فكتـب يقول: ان مجلة (كه لاويز) في هذا الميدان ايضا مثل الكثير من الميادين الاخـرى، كانت الصحيفة الكرديـة الاولى، ولحد الان فان اية جريـدة او مجلة كرديـة صادرة في العـراق او خارجـه لم تكرس صفحاتها مثل (كه لاويز) للاهتمام بالتاريخ عموما وبالتاريخ الكردي خصوصـا. وقـد خصصـت (كه

لاويز) عدة ابواب وزاويا للتاريخ مثل زاوية (من التاريخ) و(الكرد عند الاجانب) كما ان اشهر مؤرخي الاربعينات قد نشروا على صفحات (كه لاويز) الابحاث التاريخية من امثال امين زكي وتوفيق وهبي وحسين حوزني موكرياني وعلاء الدين السجادي وعدد اخر من المؤرخين.

اضافة الى اولئك فان عددا من المثقفين الكرد من خارج العراق نشروا المقالات التاريخية على صفحات (كه لاويز) من امثال عثمان صبري وان ئازا السنوي، واحيانا كانت (كه لاويز) تخصص نصف مجموع صفحاتها للابحاث التاريخية مثل العددين الخامس والسادس من السنة الثالثة. ومن المهام الجليلة التي يمكن ان يسجل ل (كه لاويز) ضمن المهام الجليلة التي اضطلعت بها اقدامها على نشر نتاجات عدد من المستشرقين والرحالة الاوربيين المتعلقة بالكرد. ان هذه الاعمال وغيرها هي التي فتحت العيون ونبهت الاذهان لتاريخ الشعب الكردي الذي كان شبه مجهول عند الاقربين والابعدين وحتى عند الكثيرين من مثقفي شعبنا وهي التي مهدت لبروز هذه الكوكبة المباركة من المؤرخين الكرد المعاصرين. كما لا يمكن تجاهل المقالات والابحاث التي نشرت باللغة العربية في مجلة (نزار) والتي كان لولبها المتحرك الفقيد علاء الدين السجادي. فان القاء نظرة عاجلة على اعدادها تبين انها كانت من الاساس تهدف الى تعريف القراء العرب بأدب الكرد وتاريخهم وتراثهم واعلامهم. ففي العدد الثاني من مجلة (نزار) الصادر في ١٥نيسان١٩٤٨ كتب ابن خلكان تحت عنوان: العرب والاكراد..

(وبعد فهذه الصحيفة انما هي لسان يدعوا الى الوحدة بين قومين جمع الله بينهما بدين الاسلام، وفتح قلوبهما بنور الحق ومهما دعا الداعون الى التفريق بينهما بمزاعم ومهاترات فقد ضاعت اقوالهم هباء وساء مايفعلون. ان الاكراد سكنوا هذه الجبال والوهاد التي دعت بـ(كردستان) منذ اقدم عصور التاريخ، وهم قوم على مايقول الثقاة في علم الاجناس من العنصر الهندو اوربي او ما يدعون بالاريين وبالرغم مما حدث من هجرة قوم من الاقوام وفنائهم وغلبة أخرين عليهم وحلولهم محلهم فان هولاء الاقوام هم الذين دعوا في التاريخ القديم باسم (كردوخى) كما نشرت المجلة تباعا بحث باسيل نيكيتين عن الاكراد ومواضيع عن صلاح الدين الايوبي والدعوة الى انشاء المجمع العلمي الكردي وكرسي اللغة الكردية في الجامعة العراقية وعرض لكتاب تاريخ الدول والامارات وزاوية من اعلام الادب الكردي فكتبت عن بى كه س وزيوه ر ومحمد امين زكي وغيرهم. ومن نتاجاته الهامة المخصصة والمكرسة للتراث الكردي كتابه القيم (كوردواري- العادات الكردية) والذي يعتبر جهدا مباركا اخر اضافة الى جهوده الخيرة المثمرة وجمع فيه اهم العادات والتقاليد الكردية في الافراح والاحزان فضمنه التقاليد الكردية واهم العادات في الافراح والاحزان والحياة في القرى والارياف او حياة الخيام. وكذلك طقوس الصيد والاسفار، وكما كتب في المقدمة: ان ما يميز قومية عن قومية اخرى هي اللغة والعادات والتقاليد والارض اوالوطن والادب. كما يقول ايضا:

وبما انني اعتبر نفسي واحدا من ابناء هذا الشعب وانه منذ امد بعيد فتحت عيني على العادات والتقاليد والاشياء التي داب عليها الكرد وعشقتها، ولان الارض ضاقت واقتربت جهاتها وربما وبسبب تقارب الاجناس والاقوام المختلفة من بعضها وخصوصا من الكرد الحائر اقول ربما ضاعت هذه العادات شيئا فشيئا.. وانني جمعت ماكان في وسعي ان اجمعه وان اضمه

في هذه الصفحات المطبوعة، وعندما تطبع فانها لاتفنى، واستطعت ان اجمع الى هذا الحد.. وان اقدمه هدية لامتي. التي مازالت تعاني الاضطهاد في اماكن عديدة وان اقدمه كذلك للاجانب الذين يلفظون كلمة الكرد باستنكاف وتعال الخ.. والمقدمة مؤرخة في ١٩٦٨/١١/٢٣. وهكذا استطاع ان يقدم لوحات حية للعادات الكردية وان يدون العشرات من الالعاب الشعبية الكردية. وان كتابه المعنون (خوشخواني- البلاغة) الذي طبع عام ١٩٧٨ على نفقة (جامعة السليمانية) كان مكرس للبحث عن البلاغة في الشعر والنثر الكرديين ولكي لايقال ان الكردية لا بلاغة فيها كما ان هذا العمل في حد ذاته يعتبر خدمة للادب وللتراث لانه يستند على التراث الكلاسيكي الكردي.

وان كتابه المعنون (ده قه كانى ئه ده بى كوردى- نصوص الادب الكردي) الذي صدر عام ١٩٧٨ ايضا وضمن مطبوعات المجمع العلمي الكردي لايخرج عن هذا الاطار وكذلك كتابه السابق (نرخ شناسى- النقد) الذي طبع عام ١٩٧٢ وهو كغيره من نتاجات الفقيد يستلهم التراث الكردي الادبي الكلاسيكي ومكرس لهذه الغاية ايضا، وله مجموعة قصصية مطبوعة بعنوان (هه ميشه بهار).

واخيرا ونحن نستقبل ذكرى مرور٢٥ عاما على رحيل ذلك الاديب الكبير والانسان الفذ الذي كرس حياته لخدمة شعبه وتراثه وتحول في مماته الى رمز من رموز المخلصين لهذا الشعب والعاملين من اجل تقدمه وخيره والذي تشكل هذه السطور كشفا لجانب واحد من جوانب حياته الواسعة المثمرة ومن خدماته الجليلة لبني قومه وهو رجل الدين المؤمن الذي لم يعرف التزمت والذي كان كما ذكر الاستاذ محمد جميل الروزبياني في الحفل التأبيني الذي اقيم لمناسبة اربعينيته.. انه كان يحب الموسيقى والمقامات الكردية وكان يترنم بها في الخفاء، وهو الذي عاش منزويا في معتكفه لكنه ظل قريبا من الناس رغم بعده عن الاضواء والصخب فعمل بصمت واخلاص وقدم نتاجات هامة لايمكن تجاهلها وستظل شاهدة على فضله وعلمه واخلاصه وحبه لشعبه وهي التي الحقته وبجدارة وبالالتصاق مع جملة مواقفه بموكب الخالدين في التاريخ فسلام عليه في العليين مع الشهداء والصادقين.

المراجع

١ - الواقعية في الادب الكردي- الدكتور عزالدين مصطفى رسول- بيروت ١٩٦٦ (ص٢١-٢٤).

٢ - ميزوو- دوكتور كه مال مه زهـه ر ئه حمد (١٤٤- ١٤٨) مطابع دار افاق عربية- بغداد ١٩٨٣.

٣ - نفس المصدر المذكور (ص١٨٢- ١٨٤).

٤ - الدولة الدوستكية في كردستان الوسطى- عبد الرقيب يوسف (ص٥) مطبعة اللواء بغداد ١٩٧٢.

٥ - ئه ده بى فولكلورى كوردى- دكتور عيزه دين مسته فا ره سول (١٤٠-١٥٢) به غدا ١٩٧٠ز

٦ - وقائع الحفل التابيني المقام في جمعية الثقافة الكردية في اربعينية الاستاذ علاء الدين السجادي جريدة العراق ع ٢٧٥٦ في ١٩٨٥/٢/٢١.

٧ - اعداد من مجلة (نزار) الصادرة باللغتين العربية والكردية لسنة ١٩٤٨- ١٩٤٩.

٨ - مؤلفات الفقيد المشار اليها ضمن الموضوع.

محطات ثقافية

الكرد في مذكرات الميجور نوئيل

تأليف: الميجور نوئيل
ترجمة: حسين احمد الجاف وحسين عثمان نيركسه جاري
عرض وتعليق: د.شعبان مزيري

يتطرق المؤلف في مذكراته الموسومة بـ(مذكرات الميجور نوئيل في كردستان) إلى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للشعب الكردي وعلاقة الكرد بالأرمن والأتراك ، بما إن الكتاب هو مذكرات شاهد عيان حيث كان المؤلف قد قام بجولة في كردستان الشمالية والتقى بشخصيات كردية مرموقة أمثال الشيخ عبد القادر الشمزيني رئيس الجمعية الكردية في اسطنبول ونجل الشيخ عبيد الله النهري وسيد إبراهيم من الشخصيات الكردية المرموقة في منطقة ديرسيم.

وأمين عالي بدرخان والد كل من مير جلادت بدرخان وكاميران بدرخان وان الأخير كان قد رافق الميجور نوئيل إلى مدينة حلب وهناك التقى بالشخصية الكردية (أكرم جميل باشا دياربكري) وان الأخير كان شابا مثقفا وواعيا منورا حيث كان قد أكمل دراسته في بلجيكا وكان يناضل من اجل تحقيق طموحات شعبه في الاستقلال والتحرر من السيطرة التركية ويؤمن بفكر التعاون مع الانكليز من اجل تحقيق هذا الهدف وكان قد تم إلقاء القبض عليه بسبب أفكاره القومية الثورية من قبل والي دياربكر وأودعه السجن ولكنه استطاع الهروب من السجن حيث لجأ إلى مدينة حلب واستقر فيها. وفي حلب كذلك التقى الميجور نوئيل بالكولونيل ويلسن وان الأخير كان قد أعلن عن فكرة إقامة دولة كردية في كردستان التركية تحت الانتداب البريطاني ويشمل المدن الكردية بما فيها(وان، تبليس، ودياربكر، ومعمورة العزيز) وغيرها من المدن وعندما طرح كولونيل ويلسن فكرة تأسيس دولة كردية تحت انتداب بريطاني كان الشعور القومي لدى الكرد في أوجه وبارزا للأعيان خاصة لدى العشائر الكردية في كل من منطقة(دياربكر ،وارضروم وملاطية) وفي كردستان العراق في السليمانية حيث إن الشيخ محمود الحفيد كان يقود فصائل مسلحة ويحارب القوات الانكليزية في السليمانية وكركوك وكذلك الحال بالنسبة للعشائر الكردية في مدن زاخو وعمادية وكانوا كرد العراق يشكون في نوايا الانكليز وادعاءاتهم الكاذبة بتحرير كرد تركيا في الوقت الذي كانت تحارب كرد العراق ولهذا السبب انتفضت العشائر الكردية في كل من زاخو وعمادية وعقرة واربيل والسليمانية وكركوك وكفري بوجه القوات الانكليزية المتواجدة في المناطق الكردية لأن اغلب الوعود التي أعطاها الانكليز للكرد لم ينفذ واحدا منها وأصبحت حبرا على الورق وهباء منثورا في الهواء وبالمقابل كان

هناك النخب السياسية الكردية في تركيا والمنورين والمثقفين الكرد صموا أذانهم ولم يستجيبوا إلى نداءات كرد العراق وأنهم كانوا يحاولون إقناع الشعب الكردي بان الانكليز صادقين في نواياهم باتجاه كرد تركيا وحتى إن الشيخ عبد القادر الشمزيني رئيس جمعية الكرد في اسطنبول واحد أقطاب الكرد المعارضة للحكومة التركية عندما التقى بـ(احمد تقي) في اسطنبول كما ورد في مذكرات احمد تقي(قال له الشيخ عبد القادر الشمزيني أقام الانكليز في السليمانية حكومة محلية برئاسة الشيخ محمود الحفيد وان الانكليز وعدوني أيضا(أي كلام للشيخ عبد القادر) بتأسيس حكومة كردية في كردستان تبين وأنهم أصحاب نيات سيئة ولكن مع كل هذا اطلب منك إن تبلغ الشيخ محمود الحفيد بأن يستمر في التعاون والتعامل مع الانكليز حتى نتعرف على نواياهم الحقيقية باتجاه الكرد وفيما سيقررون في مؤتمر الصلح الذي سوف ينعقد في مدينة(فرساي) في فرنسا حول مصير كردستان ثم كتب الشيخ عبد القادر الشمزيني رسالة خطية للشيخ محمود وسلمه ليد(احمد تقي) لأخذها معه للشيخ محمود الحفيد) وكانت هناك فكرة لدى الأوساط الغربية محاولة وضع الكرد تحت سيطرة الارمن لأن فكرة تشكيل دولة ارمنية كانت مطروحة لدى النخبة السياسية في كل من لندن وموسكو وباريس واختمرت.

ويقول الميجورنوئيل في الصفحة (٢١) من مذكراته(عندما التقيت مع بعض الفلاحين في كردستان التركية ولاية الملاطية وتعرفت على مشاكلهم وما يعانون منه عن الرق ولد لدي شعور قوي بأن الشعورالقومي موجود لدى هؤلاء المواطنين البسطاء والتمست كذلك بأنهم يكرهون الأتراك وعندما طرحت على بعض منهم الأسئلة هل ترضون إن تعيشون تحت سيطرة دولة ارمنية فكان ردهم عنيف ويقولون لا يجوز بأي حال من الأحوال ان نعيش تحت سيطرة دولة ارمنية وهم (أي الكرد)يريدون إن يعيشون أحرار مستقلين بعيدين عن سيطرة السلطات التركية.

ثم يضيف قائلا وفي الصفحة (٢٩) قلت لهم من انتم ،فكان ردهم سريع وقالوا نحن الكرد وان المناطق التي نسكنها هو موطننا الأصلي ولسوء الحظ ابتلينا بالأتراك وان الفلاحين البسطاء يطلقون على الأتراك اسم (رومي) والروميون هم قساة القلوب وطغاة من وجهة نظرهم.

وفي مدينة الملاطية التقى الميجور نوئيل برئيس بلدية المدينة خليل بك وهو من أبناء عائلة بدرخان بك وكان عم لكل من كاميران بدرخان ومير جلادت وان خليل بك واحد من مثقفي الكرد ومنورين وطنيين وشجعان شارك في تأسيس النادي (جمعية في بعض المصادر) الكردي في اسطنبول واصدر صحيفة كردية وكان أمله إن يقوم الانكليز بتحرير كردستان من قبضة الأتراك.

وفي الصفحة ٦٢ يقول اتصل خليل بك بالوفد(هيئة الإغاثة الأمريكية) في الملاطية وابلغهم بأنه إذا حدث حرب بين الأتراك والدول الحلفاء فان كرد منطقة الملاطية سوف ينتفضون بوجه الأتراك ويقومون بتحرير أراضي منطقة الملاطية من سيطرة الأتراك.

وفي البرقية التي بعثها الميجور نوئيل إلى مراجعه العليا يذكر فيها بان الشعور القومي لدى الكرد في مدينة عينتاب وملاطية كبير وأنهم يكرهون الأتراك والحكومة التركية أيضا. ويضيف قائلا أنهم ينتظرون فرصة تسنح لهم للانتفاضة بوجه السلطات العثمانية وأنهم مهيئون للقيام بالانتفاضة ولكن هذا الشعور القومي مخفي بينهم، خوفا من

بطش السلطات التركية لهم وكذلك الحال في مدينة دياربكر وارضروم وكانت هناك حركة نشطة تجري بين الكرد ضد مطاليب الأرمن والذين كانوا يحاولون كسب ود الدول الغربية بما فيها روسيا وبريطانيا لتأسيس دولة ارمنية على الأراضي الكردية ووضع الكرد تحت سيطرتهم ويضيف الميجور نوئيل قائلا: من خلال مراقبتي للوضع العام توصلت إلى نتيجة بأن الكرد يرغبون وان شباب الكرد في دياربكر وارضروم يقومون بنشر مثل هذه الدعوات ويروجون لهذه الشائعات وأنهم مستعدون إن يخدموا المصالح البريطانية في المنطقة من اجل تحقيق ما يطمحون إليه وان الحكومة التركية قد شعرت بخطر المد الثوري لدى الكرد ورغبتهم في التحرر، وهذه المخاوف دفعت بوزير الداخلية التركي إن يبعث برقية مليئة بالأسئلة والاستفسارات حول الوضع الأمني وخطر المد الثوري الكردي إلى والي ولاية الملاطية الأستاذ خليل بك. وتضمنت البرقية بعض التساؤلات حول إمكانية إلقاء القبض على المحرضين الكرد من البدرخانيين الذين كانوا يعملون ضد مصالح الدولة التركية ويحثون الأهالي بالانتفاضة ضدهم ويتعاونون مع الانكليز لتحرير كردستان من قبضة الأتراك وان زيارة الميجور نوئيل إلى المنطقة الكردية في تركيا يصب في هذا المضمار وكما جاء في التقارير التي رفعت إلى وزارة الداخلية التركية توضح بان الدعاية الإعلامية التي كان يقوم بها ثوارالكرد من المحتمل إن تكون ضررها ومخاوفها اكبر مما نتصوره. وفي نهاية البرقية يطلب من والى ملاطية خليل بك ببيان رايه حول مجمل ما ورد من التساؤلات في برقية وزير الداخلية

وفي الرد لوالي ملاطية خليل بك والذي بينها على شكل نقاط قائلاَ:

١ـ إن الميجور نوئيل مصر على إن لا يدفع بتقليل من شان نفوذ حكومتنا وإلحاق الضرر بها.

٢ـ إن الدعاية الإعلامية التي يبثها البدرخانيون لم يكن له ذلك التأثير الفعال القوي على حكومتنا(التركية) وان صحيفة (سه ربه ستي) ومطبوعات أخرى التي تصدرها النادي الكردي في اسطنبول والتي يشرف عليها البدرخانيون كانت لها تأثر كبير وواضح على مجريات الأحداث ولم تقوم الحكومة التركية بأي إجراء ضدها.

٣ـ إن إلقاء القبض على البدرخانيون في رأينا غير صحيحة لأن الإقدام على مثل هذا العمل سوف يؤدي إلى تفجير الوضع الأمني والسياسي في المنطقة وأنه سوف يؤثر على مجمل الأوضاع السياسية في كل المناطق التي يسكنها الكرد في تركيا وإذا ما حدث ذلك فانه ليس باستطاعتنا السيطرة على الأوضاع السياسية في المنطقة بدون أراقه الدماء.

٤ـ وفي رأيي الشخصي لـ(خليل بك والي ملاطية) إن الادعاءات الإعلامية التي يروج لها البدرخانيون ليس لها أي تأثيرعلى الوضع السياسي ولم يؤثر علينا.

تأملات في حال حقوق الإنسان.. والمساواة.. ومكافحة الفساد

بقلم: فاروق حجي مصطفى

ربما مثل بقية المتأملين من الناس والمهتمين كنت أتمنى أن تطوى صفحة المظالم بحق الإنسان في منطقتنا ، وكانت إحدى أمنياتي كما الطفل في الأعياد التي ينتظرها بفارغ الصبر والفرح هي أن تشرق البيانات وتشع خبراً على صفحات الصحف والشاشات الإعلامية مفادها إطلاق سراح كافة سجناء الرأي ، لأنه وببساطة كبساطة الماء في انسيابه وجود أي سجين رأي هو بحد ذاته مشكلة أمنية واجتماعية،ولها تداعيات وانعكاسات على الوطن وكذلك على الشعب.

وبمعنى آخر أحدنا يتمنى صدور عفو عام للسجناء السياسيين والرأي،ولعل هذا يساعد على الاستقرار ويساهم في التئام الجروح ويزيد من اللحمة المجتمعية،فكلنا يعلم إن الناس بحاجة الى عفو عام ، وبحاجة الى رفع المظالم، واستعادة الحقوق. والاهم ان منطقتنا وبحكم جغرافيتها وتاريخها وأنماط معيشتها بحاجة الى الهدوء والاستقرار ولعل ثمن ذلك شعور أبناء هذه المنطقة بالحرية،والكرامة والتمتع بكافة الحقوق. كم يكون جميلا ان تطوى صفحة تطاول الكبير على الصغير أو القوي على الضعيف أو القومية الغالبة على القومية المغلوبة وان تسوى الهامش مع المتن وان يكون بلوغ المتن شروطه بوجود المؤهلات العلمية أو القدروية أو الإنتاجية لا ان يبقى هامشيا لأنه قبل ذلك كان هامشيا لوناً أو لغةً أو تاريخاً أو انتمائاً لهوّية عرقية ما خلاه يبقى في خانة الهوامش.

فالمساواة حاجة المجتمعات وهي تشكل حالة نفي للعنصرية بشتى أنواعها ،فتحقيق المساواة يعني تحقيق الرفاه الاجتماعي وبالتالي تحقيقه التنموي وهي من اللبنات الأساسية في بناء الديمقراطيات إذ كنا بحاجة إليها ولا نعتقد ان ثمة دولة تنبذ الديمقراطية، فكل الدولة خصوصا إذا كانت مرتكزات بنائها حداثوية سوف تكون مدعية الديمقراطية أو تتمناها.

حتى الآن لم أجد أحدا سواء أكان حاكما أو فردا عاديا يحارب النظام الديمقراطي فالذي يحارب الديمقراطية هو ظلامي أو جاهل ، فالدول تتباهى بالديمقراطية وتريد إيحاء الرأي العام بأنها ديمقراطية ومصونة فيها حقوق الإنسان طاغية على الحقوق الشخصانية التي تفضل مصلحتها، حتى الإسلاميون عند تفسيرهم للآيات و الأحاديث يبغون تقريب وتفسير قواعدهم وعقائدهم الى الديمقراطية .

فالديمقراطية شعار جذاب الكل يريد بلوغها أو يدعي ذلك. ولذلك من الضروري أن يتم البحث

في صفحاتنا من قبل حكومات المنطقة بحق الشعب الذي يمارس حياته سواء في السجون أو المنافي الخارجية و حتى داخل أوطانهم.

حق الفرد ..ودوره

لكن وكما نعلم ان الديمقراطية غير مجردة من المساواة، والأنظمة الديمقراطية هي أنظمة تكون فيها علاقة الفرد بالسلطة مبنية بشكلها الصحيح والسليم وفي الانظمة الديمقراطية تحسب الحكومات دور الشارع وهي تعمل ليلا - نهارا لتكتسب رضى الناس. وفي دوره يقف الناس خلف الحكومات ويدعمها في العمل الصحيح وتنتقدها عندما تنزلق نحو الديكتاتورية أو الاستبداد الذي هو نتاج غياب دور الأفراد والمجتمع.

فالمجتمع الذي يسوده سيادة القطيع لا يمكن ان يقبل الديمقراطية ولا يكون هناك مساواة،الحكومة الرشيدة هي الحكومة التي تعمل لأجل الرفاه الاجتماعي والتي تقاتل لأجل تحقيق العدل ونبذ المظلومية.

والحق احدنا يبقى قلقا على مستقبله خصوصا عندما يرى خبرا مفاده كبح الحرية وزوال المساواة. اهتمام بحقوق الإنسان هو شيئ مقدس بالنسبة للناس وللحكومات.انما الفرق بين الاثنين هو الغاية. فغاية الناس هي غاية نبيلة بالمقابل غاية الحكومات هي غاية انتهازية(مصلحية). تجدر الإشارة ان غالبية الحكومات في منطقتنا تغدو بتشابه في السلوك والممارسة واغلبها لا تسمع رأي الشارع ولا تعير اهتماماً للرأي العام لأنها بالأصل لم تأتي بإرادة الشارع أو المؤهلات الشرعية أو عبر الانتخابات. فالحكومة التي لم تأت عبر الانتخابات لا تخاف من الناس أو الشارع وبالتالي إنها مغرقة في الفساد. ووجود الفساد يعني غياب المساواة ويعني الاستهتار بالدولة ذاتها وبهذا المعنى ان الحكومة لا تنظر الى الناس والدولة من منطق الحفاظ عليها إنما من منظار حماية الطبقة الحاكمة حتى وان كان عبر إبراز السوط وبناء المعتقلات وزج أصحاب الرأي وفاعلي المجتمع المدني والحقوقيين في السجون.

الفساد يتفشى في ظل غياب دور المجتمع في الدولة ويتكاثر كالفطر البري عندما تغيب الدولة المؤسساتية وسياسة فصل السلطات . وللإشارة ان سياسة فصل السلطات هي معيار الدولة وديمقراطيتها.

السجن تحد كبير...

ولكن الم يحن الوقت لتطوى صفحة الغبن بحق النشطاء؟ عند قراءة التقارير الصادرة من المنظمات الحقوقية غير الحكومية ومن منظمات المجتمع المدني نأسف على حالنا ووضعنا إذ يزيد تشاؤمنا كون حقيقة بلداننا تشي بالمأساة خصوصا وان المسألة تتعلق بحال السجون حال السجون فقط. اذاً في وضع يرثى له.و خارج منطقتنا ثمة النظر الى حقوق الإنسان بشكل متطور حيث هذه الحقوق وحسب وجهات النظر الحديثة لم تقف حقوق الإنسان في حدود حقوق الأفراد إنما تشتمل حقوق المجتمعات وحق تقرير المصير للشعوب. لم نصل الى هذا الحد لأننا ما زلنا في دوامة حقوق الأفراد وحال السجون، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه الان، هل السجون ستبقى دائما ردعا وتخيف المجتمعات؟ طبعاً الجواب هو لا، السجون ربما تفعل فعلها وتسكت بعض الأصوات بفعل المسكنات . الأصح هو إعطاء الأفراد والمجتمعات حقوقها وليكن نقاشنا في الأعوام الأخرى حول كيفية تحقيق الرفاه الاجتماعي وبناء دولة المؤسسات وهي الوحيدة التي تصون الحقوق وتبقى رادعا لتفشي الفساد وتحقيق المساواة بين الأفراد والمجتمعات وتؤسس العلاقات الصحيحة بين المجتمع والحكومة .أملي ان يعتز كل إنسان بحقوقه وكرامته بعيدا عن الغبن.

قرابين

جان ايزيدخلو

عندما يُأخذ الدماء بإتجاه منحى اللقمة التي يزداد طعمها إحمراراً لتمتزج بدماء الإنتماء، تغدو هذه الأخيرة منحى بحد ذاتها. الكل منشغل بنسج حكايات هؤلاء «المغدورين» حسب مأربه الفكري وكأنهم -الموتى الأحياء- نهبوا السكينة المرمية على جثث المتنبّئين. للموت هنا طعم الخبز الرطب المبلل بعرق الكوردي الذي بات غريباً بين أهله، يركض خلف رغيفه في بلاد التناحر ليترك وراءه المستوطنين في تبجل نسبي واضح بتربة الغير. وليغدو هذا الغريب عن الأرض والأهل السيد الأوحد للمكان المنسي في قلب جوم.

هذه البقعة التي ما رحل عنها أحد إلاّ بعد إجتثاث الجذور المصنّفة ضمن مشاريع الموت إستثناءً، هذا المكان الذي ما استطاع أحدٌ المساس بساكينيه إلاّ بعد إقتلاع كروم العنب والزيتون معاً. أناسٌ تسارعت إلى منع أسباب الموت عن أفئدتها تحت ضربات الغدر فاستقبلتها الأفئدة أجساداً ممزقة ضمن أخشاب غُلّفت بألوان الكره وبأصناف ترتقي إلى مستوى الحقد الموروث. هنا تستقبل آذان الأرض شعارات غريبة من أفواه غريبة، شعارات امتزجت بالموت حتى أثقلت كاهل الأرض نفسها. هنا يمتزج الكره بمنابع الآيديولوجية الأبديّة والفكر الأبدي والحقد الأبدي ليكبّل كل الحجج الأبديّة. أمّا ذاك الإنسان المنسي حتى في كرّاسات الموت، يتأمّل المشهد من داخل حجرته المستطيلة مستغرباً ما آلت إليه حالته تلك. مشهد عجزت عن وصفه كل أجناس الأقلام التقليديّة التي جهدت عبثاً بتعبير ركيك حتى أصبحت من الجناة أنفسهم لتكتمل الصورة التي أبت التعبير عنها إلا دموع تجمّدت على وجنات الملائكة المصطفات على زوايا تلك اللوحات الصغيرة، متأمّلة المشهد شبه الصاخب عاجزة عن إحتضان ذويها أو إستحضار المشهد المَنسيّ الذي ربما يُزيد المأساة هولاً.

لكل لوحة طعم الموت، لكل موتٍ طعم الكره. هكذا أراد الغريب أن يعبّر عن نفسه ليرتطم مرة أخرى بحجارة تكسّرت أمام كرامة الإنسان الذي ما بخل بشيء بقدر بخله بذرف الدموع. «الدموع تعني الإستسلام» هكذا أرادت الأفئدة أن تعبر عن كرامتها التي أراد الغريب سلبها ببضع جثث، ظناً منه أن الإنسان هنا قد يتخلى عنها بخلق لوحات مبتكرة ممزوجة بكره بليد، ليستقبل الرد بصفعة لم يتخيلها إلا على هذه الأرض التي أبت إلّا أن تكون مدفن الحقد المُشهَر علناً. ذكر الموت هنا تجاوز الموت نفسه، ليُعرّف بكلمات اختصّ بها ذووها وليعجز عن تفسيرها كل

الأوراق المتناثرة على رفوف الجماد. هنا يُعاد إبتكار الموروث عسى أن يبتلي به العقل المُمزق بين إنتماءٍ أصبح بلاءً موروثاً وكرامةٍ يُراد لها مسخ مبطّن يرتقي إلى مستوى الفناء نفسه.

جمهرة حمقاء تلك التي توهّمت لبضع لحظات بنصرها، فتبجلت بزيفٍ واضح يومئ إلى حجم إنهيار البنى الفكريّة التي رُسمت معالمها بأيدٍ افتقرت إلى فهم أبجدية المكان المُراد مسخه. جمهرة استنبطت وجودها من مبادئ الأوحدية الفجّة التي استنبطت وجودها من اللاشيء الأبدي، تلك المبادئ التي تبوّأت ذروة القهر العمد والإستعباد العمد والإفناء العمد، فاضطرت إلى إعادة صياغة نصوص مُبجّلة خاصة بها لتبجّلها ورفعٍ شأنها إلى مملكة «المقدّس» بحدٍّ سُمّي بحد الموت استطراداً.

القاع، هذا الذي اقتحم الذاكرة الكوردية بأربعة وعشرين نرجساً فابتلى بقدَرها. فللقدر هنا طعم الدم المُراق، وللموت هنا طعم الحياة، هاتان الكلمتان اللتان ارتبطتا بوجود الكوردي إلى ما شاء هو. مشيئة صقل الكوردي بها وجوده الذي يتربّص به كلٌّ على هواه. فأصحاب الرسائل الخالدة استنبطوا وسائلهم الخاصة لتحقيق مشاريعهم الخالدة تلك، فلجؤوا إلى ما أُمروا به تبعا لأوحديتهم «المقدّسة» تلك وألحقوا به كرّاساً مسطّراً بتراتيل القتل «الحلال». أما مُريدي العدن -أقرباء الأمس- أصحاب الرسائل «المقدّسة» فالتجأوا إلى إبتداع المسخ الجزئي ليضيفوه إلى القتل «الحلال»، مسخٌ اودى بالكوردي إلى نسيان بعده الخليجي ربما عمداً. أما الآخر فاضطر إلى نسج ما استطاع من مكائد ليضيفها إلى القتل «الحلال» أيضاً، مكائد كادت أن تودي بما تبقى من تباهي الكوردي بوجوده.

هنا كاد المشهد أن يكتمل ليروي ما تبرّأت منه أوراق التأريخ، فاختلط طعم النبيذ بالزيتون كاختلاط القدر بالوجود حتى أصبح للقدر نكهة النبيذ الذي اختلط بالصنوبر، وللوجود نكهة الزيتون الذي اختلط بالبلوط. النبيذ والزيتون هذان اللذان حُضّرا بأيدي نساء الجبال هنا، النساء اللواتي أبت إلاّ أن تلقنّ الغريب معنى البقاء. للأمّهات هنا ما لا يتوقعه الغريب، أمّهاتٌ ينسجن الحياة من الأشلاء-الأفئدة لتلقنّ الموت معنى الموت. أمّهاتٌ ربما استوعبن قدسية المكان، فاكتفت بنظرات أربكت المشهد نفسه.

نوروز ومنظومة الكرد الاجتماعية

يوسف يوسف

لا يختلف الكرد عن غيرهم من الشعوب في وجود منظومة اجتماعية خاصة ، تتحدد ملامحها وتبرز مكوناتها من خلال سياق دلالي ورمزي ينتجه العقل الجماعي لهم ، ويختزنه وجدانهم ، وينعكس في سلوكياتهم وحياتهم . وهذه المنظومة في اعتقادنا، هي مما تحتمي في داخلها الشعوب عادة وليس الكرد وحدهم ، وبالخصوص عندما تداهمها المحن ومحاولات القهر أو الطمس والتغييب من الوجود.

ونوروز من حيث هو عيد قومي للكرد، بصرف النظر عما يقوله حوله الآخرون وبالذات أولئك الذين يرون فيه مخالفة للاسلام(هكذا)، هو أحد أبرز الرموز، التي يحتمي بها وجدان الكرد الجماعي، شأنه في ذلك كمثل اللغة والقومية وسواهما من عناصر الاحتماء، ولعله مما يوحدهم ، ويجمعهم على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم السياسية والفكرية، بحيث يبدو في اعتقادنا، كما لو انه الجدار المتين، الذي يحتمون وراءه، خشية أن يتمكن منهم أولئك الذين يسعون إلى تحويلهم إلى مجرد فرائس بشرية يحاولون اصطيادها بهدف ترويضها وتحويلها إلى نسخ شائهة لا خصائص لها كمثل بقية خلق الله.

من هنا نفهم أهمية كتاب (هدية النوزرو في الشعر والنثر للأدباء الكرد والعرب ١٩٣٦ ـ ٢٠٠٩) الذي شارك في وضعه على هذه الصورة، الباحثان الدكتور عمر إبراهيم عزيز(به تي) والدكتورة فاطمة رشيد حسن الباجلاني. فهذا الجهد الذي يعدّ امتدادا لمحاولات الدكتور عمر التي بدأها في عقد الثمانينيات المنصرم في جمع تراث نوروز، عيد الكرد القومي، يضع القارئ أمام عدد لا يستهان به من القصائد والكتابات النثرية، من شأنها إثراء ذائقته المعرفية وتطويرها، بالاضافة إلى إمتاعه، وهو في الجانب الآخر من فوائده الثرة، يفيد الباحث في منظومة الكرد الاجتماعية وجوانبها المتعددة الوجوه، بإعطائه مادة خصبة للدراسة، يمكنه بالاعتماد عليها العثور على عدة مداخل وليس واحدا للوصول إلى ما هو في الأعماق من حياة هذا الشعب، الذي بقي نوروز أحد تحديات وجوده الكبرى، الذي يمكن المحافظة عليه والتشبث به، باعتباره رمزا لوجود يحاصره طغيان الآخر من مختلف الجهات.

تتوزع موضوعات الكتاب التي جمعها الباحثان بين ثلاثة أقسام آخرها يتكون من بيبلوغرافيا للموضوعات التي تتناول نوروز . فأما القسم الأول فإنه يحمل عنوان (نوروز في الشعر الكردي والعربي)،

وفيه نقرأ مجموعة من القصائد التي كتبت في نوروز، عبر أزمنة متعاقبة، لشعراء من بينهم كوران، كامه ران ، مولوي، قادر الكويي، عباس البدري، محمد البدري، لطيف هلمت، نوري شيخ صالح، بدر شاكر السياب، بيره ميرد، عاطفة رومايا، نافع عقراوي، أليس موشيخ، رجاء البهيش.

إن الكثيرين ممن كتبوا عن نوروز إنما بهدف التعبير عن فرحتهم الكبيرة بقدومه، وعلى غرار ما قاله الشاعر العربي البحتري

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبّه النيروز في غسق الدجى
أوائل ورد كنّ بالأمس نوّما

بيد ان ما هو أكثر أهمية من التعبير عن الفرحة والتغني بالطبيعة الكردية الجميلة، قيام عدد من العشراء بجعل نوروز مدخلا للكتابة عن الهموم الكردية والثورة والانتقال من حالة إلى أخرى من حالات الحراك الانساني . ومعنى ذلك فإن عددا من القصائد التي يضعها الباحثان امامنا ، وبحسب ما قلناه في الفائدة المرجوة التي يتوخاها الباحث في شأن نووز عند قيامه بقراءة القصائد ، تفتح أمامنا آفاقا واسعة لاكتشاف ما آل إليه نوروز في الوجدان الشعري ، من حيث أنه لم يتحدد بما ذهب إليه البحتري في رؤيته التي تمتاز بالانطباعية ، وإنما ذهب إلى ما يمنحه دلالات أخرى ، مثلما في قصيدة الشاعر الكردي لطيف هلمت:

فنوروز قصيدة كتبها كاوه الحداد
بمطرقة النار على القمم الحبلى بالفرح
ليبشّر به الأرقاء بنور الحرية

أو كما نرى في قصيدة الشاعر العربي بدر شاكر السياب التي تحمل عنوان (شعب كاوه) التي منها:

يا شعب كاوه سل الحداد
كيف هوى
صرح على الساعد المفتول ينهار
وكيف أهوت على الطاغي يد نفضت
عنها الغبار وكيف انقضّ ثورا

يقول كمال غمبار في المقدمة إلى الكتاب: على الرغم من أن الحكومات العنصرية كانت تروج دعايات مسمومة لتشويه قدسية الاحتفال به ، بأن إشعال النيران يدل على العقيدة المجوسية المنافية للقيم الاسلامية ، في حين أن النار ترمز إلى النور والاشراق ، إلا أن العلامة الملا محمد الكويي دحض مزاعم بعض رجال الدين المتزمتين في كلمة قيّمة ألقاها أمام السراي الحكومي في كويه بين حشد كبير من الناس ، وهو ما نتوصل إليه من قول الشاعر عبد الله بشيو كذلك:

لن (أنورز) هذا العام بدون جبال
لن (أنورز) بدون شذى الأعشاب
لن (أنورز) بدون لهيب النار الأحمر

وكذلك من قول كوران هو الآخر :

ها هو الكوكب حامل الانسان قد دار دورة أخرى
فوضع الشعب العريق في عيد النار مرة أخرى
أي شعب عريق؟ وأي عيد رفيع الشأن ومقدس؟
شعب ميديا وعيد نوروز العظيم
ذلك نوروز الذي يلوح لهيب نراه
في الريف الكردي منذ آلاف الرباع

وبالنظر إلى ما يشير إليه عنوان هذه المقالة من علاقة نوروز بالمنظومة الاجتماعية ، فإنه في مقدورنا تلمس أمر هذه العلاقة من خلال التوقف أمام القصائد على اختلاف مشاربها الفنية وقدراتها التعبيرية ، بشرط أن تكون غاية هذا التوقف البحث عما يمكن أن نراه من ملامح هذه المنظومة ، عبر طقوس نوروز التي يقوم بها الكرد في احتفالاتهم ، وبما ينفي كل الترهات التي يحاول اعداؤهم إلصاقها بهم وبعيدهم القومي .

يقول الشاعر بيره ميرد:

نوروز... اشتعل مثل هذه النيران

في الانتفاضة كانت الدروع صدور الفتيات .

إن شعبا تتحول صدور فتياته إلى دروع لمقاومة رصاص الآخر الذي يريد قتله ، لا يمكن أن يكون عيده القومي كمثل ما يحاول هذا الآخر ان ينعته زورا وبهتانا .

ويقول الشاعر محمد البدري:

فيا عشاق كردستان
هيا أوقدوا النار
أنيروا عتمة الجبل
وغنوا بهجة (نوروز)
بالأشواق والقبل

وتقول الشاعرة نوال بوتاني :

نيران نوروز
وسحب الدخان
على سفوح الوديان
نيشان
هذا موطن الكرد
وهذي حدود كردستان

بيد أن عباس البدري يرى من نوروز آلام الكرد وعذاباته:

في وطني
لا يعرف الرعاة في نوروز
غير "اللاوك" الشجي والغناء
في وطني يمسي طيف السوسن الليلي
في عيون كلبهار
في وطني..
ستهطل الأمطار

وفي القسم الثاني الذي يحمل عنوان (نوروز في النثر الكردي والعربي) فإن الباحثين يضعان أمام القارئ كل ما أوصلهما إليه البحث ، بصرف النظر إن كان هذا الذي وصلا إليه قد جاء على شكل مقالة أو دراسة ، أو على شكل عمود صحفي ذي طابع وجداني ، أو على شكل خبر قصير أو بيان أصدرته هذه الجهة أو تلك بمناسبة نوروز. لذا فإننا أمام عنوانات كثيرة ، غاية الباحثين من وراء الاتيان بها إلى متن الكتاب ، التوثيق من جهة ، وفتح المجال أمام الباحثين لاختيار ما يناسب توجهاتهم ، حتى وإن كان الكثير مما يأتيان به لا يمكن اعتباره مما يحمل قيمة تعبيرية تمكن الاشارة إليها . ومن بين هذه العنوانات (نوروز في الأدب العربي) و(ونوروز يبتسم زهرا آخر) و(نوروز ضمير الشعب الكردي) و(احتفالات نوروز السنوية وخلفياته الفكرية)و (شعبية ثورة نوروز) و (الفنانون العراقيون.. غنوا وسيغنون لنوروز وللواقع الجديد) و(احتفال الحزب الديمقراطي الكردستان في ذكرى أعياد آذار ونوروز).. إلخ.

قد يرى بعض القراء أن الباحثين قد جاءا بما هب ودب، وأنهما قد وضعا ما لا يعتبر ذا قيمة فنية كبيرة ،إلا أن الأمانة العلمية والصدق في التقصي ، كلها تحتم عليهما القيام بما قاما به وعلى هذا النحو الذي لا يمكن التقليل من شأنه ، على أساس أن عدم التخلي عن اي مما وقعت عليه عيونهما يعد من أبجديات المنهج الرصين في البحث والتقصي، خصوصا وأن الدكتور عمر صاحب الكتب العديدة وعلى وجه التحديد ، يعرف ما يمكن أن يفيد الباحث في أي من موضوعات حياة الكرد . إن خبرا قصيرا ربما يلقي الضوء على مساحات واسعة من حياتهم ، ما كان من الممكن إنارتها بدون هذا الخبر أو ذاك من الأخبار التي يزدحم هذا القسم بها . إنه وهو الذي يدرك موقع نوروز في الوجدان الكردي ، وكما نفهم هذا من مشروعه الكبير ، لا يسعه أن يلقي في علب القمامة أيا مما تم نشره ووصلت إليه عيناه ، حول شأن كردي يعرف أن عدد المناوئين لهم فيه ، قد يفوق عدد من يناصرونهم في اطروحاتهم، وبالذات منها ذات الطابع المرتبط بالميثولوجيا الكردية ، من حيث أنها الدالة إلى وجودهم الفاعل في التاريخ ، على الأقل وكما نرى هنا ، من خلال ثورة كاوه الحداد ، على الملك الظالم ، والخروج للاحتفال بذلك بعد الانتصار عليه : ذلك اليوم نوروزي يقول خاني :

أهل الحضر والريف معا
تركوا المدينة والقلاع والدور

كأنهــم أبنــاء الصحــراء وقطــاع الطرق

مشــوا إلى الجبال والسـهول صفا.. صفا.

أخـيرا يمكننا القــول أننا أمام جهــد كبير قــد أتعــب صاحبيه. ومصــدر التعــب لا يتمثــل في اعتقادنا بجهد في التحليل ـ تحليل القصائد والمقــالات مثلا، وإنما بما يلــزم الباحثين من الوقت لتوثيق كل مــا تقع عليه عيــون القراء في كتاب يقــترب عــدد صفحاته من السـتمائة صفحة . ولذا فإننا نعده من إنجازات الدكتور عمر الهامة ، خصوصا وأنه من الباحثين الكرد المعروفين بميلهــم إلى الميثولوجيا والعناصر المكونة لها عند الشعوب ، وبحســب ما نفهم هذا من كتبه السابقة

(الفولكلور ـ القســم الثاني) و (بعض العادات والتقاليد الشــائعة بين الكرد) و

(هدية نوروز في النثر الكردي)

و (عــادات وتقاليــد الــزواج عند الكرد) و

(بيبلوغرافيا الفولكلور الكردي)

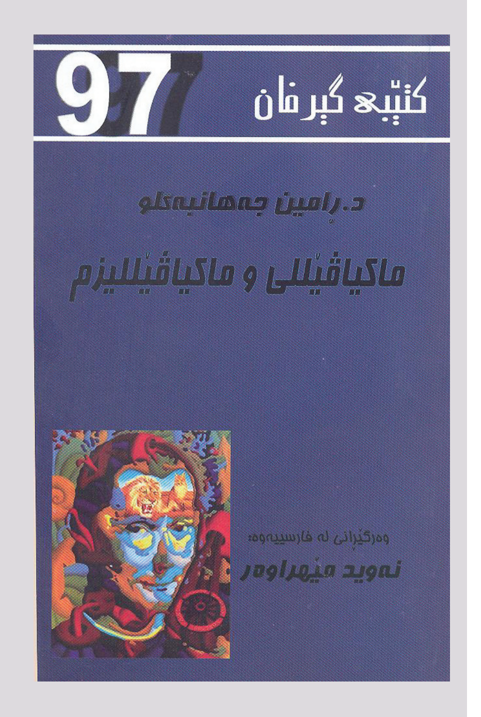
و (القيــم الســائدة في القصــص الشــعبية الكرديــة والعربيــة) و (هيدية نوروز في النثر الكريد) و (هيدية نوروز في الشعر الكردي).

اســم الكتاب/ هدية نوروز في الشعر والنثر للأدباء الكورد والعرب(١٩٣٦ـ ٢٠٠٩)

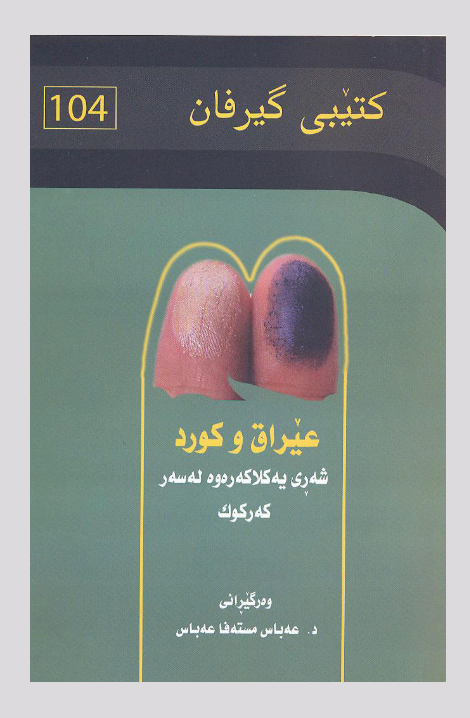
تأليف/ د. عمر إبراهيم عزيز، د. فاطمة رشيد الباجلاني

مكان الطبع/ أربيل ، ٢٠١٠

من اصدارات سلسلة كتاب الجيب في دار سردم للطباعة والنشر



مكيافيلي والمكيافيلية
ترجمة: نويد مهراور



العراق والكرد
ترجمة: د. عباس مصطفى عباس

الشاعر عبدالله گوران رائد التجديد في الشعر الكردي المعاصر

حواس محمود

لدى الأكراد شعراء أفذاذ يعتبرون من قمم الشعر المعاصر عالميا ، ولكن قلما تتم الإشارة إليهم وتتناولهم الصحف والدوريات العربية قد يكون لذلك أسباب سياسية وإعلامية تفضي إلى عدم توفر معلومات كافية لدى الصحافة العربية عن هؤلاء الشعراء ، ولكن ومها كانت الأسباب فالأمر يدعو إلى تسليط الأضواء على بعض كبار الشعراء الأكراد الذين استطاعوا الوصول إلى قمم المجد الشعري والنضالي ، ولعل الشاعر الكردي الخالد - عبد الله كوران - أحد هؤلاء الشعراء الذين يفتخر بهم الشعب الكردي باعتباره النجم الساطع والينبوع الدافق والجبل الشامخ في الشعر الكردي المعاصر

من هو عبد الله كوران:

هو عبد الله سليمان ولد في «حلبجة» عام ١٩٠٤ ، درس في مدرسة العلم بكركوك عام ١٩٢١ م إلا أنه تركها بعد مقتل أخيه الأكبر ، وعاد إلى مدينته للاعتناء بوالدته فامتهن التعليم بين ١٩٢٥ – ١٩٣٧ في مدارس ابتدائية في حلبجة وهو رامان ، وأثناء الحرب العالمية الثانية عمل لدى إذاعة الحلفاء والتي كانت تبث من «يافا» بفلسطين برامج باللغة الكردية تتصدى للدعاية الفاشية ، ونشط كوران سياسياً وناضل من أجل الديموقراطية والسلم في ظل الحكم الملكي العراقي ألقي القبض عليه عام ١٩٥١ لأول مرة مع عديدٍ من المعارضين وظل سجيناً حتى أكتوبر ١٩٥٢ ثم عمل محرراً لصحيفة زين « الحياة « بين ١٩٥٢ – ١٩٥٤ ثم أعيد اعتقاله في خريف ١٩٥٤ وحكم عليه بالسجن لمدة سنة إضافية قضاها في «بدرة» في سبتمبر ١٩٥٦ أطلق صراحه ليعتقل مرة أخرى بعد شهرين من ذلك واستمر سجنه هذه المرة حتى أغسطس ١٩٥٨ أي بعد مرور شهر على تحول العراق إلى الحكم الجمهوري ، أصبح أقرب إلى صورة البطل في أعين الشعب والسلطة فأرسل في وفود إلى الإتحاد السوفيتيي – السابق – والصين وكوريا الشمالية ، وفي بداية ١٩٥٩ تولى مهمة تحرير جريدة « الشفق « والتي تغير اسمها بعد ذلك إلى « البيان « وفي خريف ١٩٦٠ أصبح كوران مدرساً للآداب واللغة الكردية في جامعة بغداد ، وفي عام ١٩٦٢ أصيب بالسرطان وأجريت له عملية جراحية متأخرة جداً ، سافر إلى موسكو في ابريل من نفس العام لتلقي العلاج في مستشفى الكريملين وبعد ذلك في مصحة «بريجيج» ثم أعيد إلى كردستان بعد ثلاثة أشهر ، حيث توفي هناك في شهر أكتوبر من نفس العام(١)

موضوعات كوران الشعرية :

يعتبر كوران أستاذا لمدرسة الشعر الكردي الحديث(٢)، لقد ساهم بشكل جدي في تطور الشعر الكردي ، وتغيير أوزانه وعروضه وإيقاعاته متلائماً مع الظروف التاريخية والاقتصادية والاجتماعية لمجتمعه ، لقد دشن كوران مدرسة جديدة في النصف الأول من القرن العشرين ، ونبذ كوران عملية التقليد والتكرار وأوصل الشعر إلى قمة الإبداع وأحب كوران الجمال وغنى له وتمحور شعره حول الجمال في جانبيه : المرأة والطبيعة . لننظر قليلاً إلى بعض قصائده لنرحل في عالمه الشعري الزاخر بالرومانسية والجمال الأسئلة الفلسفية والتمرد والحزن والثورة:

في مقطع من إحدى قصائده يقول:

«يا ذكريات عمري الغابر حنانيك لا تغرقي حبي البائس في بحر البعاد»(٣) برومانسية حزينة وادعة يعود كوران للماضي لتداعيات ذكرياته، ويحن لحبيبته بشوق وشغف غريبين مفعماً بالحنين إلى اللحظات الهانئة الوادعة وفي جو رومانسي جميل . لقد وصف كوران الطبيعة كثيراً وصوَر جمالها وروعتها ولكنه اعتبر جمال المرأة أفضل بكثير من جمال الطبيعة ، ويجد كوران أن الجمال في الإنسان هو الروح والعمل الطيب ، فالجسد سوف يفنى ويضمه القبر المظلم بين دفتيه ، وهناك جمال واحد سيخلد عبر القرون :

«آلاف من جميلات العيون ضامرات الخصور قد ضمهن الثرى المظلم ما كان أجمل خد من خدودهنَ المتوردة وسواد عيونهنَ ولكن جمالاً واحداً لن تستطيع ريح الخريف أن تسقط أوراقه أو تطفئ خضرته الأبدية ذلك هو الجمال النابع من الروح ومن منبع القلب والمتدفق المنهمر أبداً»(٤) ويكتب كوران قصيدة لتخط على لوح قبر فتاة غدر بها شاب ثري ثم أدبر عنها فقتلت بيد والدها غسلاً للعار ، ويبرز كوران المأساة الإنسانية حتى تمسخ صورة « فلذ الكبد المذ بوح « في عدسة عين الأب ، وتضطر الأم لحبس دموعها وتخجل من أن تذرفها جهاراً .. إن هذا التقييم للإنسان يدفع بكوران إلى أن يرى الجمال الأكبر في النفس الإنسانية الطيبة . لقد كان كوران مع الفن مع المطالب المشروعة مع التمرد على السلطة الجائرة ، ها هو يصور صرخة الشعب بوجه الانتخابات المزيفة تضامناً مع انتفاضة ٦ سبتمبر ١٩٣٠ عندما أطلقت النار على الجماهير المحتشدة أمام سراي ساحة السليمانية للاجتماع للانتخابات المزيفة التي كان يراد لها إعداد برلمان ليصادق على معاهدة ١٩٣٠ الاستعمارية الجائرة ، ويصور كوران صورة البطل الشعبي «حلوبك» الشهيد ويقول على لسانه: «أواه يا بلبل حديقة السراي رغم إننا في فصل الخريف فأنا أسقي لك دورك بدمائي فأنشد لرثائك وقل لعروستي التي عاشت مع ليلة واحدة إن جاءتني لا تقولي لي قد مات من أجل الوطن ولم يحي من أجل حبي .. واجباً كان علي أن أفدي روحي لوطني»(٥) ويغني كوران لعيد شعبه «نوروز»، وموضوع نوروز يحتل صفحات هامة من الأدب الكردي المعاصر ويندر أن تجد شاعراً كردياً معاصراً لم ينظم شعراً حول «نوروز» وكوران وحده تناول الموضوع في خمس قصائد، إنه يرى في نوروز عيد الشعب المقدس وانتصاره عيد للحياة والنمو لكل ما في الوجود، وهو يصور فظاعة السلطات في قصيدة «سجن التنين» ويصور الضحاك القديم وقد لبس ثوباً جديداً ثوب الملوك والحكام المعاصرين الذين كانوا يحكمون العراق بسجونهم وخرابهم ومشانقهم التي تذبح الأنفاس والآمال والأهداف، إنه

كــوران إذ يصــور نــوروز إنمـــا يصور في الوقت نفســه تلك القوة الديناميكية العظيمــة التي تأتي وتتحــول ، دماء أريقــت ظلماً إنها تنهض في مطرقة « كاوا « مشــعلاً ينير الدرب للشعب ويوحد الجموع ويهشــم الطغيان ، ويهدم السجون ، ويخلــد الشــهداء ، يرى كوران في هذه النتيجة انتصار إرادة الشــعب أمرا تاريخيا حتميا يســير بمعزل عن إرادة الطغاة والواقفين بالضد من عملية التطور التاريخي .

يقول كوران:

«سأصنع نوروزي وسأحتفل به
سأجعله حفلاً زاهياً
سأضع عيده المقدس
ككردي مجاهد
نوروز خضرة ربيع
بنسمة تفتح في السهول الرائعة
في هذا العيد أحتض الورود»

وكان كــوران دائماً مع الحدث، ويعــد مــن أبــرز الأدبــاء الذين انخرطــوا في الممارســة الأدبيــة النضالية، ذلــك أن الأدب النضالي انطلق مع انطلاق الشعب في ثورة ١٤ تموز وقد سجل هذا الأدب البطولة الخارقة التي أبداها الشعب والجيش في الانتفاضة على السلطات الجائرة المنهارة في لحظات قد صورت أعمال أدبية عديدة هذه البطولة ، ويقف كــوران في مقدمة مــن صورها في أعمــال أدبية ، فهذا الشــاعر الذي كان يعيش في عقر الزنزانات منذ سنين وكان يعبَّر بقصائده العديدة مثل « أنشودة الصامد « عن بسالة الســجناء وصمودهم أمام التعذيب والألم لكونهم «جنود أمناء لقضية عادلــة» ويصوَّر كوران منذ اليوم الأول للثــورة مشــاعره الذاتيــة مشاعر الســجين الذي كان ينتظر الموت في أيــة لحظة وهو في قبضة النظام:

« صوت بعيد
أبعد من الأفق البعيد
بالكاد يخترق الحدود
فما لونك أبيض أم أسود أم أحمر
تعال واقترب أكثر فأكثر
هذا الصوت وهذه البشرى السعيدة
إنه عرس الجمهورية
يا راقدا في شبر من الأرض
ابتسم في أمان
فقد ولى الموت والفناء»(٦)

ويجسد كوران في قصيدته « قصة الأخوة «الأخوة الكردية العربية ، وذلك بنفس شاعرية ملحمية ويؤكد على تاريخية هذه الأخوة وحيويتها وأهميتها في العملية النضالية كأساس متين لمقاومة الاحتكارات الاستعمارية والخطط الاستغلالية :

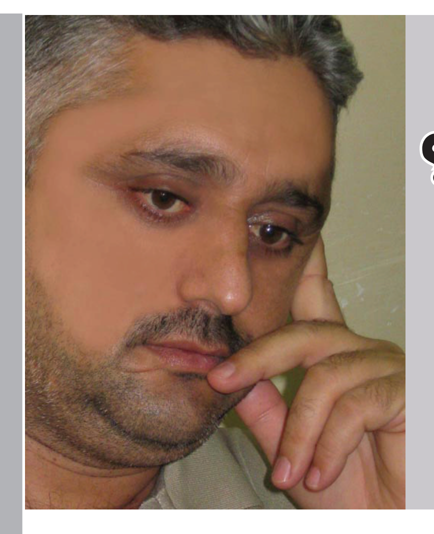
« أخي العربي
لمع سيف
وغرق بريقه في دماء
سالت في عنق أبي
على تراب التاريخ
وفجعنا كلانا بأبوينا
الهموم تعصر أعيننا قطرة قطرة
فتعانقنا وبكينا معا
فجعل البكاء منا أخوين»

نتاج كوران الشعري:

نشر كوران الشعر في أغلب الصحف الكردية التي صدرت من عام ١٩٣٠ وحتى مماته عام ١٩٦٢، وفي عام ١٩٥٠نشر له ديوان « الجنة والذاكرة « و» الدموع والفن « وظهرت له دواوين عديدة بعد رحيله ونشرت قصائده الكاملة في عام ١٩٨٠ ، ويمكن القول بأنَ شعر كوران ينقسم إلى ثلاث مراحل أساسية (٧) من حيث الشكل والمضمون : كان في البداية شاعرا كلاسيكيا ثم تحول إلى الشعر الرومانسي فأصبح شاعرا رومانسيا تمحور شعره في المرحلة الرومانسية حول المرأة والطبيعة ، والمرحلة الثالثة من نتاج كوران الشعري هي مرحلة الواقعية حيث أنه ارتبط – من خلال أشعاره – بقضايا النضال الوطني الديموقراطي ، قضايا الكفاح من أجل الحرية والأمن والسلام ، وكان الصوت المجسد لطموحات وآمال الجماهير العريضة وسائر الوطنيين والثوريين آنذاك ، لقد كتب في هذه المرحلة « سجن الضحاك « وفيها تناول أسطورة كاوا الحداد الذي كان قائد الإنتفاضة الكردية ضد الطاغية الضحاك قرأ كوران لشعراء الأنجليز ويمكن أن نجد تأثير الرومانسيين في شعره ككيتس وبايرون وشيللي (٨)، ولكننا لانجد تأثير ت.س إيليوت في شعره كما يدعيه بعضهم ، وهكذا نجد أن الشاعر كوران تميز بخصائص متعددة: بشعره الغزير الغني بالمضامين المتنوعة وكذلك بكونه الرائد المجدد في الشعر الكردي بما يتلاءم مع المرحلة التاريخية وبكونه الثوري الذي ناضل والتصق بهموم شعبه ، ولقد كان الشاعر الرومانسي والسجين والمناضل ونصير السلم والمكافح من أجل قضايا الشعب العادلة إنه بحق الظاهرة النادرة في الشعر الكردي خصوصا والأدب الكردي عموما

الهوامش:

١- ملف «كوران» ترجمة هيام جاويد - مجلة الثقافة الجديدة - العددان ٥ - ٦ آذار ونيسان ١٩٨٩
٢- تطور الأدب الكردي - هيمن موكرياني
٣- ديوان «الفن والدموع» بغداد ١٩٥١ نقلا عن الواقعية في الأدب الكردي - عز الدين مصطفى رسول
٤- الواقعية في الأدب الكردي - عز الدين مصطفى رسول
٥ - المصدر السابق
٦- مجلة «هيوا» آب ١٩٥٨ نقلا عن الواقعية في الأدب الكردي - مصدر سابق مذكور
٧- الثقافة الجديدة مصدر سابق
٨- الثقافة الجديدة - مصدر سابق



هل تحققت أمنيتك يا پيرەميّرد؟

جمعة الجباري*

مثلما ينبت الورد في التربة النظيفة والماء الصافي، كذلك تُنبِتُ ارض كوردستان الطاهرة عقول متنورة وابداعات فذة تستحق الاهتمام والتذكير، ومن هذا الباب سندخل في عالم المتنور المبدع (پيرەميرد) الذي كرس حياته كلها في سبيل تقدم امته، ومات وهو يردد «كانت امنيتي دائماً ان اري قومي وهم في مكانة من تعلم وتقدم ارفع من هذه، اصبحت حسرة في قلبي..».

من هو پيرەميرد؟

انه الشاعر الكوردي الكبير (توفيق بك محمود آغا همزة آغا المصرفي). ولد عام ١٨٦٧ في محلة (گۆيژه) في مدينة السليمانية. كان جده مسؤولا إداريا لامارة احمد باشا البابانى آخر امراء البابانيين، ولهذا عرف بالمصرفي.

دخل توفيق بك الكتاتيب وهو في السابعة من عمره، فتعلم القرآن ودرس الكتب الابتدائية علي يد معلمه الملا حسين كوجه، ومن ثم تعلم علي يد الملا سعيد الزلزلي. ثم تعلم العربية علي يد الملا محمود في جامع جده (جامع همزة آغا) وبعد تقدمه في تعلم اللغة العربية، تحول الي قراءة «السيوطي» ثم سافر مثل بقية الفقهاء الي بلدان ومدن اخري، فوصل الي مساجد مدينة (بانه) في كوردستان ايران. وبعد بقائه هناك فترة عاد الي مدينة السليمانية.

عيّن عام ١٨٨٢م عندما كان عمره (١٥) سنة، كاتبا لدائرة نفوس السليمانية وبعد فترة قصيرة عين كاتبا لـ(الضبط) في محكمة السليمانية وفي عام ١٨٨٣ عين كاتبا لاملاك الهمايوني في حلبجة، وفي ايلول ١٨٨٦ اصبح باشكاتبا لمحكمة شارباذيَر. وبسبب نشاطه السياسي وتودده لقوميته؛ نقل الي محافظة كربلاء عام ١٨٩٥ بصفة معاون لمدير المدينة، لكنه رفض الذهاب واستقال نهائيا من الوظائف الادارية.. ثم عينه الشيخ مصطفي النقيب وكيلا له لقضاء اعماله وتسهيل اموره.

وفي عام ١٨٩٨ وبدعوة من السلطان عبد الحميد، سافر مع الشيخ مصطفي النقيب والشيخ سعيد الحفيد الي تركيا ونزلوا في ضيافة السلطان، وبعد سنة ذهبوا ثلاثتهم مع عدد من المثقفين والمتنورين الي اداء فريضة الحج.

وبعد عودتهم من الحج؛ منحه السلطان العثماني لقب (بك) فاشتهر بعد ذلك باسم (توفيق بك).. ومن الصدف السعيدة ان الشاعر الكوردي الكبير (وفايي) والسيد احمد خانقاه الكركوكي كانا مرافقين له في طريق الحج وفي

طريــق العودة علي طريق الحجاز، توفي الشــاعر وفايي؛ فدفنه السيد احمد خانقاه هنــاك وعاد وحده الي العراق. إلا ان توفيق بك توجه في عودته الي تركيا.

في حادثة طريفة كان لها تأثير في تغيير مســار حيــاة توفيق بك، وهي عندما همَّ عزت باشــا كاتب ديوان بلاط السلطان عبد الحميد العثماني ان يرد علي رســالة كان قد بعث بها (ناصر الدين شاه) الي الســلطان، كلف عزت باشــا الحاج توفيــق بــك بكتابتهــا، فيتعجب الجميع باسلوب كتابته بالفارسية وخطــه الجميل وذكائــه في اجابة الرسالة، لذا يصدر في ١٤ ايلول ١٨٩٩ امراً ســلطانياً لانتســابه كعضو في المجلس العالي لاســتنبول وفي ذات الفترة ايضا وبواســطة عزت باشا يقبل في «كلية الحقوق» ثم يحصل علي شهادة الحقوق.. عندما اعلنت «المشــروطية» في تموز عام ١٩٠٥، انحلت تلــك المجالــس التي كانت تدير البلاد. فانشــغل توفيق بك حتي عــام ١٩٠٨ بالعمل في المحاماة والكتابة في المجلات والجرائد.

وقد شــغل پيرەمــيرد مناصب ادارية اخري كثيرة منها:

- شغل منصب قائمقام جوله ميرك عام ١٩٠٩.

- شغل منصب قائمقام (بالاوا) في عام ١٩١٥.



- في نيســان عــام ١٩١٨ اصبح متصرفــا لمدينة أماســية التركية وبقي هناك الي عام ١٩٢٣.

- عين في ٢٦ شباط ١٩٢٦مديرا لمدرســة (زانســتي) الاهليــة في السليمانية فتخرج علي يده جيل من الكتاب والمثقفين.

- عندما تشــكلت الحكومة في العــراق عــام ١٩٢٣-١٩٢٤ رجع من تركيــا الي بغداد ومــن هناك عاد الي الســليمانية في كانــون الثاني عام ١٩٢٥. فبقي فيها دون استلامه لوظائف حكومية، وعندما صدرت جريــدة (ژيــان) من قبــل بلدية الســليمانية عــام ١٩٢٦ واصبــح (حســين ناظــم) مديــرا لإدارتها ورئيســا لهــا، اصبــح بيــره ميرد مشــرفا عليها. وحين توفي حسين

ناظم عام ١٩٣٢ اصبح پيرەميرد هو المسؤول عنها ومديرا لها، وفي عام ١٩٣٧ وقعت خلافات بين موظفي البلدية والشاعر پيرەميرد، ادت الي سحب المطبعة منه، لكنه لم يتوقف عند هذا الحد؛ فقام برهن منزله الي مديرية الايتام وحصل علي امتياز إصدار جريدة اخري باسم (ژين). وكذلك اسس (مطبعة ذين) واستمرت الجريدة في الصدور الي ١٥ حزيران ١٩٥٠ وطبع منها (١٠١٥) عددا.

كان پيرەميرد ينشر نتاجاته باسم (حاج توفيق بك) الي ان نشر قصيدته (استيقظت في الصباح فرأيت الثلج متساقط) في العدد (٣١٢) من جريدة (ژيان) عام ١٩٣٢ فغير اسمه من حاج توفيق بك الي (پيرەميرد) أي (الشيخ الهرم) فبدأ ينشر نتاجاته بالاسم الجديد وقد كان شاعرا فذا خلد قصائد جميلة واديبا بارعا، سطر نتاجات رائعة مثل (فرسان مريوان الاثني عشر-١٩٣٥).

رواية (محمود آغا شيوه كه ل-١٩٤٢). (كالته وكه ب-١٩٤٧) وهي قصص كوميدية ساخرة، رواية (مەم و زين-١٩٣٤)، حكم پيرەميرد -جزءان- ويبلغ ٦٤٤٨ مثلا وحكمة، (كەمانجة ذةن-١٩٤٢) وهي قصة ألمانية مترجمة من التركية الي الكوردية. ديوان مولوي (الاصل والروح) عام ١٩٣٥ وقد طبعه في مطبعته بجزأين. وسمي النص الاصلي المكتوب باللهجة الهورامية (الاصل) وحوله الي اللهجة السورانية تحت اسم (الروح) أي (روح مولوي) وقد ساعده في تحويل بعض الكلمات الصعبة في اللهجة الهورامية كل من: ملا عبد الله المريواني، ملا عزيز مفتي السليمانية والشاعر الكبير كوران. ديوان مولانا خالد النقشبندي- نشره علي حلقات في جريدته ولم يبق لديه وقت لجمعها في كتاب. اشعار الشاعرين (وه لي ديوانه) و(بيساراني) جمع من شتاتها الكثير وحولها من اللهجة الهورامية الكوردية الي اللهجة السورانية. مجموعة من الكتابات النثرية الجميلة جمعها الكاتب (اوميد آشنا) وحققها في كتاب طبع من قبل (دار ئاراس للطباعة والنشر) في اربيل. مجموعة مقالات عن تاريخ الكورد: تاريخ امارة بابان، عشيرة الجاف والكثير من الاحداث التاريخية التي هي مادة جيدة لمشروع كتاب ضخم. الآلاف من الابيات الشعرية القيمة نشرها في صحيفته، ثم جاء من بعده الشاعر المرحوم (كاكەى فلاح) وجمعها وطبعها في كتاب. العديد من الابيات الفلكلورية والقصص الفلكلورية وقصص الاطفال والالغاز، تصلح لأن تكون مشروع كتاب جيد.

الدلالات الخاصة بشعره

كان الشعر عند پيرەميرد يعني (صوت الاعماق).. الذات الانسانية، الخوالج ومنغصات الحياة.. والمذهب الرومانتيكي طاغ بشكل عام علي اشعاره، اما آلام الانسان والارض، روح الوطنية والثورية فتظهر علي اشعاره بشكل خاص جدا.. وتتكون اشعاره من عدة مذاهب ادبية: الكلاسيكية، الرومانتيكية والريالزمية، وليست لنتاجاته الشعرية مراحل ادبية خاصة، كأن يتحول من المرحلة الكلاسيكية الي الرومانتيكية ثم الي الريالزمية، كونه كان يعمل عمل الصحافة كصحافي وشاعر في آن واحد.. وكان عليه ان يصدر جريدته في وقتها المحدد، لذا كان عليه التركيز مع اعماله الصحافية اكثر من تركيزه في عالمه الشعري الخاص، فمثلا كتب في عام ١٩٣٢ شعرا رومانتيكيا ثم في عام ١٩٥٠ وكما مبين في اعداد ژين الاخيرة كتب شعرا كلاسيكيا تقليديا. وبالعكس في عام ١٩٤٨ نشر قصيدة قيمة اخذت طابعا ريالزميا تماما. بيد انه في الثلاثينات من القرن الماضي قلد الشاعر مولوي واصبح صوفيا يعشق الخلوة ويلتجئ الي مزار زاهد ويترجاه لمساعدة قومه

للنجاة والتوحيد من اجل التقدم.

وقد كتب قصائده في العديد من الاغراض الشعرية مثل: الوطنية، الدينية، الحب، الرثاء، الالغاز شعراً، الاجتماعية، القصص شعراً، المناسباتية.. الخ، هذا بخصوص مواضيع وخلاصة اشعاره.

اما ما يخص «الشكل» عند پيرەميرد فليس بذات اهمية، فالموضوع او الفكرة كان هو الاهم لديه. ونستطيع القول ان غالبية اشعاره بعد رجوعه من تركيا واستقراره في السليمانية اخذت شكل نظام الـ(١٠) مقاطع، والذي هو نظام صياغة الشعر الفولكلوري الكوردي، وقد اخذ هذا الشكل الفولكلوري لبساطته وسهولة ولوجه الى قلوب الناس وفهمه وحفظه لديهم. ولا يعني ذلك انه كان غافلا عن معرفة البحور الشعرية العربية. بل كان بين الحين والآخر ينظم قصائد قوية على نظام البحور الشعرية العربية ليبين جدارته الادبية لاقرانه من الشعراء.

دوره في تقدم الادب والفولكلور الكوردي

عاد پيرەميرد الى السليمانية عام ١٩٢٥ تاركاً وراءه مناصبه كمتصرف لمدينة الاماسية التركية، مناصبه الصحافية، دراسته العليا وعمله كمحام في تركيا.. عاد وكله امل بأن يرى مدينته التي تركها عام ١٨٩٨ وهي ترثى لها، قد تطورت وتحضرت اكثر من ذي قبل، إلا انه صدم عندما عاد ورآها على حالتها الاولى، لم يكن رجوعه طمعا للمناصب او المال، بل عاد الى البيت القديم لجده محمود همزة آغا المصرفي. وبدأ باصدار جريدة ژيان عام ١٩٢٦ ومن ثم اصبحت (ژين) واصدر (١٠١٥) عددا منها، املا في نشر الثقافة المتحضرة والوعي الاجتماعي. ولم يكن سلوكه لهذا المسلك الصحفي، نابعا من الاعتباط؛ بل كان مخاض تجربة شاقة ومريرة لمدة (٢٥) عاما في استانبول التي كانت حينها ملتقى عالمين مختلفين، عالم الشرق المتخلف وعالم الغرب المنتفض والمتقدم. لذا كان يحاول ان يلبس رداء تلك الحضارة المتقدمة على جسد شعبه واشترط لذلك ان يكون التعلم والتعليم اول خطوة لذلك.

ومن جهة اخرى كان سباقاً في فتح مدرسة للبنات في السليمانية ويحث العوائل لارسال بناتها الى المدارس، فتعرض للكثير من المضايقات والانتقادات الشديدة، ولكنه لم ييأس، بل اخذ ينظم قصائد اقوى عن الفتيات ودورهن في المجتمع وضرورة تعليمهن.. كانت نتاجاته غزيرة وافكاره التقدمية اغزر. لذا التجأ الى اساليب جديدة لاستخدامها في نشر افكاره وايصال رسالته مثل:

اولا:الصحافة من خلال نشره لنتاجاته واصداره صحيفة خاصة تعنى بالادب والفولكلور الكوردي.

ثانيا: طبع في مطبعته العديد من الكتب المفيدة ونشرها واحيا تاريخ وفولكلور قومه.. عدا ذلك، قسم جريدته الاسبوعية الى ثمانية اجزاء:

١- الادبي: لاحياء الاشعار والادبيات الكوردية المنسية وتركيز الضوء على جوانب مظلمة من حياة الشعراء الكورد ونتاجاتهم، وبذلك حث الآخرين ايضا على ان يبحثوا وينقبوا عن صور وحياة الشعراء.

٢- الاجتماعي: كان يحاول فيه عرض الحالة المتخلفة لمجتمعه.

٣- الاقتصادي: زين كل عدد من اعداد جريدته بمقالة حول اقتصاد بلاده وتطوير اقتصادها. كما تحدث عن هموم الفلاحين والكسبة وآلامهم وكان يتحدث دائما عن فتح الشركات وتبليط الطرق والمواصلات.

٤- الفلسفي: خصص هذا القسم للتطرق الى النظرة الفلسفية للشعر والادب وتحليل ظواهر العالم والفلسفة الاسلامية.

٥- التاريخي: خصص زاوية له باسم (تاريخ واشخاص) وكان

يتحـدث في كل مـرة عـن حادثة معينة وقعت في عشيرة من العشائر الكورديـة. وكان يهـدف من وراء ذلـك تنويـر عقول قومـه بعدم جدوى تعقيد المشـكلات وضرورة العيش كأخوة تحت سـقف واحد، وكتب كذلـك تاريخ امـارة بابان وتاريخ عشيرة الجاف.

٦- العلمـي: حاول ربط اهمية العلـم بضرورة التعليـم وبالتالي تقدم المجتمع.

٧- الدينـي: كان يسـمي هـذا القسم (فقهي) وبما انه كان انسانا طيبا زاهدا في الحياة وراعيا للدين، فقـد ابـرز في هذا القسـم عظمة الدين الاسلامي ورجال الدين عبر التاريخ من الكـورد وغيرهم. كما نشـر فيه على حلقـات قصيدته (نالهى پيرى پيران).

٨- القسم الفكاهي: وكان يسميه بـ(مزاحي وفكاهي).. كما زين كل اعداد جريدته ومنـذ الثلاثينات بـ(الامثال والحكم) وتتجلى روعة عمله هـذا في ان احيـا الفولكلور الكوردي من خلال معالجته للامثال والحكم الفولكلوريـة الكوردية في اشعار منسجمة وخلدها فيها بشكل تثير القارئ حين يقرأها.

وايضا حاول پيرەميرد بالاستناد الي ثقافته واكتسابه للمعارف من خـلال تجواله وبحثه في تركيا، ان يطـور حركة المسـرح وخاصة في السـليمانية. وخصص في جريدته مكانا خاصا للنقـد والتحدث عن المسـرح والمسـرحيات التي كانت تعرض في السليمانية. وكتب ونشر مسرحيات ألفها مثل: (مه م وزين، محمود آغا شـيوه كه ل، شـريف هموندي) وفي احيـان كثيرة كان يـوزع ريع هذه المسـرحيات على طلاب فقـراء واناس معوزين، لقد حـاول پيرەمـيرد بشـتى الطرق ان يحيـي اللغـة والادب والتاريخ والفولكلـور الكـوردي ويطـوره، واعمالـه آنفة الذكـر دليل دامغ على ذلك.

پيرەميرد وجريدة "كورد»

بعدمـا تعرضـت خلافـة السـلطان عبـد الحميـد في بداية القرن العشـرين الى الضعف بسبب نشاطات سياسية لشبان ترك، ومن ثم الانحلال بواسطة (حزب اتحاد والترقي)، تغيرت الاجواء العامة في تركيـا وبات للصوت آذان تسـمعه والاجهار بحرية.

وفي عـام ١٩٠٨ اعلـن عـن اول تجمـع سياسـي كـوردي في تركيا والـذي كان قد تشـكل عـام ١٩٠٧ بشـكل سري في زمن السلطان عبد الحميد. وكان اسمه الكامل (كورد تعـاون وترقـي جمعيسـي) ومن مؤسسـي هذه الجمعية السياسية: (امين عالي بدرخان، فريق شريف باشـا، شـيخ عبيد الله زاده، شيخ عبد القادر افنـدي) وكان توفيق بـك - پيرەميرد - احـد الاعضاء البارزين فيها.

اول عمـل قامت بـه الجمعية هو اصدار صحيفة ناطقة باسـمها بتاريخ ٩ تشرين الثاني ١٩٠٨ باسم (صحيفة كـورد) صاحب امتيازها (المحامي توفيـق بك - پيرەميرد) ورئيس تحريرهـا (احمد جميل باشا) وكانت الصحيفة اسبوعية في (٨) صفحات. استمرت بالصدور لمدة ٨ اشهر؛ إذ اغلقت في شهر حزيران عـام ١٩٠٩ بعـد ان منعت جمعية كورد من ممارسة عملها السياسي. كذلـك صودرت مطبعـة الجريدة من قبل السلطات التركية.

تعـد صحيفـة (كورد) لسـان حال جمعية (كورد تعاون وترقي جمعيسـي) ثاني جريدة كوردية في تاريخ الصحافـة الكوردية، بعد صـدور الجريدة الام (كوردسـتان ١٨٩٨) حيث صدرت جريدة (كورد) عام ١٩٠٨.

نبذة عن حياته الشخصية

قبـل رحيله عن السـليمانية تزوج پيرەمـيرد من (غزالة خان) وكان لـه منها ثلاث بنـات وهن: ١-مهديـة: توفيـت وهـي طفلة، ٢-آمنة: تزوجت من (ميرزا محيي الدين) شقيق ميرزا فرج، وانجبت بنتـان وقـد توفيتـا بعـد ذلك. ٣-رحمة خان: وهـي والدة (فائق

هوشيار واحمد زرنك) وقد توفيت عــام ١٩٧٧ ودفنــت في تلــة (مامه ياره) في السليمانية بجانب والدها.

ثم تزوج پيرەميرد في تركيا من امــرأة اخرى، وانجــب منها خلال فترة ٢٥ سنة التي قضاها فيها هناك ولدان، الاول اســمه (نذاد) والثاني اسمه (وداد). ولد ابنه البكر نذاد في مضيق (هه كبه لي أطه) او (أطه بازاري) حيــث كان پيرەميرد ذلك الوقت قائمقاما لــه، حصل(نذاد) على شهادة الحقوق، وقد زار والده في الســليمانية مرتين، المرة الاولى عام ١٩٣٣ والمرة الثانية في اربعينية وفاة والده عام ١٩٥٠.

تــوفي نذاد عــام ١٩٥٤ في تركيا وترك مــن بعــده ولــدان (اتيلا ومحمــد). امــا (وداد) ابنه الثاني ولــد ايضا في تركيــا وحاصل على شــهادة الدكتوراه في الاقتصاد. زار والــده في الســليمانية قبل الحرب العالميــة الثانية ومــن هناك عرج على بغداد ثم الى هندستان وهناك حصل على الشــهادة العليا في اللغة (السانسكريتية).

توفي شــاعرنا الفذ پيرەميرد في ١٩ حزيران ١٩٥٠ في الساعة الرابعة بعد الظهــر. اثر مرض الســكري والكليــة، عن عمر ناهز (٨٣) عاما وبنــاء على وصيتــه ووري الثرى في تلة(مامــه يــاره) القريبة من السليمانية.

مقطــع مترجم الى العربية من قصيدة (نشــيد المعرفــة لنوروز) نشــرها في (ژيان) باللغة الكوردية العدد (٤٧٠) لعام ١٩٣٦.

اليوم بنوروز ازدهر الورد
هام البلبل من عشق الورد
هو ينشد حبا للورد
نحن ننشد طوال الشهور
هو هائم فقط للورد
نحن املنا رفعة قومنا،
البلبل لعشقه الورد يغرد
نحن نعشق الام الحنونة
لايولد البلبل من ورق الورد
نحن من هذه الثرى المحفوظة

مقطــع مترجــم الى العربية من قصيدته (سنوات) المنشورة عام ١٩٢٧

سنوات

لســنوات كنا اســرى مثل القبج في القفص
وهنــا كان وكــرا لقطــاع الطرق بالليل
لم نكن نجرأ للخروج والتنزه ليلا دون ارتجاف
والآن بوجودكم لا نخاف
نــروح ونجــيء دون مشــكلات او خوف
آه.. لــو يدخــل التعليــم ايضــا للميدان
فالعلم وحده يصنع الانسان

المصادر:

-مجلة كولان العربي/ العدد (٤٧) نيسان ٢٠٠٠، مقــال للكاتــب بمناســبة مرور (١٠٢) عامــا علــى صدور جريــدة الام (كوردستان).
-ديوان پيرەميرد - جمع وتحقيق: اميد ئاشنا، دار ئاراس للنشر والطبع، اربيل.
- مقالات منشورة في الانترنت.

★ xadang٢٠٠٣@yahoo.com
كاتب وصحافي من كركوك

التداخل الأجناسي في الأدب الكردي المعاصر: البرزنجي والباشا أنموذجين

عبدالكريم يحيى الزيباري

يلعب العنوان دوراً كبيراً في عمليات التداخل الأجناسي، ليس اعتماداً على قصدية المؤلف فحسب، بل لأنَّ الأدب الحديث ما عاد يهتم بالفروق بين الأجناس، بحسب استشهاد تودوروف يقول موريس بلانشو عن هيرمان بروخ(تلقّى مثله مثل الكثير من الكتاب الآخرين في عصرنا، ذلك الضغط العنيف من الأدب الذي لم يعد يطيق التمييز بين الأجناس ويريد تحطيم الحدود). ويكملُ تودوروف(أمّا عدم خضوع كاتب للتمييز بين الأجناس، فيشكِّل دليلاً على حداثة أصيلة لديهِ).

تودوروف- مفهوم الأدب- ترجمة عبود كاسوحة- ترجمة عبود كاسوحة- منشورات وزارة الثقافة- ٢٠٠٢- دمشق- ص٢١.

هل أنَّ تشكيل بنية الجنس الأدبي، شرط حتمي، لإنتاج نصٍّ ما ينتمي إلى ذلك الجنس؟ هل تكفي بنية أيّ نصّ أدبي، أو هيأتهُ الخارجية والداخلية لتكوين صورة واضحة عن الجنس الأدبي الذي ينتمي له النص؟ إذا كانت تكفي، فإلى متى نظلُّ مأسورين داخل ثوابت الموروث النقدي؟ إنَّ الإبداع بات يُقاس اليوم بمدى قيام النص، بإحداث تغيير فعلي في البنية الداخلية والهيأة الخارجية لجنسهِ الأدبي، وهذا التغيير قد يخضع لصدفةٍ عابرة، أو لأحكام الضرورة التي تفرضها إسقاطات وصِراع عناصر الحداثة وما بعدها، في أشكال هندسية وتصاميم داخلية وخارجية، تقترب من الخيال وتنأى عن واقعها المرير، ودوّامة القلق المزمن التي سَقَطَتْ فيها الإنسانية، كما قال برجسون(إن جسم البشرية قد تضخم تضخماً خارقاً للمادة، بينما ضعف روح البشرية وتضاءل). نتيجة هذا التداخل العنيف الذي يعصف بالروح البشرية ويمنعها النقاء الذي ترنو إليه، ويوجد في النصوص الكثير من العلامات التي تشير إلى جنسه، خلا التجنيس الذي يفرضهُ كاتب النص، بكتابته الجنس بعد العنوان، وقبل اسم الكاتب، أو في مكانٍ آخر(ومن أمثلة ذلك: أبنية مميزة في بداية النص، مثل: «كان يا ما كان».. تشير إلى حكاية خرافية..و»باسم الشعب» وغيرها التي تُعدُّ نمطية لأحكام المحكمة، و»عزيزتي ماري» و»سيدي المدير المحترم»)،

فولفجانج هاينه مان – وديتر فيفجر- النص نوعه ونمطه- ترجمة سعيد سعد بحيري- مجلة علامات- جدّة- المجلّد ١٣/ الجزء ٥١- ص١٤٩- ١٥٠.

ولكن هذا التجنيس من قبل

المؤلِّف هو قضية خاصة، ولا يمكن استنتاج قضية عامة، من قضية خاصة، مهما تكرَّرَ حدوث القضية الخاصة و(من المعروف أنَّهُ مهما بَلَغَ عدد البجعات البيضاء، فإنَّه لا يُسمَحُ لنا بالقول أنَّ كلَّ البجَع بيض).

كارل بوبر- منطق البحث العلمي- ترجمة د. محمد البغدادي- المنظمة العربية للترجمة- ط١- ٢٠٠٦- بيروت- ص٦٣.

وهكذا تكون كلُّ القضايا التي سندرجها، غير صالحة لإثبات حدود لأيِّ جنس أدبي، ولا تثبيت لشروط خاصة بالتداخل الأجناسي حيث تضطرُّ البنية الداخلية للجنس الذي يروم الكاتب أنْ يَضَعَ نَصَّهُ تحت مظلَّته، لأنْ تتلاءَم مع التصاميم المُسبَقَة أو التي جاءَتْ عَفواً، والتهجين الذي يحدث في الطبيعة أو الذي يحدث اصطناعياً بفعل التجارب الجينية التي يجريها الإنسان الحديث، لأغراض تحسين النوع والجنس، عَرَضَ القاضي الجرجاني في كتابه «الوَساطة بين المتنبي وخصومه» لمسألة استغلال جنس القصة القصيرة للشِّعر، إيليا أبو ماضي وقصة التينة الحمقاء، وَسَبَقَهُ المتنبي في مدحهِ بدر بن عمار، وقد بَرَزَ للأسد، وسبقهُما البحتري في وصفهِ قتْلُ الفتح بن خاقان أسداً عَرَضَ له(غَداةَ لقيتَ اللّيثَ والليثُ مُخْدِرٌ/ يحدِّدُ ناباً للّقاءِ ومِخْلَبا) مُخْدِرٌ: في خِدْرِهِ، عرينهِ. ولو أنَّ القصة قيلت نثراً، لغابت عنا كالكثير من القصص، نحنُ نعلم أنَّ القصة القصيرة والقصة القصيرة جداً قد استفادت كثيراً من الفن التشكيلي كرافد جمالي، وأنَّ هناك تداخل أجناسي كبير بين الشِّعر والقصة القصيرة جدا، وخاصةً قصيدة النثر على غِرار ومضات جاك بريفير السريعة، حتى أنَّ الشعِّر العمودي لا يخلو من سرد قصة قصيرة جداً، كقول الشاعر:

افترقنا حينا فلمَّا التقينا
كان تسليمه عليَّ وَداعا

إنَّ نَصَّاً ما قد لا ينتمي بالضرورة إلى جنس ما، وإلا فأين نضعُ نصوص بورخس؟ من مثال (يقول ديكارت إنَّه كان بإمكان القرود أنْ تتكلم، لو أنَّها أرادت ذلك، غير أنَّها قررت الصمت، لكي لا تُرْغَمْ على العمل. أمَّا قبائل البوشيمان في إفريقيا الجنوبية فتؤمن بأنَّ جميع الحيوانات كانت، في زمن مضى قادرة على الكلام. لكنَّ هوشيغان كان يمقتُ الحيوانات، فتوارى ذات يوم حاملاً معه تلكَ المَلَكَة)

بورخس- كتاب الحيوانات الوهمية- ترجمة بسَّام حجَّار- المركز الثقافي العربي- ٢٠٠٦- بيروت- ص١٠٣.

وهناك نصوص لجودتها تَحَارُ في تجنيسها الألباب، كالبورخسيَّات، ومنها نص عبدالله البرزنجي(نوع أ)(الأعمى/ دائماً/ يرنو/ يرنو/ يرنو/ يرنو/ يرنو/ يرنو/ يرنو/ يرنو/ يرنو/ يرنو/ يرنو/ يرنو/ يرنو/ يرنو/ يرنو/ ولا يرى/ إلا الظلام).

عبدالله البرزنجي- صيد الأمواج- منشورات مركز كلاويش الدورة ١٢ لسنة ٢٠٠٨- ص٥٦.

هذا الشكل الجديد يمارس قوة كافية لمنح النص مفاهيم جديدة، ويمارس كذلك قوة إغوائية كبيرة لصالح النص كي يبقى منغرزاً في الذاكرة،ومن خلال العنوان(الأعمى) هل هناك أبسط من بنية الشكل الخارجي هذه؟ أربع كلمات، وثلاث أدوات(واو العطف، ولا النافية، وأداة الاستثناء إلا)مع أربعة عشر فعل المضارع(يرنو).

وهو قدْ أدرجَ نَصَّهُ تحت مظلة الشِّعر، بصيغة التلاعب بمساحات البياض والسواد في الورقة، وتغيير مواقع الكلمة، مما منحَ النص نوعاً ما من الجمالية، الأعمى هو الإنسان الذي لا يرى الحقيقة، والذي يدَّعي برؤيته للحقيقة، فهو يدَّعي العماء،

ويقـول ديـكارت "خيرٌ للمـرءِ أنْ يعدلَ عن التمـاس الحقيقة، مِنْ أن يحاول ذلك من غير منهج" لكن إذا كان من الممكن إساءة فهم كلِّ ما هو لغـوي، فكيف بالإمكان تجنُّب سوء التفاهم هذا؟ وأين هذا المنهج الـذي لا يثير سـوء التفاهم؟ نص غير قابـل للتجنيـس وإنْ أدرجه البرزنجي تحت مظلة الشِّعر. وهذا النـص فيه مـن التعالـق النصِّي مع قصيدة جاك بريفير: "الأُسـر الرفيعـة" (لويـس الأول/ لويس الثانـي/ لويـس الثالـث/ لويس الرابـع/ لويس الخامـس/ لويس السـادس/ لويس السـابع/ لويس الثامـن/ لويـس التاسـع/ لويس العاشر(الملقب بالمحارب العظيم)./ لويس الحادي عشر/ لويس الثاني عشـر/ لويس الثالث عشر/ لويس الرابع عشر/ لويس الخامس عشر/ لويس السادس عشر/ لويس السابع عشـر/ لويس الثامن عشر/ وبعد ذلك لا أحـد لا شـيء./ ما هؤلاء الناس/ الذين لا يسـتطيعون/ أن يعدّوا إلى العشرين؟).

جاك بريفـير- ترجمة صيّاج الجهيم- منشورات وزارة الثقافة- ١٩٩٥- دمشق- ص١٥٨.

وفي نص الكاتـب عبدالرحمن الباشـا والذي عنونه بـ(هلوسـات صائـم!!) يسـرد الباشـا حالـة رمضانيـة في ومضـة قصصيـة رائعة(ساعتان، ثلاث ساعات، ليل، نهار، كهرباء وطنية، مولّدة المحلة، مولّدة شـخصية، ثلاثـة أمبيرات، عشرة أمبيرات، فول، فول سوداني، فـول مدّمس، اطفئـوا المصابيح، اطفئـوا الثلاجة، لا داعي للمبردة، الغسـالة بـيعوهـا، كانـت لدينـا مجمدة، مضخة المـاء احترقت، ١٠ فولتات، استبدلوا المبردة بالمروحة السـقفية، إعلانـات السـبليت في التلفزيون، أيـن المكوى الحديدي؟ اسـتخدام الطاقـة النووية لتوليد الكهربـاء، اسـتخدام الفانـوس و(اللمبة) للإضاءة، المولدة عاطلة، الكهربـاء الوطنيـة (ماكو)، جيب فلوس المولّدة، رمضان كريم، حرّ تموز، فطور تحت ضوء الشـموع، تعـا، روح، اركض، نـام، موت، آخ، أوف ٤٨ درجة مئوية، سـد دوكان، مشـروع أحمد إسـماعيل، سـدّ دربنديخـان، المياه شـحيحة، عام ٢٠١٠، عـام ٢٠١٥، مشـكلة الكهرباء سـتنحل، أزمة الكهرباء ما تنحل، ماكو ماء لأنـه ماكو كهرباء! ماكو كهربـاء لأنـه ماكو نفـط!! ماكو مـاي ماكو كهربـاء! ماكـو يعني ماكو! اويلاخ يابه، حارّة، جوعان، رمضان، انطفت الكهرباء، المسلسل راح، آخ يابـه، آخ يـُمـه، الكهرباء الوطنيـة، الكهربـاء الرئيسـية، الكهرباء الفول، سـنة ٢٠١٥، سـنة ٢٠٢٥، كهربـاء، كهربـاء، كهرباء!! هـل يعقل ان تكـون الكهرباء هي الهمّ الرئيسـي للمواطن العراقي؟ في اقليـم كوردسـتان وليـس في بقية مناطق العراق-هل يعقل ان (يموت الانسان وفي نفسه شيءٌ من الكهرباء)؟ هل من مجيب؟!).

مجلـة الصوت الآخـر- العدد: ٢١٠- بتاريخ ٢٠٠٨/٩/١٠.

وصف لحالـة الواقع المعيش في العراق الجديد، بطريقة سـاخرة، هل من الممكن أن نعتبر نص الباشا قصة قصيرة، أم نص مفتوح؟

وهناك نصوص لتفاهتها تحارُ فيها أيضاً، كقول الشاعر من (نوع ب)(كأننا والماءُ مِنْ حَوْلِنَا/ قومٌ جلوسٌ حَوْلَهُمْ ماءُ) وإنْ توفَّرَ في هـذا البيت الشِّـعري شـروط الشِّعر العمودي، من وزن وقافية، ولكـن غـاب الفحـوى، ومثل هذا البيت نصوصٌ أخرى، من الصعب تجنيسـها شـعراً أو قصة أو رواية حتى لو اسـتوفت لشروط الجنس الأدبي المُزْمَعْ، فحيوانات بورخس لا تخلو أنْ تكونَ نوعاً من البشـر، وهوشيغان قد يكون هو ديكارت أو كانت. والمَلَكَة المفقـودة هي مَلَكَةُ الحكم وتتصل بهـا ملكة الحكمة، وعموماً هـي مَلَكَة التفكير، ولكن قبـل التأويل: ما هـو جنس هذا النـص؟ وراو تجريبـي كالدكتور عمّار أحمد أدخلَ السُلَّم الموسيقي في متن السـرد الحكائي في محاولة

لاستحداث جنس أدبي أسماه بالمرواة، وكذلك جميع الحكايات الشعبية التي ساقها في النص كانت من تأليفه، ولم تحدث عملية تناص في أيِّ جزء من المرواة، وإنَّ رواية مثل عوليس لا تخرق قواعد الرواية فحسب، بل تؤسس للانهائية أساليب السرد، وإذا كان غوغول يقول قصيدة النفوس الميتة، فإنَّ عوليس ليست قصيدة ولا رواية ولا ملحمة ولا أي جنس آخر، إنَّها العالمُ بأكمله، من أعلى نقطة وصولاً إلى سجِّل عقاري لشارع مغمور.

الحياة اليومية في حالاتها الإنسانية:

نماذج من الإبداع النسوي الكردي في سوريا

لقمان محمود



يخطو الإبداع النسوي الكردي في سوريا، خطوات حثيثة نحو تأسيس خطاب يصب في الإنساني والحياتي، بكل إمتداداتهما العاطفية والقومية والاجتماعية والسياسية والتاريخية، ضمن إطار مشروع متواصل لإعمار الأمل في الإنسان الكردي المعاصر.

ومن هنا سعت رابطة كاوا للثقافة الكردية في أربيل، إلى إصدار الجزء الثاني من كتاب « صفحات من الإبداع النسوي الكردي في غرب كردستان » كمحاولة لهذا التواصل والحوار والتفاعل مع الثقافات الأخرى.

يضم الكتاب مختارات إبداعية لسبعة عشر كاتبة، غالبيتهن شاعرات، بإستثناء مها حسن (روائية)، لافا خالد (صحفية) وثناء الكردي (باحثة).

فبالنسبة للشعر، سأتطرق أولاً إلى الشاعرة كجا كرد (١٩٤٤) بإعتبارها أول امرأة كردية سورية كتبت الشعر باللغة الكردية. وبإعتبارها – أيضاً – أول امرأة تلتحق

بالمعاهد الكردية في السليمانية في الأعوام (١٩٧٢ – ١٩٧٤).

حيث تختلف الشاعرة – كجا كرد – عن باقي الشاعرات بإنحيازها إلى القصيدة الكلاسيكية المستندة إلى التراث الشعري الكردي العريق: (الجزري، أحمدي خاني وجكر خوين).

وتتبدى انجازها في حصافة الأسلوب وقوة التعبير، ووحدة القصيدة، وسلامة اللغة، كما في هذا المقطع:

ترجلتُ فوق الهضاب العاشقة
كانت الروح ومشاعرها تتعانق
وسريعاً انبعث ربيع القلب في المصايف
صرنا أنا والسعادة في
تلك اللحظات صديقين
حيث في أغمارها كنتُ أتوه
في غيبوبة سعادة لا نهائية.

فالمتابع للمشهد الشعري النسوي في كردستان سوريا، سيلاحظ أن التجربة الشعرية متسلحة بحيوية الموضوعات الطافحة بالحركة، والتي لا تنفصل عن الحياة اليومية في حالاتها الإنسانية الواقعية، مثل موضوع الحب والحزن الذين يؤرقان الشعر منذ بدء الخليقة، كما عند الشاعرة دلشا يوسف:

شمالُ قلبي هو
في عينيه أروِّبُ عسل مُرار الحب.
شمعتي هو
في كل ليلة
حين تكون أماسي الوحدة ملتقاي.
ذات يوم، في غُرّة الخريف
وقد نديت الأرض بالرهمة
أضعته دون وداع،
هناك... في شمال القلب!

الملفت عند هؤلاء المبدعات هو هذا البحث عن آفاق جديدة في الحياة وفي الكتابة، في فترة زمنية من عمر اللا استقرار في المجتمع الكردي السوري، والتي شكلت عبئاً باهظاً قيّدت الحياة بإرهاق سياسي واجتماعي وثقافي وجمالي، جعلت معظم الكاتبات تتوزعن على المنافي: (دلشا يوسف) في السليمانية، (جانا سيدا) في تركيا، (آخين ولات) في السويد، (مها بكر) في ألمانيا، (مها حسن) في فرنسا، و (كجا كرد) في ألمانيا.

ونلاحظ أنّ هؤلاء الشاعرات تتفردن في التمايز والافتراق والاضافة، في محاولة لنقل النص الشعري إلى آفاق جديدة، كما عند الشاعرة جانا سيدا:

كل مساء
تتقد النجوم في
أحضان السماء
كل ربيع
تتبرعم الورود
في قلب الأنداء
فقط يداي
تموتان بين يديك
في كل لقاء.

تجليات هذه النزعة الإنسانية التي تعتني كثيراً بمفردات الواقع اليومي، أصبحت محوراً جمالياً وأسلوباً تقوم عليه التجربة الشعرية النسوية السورية، بوصفها استعادة غنائية على ما تنطوي عليه الذات الشاعرة من شأن خاص، لاستثمار العاطفة بالعودة إلى الينابيع الأولى للحب، أو للحزن، كمحمولات انسانية لا بدّ من اللجوء إليها بحثاً عن أمان شعري.

ومن ممثلي هذه القصيدة – أيضاً – الشاعرة مها بكر التي تقول:

جئتُ و لم أجدكَ في البيت
تركتُ لك أصابعي على مقبض الباب
حين لم أعثر في تلك البرهة
على ورقة يتسع عليها
توثيق دمعة
تهرٌّ من زفرة إشتياق.

كما لا تختلف الشاعرة آخين ولات عن هذا السرب الرائع، الذي أكّد مصداقية هذه القصيدة، والتي في أغلب نماذجها نسفٌ للمواصفات المعتادة وللموضوعات الكبرى، رغبة منها في الافصاح عن مكنونات الذات المعذبة بلغة لا تفيض على حاجتها الشعرية المقصودة:

كما أحبك، تعالَ
حلم ليالٍ..وسراباً
تعالَ، رسائلي التي كتبت في السر
أقرأها
وأقرأ كل كلماتي المجهضة.
كما تحب تعال
قلْ لي أين كنتَ يوم مقتلي
وماذا كنت تفعله؟

من هـذا المنطلق تكتـب أيضاً الشـاعرة نالـين داوود بجميـع عناصر الخطاب الشـعري المتفاعل مع مكنونات النفس، ونتاج الحواس مـع الواقـع الداخلـي والخارجي، بشـوقٍ مؤمن بذاتـه، وطامح إلى تحقيقٍ مبتغاه في الواقع الوجودي الملمـوس، خصوصـاً في قصيدتها «كاد يقتلنـي»، التـي تقوم على الشفافية الآسرة والانسيابية، تقول القصيدة:

كل جزء من ظلي الحزين
المتكوم الأنين
ينهار شوقاً إليك.

*

أشتاقك موتاً
وأنا لا أجراس، ولا نواقيس
ولا مآذن تُغني الفقر في عمري
تسد الجوع في قلبي
تعال نغتال القدر
فالشوق كاد يقتلني.. كاد يقتلني!

وبمـا أن هـذا الشـعر هو فن الاحسـاس الجميـل، والصـورة الناطقـة والمعـبرة عـن أعمـاق النفـس، فأنه يخرج عـن الحدود الدلالية التي رسـمتها لها المعاجم. لذلك جاء مشـغولاً ببناء شـعري مؤثث بمواقف جديدة من الحياة، بإعتبـاره – الشـعر – هو المتبقي الأكثر مقاومةً لحالة الموت.

وكـي أفي هـذا الكتـاب حقه، أقـول: هنـاك شـاعرات أُخريات لهنّ حضورهـن القوي والفعال في المشهد الشـعري الكردستاني، وهم يتواجـدون أيضـاً – وبقوة – في « صفحـات مـن الإبداع النسـوي – غـرب كردسـتان « مثل: شهناز شـيخي، آسـيا خليل، روفند تمو، آناهيتا حمو، فدوى كيلاني، هيفي، مزكين حسكو، وديا جوان.

«إشراقات كردية: مقدمة للشعر في كردستان»

للكاتب لقمان محمود.. كتاب ينحاز للشعر ويحتفي بالشعراء

فتح الله حسيني

اقترن اسـم الشـاعر والكاتب الكردي لقمان محمود، على الدوام، وطيلـة مـا يقارب ربـع قرن من الكتابة والعمل الصحفي في الصحف الخليجيـة والعربيـة والكرديـة، بانحيازه جداً الى روح الشـعر دون غيرها، مهما كانت قومية الشـاعر أو مذهبه أو دينه أو اتجاهه، فهو، أي الشـاعر لقمان محمـود، قدم للمشـهد الثقافي العربي العشـرات، بـل المئات من الأسـماء الشـعرية المبدعة، عبر تسـليط الضوء على نتاجاتهـم الشـعرية في صحـف متنوعـة ومختلفـة في العواصـم العربية، ولم يكتف بذلك، فحسب، بل راح يكتب بشغف ونهم كبيرين عن الأسماء الشعرية اللامعة في قمة المشهد الشعري العربي، بالإضافة الى

تقديم كم هائل أيضاً من الأسماء التي ظهرت وتظهر بشكل متجدد في المشهد الأدبي كل عام، وبذلك ظل، لقمان محمود، الصديق، وفياً للثقافة من خلال قراءة الشعر والكتابة له، وعنه، وكتابته بوجع خاص أيضاً، إذا عرفنا أن له ثلاث مجموعات شعرية صدرت بين دمشق وبيروت والمغرب.

الشاعر والكاتب لقمان محمود في كتابه الجديد، الموسوم ب «اشراقات كردية: مقدمة للشعر في كردستان»، الصادر مؤخراً ضمن السلسلة الثالثة عشرة لمهرجان كلاويز الأدبي الثالث عشر في مدينة السليمانية، كاتب يحتفي بطرائقه الخاصة بعدد غير قليل من المبدعين الكرد، على إختلاف انتماءاتهم المكانية، وعلى اختلاف رؤاهم للشعر والدفاع عنه، وعلى اختلاف جنسهم أيضاً، حيث أن الكتاب والكاتب معاً يحتفيان بعدد جميل من الأسماء النسوية الشعرية في كردستان، مثل الشاعرات مها حسن، لافا خالد، دلشا يوسف، كجا كرد، كزال ابراهيم خدر، شيرين. ك، جانا سيدا، آخين ولات، مها بكر ونالين داوود، لأن الشعر، بحسب الكاتب، هو فن الاحساس الجميل والصورة الناطقة والمعبرة عن أعماق النفس، فانه يخرج عن الحدود الدلالية التي رسمتها المعاجم».

يؤكد الكاتب بان الشعرية الكردية اكتسبت عبر جميع مراحلها بعداً إنسانياً تمثلت في الروح الكردستانية التي ما زالت تنشد الحب والسلام والحرية، فيتطرق الكاتب الى تجارب الشعراء شيركو بيكس في مجموعته الشعرية «مضيق الفراشات» وانطولوجيا الشاعر والكاتب حسن سليفاني من خلال قصائد مترجمة من اللغة الكردية الى اللغة العربية تحت عنوان «قصائد من بلاد النرجس» والوقوف حيال كتاب «سيمياء الخطاب الشعري من التشكيل الى التأويل» للناقد محمد صابر عبيد، الذي خصصه لدراسة كتاب «قصائد من بلاد النرجس» ودراسته نقدياً والوقوف أيضاً أمام تجارب الشعراء خليل دهوكي، عبدالرحمن مزوري، مؤيد طيب، بيزان آليخان، سكفان خليل هدايت، الشاعر هزرفان، والشاعر شكري شهباز.

يستند الكتاب بعمومه الى عدة دراسات نقدية، منها «البناء السردي ومراتب القصيدة لدى الشاعر شيركو بيكس، ومن ثم المقارنة بين جسد القصيدة بين شاعرين هما أدونيس وبيكس، ثم قراءة تجربة الشاعر والروائي سليم بركات عبر دراسة (كمال الغيبوبة) والتطرق الى ديوانه الشعري «شعب الثالثة فجراً من الخميس الثالث» ومن ثم قراءة تجربة الشاعر لطيف هلمت في كتابه «كليوباتر وأطفال المطر» وقراءتين في تجربة الشاعر دلشاد عبدالله، ثم دراسة قصائد الشاعر حامد بدرخان، تحت عنوان «حامد بدرخان الذي نكاد أن ننساه»، وقراءة في تجارب كل من الشعراء فريد زامدار، فرياد فاضل عمر، كزال ابراهيم خدر، كاميران حرسان، أوات حسن أمين وقوباد جلي زاده، هذا بالإضافة الى إدراج قسم خاص لـ» قصائد الأنفال» كتجسيد حقيقي للهوية الكردية، ونماذج من الابداع النسوي الكردي، وانطولوجيتان للشعر السوراني والكرمانجي، وأخيراً إفراد دراسة خاصة حول الشاعر الكردي الكلاسيكي الملا الجزري، بعنوان «الجزري مؤسساً

للشعر الكردي الكلاسيكي».

كتاب «إشراقات كردية: مقدمة للشعر في كردستان» للكاتب لقمان محمـود، الموزع علـى ١٣٣ صفحة من القطع المتوسط، كتاب يحتفي بالشـعر على طريقة خاصة، هي طريقـة احتفاء شـاعر بزملائه الشعراء، سواء المقيمين في الحياة أو خارجها، الذين ما زالوا يتنفسون الشـعر أو هـم غيـاب في حضرة الفناء، حيث يظل الشـعر الجسـر الأكيد للتواصل.

التشكيلي عمر درويش

يجسد روح الانسان الذي تغلبه المعاناة والاغتراب



خالد النجار

لقـد اختـار ومنذ نشـأته في السليمانية ان يكون فنانا تشكيليا يشـق طريقه في الحياة ليعبر عن افكاره وهواجسـه الفنية، شـأنه شان جميع الفنانين الكورد اللذين خبرتهم الحياة وصعابها والظروف السياسية التي عاشتها البلاد واقليم كوردسـتان بالـذات، حيث اخترق الفنانـون الكورد جدار الصعاب، وأثبتوا للعالـم أن الفنان الكوردي هو مبـدع بالفطرة ووضع اقدامه على الطريق الصحيح وحتى وهو في بـلاد الغربة جسـدا وفي وطنه روحا وقلبا نابضا.

مـن هـؤلاء الفنانـين الكورد المغتربـين الفنـان التشـكيلي (عمـر درويـش) الذي جسـد في معرضـه الاخـير معاناة الانسـان في الغربـة، فقـال درويـش "أنـا من مواليـد السـليمانية في محلة شـيخان القديمة، أتممت دراستي الابتدائية والثانوية في السليمانية، كانت امنيتي ان أتمم دراسـتي في أكاديمية الفنون الجميلة ببغداد.

ويضيـف درويـش "أن تلـك الظـروف قـد وقفـت حائلاً بين الشـباب الكوردي واتمام دراسـاته العليا في كل المجالات، ولكن والحمد لله بدأت عندي موهبة الرسم منذ المراحل الابتدائية والمتوسطة، وقد برزت منذ تلك الفترة من عمري، وقـد نلـت العديـد مـن الجوائز لمشـاركاتي الفنيـة في النشـاطات الفنية المدرسـية، وأتذكر في العام 1979 كانت مشـاركتي الأولى مع فناني السـليمانية، واسـتخدمت فيها لاول مرة اقلام الرصاص، ثم انتقلت الى مرحلة استخدام الألوان في أعمالـي وكانت في العام 1985، ثـم أنجـزت الكثير مـن اللوحات الفنية بإسـتخدام أنواع أخرى من المـواد مثل (الباسـتيل وألوان الماء والزيت) .

وعـن نوعيـة اللوحات التي أنجزهـا، قال درويـش "بداية لم يكن لديّ توجه معين سـوى انني وجـدت نفسـي أرسـم الواقعية، من المناظـر الطبيعيـة والمجتمع والظواهر والحياة البسـيطة التي يعيشـها مجتمعنا سواء في المحلات الشعبية والاسـواق والاعمال التي يزاولها الناس، وفي فترة التسعينيات حاولت العمل في انجاز (البوسترات) وفعلاً نجحت بذلك، وعملت لأكثر

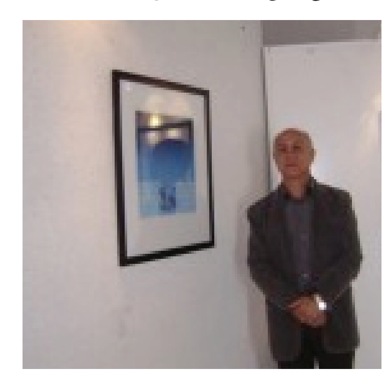
من سبع سنوات، وجسدت الكثير من المعاناة التي عاشها شعبنا الكوردي من عمليات الأنفال سيئة الصيت الى قصف حلبجة بالاسلحة الكيمياوية والتهجير والقتل والاستبعاد وكل جرائم النظام البائد، كذلك شكلت لي مسألة الاخلاء (الهجرة المليونية للشعب الكوردي قسراً) من مناطقه ومدنه الأصلية والهرب الى المصير المجهول، حيث هرب الكثير منا الى الدول المجاورة ايران وتركيا والى دول العالم، شكلت لي دافعاً آخر نحو الابداع .

وعن فترة العمل الفني الاخرى يقول درويش: هناك ايضا فترة اخرى عاشها الاقليم حين كان هناك صراع الاحزاب الذي انتهى والحمد لله بالخير اضطررت الى الهجرة الى هولندا وهناك تمكنت من اقامة اول معرض فني شخصي وعرضت فيه اعمالي الواقعية والسريالية ايضا، وبعض الاعمال القريبة من التجريد ايضاً، وفي العام 2005 توجهت الى النرويج وهناك انجزت الكثير من الاعمال الفنية، وبعد مضي فترة بدات الغربة تاثيرها علي. أن الغربة عن الوطن صعبة جدا ومهما كنت في الخارج فان الغربة لها تاثيرها السلبي على الذات، فلجأت الى تنفيذ أعمال عن الطفولة لأن هذا العالم البرئ يذكرنا أيضاً بطفولتنا بالرغم من قساوتها.

وعن تاثر الفنان درويش بالفنانين الكورد والعراقيين او العرب او الاجانب يقول: بالتاكيد فانا ومنذ بداياتي كنت ولا ازال متاثرا بالفنانين العراقيين ومنهم الفنان جواد سليم، والفنان الراحل فائق حسن رائد الفن التشكيلي، كما وتاثرت ايضا بالفنان الدكتور علاء بشير الذي وظف مهنته الطبية فنيا، وانجز لوحات رائعة من السريالية والواقعية، وقد تعرفت على الفنان علاء بشير من خلال مشاركتي في مهرجان المربد الذي اتاح لي الفرصة للتعرف عليه وشاهدت الكثير من اعماله في بغداد , كذلك هناك الفنانين العراقيين الكبار منهم خالد الرحال واسماعيل فتاح الترك وغيرهم من الفنانين الذين تركوا بصماتهم على الفن العراقي وتاثيره على الفن العالمي .

وعن عدد المعارض التي اقامها درويش يقول: لقد شاركت بالعديد من المعارض المحلية في بغداد وفي دول العالم واول مشاركة لي كانت في معرض الفنانين العراقيين في بغداد , كما واقمت معارضي الشخصية في اربيل وكنت مصمما في مطبعة جامعة صلاح الدين، واقمت معارض اخرى في السليمانية ايضا ولا اتذكر العدد بالضبط ولكنها تجاوزت اكثر من 25 معرضا شخصياً .

وبعد جولة بين اروقة المعرض وبين تلك اللوحات الرائعة التي جسدها درويش في اعماله استوقفتني لوحة لوجوه تسبح في الماء وتندمج في عيون الاسماك وسالته عن تلك اللوحه قال درويش: بصراحة ان هذه اللوحة بالرغم من جماليتها وبساطتها كما تلاحظ , الا ان فيها المعاني الكبيرة لانها تجسد ماساة المهاجرين في العالم، وكيف ذلك يقول درويش: انها لوحة تعبر عن الماسي التي وقع فيها الكثير من اخواننا سواء العرب او الكورد في (بحر ايجة) نعم لان معظم المهاجرين الذين يحاولون عبور ذلك البحر كانوا يقعون ضحية (المهربين) الذين يلقون بهم في عرض البحر ومصيرهم يكون الموت المحتم، لذلك جسدت تلك اللوحة في تلك الوجوه وتلك الاسماك التي التهمت اجسادهم واخذت قلوبهم تتحدث مع بعضها البعض عن هذا المصير.



برعاية فخامة رئيس الجمهورية جلال طالباني

كركوك تحتضن مهرجان المحبة والسلام للفنون التشكيلية والموسيقية

تحقيق: رزكارشواني

للفترة من ١٢ ولغاية ٢٠١٠/١/١٤شهدت مدينة كركوك مهرجان المحبة والسلام للفنون التشكيلية والموسيقية الذي أقامه مركز كركوك لمنظمة فناني كردستان و برعاية فخامة رئيس الجمهورية جلال طالباني، في هذا المهرجان تشابكت أنامل المبدعين وتوحدت قلوبهم لرسم صورة المستقبل المشرق وتناغمت الألحان وصدحت الحناجر لتزدهر الحياة ويشع ضياء الحرية للتعبير عن جوهر الحراك الروحي للتأمل وبلورة الأفكار عبر رسائل ووئام ووشائج أخوة وسلام , ان فنون المحبة والتعايش السلمي نبراس البيارق البيض تخفق عاليا يضيء سناها سماء كركوك ويطرز أديمها بعطر أيام زاهية يضرع فيها شذى الشفافية ورونق العزم الدائم , ان هذه التظاهرة الفنية الرائعة

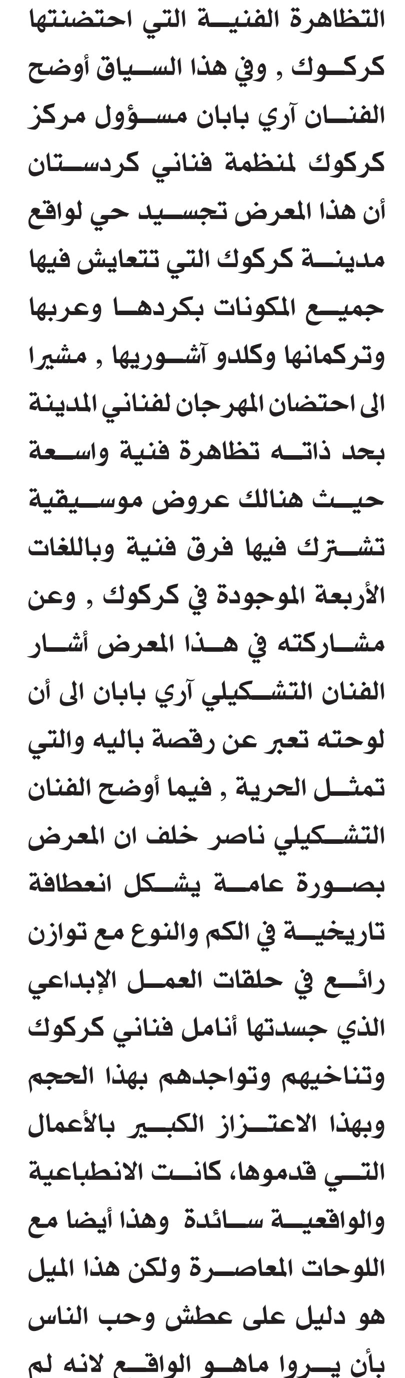


السيدة هيرو ابراهيم أحمد تفتتح المعرض التشكيلي

وضعت كي تخدم الفن وغايته النبيلة وهي بادرة جديرة بالتقدير والعرفان.. ففي اليوم الأول من المهرجان افتتحت سيدة العراق الاولى هيرو إبراهيم أحمد المعرض التشكيلي المشترك لفناني كركوك بمختلف القوميات والأطياف والذي أقيم على قاعة القشلة بمدينة كركوك بمشاركة سبعون فنانا وفنانة تشكيلية حيث جسدت لوحاتهم أفكارا ورؤى حديثة ..

تشكيليو كركوك ..
حضور متميز في الإبداع

خلال لقاءاتنا بالفنانين المشاركين في المعرض التشكيلي والفنون الموسيقية أشادوا بهذه



التظاهرة الفنية التي احتضنتها كركوك , وفي هذا السياق أوضح الفنان آري بابان مسؤول مركز كركوك لمنظمة فناني كردستان أن هذا المعرض تجسيد حي لواقع مدينة كركوك التي تتعايش فيها جميع المكونات بكردها وعربها وتركمانها وكلدو آشوريها , مشيرا الى احتضان المهرجان لفناني المدينة بحد ذاته تظاهرة فنية واسعة حيث هنالك عروض موسيقية تشترك فيها فرق فنية وباللغات الأربعة الموجودة في كركوك , وعن مشاركته في هذا المعرض أشار الفنان التشكيلي آري بابان الى أن لوحته تعبر عن رقصة باليه والتي تمثل الحرية , فيما أوضح الفنان التشكيلي ناصر خلف ان المعرض بصورة عامة يشكل انعطافة تاريخية في الكم والنوع مع توازن رائع في حلقات العمل الإبداعي الذي جسدتها أنامل فناني كركوك وتناخيهم وتواجدهم بهذا الحجم وبهذا الاعتزاز الكبير بالأعمال التي قدموها، كانت الانطباعية والواقعية سائدة وهذا أيضا مع اللوحات المعاصرة ولكن هذا الميل هو دليل على عطش وحب الناس بأن يروا ماهو الواقع لانه لم يشاهدوا لوحات كثيرة ومعارض كثيرة , فهذا المعرض هو سجل نقلة نوعية في التعاون الأخوي



جانب من الحضور

والروحي بين القوميات وتآلفهاو تجسيد لقدرات الفنانين على مواصلة الإبداع , فقد اشارت الفنانة التشكيلية عايدة الربيعي الى ان المعرض قد تميز بجهود فناني ومثقفي كركوك واعتبرته انتقاله الى مرحلة فن الجديد في كركوك , وتمنت لكركوك بأن تكون سباقة في المهرجانات الثقافية , أما الفنان التشكيلي ناظم فرهود فقد عبر عن سروره البالغ بهذه التظاهرة الفنية التشكيلية المقامة في كركوك , مؤكدا ان المعرض حالة مفرحة , متمنيا أن تكون المعارض بهذا المستوى الإنساني العالي , وثمن الفنان ناظم فرهود الرعاية الكريمة لفخامة رئيس الجمهورية جلال طالباني لفناني كركوك بمختلف قومياتهم , وكان للفنان التشكيلي محمد حسيب رأي بهذا المعرض الجميل الذي قال : إنها أول تجربة فنية ناجحة والتي تشكل قفزة نوعية باتجاه الارتقاء بمستوى الفن التشكيلي في مدينة كركوك , مشيدا بالدور الذي لعبه الفنانين التشكيليين وجهودهم في سبيل إنجاح هذا المعرض الكبير , وشارك في المعرض الفنان غسان آل سعيد الذي تحدث إلينا قائلا: المعرض هو تظاهرة رائعة لمجموعة من فناني كركوك , رائعة بطروحاتهم وبأساليبهم وبالمواضيع التي شملت هذا المعرض وانه يمثل قفزة نوعية في مستوى الأداء الفني للمشاركين , إنها نقطة مضيئة في تاريخ الفن في كركوك , وأتمنى أن تتظافر الجهود دائما لكي تعطي صورة

حقيقية لمستوى الفن وأخلاق الفنانين , ومن الضروري ان تتمثل أخلاق الفنانين بالمحبة والتسامح والسلام , أما الفنانة التشكيلية وهبية ياسين التي اشتركت في المعرض فقد ثمنت دور مركز كركوك لمنظمة فناني كردستان لإقامته هذا المعرض الرائع والذي جسدت فيه لوحات المشاركين كل على طريقته الخاصة من خلال الألوان الجميلة التي اختاروها, كما وكانت للخزافة التشكيلية إنصاف عبد الكريم سليمان دور في المشاركة بأعمال السيراميك حيث عبرت عن سرورها بهذه التظاهرة الفنية التي تحتضنها كركوك والتي تعبر عن المحبة والسلام والتعايش الأخوي بين مكونات المدينة بعيدا عن الطائفية , أما الفنان التشكيلي علي درويش الذي شارك بلوحة زيتية أشار الى الجهود التي بذلت من أجل إنجاح هذا المعرض متمنيا ان تستمر هذه المعارض بغية الارتقاء بمستوى الفن التشكيلي في مدينة كركوك ..

حناجر الفنانين صدحت للأخوة والتعايش والسلام

وفي اليومين الثاني والثالث من المهرجان الذي شهدته قاعة النشاط المدرسي بمدينة كركوك وبحضور الدكتور نجم الدين كريم ممثل فخامة رئيس الجمهورية جلال طالباني و محمد عثمان عزيز مسؤول مركز كركوك لمكتب العلاقات في الاتحاد الوطني الكردستاني وعدد من المسؤولين الحزبيين والحكوميين شارك نخبة من الفنانين في مدينة كركوك بكردهم وعربهم وتركمانهم وكلدو آشوريهم بأغانيهم التي جسدت روح المحبة والسلام في ربوع هذه المدينة العريقة , ومن الفنانين التركمان الذين شاركوا في المهرجان هم كل من (اسماعيل ابراهيم ترزي ونجم الدين رؤوف وأحمد نجيب وعلي عباس ريحاني) ومن العرب كل من (محمد خلف وعبد القادر الشيخ وأحمد الساري ومحمد الغريب , ومن الكلدو آشور كل من (أوديشو أخشيرش وإيشايا بنيامين) ومن الفنانين الكرد كل من (زاريا ستار وهه زار عبد الستار ووليد مظهر ونامو عمر وأوميد شواني وحسن غريب).

التقينا بعدد من هؤلاء الفنانين الذين ثمنوا جهود القائمين على هذا المهرجان , حيث تمنى الفنان الكردي (حسن غريب) أن تستمر هذه المهرجانات في مدينة كركوك والتي جمعت شمل الفنانين بمختلف قومياتهم , مثمنا جهود مركز كركوك لمنظمة فناني كردستان لإقامته هذه التظاهرة الرائعة التي شهدتها كركوك , موضحا انه شارك بأغنية عاطفية كردية بعنوان (زانى ده رون) أي



الفعاليات الكردية



الفعاليات التركمانية

(وجع الروح) كلمات الشاعر ستار أحمد عبد الرحمن , أما الفنان (محمد خلف) الذي قدم أغنية عربية بعنوان (يا طيور الطائرة) فقد عبر عن سروره البالغ بهذه التظاهرة الفنية التي جمعت مختلف أطياف كركوك , متمنيا أن تتواصل إبداعات فناني كركوك من أجل خدمة الفن في هذه المدينة , فيما أشار الفنان التركماني (أحمد نجيب) الذي قدم مقام الحجاز و أغنية تركمانية بعنوان (أمان غريبم) الى ان المهرجان كان متميزا بالأخوة والتعايش السلمي وهو الأولى من نوعه في كركوك , مثمنا دور فخامة رئيس الجمهورية جلال طالباني لرعايته الكريمة لهذا المهرجان , داعيا ان يشهد المهرجان في العام القادم أكثر توسعا , أما الفنان (أوديشو أخشيرش أوديشو) الذي شارك بأغنية كلدو آشورية فقد وصف المهرجان بالمتميز كونه شارك فيه الفنانين بمختلف قومياتهم , مثمنا الرعاية الكريمة لفخامة رئيس الجمهورية جلال طالباني للمهرجان ودعمه اللا محدود لفناني كركوك , متمنيا أن تتواصل إبداعات الفنانين في مدينة كركوك وتآلفهم وتجسيدهم للأخوة والوئام في ربوع هذه المدينة , كما وأقترح أن تضاف الى برنامج المهرجان القادم الاوبريتات الهادفة التي تعبر عن الأخوة والتعايش في المدينة .. وكان للفنان العازف جالاك صديق والمشرف على الفرقة الموسيقية الكردية دور كبير لإنجاح أداء الفرقة الذي تحدث عن دور الفرقة قائلا: في البدء لابد لنا أن نشكر فخامة رئيس الجمهورية جلال طالباني لرعايته المهرجان وبتنظيم من مركز كركوك لمنظمة فناني كردستان , ونتمنى أن تقام هكذا مهرجانات على أرض مدينة كركوك وباستمرار, مؤكدا ان عازفوا الفرقة الموسيقية الكردية قدموا إمكانياتهم المتواضعة في المهرجان , متمنيا أن تكون هذه الفرقة رسمية ومجازة من أجل دعمها وأن ترصد لها نثرية خاصة لكي تواصل حضورها في مدينة كركوك , وأن يتم بناء قاعات خاصة لمختلف الفنون والأدب والثقافة لغرض الارتقاء بمستوى الفن والثقافة في مدينة كركوك .. وفي ختام المهرجان قدمت الدبكات الفلكلورية الشعبية الكردية و العربية والتركمانية والكلدو آشورية التي جسدت عمق التآخي والتآلف الموجود بين مكونات كركوك..



الفعاليات العربية



الفعاليات الكلدو آشورية

كركوك تحتضن معرض لمركز المرأة المهنية

إحياء التراث والفلكلور الأصيل

حوار: رزكارشواني

شهدت قاعة الشهيد القيادي سيروان طالباني بمدينة كركوك المعرض الخاص لإحياء التراث والفلكلور الكردي الأصيل لمركز كركوك للمرأة المهنية والذي أقامته الجمعية الثقافية والاجتماعية في محافظة كركوك , وقد ضم المعرض الذي حضره جموع غفيرة من أهالي مدينة كركوك بمختلف القوميات والأطياف و مسؤولين حزبيين وحكوميين وممثلوا المنظمات المهنية والمجتمع المدني , قطع من الألبسة والأقمشة للمرأة الكردية و العربية والتركمانية والتطريز وألبسة الأطفال وغيرها من حاجيات المرأة.. خلال تجوالنا في المعرض التقينا(نشوة حميد الجاف) مديرة مركز كركوك للمرأة المهنية ودار الحوار الآتي معها:

متى تأسس مركز كركوك المهنية والهدف من تأسيسه؟

- تأسس هذا المركز في العام ٢٠٠٧ عن طريق مجموعة من النسوة في محافظة كركوك بمختلف قومياتهن وهن لديهن خبرات في إدارة الأعمال والمشاريع ومحترفات في مجالات الزراعة والاقتصاد والهندسة والمالية , وان الهدف من تأسيس المركز هو كيفية الارتقاء بمستوى المرأة في مدينة كركوك لكي يكتسبن خبرات وإمكانيات لتصبحن نساء مهنيات في مجال المشاريع التي تخدم المرأة , وان المركز متكون من سبع سيدات لا يزال يعملن مع البعض بشكل طوعي من أجل إدارة المشاريع , ويواصل المركز نشاطاته وفق التمويل الذاتي ..

ماذا بصدد نشاطات مركز كركوك للمرأة المهنية؟

- منذ تأسيس المركز قمنا ببحث ميداني لمعرفة أحوال نساء وسيدات كركوك وكيفية البدء بالمشاريع



الضرورية التي تخص المرأة منها القضاء على الأمية والفتيات اللائي لم يتسن لهن مواصلة التعليم وهن جالسات في بيوتهن وهن بحاجة الى تعليم و وعي , وقد قمنا برسم خطة في كيفية زج هؤلاء النسوة في مشاريع الأعمال اليدوية المنزلية وهنالك تدريبات شهرية لهن في مجال الحياكة اليدوية والنسج اليدوي والخياطة وصناعة الإكسسوارات و المعجنات , بالإضافة



الى إقامة ورش عمل لتوعية وتثقيف النسوة حول الاقتصاد: الميزانية الشهرية وميزانية المشاريع وإقامة المشاريع الصغيرة المنتجة وطلب القروض كي تتمكن المرأة المنتجة في استخدام كافة الوسائل المكنة لبناء مستقبل اقتصادي ملائم لها ولعائلاتها , حاليا لدينا (١٥٠) امرأة منتجة مسجلة لدينا ..

وماذا بشأن هذا المعرض المتواضع؟

- هذا المعرض هو الأول من نوعه الذي يضم أعمال يدوية ومنتجات فلكلورية فنية وفي النية أن تستمر هذه المعارض في محافظات كردستان العراق والتنسيق مع المنظمات الدولية لغرض إقامته في خارج القطر تحت اسم كركوك ومن إنتاج سيدات كركوك , وان المنتجات هي من أعمال السيدات من ذوات الدخل المحدود ومن ذوات الأرامل والأيتام وريع تلك المنتجات تعود للعمل الخيري وشراء المواد الأولية للأعمال اليدوية ..

أبرز النتاجات التي احتضنتها المعرض؟

- كان المعرض مقسم الى أجنحة متنوعة منها جناح الأعمال اليدوية منها السجاد اليدوي والتطريز على الحقائب اليدوية الصغيرة والكبيرة و الموائد والشالات وربطات الشعر وقطع ملابس الأطفال , وكذلك جناح الخياطة وإنتاج الملابس الفلكلورية الكردية والعربية والتركمانية , وجناح لبيع الأقمشة وجناح لصناعة الجواهر والإكسسوارات منها الفضة والأحجار الكريمة ومواد كرستالية و جناح للمعجنات والحلويات حيث أنتجن قسم من النسوة الكليجة و زنود الست والحلويات المحلية المعروفة ويتم تجهيزها في الأسواق حسب الطلب، وتمت إضافة أجنحة خاصة لعرض الموسيقى والفن النسائية والبومات الفنانات و نتاجات الشاعرات والكاتبات من النسوة ..

ما ذا تقولين بخصوص كيفية دعم مركزكن؟

- نتمنى من الجهات الحكومية وغير الحكومية زيارة مركزنا لغرض الاطلاع على نشاطاتنا اليومية ونتاجات النسوة اللائي يعملن في سبيل إحياء الفلكلور والتراث الأصيل , وان مركزنا بأمس الحاجة الى الدعم والرعاية، وان طموحنا كبير بالنسبة لكركوك ولدعم نساء كركوك..



Vol,7 - Summer & Autumn 2010

SARDAM AL-ARABI

A quarterly Cultural magazine in Arabic issued by

Sardam Printing & Publishing House

ADMINSTRATIVE BOARD MANAGER

Sherko Bekas

EDITING DIRECTOR

Nawzad Ahmad Aswad

Consulting editor

Muhyadin Zangana

ARTISTIC DIRECTOR

Jamal Darwesh

Sardam Printing & Publishing House

www.serdam.info

Kurdistan- Sulaimany

سعر النسخة: 2000 دينار عراقي